# القبورية في اليمن
## نشأتها – آثارها – موقف العلماء منها

تأليف فضيلة الشيخ
أحمد بن حسن المعلم

# بسم الله الرحمن الرحيم

## المقدمة

الحمد لله الذي بيّن عقائد الأمم الهالكة في محكم الكتاب، وأبـان ما ترتب عليها مـن الشقاوة والهلاك في الدنيا والآخرة ليعتبر بذلك أولو الألبـاب، وحـدد بداية الانحـراف نحو الشـرك وأسـبابه لِتُحذَرَ وتُجتَنبَ تلك الأسباب، وكرّه إلينا الأخذ بسبل الضـالين والمغضـوب عليهم كما نقرأه صباحـاً ومساءً في أم الكتـاب، والصـلاة والسـلام الأتمان الأكملان على من افتتح رسالته بالدعوة إلى التوحيـد، وختم حياته وهو يحـذر من الشـرك والتنديـد، وأسـباب ذلـك، وخص منها البناء على القبور على وجه التحديد، صـلى الله عليه وسـلم، صـلاة وسـلاماً دائمين مسـتمريْن إلى يـوم الوعيـد، وعلى آله الأطهـار وصحابته الأخيار، الذين فقهوا إشارته وطبقوا عبارته، فحجبوا قـبره عن الأنظار لما خشوا أن يترتب على ظهـوره من الفتن والأخطـار، ورضي الله عن خلفائه الذين كانت خلافتهم على منهاج النبـوة فما انحرفوا عنه ذات يمين ولا يسار، وما تخلوا منه عن قليل ولا كثـير، ولا نقير ولا قطمير.

وكان مما عملوا به بمقتضى منصب الخلافة تسوية المشـرف من القبور، وتفقد المقـابر مما قد يسـتجد فيها من أمر منكـور، أو بنـاء معمـور، وتبعهم على ذلك غـالب ولاة الأمـور إلى أن انقضت تلك القرون الفاضلة وتصرمت تلك العصور.

وأشـهد أن لا إله إلا الله وحـده لاشـريك له؛ شـهادة معـترف بالتقصير، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله البشير النذير.

**أما بعد**: فإن من أبرز أهداف الدعوة إلى الله والجهاد في سبيل الله الحفاظ على عقيدة المسلمين صافية نقية كما جاء بها رسـول الله ﷺ ومحاربة كل ما يهدد سلامتها ويحط من مكانتها.

ولقد قام الصحابة من ذلك بأوفر نصيب،فجاهـدوا في سـبيل الله بأنفسـهم وأمـوالهم وألسـنتهم، وتبعهم على ذلك من سـار على منهـاجهم من التـابعين، وتمسك بحبل مـودتهم من اللاحقين، وما زالت الطائفة المنصـورة من أتبـاعهم على الحق ظـاهرين، ولمن خرج عن الصراط قاهرين، وستبقى هـذه الطائفة قائمة على الحق بإذن الله إلى يوم الدين،لا يضرها كيد الكائـدين من المخـالفين، ولا خـذلان القاعـدين من المـآلفين، ولقد تنـوعت أسـاليب جهادها وميادين حربها لأعـدائها ما بين السـيف والسـنان والقلم واللسـان،

وبين جهاد الكفار الظاهرين والمبتدعة والمنافقين، كل بما يليق بحاله ويحقق إزالة منكره وضلاله ممتثلين قول الحق سبحانه:  **يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير**  [1]، وقوله سبحانه:  **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين**  [2]، وبذلك حفظ الله هذا الدين وثبت الإيمان واليقين.

ولكن قضاء الله المبرم وسننة الكونية التي لا تخرم، قضت بانحراف طوائف من هذه الأمة، وأخذها بسنن الأمم الماضية والقرون الخالية في جوانب مختلفة من عقائدها وأعمالها، وكان لكل فرقة حلية وشعار يعرفه من طالع كتب تاريخ العقيدة على تتابع الأعصار، وكان من أبرز شعارات الشيعة الغالية والصوفية الجاهلة التي هي من العلوم خالية - الغلو في الصالحين من الأئمة والأولياء - غلواً حملهم على أن (أخرجوهم من حدود الخلقية، وحكموا فيهم بأحكام الإلهية، فربما شبهوا واحداً من الأئمة بالإله، وربما شبهوا الإله بالخلق)[3]، ولأجل أنهم قد فارقوا الحياة، ولا يمكن الالتقاء بذواتهم الباليات، عمدوا إلى تشييد المشاهد والقباب لتكون ملجئاً إليه يلجؤون وعليه يعولون،كما صور عبّاد الأوثان صور الأنبياء والصالحين وزعموا أنهم متى اشتغلوا بعبادة هذه التماثيل، فإن أولئك الأكابر تكون شفعاء لهم عند الله كما قرر ذلك الإمام الفخر الرازي [4].

ومن منطلق الغلو في البشر تولدت العقائد الضالة، والتصورات المنحرفة، والأعمال الباطلة المراغمة لصرائح آيات الكتاب، وصحيح السنة الذي لا شك فيه ولا ارتياب.

ومنذ أن ظهر ذلك الانحراف والعلماء لهم بالمرصاد، ينكرون تلك الضلالات، ويقررون أحكام تلك البدع والمنكرات، بين مصرح وملمح، ومقل ومستكثر،لم يختص بذلك مذهب دون مذهب [5]، أو عصر دون آخر، وإن كان يقوى الإنكار حيناً، ويضعف حيناً آخر على مقتضى الأحوال، كما أن القبورية نفسها كانت تسفر عن وجهها حيناً وتتبرقع بالتقية حيناً آخر.

---

[1] التوبة ( 73 ) .
[2] النحل ( 125 ).
[3] الملل والنحل ( 1 / 127 ) .
[4] انظر : مفاتيح الغيب للفخر الرازي ( 17 / 60 ) .
[5] ولبيان جهود علماء المذاهب المختلفة في الرد على القبورية ألفت رسائل علمية في جهود كل مذهب على حده ، هي : "جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية" للدكتور : شمس الدين السلفي الأفغاني ، "وجهود أئمة الشافعية في تقرير توحيد العبادة" للدكتور عبدالله العنقري ، و"جهود أئمة المالكية" للشيخ : عبدالله العرفج ، أما علماء الحنابلة فجهودهم أكثر من أن تحصر في كتاب .

وفي عصرنا هذا، عصر الصحوة المباركة،التي أقضت مضاجع الكافرين، ودوخت جنود الغازين المعتدين، وأشعرت طوائف الكفر المختلفة؛ أن الجولة القادمة للإسلام، وأن الخصم الحقيقي للكفر وأهله هم أبناء الصحوة ورموزها العظام، السائرون على منهج أسلافهم الصالحين الكرام، فصمم الكفار على محاربة هذا الاتجاه. لتمسكه الصارم بجميع ما تقتضيه لا إله إلا الله، وأرادوا أن يحل محلهم من يُجَزِّئ ذلك وفق شهوته وهواه، فشجعت دوائر النظام الدولي الجديد ووكلاؤها في بلاد المسلمين سائر الفرق الضالة المنتمية للإسلام على الظهور والتصدر والانتشار في الساحة الإسلامية،لتكون البديل المناسب الذي يمكن التعامل معه باسم الإسلام،لإلغاء وجود العلماء العاملين والدعاة الصادقين، وأتباعهم المخلصين.

ومن تلك الطوائف التي وقع عليها الاختيار الصوفية المنحرفة، وقد رأينا آثار ذلك الاختيار في صورة دعم مادي ومعنوي للطرق الصوفية، ودعاة القبورية المعاصرين ومنهم رموز في اليمن، حيث قد ثبت اهتمام السفارات الأجنبية بأولئك الرموز، ومؤسساتهم الدعوية العلمية بل إن بعض السفارات قد قدمت الدعم المادي القوي لبناء بعض مشاريعهم التعليمية وغيرها، وبذلك نشطت الصوفية في اليمن نشاطاً ملحوظاً، حيث أقامت الجمعيات والجامعات، وأعادت فتح الأربطة التعليمية القديمة، وأنشأت أخرى جديدة، وأسست دور نشر ومكتبات، لبعث تراثهم الفكري ومنهاجهم القبوري، وشرعت في تجديد وترميم المشاهد والقباب، وإعادة الزيارات القبورية لسالف عهدها.

وذلك في نظري تهديد مباشر للعقيدة، وتوهين للاِتِّبَاع، وعمل على نشر الشرك والابتداع، فكان من الواجب على كل قادر أن يذب عن هذا الدين، ويدافع عن عقائد المسلمين، ومن أنجح هذه الوسائل حسب اعتقادي، كشف حقيقة الخصم، وتعرية مبادئه ومناهجه؛ليحذره الناس، ويتحصنوا عن الاغترار بدعوته والوقوع في فتنته، فجاءت هذه الرسالة التي أكتبها لإتمام متطلبات التخرج في مرحلة الماجستير وسميتها " **القبورية في اليمن نشأتها وآثارها وموقف العلماء منها** ".

أسباب اختيار الموضوع :

ولقد كان لاختياري هذا الموضوع أسباب منها:

1) ابتغـاء الأجر والثـواب بالاسـهام في تنقية العقيـدة مما نسب إليها الانحراف والضلال.
2) رغبـــتي الذاتية الملحة في معرفة أســـرار الفـــرق القبورية والتأكد مما يقوله النـاس عنها وإقامة الـدليل على ماصح من ذلك من كتب القوم أنفسهم.

3) ما ســـبقت الإشـــارة إليه من وجـــود خطـــورة على عقيـــدة المســـلمين، تمثلها الـــدعوة القوية للقبورية وتـــزيين مبادئها وأعمالها ونشر كتبها وفكرها، فالقبورية من أقوى معاول هدم العقيـــدة وزعزعة قواعد التوحيد؛ لـــذا وجب بيـــان حقيقتهـــا، وكشف مساوئها وتحذير المسلمين من خطرها.

4) أن التراث الصوفي والشيعي الـذي يُضخ إلى عقـول ونفـوس الأمــة،لو وصل مباشــرة إلى القــارئ دون تعليق أو تنبيه عليه من قبل من يعرف حقيقته؛ قد يؤثر في النفوس، لما يشـتمل عليه من شبهات وتزيين للباطل؛ فلذا لزم قراءة ذلك الفكـــر قراءة علمية وكشف ما يحتوي عليه من باطل ثم توعية الأمة به من وجهة نظر أهل السنة،ليكون في ذلك حصانة للقــارىء والباحث عن الحق من العوام وأشباههم.

5) أن كثـيراً من طلاب العلم والـدعاة يعرفـون حقيقة القبورية بصـورة مجملـة، فهم يبغضـونها ويحاربونها، ولكنهم يخفقـون في بعض الأحيان لعدم المعرفة المفصلة بها، فأردت أن أقدم لهم زاداً يفيدهم في هذا الميدان.

6) أن من يــدرس الصــوفية " القبورية " في العــالم الإســلامي ويمثل بــأقوال وأفعــال المتصــوفة، لا يكــاد يــذكر مثــالاً عن صـــوفية اليمن، وكأنه لا يوجد تصـــوف في اليمن،مغـــرق في الغلو والضـــلال،كما هو الحـــال في بقية بلـــدان المســـلمين، فأردت أن أقـدم هـذه المـادة من فكر صـوفية اليمن يسـتفيد منها الباحثون ويمثلون بها متى شاءوا.

هـذه هي أهم الأسـباب الـتي دفعتـني للكتابة في هـذا الموضـوع، وهي دوافع وجيهة في نظــري، إذ لا أهم من التحــذير من الشــرك والعمل على حماية التوحيــد، فهــذان الأصــلان هما خلاصة دعــوة الرسل عليهم السـلام، وأما اعـتراض من يقــول إن الــوقت ليس وقت الردود والصراع داخل الصف الإسـلامي، فـإن ذلك المعـترض

عليه أن يوجه هذا اللـوم إلى من ينشر الشـرك والبـدع؛ إذ ذلك هو السبب الحقيقي للصـراع والـنزاع،كما قـرره القـرآن قـال تعـالى: **ومن الذين قالوا إنّا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسـوا حظـاً مما ذكـروا به فأغرينا بينهم العـداوة والبغضـاء إلى يـوم القيامة** [1]، قـال قتـادة: **فأغرينا بينهم العـداوة والبغضـاء يـوم القيامة** إن القـوم لما تركـوا كتـاب الله وعصـوا رسـله وضيعوا فرائضه وعطلوا حدوده، ألقى بينهم العـدواة والبغضـاء إلى يوم القيامة بأعمالهم أعمال السوء ولو أخذ القوم كتاب الله وأمره ما افترقوا ولا تباغضوا [2].

## منهج البحث

ولما استقر الـرأي على البحث في هـذا الموضـوع بعد المشـاورة والتباحث مع الكثير ممن أثق بهم من علماء اليمن، وتشـجيعهم لي على المضي في هذا السبيل، عزمت متوكلاً على الله، فجمعت ما تيسر من مراجع المتعلقة بالموضـوع وبـالأخص كتب التشـيع والتصـوف، وقد حصـلت على بعض كتب الشـيعة وكثـير من كتب الصوفية اليمنيين وبالأخص صوفية حضرموت منها المطبـوع وبعض المخطوطـات المصـورة ثم قرأتها وجمعت المـادة المطلوبة وصنفتها حسب ما يخدم الموضوع.

وقد اتبعت في كتابتها هذا المنهج:

1) حرصت على إكمال صورة الموضوع بـأن ذكـرت ابتـداء القبورية منذ فجر التـاريخ كما قصـها القـرآن الكـريم، ثم مـررت بقبورية اليهود والنصارى واليونان؛ لإخبار النبي عن شبه هذه الأمة بهم ولوقـوع ذلك فعلاً ثم مـررت بقبورية ووثنية العـرب لإكمـال التقسـيم، وقد أرّخت للقبورية في العـالم من كتب التـاريخ والتفسـير والحـديث عند أهل السـنة وكـذلك القبورية في الأمة وكان كثير من مـراجعي هي كتبهم ولكن بواسـطة كتب العلمـاء الثقـات والرسـائل العلمية المعتمـدة، مع ذكر المصـدر الأصـلي والواسطة التي أخذت عنها، بالإضافة إلى ما تيسر لي الحصـول عليه من المصادر الأصلية.
2) أما قبورية اليمن فلم آخذ أقوالهم إلا من كتبهم أنفسـهم بـدون واسـطة، وقد الـتزمت دقة النقل والحفـاظ على نصوصـهم كما هي، حتى أنني أدع كلامهم على ما هو عليه وإن كان فيه أخطاء،

[1] المائدة ( 14 ) .
[2] تفسير ابن جرير ( 6 / 102 ) .

وقد أنبه على بعض الأخطـــاء الفاحشة وغـــير الفاحشة وقد أدع ذلك لإدراك القارئ.

3) هنـاك نصـوص كثـير ة لم يلـتزم أصـحابها اللغة الفصـحى ولم يتقيـــدوا بقواعد النحو وقد نقلتها كما هي، وإن رأيت شـــيئاً منها يحتاج إلى توضيح أوضحته في الهامش.

4) لم أحتجّ من الأحاديث إلا بحديث صححه عـالم معتـبر من علمـاء الحديث، وأما الروايات التاريخية فأعتمد منها ما اعتمده العلمــاء وتناقلوه في كتبهم، ولم أرَ من وهَّاها أو انتقدها من حيث السند، وهـــذه الروايـــات بـــالطبع لا يبـــنى عليها حكم، وإنما يستشـــهد ويستعان بها على تصوير الموضوع وتجلية ملامحه.

5) عزوت جميع الآيات إلى سـورها، وخـرجت جميع الأحـاديث الـتي اسـتدللت بها وغـالب الأحـاديث الـتي جـاءت ضـمن النقـول عن الآخرين وكافة الآثار التي استدللت بها كذلك إلا ما ندر، فما كان في الصحيحين أو أحـدهما اكتفيت بعـزوه إليهما مع ذكر موضـعه من الكتاب والباب إضافة إلى رقم الجزء والصفحة، وما كان في غيرهما خرجته من عـــدد من المراجع الـــتي يطمئن القـــارئ بالرجوع إليها، مع إيراد حكم علماء الحـديث عليها دون أن أبـدي رأيي غالباً مكتفياً بحكمهم.

6) شرحت بعض الكلمات الغريبة والمصطلحات الغامضة حيث أرى لذلك فائدة، وقد أترك بعضـها إما لعـدم الجـدوى من شـرحها أو للاختصار وضيق الوقت.

7) لم ألتزم بالتعريف بالأعلام جميعاً وإنما عرفت بالأعلام المهمة، أو من له علاقة بـالبحث الـذي يـرد فيـه، وأما الصـحابة وكبـار المؤلفين وأصحاب الأمهات الحديثية، فلم أتعرض لهم إلا لغـرض خـاص وذلك لشـهرتهم ولئلا أثقل كاهل الرسـالة، وهنـاك جماعة من الأعلام اكتفيت بذكر تـاريخ وفـاتهم مع الإحالة إلى تـراجمهم عند المؤرخين وعلماء التراجم.

8) لقد قصدت إلى جمع أكثر عدد من النصوص والحكايات الصادرة عن القبورية وعرضـها على البـاحثين المهتمين بدراسة القبورية والصـــوفية، للاســتفادة منها في أبحـــاثهم ودراســتهم، ولم يكن قصـــدي الدراسة الوافية لتلك النصـــوص دراسة عقدية تلزمـــني بالإسـهاب في المعالجـة، وإنما علقت على بعض تلك النصـوص تعليقات موجزة مناسـبة لهـذا القصـد، ولم أتوسع إلا في مواضع دعت الحاجة إلى التوسع فيهـا، وأنا أعلم أنـني لم أُعـطِ البحث حقه، غير أني أرجو أن أكون قد وفقت لفتح هذا البـاب والولـوج في هـــذا المســـلك الـــذي ظل مهجـــوراً لم يقتحم مجاهله أحد

حسب علمي بالصورة التي سرت عليهـا، ولعل الله أن ييسر لي أو لغـيري من البـاحثين العـودة إلى تلك المبـاحث والتعمق في دراستها وتوسيع نطاقها، لتقديم صـورة شـاملة ومعالجة شـافية لها، نصيحة لله ولرسوله وللمؤمنين، وكشفاً للباطل وإزهاقاً له.

9) لإتمام الإفـادة وتيسـير الاسـتفادة قمت بعمل فهـارس للرسـالة هي:

أ) فهر س الآيات.
ب) فهرس الأحاديث.
ج) فهرس الآثار.
د) فهرس الأعلام المترجمين.
هـ) فهرس المصادر والمراجع.
و)فهرس الموضوعات.

وقد قمت باختصار أسماء بعض المراجع التي يكثر الرجـوع إليها ومنها:

| **اسم المرجع** | | **الاسم المختصر** |
|---|---|---|
| فتح البـاري ........................................ | ..................................... | الفتح |
| سـير أعلام النبلاء ........................... | ..................................... | السير |
| طبقـات الخـواص أهل الصـدق والإخلاص............ | ..................................... | الطبقات |
| المشـرع الـروي ....................................... | ..................................... | المشرع |
| القـاموس المحيط ....................................... | ..................................... | القاموس |
| كنـوز السـعادة الأبدية في الأنفاس العلية الحبشية... | ..................................... | كنوز السعادة |
| هجر العلم ومعاقله في اليمن.............................. | ..................................... | هجر العلم |
| بـذل الجهـود في خدمة ضـريح نبي الله هود........... | ..................................... | بذل المجهود |
| العسـجد المسـبوك ........................................ | ..................................... | العسجد |
| قـرة العيـون في أخبـار اليمن الميمون..................... | ..................................... | قرة العيون |
| غـرر البهـاء الضـوي | ..................................... | الغرر |

.........................................
وكُتُب الشيخ الألباني صحيح السنن (أبي داود،الترمذي،النسائي،ابن ماجة) في الغالب أخرّج الحديث من كتاب السنن نفسه، ثم أقول وصححه شيخنا في صحيحه، أي في صحيح ذلك الكتاب.

خطة البحث :

وعندما عزمت على كتابة رسالة التخرج حسب متطلبات إنهاء مرحلة الماجستير فكرت في الموضوع الذي أطرقه بحيث يكون موضوعاً حياً حاضراً في الساحة، وبحيث تنشر الرسالة وتفيد ولا تبقى على الأرفف ككثير من الرسائل التي كتبت لمجرد الحصول على الشهادة، وقد شاورت في ذلك وباحثت كثيراً ممن أثق بهم من مشايخي علماء اليمن وإخواني طلاب العلم، وكان هذا الموضوع يراود نفسي منذ أمد بعيد فشجعني عليه من شاورته وحفزني على المضي فيه من ناقشته، وعند ذلك توكلت على الله وكتبت هذه الرسالة " **القبورية في اليمن نشأتها وآثارها وموقف العلماء منها** "

وقد جاءت في مقدمة وتمهيد وخاتمة.

**المقدمة** وقد أبنتُ فيها أهمية الموضوع والأسباب التي دفعتني لاختياره ومنهجي في البحث وخطة الرسالة.

**الباب التمهيدي:**

**وقد اشتمل على ثلاثة مباحث:**

**المبحث الأول: تعريف القبورية.**

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف القبورية لغة.

المطلب الثاني: تعريف القبورية اصطلاحاً.

**المبحث الثاني: خطورة عقائد القبورية وعلاقتها بالشرك والوثنية.**

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الشرك وخطورته

المطلب الثاني: الوثنية هي الوعاء الذي يحوي الشرك.

المطلب الثالث: الغلو في الصالحين هو أصل الوثنية.

المطلب الرابع: كثرة النصوص الناهية عن تعظيم القبور والعلة في ذلك.

**المبحث الثالث: هدي الإسلام في التعامل مع القبور وزيارتها.**

وفيه أربعة مطالب:

**المبحث الثـاني: الإسـماعيلية ودورها في نشر القبورية في اليمن.**
وفيه أربعة مطالب:
المطلب الأول: طوائف الإسماعيلة التي دخلت اليمن.
المطلب الثـاني: لمحة عن الدولة الصـليحية مؤسسة القبورية في اليمن.
المطلب الثالث: دور الدولة الصليحية في نشر القبورية في اليمن.
المطلب الرابع: استمرار القبورية الإسماعلية.
**المبحث الثـالث: مسـاهمة السـلاطين في نشر القبورية في اليمن:**
وفيه ثلاثة مطالب:
المطلب الأول: السـلاطين هم وراء المظـاهر القبورية في اليمن قبل الصوفية.
المطلب الثـاني: مسـاهمة أئمة الزيدية في نشر القبورية في اليمن.
المطلب الثـالث: مسـاهمة الدولة الرسـولية في نشر القبورية في اليمن.
**المبحث الرابـع: نشـأة التصـوف وأهم الطـرق الصـوفية في اليمن.**
وفيه مطلبان:
المطلب الأول: نشأة الصوفية في اليمن.
المطلب الثاني: أهم الطرق الصوفية التي عرفتها اليمن.
**الباب الثاني: آثار القبورية**
وفيه مدخل وثلاثة فصول:
المدخل: وفيه بيان نشأة العقائد الضالة عن الغلو في الصالحين.
**الفصل الأول: عقائد القبورية الضالة.**
وفيه ثلاثة مباحث:
**المبحث الأول: عقيدة القطبية والتصرف في الكون.**
وفيه أربعة مطالب:
المطلب الأول: تعريف القطـب
المطلب الثـاني: اعتمـاد ما تقـرر من تعريف القطب عند قبورية اليمن.
المطلب الثالث: التصرف في الكون أهم وظائف القطب.
المطلب الرابع: فروع عقيدة التصرف في الكون.
**المبحث الثاني: عقيدة الرجعة وإمكانية الاجتمـاع بـالنبي ﷺ يقظة.**

وفيه أربعة مطالب:
المطلب الأول: تعريف الرجعة وإثبات أصولها الشيعية.
المطلب الثاني: إثبات اعتقاد قبورية اليمن للرجعة.
المطلب الثـالث: في الــرد على معتقــدي الرجعة ورؤية النــبي ﷺ يقظة.
المطلب الرابع: لوازم هذا الاعتقاد وما يترتب عليه من مفاسد.

**المبحث الثالث: الاعتقاد بحياة الخضر والالتقاء به.**

وفيه أربعة مطالب:
المطلب الأول: حقيقة الخضرعند أهل السنة.
المطلب الثاني: حقيقة الخضر عند الصوفية..
المطلب الثالث: نماذج من دعاوى الصوفية رؤية الخضر .
المطلب الرابع: إبطـال دعـوى القـوم ولاية الخضر وحياته ورؤيتهم له.

**الفصل الثاني: تعظيم القبور.**

وفيه ثلاثة مباحث:

**المبحث الأول: اعتقادهم تعظيم قبور مخصوصة.**

وفيه ستة مطالب:
المطلب الأول: اعتقاد تعظيم وبركة مقابر مخصوصة.
المطلب الثاني: اعتقادهم بركة قبور معينة بركة عامة.
المطلب الثالث: اعتقادهم استجابة الدعاء عند بعض القبور.
المطلب الرابع: اعتقادهم قضاء الحوائج لدى بعض القبور.
المطلب الخامس: اعتقادهم أن بعض القبور أمان للخائفين.
المطلب السادس: اعتقادهم أن بعض القبـور متخصصة في قضـاء حاجات معينة.

**المبحث الثاني: ظاهرة البناء على القبور وإلباسها.**

وفيه خمسة مطالب:
المطلب الأول: القبور المعظمة الثابتة لأصحابها.
المطلب الثاني: القبور المنسوبة إلى الأنبياء, والقبور المجهولة.
المطلب الثـالث: طريقة القــوم في اكتشــاف القبــور المعظمة وإظهارها.
المطلب الرابع: الأنصاب والمشاهد التي لا قبور فيها.
المطلب الخامس: إلباس القبور وكسوتها.

**المبحث الثالث: الزيارات القبورية.**

وفيه خمسة مطالب:
المطلب الأول: زيارة القبور عند القبورية وأصلها الفلسفي.
المطلب الثاني: ظاهرة الزيارات القبورية.

المطلب الرابع: نماذج من الخرافات التي استخدمها القبورية لتعميق سلطتهم واستعلائهم.
**المبحث الرابع: انتشار الجهل والأمية في الأمة.**
وفيه ثلاثة مطالب:
المطلب الأول: حال اليمن قبل انتشار التصوف من الناحية العلمية.
المطلب الثاني: أثر انتشار التصوف في انحسار العلوم الشرعية.
المطلب الثالث: تجهيل الأمة.
**الباب الثالث: مواجهة علماء اليمن للقبورية.**
**وفيه فصلان:**
**الفصل الأول: أساليب القبورية في محاربة مخالفيها.**
وفيه ثلاثة مباحث:
**المبحث الأول: أسلوب الاحتواء والاختراق.**
وفيه مطلبان:
المطلب الأول: محاولة احتواء المخالف.
المطلب الثاني: محاولة اختراق صفوف المخالفين وبث الفتنة في أوساطهم.
**المبحث الثاني: الإرهاب الفكري من أقوى أسلحة القبورية.**
وفيه مطلبان:
المطلب الأول: تربية المجتمع على التسليم المطلق لأوليائهم وأقطابهم.
المطلب الثاني: استخدام الخرافة والشعوذة والاستعانة بالجن لإرهاب المخالف.

**المبحث الثالث: استخدام القوة في محاربة الخصم.**
وفيه أربعة مطالب:
المطلب الأول: اللجوء إلى السلطان.
المطلب الثاني: اللجوء إلى القبائل المسلحة وحملها على إخضاع خصومهم.
المطلب الثالث: اعتماد التصفية الجسدية للخصوم.
المطلب الرابع: تشويه صورة الخصم بالإشاعات الكاذبة.
**الفصل الثاني:موقف علماء اليمن من القبورية وبيان جهودهم المشكورة في مواجهتها**
وفيه تمهيد وأربعة مباحث:

**التمهيد: في حفظ الله لهذا الدين بواسطة العلماء رغم المكائد.**

المبحث الأول: موقف علمـــاء اليمن من القبورية الإســـماعيلية وجهودهم المشكورة لمواجهتها.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: موقف العلماء اليمنيين من الإسماعيلية.

المطلب الثاني: أبرز الأعلام الذين واجهوا الإسـماعيلية من علمـاء اليمن.

المطلب الثـــالث: المؤلفـــات اليمنية في الـــرد على الباطنية الإسماعيلية.

**المبحث الثاني: المواجهة العلمية لعلماء الجهات اليمنية المختلفة لعموم القبورية.**

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: جهود علماء اليمن الأعلى (صنعاء وما يليها).

المطلب الثاني: جهود علماء اليمن الأسفل (من إب إلى عدن).

المطلب الثالث: جهود علماء تهامة في مواجهة القبورية.

المطلب الرابع: جهود علماء حضرموت في مواجهة القبورية.

**المبحث الثـالث: الـردود الـواردة في ثنايا كتب الفنـون المختلفة.**

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: ردود في كتب التاريخ.

المطلب الثاني: ردود على القبورية جاءت على ألسنة الشعراء.

المطلب الثـالث: نقـول عن بعض من يعتقـدهم القبورية في نقد بعض عقائد وأعمال القبورية.

المطلب الرابع: فتاوى وبيانات جماعية للتحذير من عقائد وأعمـال القبورية.

**المبحث الرابع: الجهود العملية لمواجهة القبورية.**

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: أثر دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في اليمن

المطلب الثـاني: دعـوة الإرشـاد بإندونيسـيا وأثرها على القبورية على القبورية في اليمن.

المطلب الثـالث: جهـود أئمة وعلمـاء اليمن الأعلى في المواجهة العملية للقبورية

المطلب الرابـع: الجهـود العملية المختلفة الـتي قـام بها أنـاس مختلفون في سائر أنحاء اليمن.

## شكر وتقدير

وفي النهاية لا يسعني إلا أن أشكر الله تعـالى على مننه العظيمة ونعمه الجسيمة، التي من أعظمها عليّ إتمـام هـذه الرسـالة بهـذه الصورة، فله سبحانه جزيل الحمد والشكر.

ثم إنني أثني بشكر كل من أعان برأي أومشورة أو تصـويب خطأ أو دلالة على حق في كافة مراحل عملي، وهم كـثر لا تتحمل هـذه المقدمة ذكرهم، ولكن أخص بالشكر شـيخي الجليل العلامة حسن ابن محمد مقبولي الأهدل الـذي تفضل مشـكوراً بقبـول الإشـراف على الرســالة ولم يبخل عليَّ بنصــحه وتوجيهه، كما لم يبخل عليّ بوقته الثمين فجزاه الله خير الجزاء، وأشكر كذلك صاحبَي الفضيلة أ.د0 إبــراهيم بن إبــراهيم القريــبي رئيس قسم الدراســات بكلية التربية جامعة الحديـــدة، وأ0د0 غـــالب ابن عبـــدالكافي القرشي الأســتاذ بكلية الشـريعة جامعة صـنعاء عضو المجلس الاستشـاري وزير الأوقاف والإرشاد سابقاً على تفضلهما بقراءة الرسالة وإبـداء الملاحظـــات القيمة عليها وتصـــويب بعض أخطائها ومناقشة ذلك فجزاهما الله خـــير الجـــزاء، كما أشـــكر فضـــيلة الشـــيخ العلامة عبدالرحمن بن عبدالله بكير لتعاونه الكبير معي وإمـدادي ببعض ما أحتاجه مما لديه من علم ومصـــادر ومعرفة بتـــاريخ حضـــرموت، وكذلك فضيلة الشـيخ العلامة علي سـالم سـعيد بكيّر الـذي أمـدني بعـدد من المصــادر ما كنت لأحصل عليها إلا من طريقــه، وكــذلك أمدني بالكثير من الآراء والملاحظات القيمة.

ومثله القاضي العلامة إسماعيل بن علي الأكوع الـذي رجعت إليه كثيراً فيما يتعلق بتاريخ اليمن وأعلامها، كما أشكر الأخ الأستاذ وليد بن عبدالرحمن الربيعي الذي حصلت بواسطته على مصورات لعدد من المراجع المخطوطة والمطبوعة النادرة.

كما أشكر الولد البار والصهر الوفي حسـين بن علي بن محفـوظ الذي لازمني طوال عملي في الرسالة وقـام بجهـود مشـكورة في الطباعة والمراجعة وغير ذلك، وكذا أشـكر الأخ الكـريم عبدالله بن علي بارجــاش الــذي تــولى طباعة معظم الرســالة، فلهما خــالص الشكر ومن الله جزيل الأجر.

وإن أنسَ فلن أنسى شكر شـيخي الجليل وأسـتاذي الفاضل **أبي عبدالله حسن بـاعمر العمـودي** الـذي غـرس في نفسي حب التوحيد والاتباع، وكرَّه إليّ الخرافة والابتداع، وأخذ بيدي منذ نعومة أظفـاري إلى مجـالس العلمـاء ويسر لي التعـرف على المشـايخ

الفضـلاء، ومـازال يتعهـدني ويتفقد أحـوالي إلى اليـوم، وما أحسب هذا العمل إلا ثمـرة من ثمـار غرسه المبـارك،أسـأل الله أن يجزيه خير ماجزى معلماً عن تلميذه.

كما أشكر الإخوة الكرام والأبناء الأعزاء الذين تفرغـوا معي أيامـاً متوالية يواصلون الليل بالنهار بالتصحيح والمقابلة وإتمام الطباعـة، برئاسة الشيخ الكريم أبي مروان صالح بن مبارك دعكيك، فجزاهم الله خيراً وكتب ذلك في مـيزان حسـناتهم، وأجـرى عليهم من أجر هذه الرسالة إن قبلها وأثاب عليها.

ولا أنسى شكر رئاسة الجامعة الوطنية وعمـادة الدراسـات العليا بهـا، وكافة المنتسـبين إليها على إتاحة الفرصة لي، وقبـولي طالبـاً من طلاب الجامعـة، وتقـديم كافة التسـهيلات، حـتى يسر الله لي إتمام الرسالة ومناقشـتها فجـزاهم الله خـيراً ووفقهم للمضي في خدمة الأمة..،

**وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.**

# الباب التمهيدي
## وفيه ثلاثة مباحث
## المبحث الأول
## تعريف القبورية
### وفيه مطلبان:

**المطلب الأول:تعريف القبورية لغة:**

القبورية لغة جمع قبوري وهو مصدر صناعي صيغ بإضافة اسم مجموع " قبور " إلى ياء النسبة المردوفة بالتاء.

وقد سَوَّغ نسبته للجمع - مع أن لـه واحداً مستعملاً من لفظه- أنه صار (جارياً مجرى العلم لاختصاصه بطائفة بأعيانهم كأنصاري نسبة إلى الأنصار،وأصولي نسبة إلى علم الأصول؛ لأنه غلب علىعِلْم خاص حتى صار كالعَلَم عليه)[1].

وبذلك يكون إطلاق هـذا اللفظ على مقدِّسي القبور والغلاة فيها سائغاً؛لأنه قدصار كالعلم عليهم. وأصل القبورية مأخوذ من " القبر " وهو مدفن الإنسان إذا مات0وجمعها قبور0 والمقبرة: موضع القبور0وجمعها مقابر.وقبرت الميت قبراً إذا دفنته، وأقبرته " بالألف" أمرت أن يقبر أو جعلت له قبراً[2].

**المطلب الثاني:تعريف القبورية في الإصطلاح:**

دأب العلماء – رحمهم الله تعالى - على إطلاق وصف " القبورية " على الغلاة في تعظيم القبور وتقديسها والاعتقاد فيها ما لا يجوز إعتقاده إلا في الله تعالى وقصدها بأنواع العبادات والقربات ودعاء أربابها من دون الله تعالى.

وسأنقل لك طائفة من عباراتهم في ذلك وأكتفي بجماعة من علماء اليمن: فمنهم العلامة البدر محمد بن إسماعيل الأمير -رحمه الله – [3]حيث قال في كتابه الشهير "تطهير الإعتقاد عن أدران الإلحاد": (والنذر بالمال على الميت ونحوه، والنحر عل القبر،والتوسل به،وطلب الحاجات منه هو بعينه الذي كانت تفعله الجاهلية،وإنما كانوا يفعلونه لما يسمونه وثناً وصنماً، وفعله

---

[1] انظر شرح التصريح على التلويح للشيخ خالد الأزهري (2/336) طبع دار الفكر بيروت، وهمع الهوامع للسيوطي (2/197) طبع سنة 1327 هـ بعناية محمد بدر الدين النعساني.

[2] مادة " قبر" في لسان العرب لابن منظور طبع دار الفكر الطبعة الأولى سنة( 1410هـ - 1990م )، والقاموس المحيط للفيروز آبادي طبع مؤسسة الرسالة الطبعة الثانية (1407هـ-1987م) .

[3] انظر ترجمته ( ص )

**القبوريون** لما يسمونه ولياً وقبراً ومشهداً والأسماء لا أثر لها ولا تُغيّر المعاني).[1]
ومنهم العلامة حسين بن مهدي النعمي[2]- رحمه الله – في كتابه " معا رج الألباب في مناهج الحق والصواب " ذكـره بلفظ القبـوريين فقال:(والمشروع فيها - زيارة القبور – إنما هو تـذكر الـدار الآخـرة والإحسان إلى الميت المزور بالدعاء والترحم، والاستغفار، وسـؤال العافية. فقلب القبوريون الأمر وعكسوا وعاكسـوا مقاصد الشـرع، وجعلوا المقصـود بالزيـارة: الشـرك بـالميت،والـدعاء بـه، وسـؤاله الحـوائج، واسـتنزال البركـات، والنصر على الأعـداء0 فأسـاءوا إلى أنفسهم وإلى الميت0)[3] الخ.
ومنهم شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني [4]-رحمه الله- أطلق هـذا اللفظ في "نيل الأوطـار" حيث قـال في كتـاب الجنـائز: (وقد تـــوارد إلينا من الأخبـــار ما لا يُشك معه أن كثــــيراً من هــــؤلاء **القبوريين** أو أكثرهم إذا توجهتْ عليه يمين من جهة خصمه حلف بالله فاجراً، فإذا قيل له بعد ذلك: احلف بشـيخك ومعتقـدك الـولي الفلاني تلعثم وتلكَّأ،وأبى واعــترف بـــالحق، وهـــذا من أبين الأدلة الدالة على أن شركهم قد بلغ فوق شرك من قال: إنه تعـالى ثـاني اثنين أو ثالث ثلاثة)[5]الخ.
وقـــال في كتابه " الـــدر النضـــيد" وهو يتكلم عن حكم التصـــوير: (فـانظر إلى ما في هـذه الأحـاديث من الوعيد الشـديد للمصـورين لكـونهم فعلـوا فعلاً يشـبه فعل الخـالق،وإن لم يكن ذلك مقصـوداً لهم،وهؤلاء **القبوريون** قد جعلـوا بعض خلق الله شـريكاً له ومثلاً

---

[1] تطهير الاعتقاد ص ( 37) ضمن مجموعة رسائل في التوحيد قام على طبعها القاضي عبدالرحمن بن يحيى الإرياني،طبع دار الفكر ببيروت الطبعة الأولى ( 1403هـ- 1983 م) ، وقد كرر هذا المصطلح في الصفحات ( 40 ، 42 ، 43 ، 44 ، 45 ، 47 ، 50 ، 51) كما أطلقه في كتابه " الإنصاف في حقيقة الأولياء ومالهم من الكرامات والألطاف" ص (47 ،57) حققه مجموعة من طلاب العلم بإشراف الشيخ حسن بن علي حسين عواجي الطبعة الأولى ( 1417 هـ – 1996م ) .

[2] انظر ترجمته: ص ( )

[3] معارج الألباب في مناهج الحق والصواب تحقيق محمد حامد الفقي وتخريج علي بن حسن بن عبدالحميد طبع دار المعرفة بالرياض الطبعة الرابعة ( 1407هـ-1987 م ) ص (140) وكرر مثل ذلك في ص (153، 218) .

[4] انظر ترجمته ص ( ) .

[5] 5 نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار للإمام الشوكاني (4/95) طبع مكتبة البابي الحلبي بالقاهرة بدون تاريخ .

ونداً، فاستغاثوا به فيما لا يستغاث فيه إلا بالله، وطلبوا منه ما لا يطلب إلا من الله،مع القصد والإرادة)[1].

ومنهم العلامة السلفي الشيخ محمد بن علي بافضل[2] - رحمه الله – في كتابه "دعـــوة الخلف إلى طريقة الســـلف" فقد قـــال:(أما استغاثة القبوريين بمن يعتقدون صلاحه من الموتى فغير جائزة شرعاً وعقلاً، بل هو شرك ينبغي التنبيه عليه وإنكاره)[3].

بعد هذه النقول التي مرَّت بنا يتضح لنا أن العلماء يطلقون لفظ القبـــوريين،ومثله القبورية على الغلاة في أربـــاب القبـــور الـــذين يعتقدون فيهم النفع والضر، ويطلبون منهم حاجاتهم،ويلوذون بهم عند خوفهم،ويقدِّمون لهم أنواعاً من العبادات والقرابين كالدعاء، والنذر،و الـــــــذبح، والحلف بهم.ويتلخص من ذلك أن القبورية عند العلماء هم:**(طائفة غَلَت في أصحاب القبور واعتقدت فيهم عقائدَ ضالة حملَتها على تعظيم قبورهم وآثارهم والتقرّب إليها بأنواع من العبادات حتى صيَّرتها أنداداً لله تعالى).**

---

[1] الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد ص (63) طبع دار ابن خزيمة الطبعة الأولى عام (1414هـ) ، وقد كرر ذلك الوصف حوالى عشر مرات في ذلك الكتاب.

[2] انظر ترجمته ص (            ) .

[3] دعوة الخلف إلى طريقة السلف ،طبع مطابع النصر الحديثة بالرياض بدون تاريخ وكرر ذلك الوصف أيضاً (ص237) .

# المبحث الثاني

## خطورة عقائد القبورية وعلاقتها بالشرك والوثنية

## وفيه أربعة مطالب:

### المطلب الأول: الشرك[1] وخطورته:

إن أعظم انحراف وقع في تاريخ البشرية هو الإشراكُ بالله،وعبادةُ غـيره معه، ولـذلك كـانت أعظم غاية من إرسـال الرسل هي إزالة الشرك**،**وإعادة الناس إلى التوحيـد:قـال تعـالى: **ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت** [2]،وقال تعـالى: **وما أرسـلنا من قبلك من رسـول إلا نـوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبـدون** [3]، وقـال الرسـول : **((بعثت بين يدي الساعة بالسـيف حـتى يعبد الله وحـده لا شـريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعلت الذلة والصـــــغار على من خـالف أمـري ومن تشـبه بقـومٍ فهو منهم))**[4]، فهذه النصوص صـريحة في أن أعظم غاية من إرسـال الرسل هي إزالة الشرك، وإعادة الناس إلى التوحيد ومـاذاك إلا لقبح الشـرك، وعظيم خطره على العباد في دنياهم وآخرتهم.

وتظهر تلك الخطورة من أوجه عدّة:-

**الوجه الأول - أنه ســـــبب هلاك كثـــــيرمن الأمم في الـدنيا:**كما قـال تعـالى: **قل سـيروا في الأرض فـانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان أكثرهم مشركين** [5]، فقد ختمت الآية بقوله تعالى:**كان أكـثرهم مشـركين** لبيـان

---

[1] الشرك هو : أن يعتقد في غير الله أنه يضر أو ينفع ، أويقدر على ما لايقدر عليه إلا الله تعالى ودعاء غير الله في الأشياء التي تختص به ، أو اعتقاد القدرة لغيره فيما لا يقدر عليه سواه ، أو التقرب إلى غيره بشيء مما لا يتقرب به إلا إليه . وانظر : الدر النضيد للشوكاني ص ( 70 ) .

[2] النحل (36).

[3] الأنبياء(25).

[4] رواه أحمد في المسند( 7/121 – 122) رقم ( 5114- 5115 )، بتحقيق أحمد شاكر، طبع دار المعارف بمصر ، الطبعة الثانية عام (1391هـ- 1971م ) ،وصححه أحمد شاكر كما صححه الشيخ الألباني في الإرواء (5/109-110) ( رقم 1269) طبع المكتب الإسلامي ط الثانية (1405هـ - 1985م ) . .

[5] الروم (42) .

السبب الذي أورد تلك الأمم هـذه العاقبة السـيئة،وذلك السـبب هو شـــركهم باللـــه تعـــالى تعالىقـــال ابن جرير[1]: ﴿ **كـــان أكـــثرهم مشـــركين**﴾ يقـــول: فعلنا ذلك أي الهلاك بهم لأن أكـــثرهم كـــانوا مشركين بالله مثلهم)[2].

وقال ابن الجوزي [3]: (﴿ **كان أكثرهم مشركين** ﴾ المعـنى فـأهلكوا بشركهم[4]).

**الوجه الثـاني- أنه السـبب في تـردِّي الإنسـان من منزلة التكريم إلى منزلة الإهانة والتحقـير**، وإلى الاتصـاف بـأخبث الأوصاف؛وهو وصف النجس[5]**:** قال تعالى: ﴿ **ياأيها الـذين آمنـوا إنما المشركون نجسٌ فلا يقـــــــربوا المسجدَ الحرام بعد عامهم هـذا وإن خِفتم عَـــــيلة فسـوف يغـنيكمُ الله من فضــــله إن شـــــاء إنَّ الله عليم حكيم**﴾[6]**.**

---

[1] هو شيخ المفسرين وعمـدتهم الإمـام العلم المجتهد محمد بن جرير بن يزيد الطبري صاحب التصانيف البديعة والمذهب الفقهي المستقل ، قال عنه الذهبي : ( كان من أفراد الدهر علماً وذكاءً وكثرة تصنيف قـلّ أن تـرى العيـون مثلـه) ولد سنة (224هـ)و توفي سنة(310هـ) رحمه لله،انظر تهـذيب الأسـماء واللغـات للإمـام يحي بن شـرف النـووي (1/78) طبع دار ابن تيميه بالقـاهرة (1410هـــ-1990م ) والسير للإمام شمس الدين الـذهبي(14/267-282) طبع دار الرسـالة بيروت ( الطبعة الأولى 1409هـ-1988م )

[2] تفسير الطبري المسمى " جامع البيان في تأويل القرآن " ( 21/33 ) دار المعرفة بيروت (1406هـ -1986م ) 0

[3] الشيخ الإمام الحافظ المفسر أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد القرني التيمي البغدادي الحنبلي المعروف بابن الجوزي، الواعظ المشهور، والمؤلف المكثر من فنون متعددة ،حتى أنه وصف بكثرة الخطأ في مصنفاته ، قال الذهبي: ( له أوهام وألوان من ترك المراجعة وأخذ العلم من صحف ،وصنف شيئاً لو عاش عمراً ثانياً لم يلحق أن يحرره ويتقنه) ولد سنة ( 509 أو 510هـ) وتوفي سنة (597هـ) وانظر السير (21/365-384) والبداية والنهاية للإمام ابن كثير (13/28-30)طبع دار المعرفة بيروت الطبعة السادسة(1405هـ-1985م )

[4] زاد المسير للإمام ابن الجوزي (6/154) المكتب الإسلامي الطبعة الثالثة سنة (1404هـ-1984م)، وانظر أسباب هلاك الأمم : ص (108-109) للشيخ محمد سعيد بابا سيلا وهو رسالة ماجستير مقدمة للجامعة الإسلامية ضمن إصدارت الحكمة (بريطانيا) الطبعة الأولى ( 1420هـ- 2000م).

[5] هو في الأصل "القذر" كما في معجم مقاييس اللغة لابن فارس(ص1013) تحقيق شهاب الدين أبي عمروالطبعة الثانية دار الفكرسنة (1418هـ-1998م)، وإنما وُصفوا بذلك مبالغة في تحقيرهم ،قال الشوكاني–رحمه الله- : (والمشركون مبتدأ وخبره المصدر مبالغة في وصفهم بذلك حتىكأنهم عين النجاسة أو على تقدير مضاف أي ذوو نجس لأن معهم الشرك وهو بمنزلة النجس ) فتح القدير للشوكاني (2/349) طبع دار الفكر سنة (1403هـ-1983م) .

[6] ? التوبة (28) .

قال السيد رشيد رضا[1] -رحمه الله- في تفسير هذه الآية:(أي ليس المشـركون كما تعرفـون من حـالهم إلا أنجاسـاً فاسـدي الاعتقـاد، يشــركون بالله ما لا ينفع ولا يضــر؛فيعبــدون الــرجس من الأوثــان والأصنام ويدينون بالخرافات والأوهـام ولا يتـنزهون عن النجاسـات ولا الأوثـان،ويأكلون الميتة والدم من الأقـذار الحسـية، ويسـتحلّون القمار والزنا من الأرجاس المعنوية،ويستبيحون الأشهر الحرم.
وقـدتمكّنت صـفات النجس منهم حسـاً ومعـنىً،حـتى كـأنهم عينه وحقيقته؛فلا تمكنوهم بعد العام أن يقربوا المسجد الحرام) الخ [2] 0
وقال سيد قطب[3] - رحمه الله- في الظلال: (يجسِّم التعبير نجاسة أرواحهم فيجعلها مـاهيتهم وكيـانهم فهم بكيـانهم وبحقيقتهم: نجس يستقذره الحس،ويتطهر منه المتطهرون 0وهو النجس المعنــوي لا الحســي في الحقيقة فأجســامهم ليست نجســة لــذاتها،إنما هي طريقة التعبير القرآنية بالتجسيم)[4].
**الوجه الثالث-** أنه يحبط الأعمال**:** قال تعـالى: **ذلك هُـدى الله يهدي به من يشاءُ من عباده ولو أشركوا لحبِـطَ عنهم ما كـانوا يعملـون** [5]، لقد جـاءت هـذه الآية في سـياق ذكر الأنبياء والرسل الذين اجتباهم الله واصطفاهم،فــبين أن تلك الهداية وذلك الاصطفاء إنما هو بتوفيق الله تعالى،ولو لم يصـاحبهم ذلك التوفيق فوقعوا في الشرك لحبطت أعمالهم.

---

[1] هو العلامة المصلح محمد رشيد بن علي رضا البغدادي الأصل،شامي النشأة ، سكن مصر إلى آخر عمره ، من أشهر من دعا إلى السنة ونشر كتبها في مصر ،وله تفسيرومجلة المنار الشهيران، ولد بالقلمون من أعمال طرابلس الشام عام (1282هـ) وتوفي بمصر عام (1354هـ).انظر: الأعلام لخيرالدين الزركلي ( 6/126) طبع دار الملايين بيروت الطبعة الـثانية عـشـرة ( 1997م)، وانظر الدراسة المستقلة بعنوان ( السبد محمد رشيد رضا إصلاحاته الإجتماعية والدينية للدكتور محمد أحمد درنيقه.

[2] تفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا(10/275). طبع دار المعرفة بيروت الطبعة الثانية بدون تاريخ .

[3] الداعية الشهير والمجاهد الكبير الذي بذل نفسه رخيصة لله تعالى بعد أن كوّن مدرسة في الـدعوة لها ميزاتهـا، وسـماتها البـارزة، وصـاحب تفسـير (في ظلال القرآن ) أشهر التفاسير المعاصـرة مع أخطـاء يسـيرة أخـذها عليه بعض العلمـاء سيّما في باب العقيدة، غير أنها مغمورة في بحار حسنات ذلك التفسير وحسنات مؤلفه، غفر الله لـه وتقبله في الشهداء، قتل مظلوماً شهيداً -إن شاء الله- سنة( 1387هـ)،وكان مولده سنة(1324هـ).انظر: الأعلام للزركلي(3/147-148) .

[4] في ظلال القرآن سيد قطب (3/1618) طبع دار الشروق بيروت الطبعة الشرعية الثانية عشرة .( 1406هـ- 1986م )

[5] الأنعام(88).

قـال ابن كثـير[1] -رحمه اللــه-: ثم قـال تعـالى: **ذلك هـدى الله يهدي به من يشاء من عبـاده**  أي إنما حصل لهم ذلك بتوفيق اللـــه، وهدايته لهم  **ولو أشـــركوا لحبط عنهم ما كـــانوا يعملون**  تشديد لأمر الشرك وتغليظ لشأنه وتعظيم لملابسته)[2].

وقـال تعـالى مخاطبـاً نبيه محمـداً : **ولقد أوحي اليك وإلى الذين من قبلك لئن اشركتَ ليحبطن عملك ولتكونَنَّ من الخاسرين** [3]، قـال الإمـام الألوسـي[4] -رحمه الله-: (وأيـاً ما كـان فهو كلام على سبيل الفرض؛ لتهييج المخـاطب المعصـوم، وإقنـاط الكفرة،والإيذان بغاية شناعة الإشـراك وقبحــه،وكونه ينهى عنه من لا يكاد يباشره فكيف بمن عداه) [5].

**الوجه الرابع - أنه يحـول دون المغفـرة:** قـال تعـالى:  **إنَّ الله لا يغفرُ أن يُشـــــــــركَ به ويغفرُ ما دون ذلك لمن يشاء**[6].

قال سيدقطب- رحمه الله- في كلامه على هذه الآيـة: (إن الشـرك انقطاع ما بين الله والعباد0 فلا يبقى لهم معه أمل في مغفــرة. إذا خرجــوا من هــذه الــدنيا وهم مشــركون مقطوعو الصــلة بالله رب العــالمين. وما تشــرك النفس بالله وتبقى على هــذا الشــرك حــتى تخــرج من الــدنيا – وأمامها دلائل التوحيد في صــفحة الكــون وفي هداية الرسل- ما تفعل النفس هــذا وفيها عنصر من عناصر الخــير والصــلاحية.إنما تفعله وقد فســدت فســاداً لا رجعة فيــه، وتَلِفَت

[1] المفسر والمحدث والمؤرخ الشهير أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي الشافعي صاحب التفسير الذي قال فيه الشوكاني: (وهو من أحسن التفاسير إن لم يكن أحسنها).ولد سنة (701هـ) وتوفي سنة (774هـ)، انظر: البدر الطالع (1/153) طبع دار المعرفة –بيروت بدون تاريخ .

[2] مختصرابن كثير للشيخ محمد نسيب الرفاعي (2/139) طبع مكتبة المعارف بالرياض طبعة جديدة ( 1410هـ-1989م )

[3] الزمر(65).

[4] مفتي بغداد في وقته وصاحب التفسير الشهير ( روح المعاني)، أبو الثناء شهاب الدين محمود بن عبدالله الألوسي البغدادي ، ولد عام (1227هـ) وتوفي عام (1270هـ)- رحمه الله -. انظر ترجمته في : جلاء العينين لابنه نعمان خير الدين الأ لوسي طبع مطبعة المدني بالقاهرة ودار المدني بجده بدون تاريخ ص (57-58) والأعـلام للزركـلي (7/127) 0

[5] روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني للشيخ محمود الألوسي طبع دار الفكر بيروت ( 1414هـ-1994م ) ( 13/37) قلت : وهذه الآية والتي قبلها ردٌ صارخ على القبورية الذين يثورون ويغضبون على من حذَّر من الشرك ؛ بزعم أنه لايمكن أن يحدث الشرك في هذه الأمة !.

[6] النساء آية (48) وآية (116) .

فطرتها التي برأها الله عليها، وارتدّت أسفل سافلين وتهيأت بذاتها لحياة الجحيم!)[1].

**الوجه الخـــامس- أنه يحـــرم العبد من الاســـتفادة من شـفاعة الشـافعين**[2] يـوم القيامـة؛ الشـفاعة الموجبـة للجنـة والمنجية من النار: ففي البخاري من حديث أبي هريـرة  أنه قـال: قلت يارسول الله من أسعد النـاس بشـفاعتك يـوم القيامـة؟قـال: **((لقد ظننت ياأبا هريرة ألايسألني عن هـذا الحـديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحـــديث، أســـعد النــاس بشــفاعتي يــوم القيامــة من قــال لاإله الا الله خالصاً من قبل نفسه))**[3] قال الحافظ[4]: (قولـه: **((من قال لا إله الا اللـه))** احـتراز من الشــرك)[5] قـال ملّا علي القـاري[6] في مرقــاة المفــاتيح: (أي لا يشــوبه شك ولا شــرك ولا يخلطــه نفاق وسمعة ورياء... وقيل: أسعد هنا بمعنى أصل الفعل وقيل بل على بابه وأن كل أحد يحصل له سـعادة شـفاعته لكن المـؤمن المخلص أكـــثر ســـعادة فإنـــه  يشـــفع في إراحة الخلق من هـــول الموقف،ويشـفع في بعض الكفـار كـأبي طـالب في تخفيف عـذاب

---

[1] الظلال (2/678) .

[2] الشفاعة : (السؤال في التجاوز عن الذنوب ممن وقع منه جناية ) انظر: التوقيف على مهمات التعاريف (ص432)للشيخ محمد عبد الرؤوف المناوي تحقيق د/ محمد رضوان الدايه طبع دار الفكر المعاصر بيروت ودار الفكر دمشق الطبعـــة الأولى(1410هـ-1990م ) و (الشافعون :جمع شافع وهو صاحب الشفاعة ).انظر: المعجم الوسيط(1/487) مجمع اللغة العربية (1410هـ-1990م) طبع المكتبة الإسلامية إستانبول .

[3] البخاري مع الفتح (11/418) كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، مكتبة الرياض الحديثة مصورة عن طبعة المكتبة السلفية بدون تاريخ .

[4] هوخاتمة الحفاظ شيخ الإسلام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ،مرجع المحدثين ممن جاء بعده، وصاحب الفضل عليهم في علم الحديث ،ومصطلحه، وعلم الرجال والجرح والتعديل ،وصاحب فتح الباري أشهر وأفضل شروح البخاري المطبوعة على الإطلاق ،ولد عام (773هـ) وتـوفي عام (852هـ) بالقاهرة - رحمه الله –وانظر: الضوء اللامع (ج2/36 )للحافظ محمد عبد الرحمن السخاوي طبع دار الحياة بيروت بدون تاريخ والبدر الطالع (1/83-92).

[5] فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ أحمد بن علي بن حجر (1/194) 0

[6] العلامة الفقيه علي بن سلطان القارئ الحنفي ،من أفاضل علماء زمانه ،ولد بهراة وتوطن مكة ومات بها، وله مؤلفات كثيرة نافعة من أعظمها في الحديث مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح توفي عام (1014هـ). انظر: ا البدر الطالع (1/445) والأعلام (5/12, 13) 0

النـــار) انتهى محل الغـــرض منه.[1] وهو يفيد ما عنونّـــا له من أن المشرك محروم من الشفاعة المنجية من النار والموجبة للجنة.

**الوجه الســـادس- أنه أعظم الموانع من دخـــول الجنة وأعظم أسباب الخلود في النار: قـال تعـالى:  لقد كفر الذين قالوا إنَّ الله هو المسيحُ ابن مريم وقـال المسـيح يـابني إسـرائيل اعبـدوا الله ربي وربَّكم إنه من يُشـرك بالله فقد حـــرَّم الله عليه الجنة ومـــأواه النـــار وما للظالمين من أنصار ** [2]

قال السيد رشـيد رضا -رحمه الله-: (أمـرهم عليه السـلام بالتوحيد الخـالص،وقفّى عليه بالتحـذير من الشـرك،والوعيد عليه ببيـان أن الحـال والشـأن الثـابت عند الله تعـالى هو أن كل من يشـرك بالله شيئاً مامن ملَكٍ أو بشرٍ أو كوكب أو حجر أوغير ذلك بأن يجعله نداً لـه أو متّحِداً به، أو يدعوه لجلب نفع أو دفع ضر،أو يزعم أنه يقرِّبـه إلى الله زلفى فيتخذه شفيعاً زاعماً أنه يـؤثر في إرادة الله تعـالى أو علمه فيحمله على شئ غـير ما سـبق به علمه وخصصـته إرادته في الأزل – من يشـرك هـذا الشـرك ونحـوه- فـإن الله يحرِّم عليه الجنة في الآخرة بل هو قد حرَّمها عليه في سـابق علمه وبمقتضى دينه الذي أوحاه إلى جميع رسله،فلا يكون له مـأوى ولا ملجأ يـأوي إليه إلا النـار دار العـذاب والهـوان،وما لهـؤلاء الظـالمين لأنفسـهم بالشـرك من نصـير ينصـرهم ولا شـفيع ينقـذهم ** من ذا الـذي يشـفع عنـده الا بإذنه** [3] ** ولا يشـفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشـيته مشـفقون ** [4] فالنـافع رضـاه: ** ولا يرضى لعباده الكفر ** [5] وشرأنواعه الشرك**)** [6]انتهى المقصود منه.

**<u>المطلب الثاني</u>: الوثنية هي الوعاء الذي يحوي الشرك:**

إذا عرفت الشرك وخطورته في الدنيا والآخرة، فـاعلم أن الوثنية هي الوعاء الذي يحوي الشرك، والجسم الذي يتجسَّد ويسـري فيه ذلك الروح الخبيث - الشـرك - فالأصـنام والأوثـان والهياكل ما هي إلا مظاهر يتجسد فيها الشرك الـذي يتعلق في الحقيقة بمخلوقـات أخـرى اعتقـدها المشـركون، وتعلقت بها قلـوبهم ومنحوها صـفات

---

[1] مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للشيخ مُلا علي القاري طبع دار الفكر بيروت(1414هـ- 1994م ) ( 9/525) 0

[2] المائدة ( 72 ) 0

[3] البقرة (255)0

[4] الأنبياء(28)0

[5] الزمر (7)0

[6] تفسير المنار (6/483) 0

الآلهة. يقول الفخر الـرازي [1] -رحمه الله تعـالى- في تفسـيره عنـد قوله تعـالى في سـورة يـونس:  **ويعبدون من دون الله ما لا يضرُّهم ولا ينفعهم ويقولـون هـؤلاء شـفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لايعلمُ في السماوات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يُشركون** [2]:(... " وأما النوع الثـاني " ما حكـاه الله تعـالى عنهم في هـذه الآيـة، وهو قـولهم:  **هـؤلاء شـفعاؤنا عند الله**  فـاعلم أن من النـاس من قـال: إن أولئك الكفار توهموا أن عبادة الأصـنام أشد في تعظيـم الله من عبـادة الله سبحانه وتعالى. فقالوا:ليست لنا أهلية أن نشـتغل بعبـادة الله تعالى بل نحن نشتغل بعبادة هـذه الأصـنام، وأنها تكـون شـفعاء لنا عند الله. ثم اختلفوا في أنهم كيف قالوا في الأصـنام أنها شـفعاؤنا عند اللـه؟ وذكـروا فيه أقـوالاً كثـيرة: فأحـدها- أنهم اعتقـدوا أن المتـولي لكل إقليم من أقـاليم العـالم روح معين من أوراح عـالم الأفلاك؛ فعيّنـوا لـذلك الـروح صـنماً معينـاً واشـتغلوا بعبـادة ذلك الصنم، ومقصودهم عبـادة ذلك الـروح، ثم اعتقـدوا أن ذلك الـروح يكون عبداً للإله الأعظم ومشتغلاً بعبوديته.

وثانيها- أنهم كانوايعبدون الكـواكب وزعمـوا أن الكـواكب هي الـتي لها أهلية عبودية الله تعالى، ثم لما رأوا أن الكـواكب تطلع وتغـرب وضـعوا لها أصـناماً معينة واشـتغلوا بعبادتهـا،ومقصـودهم توجيه العبادة إلى الكواكب.

وثالثها - أنهم وضعوا طلسـمات معينة على تلك الأصـنام والأوثـان، ثم تقرَّبوا إليها كما يفعله أصحاب الطلسمات.

ورابعها - أنهم وضـعوا هـذه الأصـنام والأوثـان على صـور أنبيـائهم وأكابرهم، وزعمـوا أنهم مـتى اشـتغلوا بعبـادة هـذه التماثيـل، فـإن أولئك الأكابر تكون شفعاء لهم عند الله تعالى، **ونظيره في هـذا الزمـــان اشـــتغال كثـــير من الخلق بتعظيم قبـــور الأكـابر،على اعتقـاد أنهم إذا عظمـوا قبـورهم فـإنهم يكونون شفعاء لهم عند الله.**

وخامسـها - أنهم اعتقـدوا أن الإله نـور عظيم وأن الملائكة أنـوار فوضعوا على صورة الإله الأكبر الصنم الأكبر، وعلى صورة الملائكة صوراً أخرى.

---

[1] العلامة الكبير ذو الفنون فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين القرشي البكري الطبرستـاني، الأصـولي المفسر كبير الأذكياء والحكماء والمصنفين ، ولد سنة( 544هـ) ،وقد بدت منه في تواليفـه بلايا وعظائـم وسحر وانحرافات .

[2] يونس(18)0

وسادسـها- لعل القـوم حلوليـة، وجـوزوا حلـول الإله في بعض الأجسام العالية الشريفة)[1].

وما ذكـره الـرازي أمر منطقي إذ لا يُعقَـل أن الإنسـان بسـمعه وبصـره وعقله، ينحتُ صـنماً أو يصـنع وثنـاً بيـده - وهو يعلم مادته ومن أين أُخذ- ثم يـزعم أن هـذا الصـنم أو الـوثن هو الـذي يخلق ويـرزق، وهو الـذي ينفع ويضر، هـذا لا يكـون أبـداً. فلم يبقَ إلا ما ذكره الرازي من أنهم يـرون أن هـذه التماثيل والأصـنام هي رمـوز لمخلوقات معظّمة تستحق العبـادة لقربها من الله، ومنزلتها عنـده كما يفعل القبورية بقبـور معظميهم.وبهـذا تعلم أن هـذه الظـاهرة إنما هي جسد يحتضن الشرك الذي هو لها بمنزلة الروح.

**المطلب الثالث: الغلو في الصالحين هو أصل الوثنية:**

إذا كان منهج القبورية هو الغلو في أرباب القبور الذين يُظن أنهم أوليـاء لله ومقربـون لديه، فـإن ذلك المنهج هو نفسه أصل الوثنية وعبادة الأصنام كما جاء في البخاري في كتاب (التفسير) عند قوله تعالى: ﴿ **وقالوا لا تـذرُن آلهتكم ولا تـذرن وداً ولا سـواعاً ولا يغوث ويعوق ونسـراً** ﴾ [2]قـال ابن عبـاس رضي الله عنهما: (هـذه أسـماء رجـال صـالحين من قـوم نـوح، فلما هلكـوا أوحى الشيطان الى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسـون أنصـاباً وسـموها بأسـمائهم، ففعلـوا فلم تُعبد حـتى إذا هلك أولئك ونُسي العلم عُبـدت)[3]. إذاً أصـنام قـوم نـوح كـانت رمـوزاً لرجـال صالحين حمل الغلو أتباعهم على تقديسهم وتعظيمهم وتطور الأمر حتى عبدوهم.

قـال الحافظ ابن حجر في الفتح:(وقصة الصـالحين كـانت مبـدأ عبادة قوم نوح هذه الأصنام ثم تبعهم من بعدهم على ذلك)[4].

**المطلب الرابع:كثرة النصوص الناهية عن تعظيم القبـور والعلة في ذلك:**

ولمّـا كـان أصل الشـرك والوثنية هو الغلو في أصـحاب القبـور؛ تواترت الأحاديث تواتراً معنوياً بالنهي عن تعظيم القبـور بـأي نـوع من أنواع التعظيم، وفَهمَ الصحابةُ والتابعون لهم بإحسـان العلة من تلك النصوص، وأشـاعوا ذلك الفهم وعملـوا بمقتضـاه، وتبعهم على

---

[1] التفسير الكبير المسمى مفاتيح الغيب للإمام فخر الدين الرازي (17/59-60) طبع دار الكتب العلمية طهران الطبعة الثانية .

[2] نوح (23) .

[3] البخاري مع الفتح (8/667) كتاب التفسير ، باب ﴿ وداً ولاسواعاً ولايغوث ويعوق ونسراً﴾ .

[4] الفتح (8/669)0

ذلك سائر علماء أهل السنة من المتقدمين والمتأخرين، وإليك طائفة من تلك النصوص التي وردت بأساليب متنوعة:

**الأسلوب الأول- في النهي عن زيارة القبور في أوّل الإسلام وما فهمه العلماء من ذلك**: فعن بريدة بن الحصيب  قال: قال رسول الله : **((نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها))** [1]. قال العلامة المناوي[2] -رحمه الله- في "فيض القدير شرح الجامع الصغير": (00((**كنت نهيتكم عن زيارة القبور**)) لحدثان عهدكم بالكفر. وأما الآن حيث انمحت آثار الجاهلية واستحكم الإسلام وصرتم أهل يقين وتقوى **((فزوروا القبور))** أي بشرط أن لا يقترن بذلك تمسح بالقبر،أو تقبيل، أوسجود عليه، أو نحو ذلك. فإنه كما قال السبكي[3]: " بدعة منكرة إنما يفعلها الجهال "...)[4].

وقال الشيخ أحمد الرومي الحنفي[5] في كتابه "مجالس الأبرار ومسالك الأخيار " في شرح هذا الحديث: (هذا الحديث من صحاح المصابيح رواه بريدة، فيه تصريح بوقوع النهي في أوائل الإسلام عن زيارة القبور لكونها مبدأ عبادة الأصنام) ثم ذكر قصة عبادة

---

[1] رواه مسلم في صحيحه مع شرح الإمام النووي طبع مؤسسة الكتب الثقافية بيروت بدون تاريخ ( 7/46) ، كتاب الجنائز باب زيارة في القبور والاستغفار لهم .

[2] العلامة الكبير الشيخ محمد عبدالرؤوف بن تاج العارفين المناوي القاهري،له مشاركة في فنون عديدة وله مؤلفات كثيرة من أشهرها فيض القدير شرح الجامع الصغير ، ولد سنة (952هـ) وتوفي سنة ( 1031هـ) رحمه الله (انظر الأعلام 6/204) ومقدمة كتابه التوقيف على مهمات التعاريف0

[3] القاضي العلامة علي بن عبدالكافي السبكي الشافعي، من كبار علماء عصره غير أنه ممن اصطدم بدعوة شيخ الإسلام ابن تيمية وجماعته أمثال ابن القيم وابن كثير والذهبي والمزي وغيرهم ، وله ردود على شيخ الإسلام ابن تيمية أشهرها ( شفاء السقام في زيارة خير الأنام ) الذي رد عليه الرد القويم المفحم العلامة ابن عبدالهادي تلميذ مدرسة ابن تيمية -رحمهم الله جميعاً- ،ورغم أنه مرجع كثير من القبوريين إلا أنه لم يبلغ مبلغهم في الانحراف بدليل كلامه السالف وهو من متعصبة الأشعرية - رحمه الله تعالى-. وانظر طبقات الشافعية لابنه تاج الدين عبدالوهاب ( 10/139- 338) طبع دار هجر ط 2 (1413هـ-1992م )، والدرر الكامنة لابن حجر (3/39-41) طبع دار الجيل – بيروت ( 1414هـ -1993هـ ) ، وجلاء العينين في محاكمة الأحمدين للألوسي ص ( 32 – 37 ) 0

[4] انظر فيض القدير شرح الجامع الصغيرللعلامة المناوي(5/55) دار الفكر بدون تاريخ 0

[5] العلامة الكبير الشيخ محمد عبدالرؤوف بن تاج العارفين المناوي القاهري ، له مشاركة في فنون عديدة وله مؤلفات كثيرة من أشهرها فيض القدير شرح الجامع الصغير ، ولد سنة (952هـ) وتوفي سنة ( 1031هـ) رحمه الله انظر : (الأعلام 6/204) ومقدمة كتابه التوقيف على مهمات التعاريف0

الأصنام في قوم نوح، ثم قال: (فلما كان منشأ عبـادة الأصـنام من جهة القبور؛نهى  أصحابه في أوائل الإسلام عن زيارة القبور سـداً لذريعة الشرك، لكونهم حديثي عهد بكفر، ثم لما تمكن التوحيد في قلوبهم أذن لهم في زيارتها)[1].

وقال الشيخ علي محفوظ[2] في كتابه (الإبداع في مضار الابتـداع): (وسر النهي أولاً عن زيارتها؛ أنه لما كان منشأ عبـادة الأصـنام من جهة القبور في قوم نـوح، نهى النـبي  أصـحابه في صـدر الإسـلام عن زيارتها سـداً للذريعة، لكـونهم حـديثي عهد بكفر، ثم لما تمكن التوحيد في قلـــوبهم؛ أذن لهم في زيارتها وعلمهم كيفيتها0 تـــارة بفعله،وتارة بقوله، كما مرّ في الأحاديث أول الفصل)[3].

**الأسلوب الثاني - النهي عن اتخاذ قـبره عيـداً وما فهمه العلماء من ذلك**:

عن أبي هريرة  قال: قـال رسـول الله : ((**لا تجعلوا بيـوتكم قبوراً ولا تجعلوا قبري عيـداً وصـلوا علي فـإن صـلاتكم تبلغني حيث كنتم**))[4].

قـال المنــاوي -رحمه الله-: (معنــاه النهي عن الاجتمــاع لزيارته اجتمــــاعهم للعيد، إما لرفع المشـــقة أو كراهة أن يتجــــاوزوا حدّ التعظيم، وقيل العيد ما يعاد إليه أي لا تجعلوا قـبري عيـداً تعـودون إليه متى أردتم أن تصلّوا عليّ،فظاهره نهي عن المعـاودة،والمـراد المنع عما يوجبه وهو ظنهـــم بـــأن دعـــاء الغـــائب لا يصـــل إليه، ويؤيده: ((**وصلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغـني حيث كنتم**)) أي " لا تتكلفـوا المعـاودة إلي فقد اسـتغنيتم بالصـلاة علي ".-قـال-: ويؤخذ منه أن اجتماع العامة في بعض أضرحة الأوليـاء، في يـوم أو شهر مخصوص من السَّنة، ويقولون هذا يوم مولد الشـيخ ويـأكلون

---

[1] المجموع المفيد في نقض القبورية ونصرة التوحيد ص (385-386)

[2] الشـيخ العلامة علي محفـوظ المصـري الشـافعي تخـرَّج بـالأزهر ثم كـان من أعضاء كبار العلمـاء وأسـتاذاً للوعظ والإرشـاد بكلية أصـول الـدين تـوفي سـنة ( 1361هـ) ، انظر الأعلام (4/323) .

[3] الإبـداع في مضـار الابتـداع للأسـتاذ الشـيخ علي محفـوظ ص(190)طبع دار المعرفة الطبعة الخامسة سنة(1375هـ-1956م).

[4] رواه أبو داود في سننه مع شرحه عون المعبود في كتاب المناسك ، باب زيارة القبور ،(6/31) طبع المكتبة السلفية بالمدينة المنورة الطبعة الثانية ( 1388هـ-1968م )  وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (1/383) ط مكتب التربية لدول الخليج العربي ط الأولى (1409هـ-1989م ).

ويشربون وربما يرقصون فيه، منهي عنه شرعاً وعلى ولي الشــرع ردعهم على ذلك وإنكاره عليهم وإبطاله) [1] انتهى.

وقـال شـمس الحق العظيم أبـادي [2] -رحمه الله- في شـرح هـذا الحديث: (وأمــا الآن فـإن النـاس في المسـجد الشـريف إذا سـلم الإمـام عن الصـلاة قـاموا في مصـلاهم مسـتقبلين القبرالشـريف كـالراكعين له[3] ومنهم من يلتصق بالســرادق [4]ويطــوف حوله وكل ذلك حـــرام باتفـــاق أهل العلم وفيه ما يجر الفاعل إلى الشـــرك) موضع الشاهد قوله: (وفيه ما يجر الفاعل إلى الشرك)[5].

وقال الطيبي[6] -رحمه الله - في شرح نفس الحـديث:(نهـاهم عن الاجتماع لها اجتمـاعهم للعيد نزهة وزينـة،وكـانت اليهـود والنصـارى تفعل ذلك بقبور أنبيائهم فأورثهم الغفلة والقسوة، ومن عادة عَبَدة الأوثان أنهم لا يزالون يعظِّمون أمواتهم حتى اتخذوهم أصناماً،وإلى هذا الإشارة بقوله: ((**اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد**))[7] فيكون المقصــود من النهي كراهته أن يتجــاوزوا في قــبره غاية التجــاوز ولهــذا ورد: ((**اشــتد غضب الله على قــوم اتخــذوا قبــور أنبيائهم مساجد**))[8]...)[9] انتهى موضع الشاهد.

**الأسلوب الثالث - نهيه عن الصلاة على القبور وإليها**:عن أبي سـعيد الخـدري  أن رسـول الله : ((**نهى أن يبــنى على القبور أو يقعد عليها أو يصلى عليها**))[10]، وعن ابن عبــاس - رضي الله عنهمــا- أن رسـول  قـال: ((**لا تصلّوا إلى قــبر ولا**

---

[1] بواسطة عون المعبود شرح سنن أبي داود لشمس الحق العظيم أبادي(6/32-33) .

[2] الشيخ العلامة محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر أبو الطيب الصديقي العظيم أبادي، من محدثي الهند له عدة مصنفات في الحديث، من أشهرها عون المعبود على سنن أبي داود توفي بعد سنة (1310هـ) رحمه الله ، انظر الأعلام ( 6/39) .

[3] في الأصل " الراكعين له" ومعناه غير مستقيم ، وبما أن تلك الطبعة كثيرة الغلط فالظاهر أن الصواب ماأثبته والله أعلم 0

[4] (السرادق كل ما أحاط بشئ من حائط أومِضْرَب) المعجم الوسيط (1/426) والمقصود هنا هو سرادق قبر النبي  وهو الشبك النحاسي المحيط بالحجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام .

[5]

[6] الإمام المشهور صاحب شرح المشكاة الحسين بن محمد بن عبدالله الطيبي ،كان كريماً متواضعاً حسن المعتقد ،شديد الرد على الفلاسفة والمبتدعة، مظهراً فضائحهم مع استيلائهم على بلاد المسلمين حينئذ، توفي سنة (743هـ) رحمه الله تعالى، وانظر: الدرر الكامنة (2/68-69) ، والبدر الطالع(1/229- 230) 0

[7] سيأتي تخريجه (ص 15) 0

[8] سيأتي تخريجه(ص 15 ) 0

[9] بواسطة مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للقاري (3/14) .

**تصلوا على قبر**))[1]، وعـن أبي مرثـد الغنـوي  عن رسـول الله  أنه قال: ((**لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها**))[2].
قــال الإمــام الشــافعي -رحمه الله تعــالى- في كتابه "الأم" في كتـاب الصـلاة: (وأكـره أن يُبـنى على القـبر مسـجد وأن يسوَّى أو يصـلى عليه وهو غـير مسوَّى أو يصـلى إليه. قـال وإن صـلى إليه أجزأه وقد أساء، أخبرنا مالك أن رسـول الله  قـال: **((قاتل الله اليهود والنصارى اتخذوا قبـور أنبيـائهم مسـاجد لا يبقى دينان بأرض العرب)).** - قـال -: وأكـره هـذا لِلسنّة والآثـار وأنه كره – والله أعلم – أن يعظَّم أحد من المسـلمين يعـني يتخذ قـبره مسجداً، ولم تؤمن في ذلك الفتنة والضلال على من يـأتي بعـده)[3].
تأمل قـــول الشـــافعي- رحمه الله-: (ولم تـــؤمن في ذلك الفتنة والضلال على من يأتي بعده)، إذن ليست العلة أن في ذلك تضييقاً على المسلمين في مقابرهم، وإن كـان ذلك لازم من اتخـاذ مقـابر المسلمين العامة مساجد على بعض القبـور، وليست العلة الخـوف من تنجس الأرض لأن الحكم عام في القبر الـذي ابتدِئ حفـره كما هو في القبر المنبوش؛ وإنما العلة عند الشافعي-رحمه الله- خشية الفتنة والضلال على من يأتي بعده،وأي فتنة أو ضلال أعظم من أن يعَظَّم المخلوق حتى يُصرَف لقبره من العبادة والتقديس ما لا يليق إلا بالله عز وجل؟!.

---

[10]رواه أبو يعلى في مسنده (2/297)  طبع دار المأمون للتراث دمشق الطبعة الأولى (1404هـ-1984م ) تحقيق حسين سليم أسد ،وقال الهيثمي: رجاله ثقات كما في مجمع الزوائد (3/64) كتاب الجنائز ، باب البناء على القبور والجلوس عليها وغير ذلك طبع مؤسسة المعارف –بيروت (1406-1986)،وقال الشيخ الألباني : إسناده صحيح (تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد) للشيخ محمد ناصر الدين الألباني طبع المكتب الإسلامي،بيروت الطبعة الثالثة 1398هـ  ( ص 22) .

[1] رواه الطبراني في الكبير وغيره ، انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة  للشيخ الألباني ، طبع مكتبة المعارف بالرياض الطبعة الأولى(1409هـ-1989م ) ( 3/13) رقم الحديث (1016)، وصححه الشيخ رحمه الله 0

[2] رواه مســلم (2/668) رقم ( 97 ) تحقيق عبــدالباقي طبع دار إحيــاء الــتراث العربي بيروت الطبعة الأولى ( 1375هـ -1955م )  .

[3] الأم للإمام محمد بن أدريس الشافعي  (1/278) طبع دار المعرفة بيروت بدون تاريخ .

وقـال القرطـبي [1] -رحمه الله- في تفسـيره في تفسـير سـورة الكهف- بعد أن ساق كثيراً من الأحاديث التي فيها النهي عن البنـاء على القبـور وتعظيمها-: (وروى الأئمة عن أبي مرثـد الغنـوي قـال: سـمعت رسـول الله  يقـول: **((لا تصـلوا الى القبـور ولا تجلسوا عليها))** لفظ مسلم. أي لا تتخذوها قبلة فتصلوا عليها أو إليها كما فعل اليهود والنصارى؛ فيؤدِّي الى عبادة من فيها كما كان السبب في عبادة الأصنام، فحذر النبي  عن مثل ذلك وسد الذرائع المؤدية الى ذلك) [2]0

**الأسلوب الرابع - دعاؤه  ربه أن لا يجعل قبره وثناً يعبد**، مع إخباره بشدة غضب الله على متخذي قبور أنبيائهم مساجد، مما يؤكد العلاقة بين القبورية "اتخـاذ القبـور مسـاجد " والوثنية " صيرورة تلك القبور المعظمة أوثاناً تعبد من دون الله ":ما جاء عن أبي هريرة  أن رسول الله  قال: **((اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد اشـتدَّ غضب الله على قـوم اتخـذوا قبـور أنبيـائهم مساجد))** [3].

---

[1] الشيخ الإمام أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري القرطبي المالكي أحد مشاهير المفسرين وكتابه الجامع لأحكام القرآن من أوسع كتب التفسير يميل فيه إلى تتبع الأحكام الفقهية توفي سنة (671هـ) وانظر ترجمته في كشف الظنون لحاجي خليفـة( 1/534) والمفسرون بين التأويـل والإثبات في آيات الصفات للشيخ محمد بن عبدالرحمن المغراوي (1/287) 0طبع دار طيبة الرياض ط الأولى(1405-1985).

[2] الجامع لأحكام القرآن المشهور بتفسير القرطبي(10/380) الطبعة ذات العشرين جزءٍ مصورة ليس عليها اسم دار النشر .

[3] ? قال الشيخ محمد بن عبدالرحمن المغراوي في تخريج كتابه فتح البر في الترتيب الفقهي لتمهيد ابن عبد البر مع فتح المجيد في اختصار تخريج أحاديث التمهيد لنفس المؤلف طبع مجموعة التحف النفائس بالرياض، ط الأولى ( 1416هـ-1996م ) (1/280): (ابن سعد في "الطبقات (2/240-241) " من طريق مالك0 وعبدالرزاق (1/406/1587) 0وابن أبي شيبــة(2/150/7544) كلهم عن زيد بن أسلم مرسلاً بسند صحيح 0 ووصله أحمد (2/246) والحميــدي (1025) وأبونعيم في( الحلية) (6/283) (7/317) عن أبي هريرة بسند صحيح وصححه البزار0 انظر (النهج السديد في تخريج أحاديث تيسير العزيز الحميد (ص 115) .

قال الحافظ ابن عبد البر[1] في (التمهيد) في شـرح هـذا الحـديث: (الوثن: الصنم 0وهو الصورة من ذهب كان، أومن فضـة، أوغيرذلك من التمثـــال.وكل مايعبد من دون الله فهو وثن صـــنماً كـــان، أو غيرصنم. وكانت العرب تصلي إلى الأصنام وتعبـدها فخشي رسـول الله  على أمته أن تصنع كما صنع بعض من مضى من الأمم، كانوا إذا مـات لهم نـبي عكفـوا حـول قـبره كما يصـنع بالصـنم فقـال : **((اللهم لا تجعل قبري وثناً))** يصلى إليه،ويسجد نحـوه، ويعبد، فقد اشتد غضب الله على من فعل ذلك. وكان رسـول الله  يحـذر أصحابه وسائر أمته من سوء صنيع الأمم قبله الذين صلّوا الى قبور أنبيائهم، واتخـذوها قبلة ومسـجداً،كماصـنعت الوثنية بالأوثـان الـتي كانوا يسجدون لها ويعظمونها، وذلك الشرك الأكبر.

فكان النبي  يخبرهم بما في ذلك من سخط الله وغضبه وأنه مما لا يرضاه خشيةً عليهم امتثال طرقهم)[2] 0

وقد عنـــون العلامة ابن حجر المكي الهيتمي [3] -رحمه الله -في كتابه (الزواجر) عنوانـــاً قـــال فيه: (الكبـــيرة الثالثـــة،والرابعة، والخامسة،والسادسة، والسابعة،والثامنة والتسـعون: اتخـاذ القبـور

[1] ? الإمام العلامة حافظ المغرب شيخ الإسلام أبوعمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر بن عاصم النمري الأندلسي القرطبي المالكي ، صاحب التصانيف الفائقة . كان إماماً ديناً متقناً ، علامة ، متبحراً ، صاحب سنة واتباع وكان في ابتداء أمره أثرياً ظاهرياً فيما قيل ، ثم تحول مالكياً مع ميل بيِّن إلى فقه الشافعي في مسائل ، ولاينكرله ذلك ، فإنه ممن بلغ مرتبة الأئمة المجتهدين 0 ومن نظر في مصنفاته بان له منزلته من سعة العلم ، وقوة الفهم، وسيلان الذهن ، وكل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله  ، ولكن إذا أخطأ إمام في اجتهاده لاينبغي لنا أن ننسى محاسنه ونغطي معارفه، بل نستغفر له ونعتذر عنه) ولد سنة (368هـ) ومات (463هـ)، الترجمة ملتقطة بحروفهامن السير للذهبي(18/153-163) وانظر المقدمتين الضافيتين لكتابيه التمهيد والاستذكار 0

[2] التمهيد لما في الموطأ من المعـاني والأسـانيد للإمـام ابي عمر يوسف بن عبد البر القرطبي الأندلسي (5/45) تحقيق سعيد أحمد أعراب ( 1396هـــ- 1976م )

[3] العلامة الفقيه الشـيخ أحمـدبن محمد بن حجر الهيتمي السـعدي الشـافعي من أجل وأعظم علماء الشافعية في وقته ،وأحد الشيخين الذين تفـردا بالاعتمـاد من شـراح المنهـاج ،والآخر هو شـمس الـدين محمـدبن أحمد الـرملي، واعتمـاد أهل الحجـــاز واليمن على مارجحه ابن حجر في تحفته ،وهو من جـــانب آخر أشـــعري محـــارب لشـــيخ الإســـلام ابن تيمية رحمه الله فيما يتعلق ببعض مســائل التوحيد والاتباع ،وخصوصاً شدّ الرحال لزيارة قبر النبي  ،غير أنه مع ذلك ضد القبـوريين في مسائل البناء على القبور، وتعظيمها وفي مسـألة الاسـتغاثة بغـير الله ،وانظر ترجمته في جلاء العينين ص (40) و النور السافر لعبد القادر بن شيخ العيـدروس ص ( 258-263) طبع دار الكتب العلمية ببـــيروت الطبعة الأولى ( 1405هـــــ- 1985م ) 0

مســاجد، وإيقــاد الســرج عليها، واتخاذها أوثانــاً، والطــواف بها، واستلامها، والصلاة إليها). ثم ساق جملة من الأحـاديث الدالة على ما عنون له، ثم قـال(" تنبيه " عَـدُّ هـذه الستة من الكبـائر وقع في كلام بعض الشافعية وكأنه أخذه مما ذكرته من هذه الأحــاديث)، ثم ذكر وجه الدلالة على تلك الكبائر، إلى أن قال وهو موضع الشـاهد: (وأما اتخاذها أوثاناً فجـاء النهي عنه بقوله ﷺ: " **لا تتخـذوا قـبري وثنــاً يعبد بعــدي** "[1]، أي لا تعظِّمــوه تعظيم غــيركم لأوثــانهم بالسجود له، أو نحـوه،فـإن أراد ذلك الإمـام بقوله:(واتخاذها أوثانـاً) هذا المعـنى اتجه ما قاله من أن ذلك كبـيرة بل كفر بشـرطه، وإن أراد أن مطلق التعظيم الذي لم يؤذن فيه كبيرة ففيه بُعد، نعم قال بعض الحنابلــة: قصدُ الرجل الصــلاة عند القــبر متبركــاً به عين المحــادة لله ورســوله وابتــداع دين لم يــأذن به الله للنهي عنها ثم إجماعاً)[2] الخ.

وقال الملّا علي القاري -رحمه الله- في "مرقاة المفاتيح ": (أي لا تجعل قــبري مثل الــوثن في تعظيم النــاس،وعــودهم للزيــارة بعد بدئهم،واستقبالهم نحوه في السـجود، كما نسـمع ونشـاهد الآن في بعض المزارات والمشاهد ((اشـتد)) اسـتئناف كأنه قيـل: لِمَ تـدعو بهذا الدعاء؟ فأجاب بقوله اشـتد ((غضب اللـه)): ترحمـاً على أمته وتعطفاً لهم، قاله الطيبي، وتبعه ابن حجـر، والأظهر أنه إخبـار عما وقع في الأمم الســابقة؛ تحــذيراً للأمة المرحومة من أن يفعلــوا فعلهم،فيشتد غضبه عليهم)[3] انتهى محل الغرض منه.

فهـــــذه نصـــــوص أربـــــاب المـــــذاهب الأربعة: المالكية،والشـافعية،والحنابلـة،والأحنـاف، متفقة على أن الغلو في القبــور وتعظيمها بالصــلاة لها أو إليها يجعلها أوثانــاً تعبد من دون الله.

**الأسلوب الخامس: لعنةُ ﷺ لليهود والنصارى وإخباره بلعن الله لهم كونهم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد يحذر أمته مما صنعوا،** فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي لم يقم منه:((**لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**)) قالت: فلولا ذلك أبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً))[4].

---

[1] كذا قال 0 والحديث إنما هو بلفظ الدعاء لابلفظ النهي.

[2] الزواجر عن اقتراف الكبائر للشيخ أحمد بن محمد بن حجر الهيتمي المكي ( 1/148-149) طبع دار المعرفة ببيروت ( 1402هـ-1982م )0

[3] المرقاة (2/458)0

وعنها رضي الله عنها قالت: لما كـان مـرض رسـول الله  تـذاكر بعض نسـائه كنيسة بـأرض الحبشة يقـال لها مارية وقد كـانت أم سـلمة وأم حبيبة قد أتتا أرض الحبشة، فـذكرتا من حسـنها وتصـاويرها، قـالت: فرفع النـبي  رأسه فقـال:**((أولئكِ إذاكـان فيهم الرجل الصالح بنـوا على قـبره مسـجداً، ثم صوَّروا فيه تلك الصـور، أولئكِ شـرار الخلق عند الله يـوم القيامة))**[1].

وعن ابن عبـاس وعائشة  أن رسول الله  لما حضـرته الوفـاة جعل يلقي علىوجهه طـرف خميصة[2] له فـإذا اغتم بهاكشـفهاعن وجهه وهو يقول:**((لعنة الله على اليهـود والنصـارى اتخـذوا قبـور أنبيـائهم مسـاجد)) تقـول عائشة رضي الله عنها: (يحذّر ما صنعوا)**[3].

هـذه الأحـاديث الثلاثة يشـدد فيها النـبي  النكـير،ويؤكـده بلعن الفاعلين لذلك، وأنهم شرار الخلق عند الله تعالى، وذلك لقبح ذلك الفعل وعظيم أثره في الانحراف عن العقيدة الصحيحة،وفتح الباب للشـرك والوثنية وقد بيَّنت عائشة رضي الله عنهـا أن الصـحابة فهمـوا ما قصـده النـبي  وعنـاه، ومن أجل ذلك لم يـبرزوا قـبره خشية أن يتخذ مسجداً،وأنه إنما قـال ذلك محـذراً لأمته أن تصـنع كما صنع أولئك.

قلت:وبالفعل عمل الصحابة والتابعون لهم بإحسان وسائرُ العلماء في العصور المختلفة علىستر قـبره وحجبه عن النـاس،وبـالغوا في

---

[4] البخاري مع الفتح (3/200) كتاب الجنائز ، باب مايكره من اتخاذ المساجدعلىالقبور ، ومسلم مع النووي (5/12) كتاب المساجد ومواضع الصلوات ، باب النهي عن بناء المسجدعلى القبور واتخاذ الصور فيها،طبع دار الكتب العلمية بيروت بدون تاريخ.

[1]البخاري مع الفتح (3/208) كتاب المساجد، باب بناء المسجد على القبر، ومسلم مع النووي (5/11)كتاب المساجد ومواضع الصلوات، باب النهي عن بناء المسجد على القبور واتخاذ الصور فيها .

[2] (الخميصة كساء أسود مربع له علمان ) القاموس المحيط ص ( 797 ).

[3] البخاري مع الفتح ( 6/494-495 ) كتاب أحاديث الأنبياء ، باب ما ذكر عن بـني إسرائيل ، ومسلم مع النووي(5/13) الكتاب والباب المتقدمين 0

ذلك غاية المبالغة كماسـيأتي في كلام النووي [1] والسـمهودي [2] -رحمهما الله-،وإليك كلام بعض العلمـاء على هـذه الأحـاديث وإشـارتهم وتصـريحهم بأن هـذه النصـوص تمنع من تعظيم القبـور حتى لا تعبد من دون الله،ويفتتن بها الناس، وتؤدي إلى ما أدى إليه غلوّ الأولين في قبـور معظميهم، حيث صـارت أوثانـاً تعبد من دون الله.

قـال الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في كلامه على حـديث عائشة وابن عبـاس رضي الله عنهما: (وكأنه علم أنه مرتحل فخـاف أن يعظّم قبره كما فعل من مضى فلعنَ اليهود والنصـارى إشـارة الى ذم من فعل فعلهم) [3].

ويناسب هـذا المقـام ما ذكـره الإمامـان النـووي وابن حجر في شـرحهما على الصـحيحين في الكلام على قصة مـوت موسى ، وسؤال ربه أن يدنيه من الأرض المقدسة.

قال النووي -رحمه الله -: (قال بعض العلمـاء: وإنما سـأل الإدنـاء ولم يسأل نفس بيت المقدس لأنه خـاف أن يكـون قـبره مشـهوراً عندهم فيفتتن به الناس) [4].

وقال ابن حجر:(لكن حكى ابن بطـال عن غـيره أن الحكمة في أنه لم يطلب دخولها لـيُعمِّي موضع قبره لئلا يعبده الجهال من أمته) [5].

من هذه النقول الثلاثة يتـبين ما فهمه العلمـاء من أحـاديث النهي عن اتخـاذ المسـاجد على القبـور؛ وهو خشـية التعظيم المفضي إلىعبادتها كما حصل للأمم السابقة بغلوها في أنبيائها وصالحيها إلى أن عبدتهم من دون الله،وتحولت القبورية إلى وثنية وشـرك، أجـار الله أمة محمد  من ذلك.

وقال العلامة ابن دقيق العيد [6] -رحمه الله تعالى- في شـرح عمـدة الأحكـام في حـديث عائشة الثـاني:(وقوله : ((**بنـوا على قـبره**

---

[1] ? الإمام العلامة شيخ الشافعية وعمدتهم ، وأحد أئمة الحديث في زمانه ،محيي الدين يحيى بن شرف النووي صاحب التصانيف المفيدة المباركة ، التي لاقت القبول عند سائر علماء المسلمين ببركة إخلاصه ، ولد بنوى سنة (631هـ) وتوفي بها سنة(676هـ) ،وانظر البداية والنهاية (3/278-279) ،وطبقات الشافعية الكبرى للشيخ تاج الدين السبكي ( 8/395-400) .

[2] مـؤرخ المدينة النبوية وفقيهها في وقتـه، علي بن عبدالله بن أحمد السـمهودي القاهري الشافعي، نزيل الحرمين، صاحب أضخم كتاب مطبوع في تـاريخ المدينة وهو كتـاب (وفـاء الوفـاء في أخبـار دار المصـطفى )،ولد سـنة (844هــ) وتـوفي سنة( 911 هـ) انظر الضوء اللامع للسخاوي ( 5/245-248 ) .

[3] الفتح (1/532)0

[4] النووي على مسلم (15/128) 0

[5] الفتح (3/207).

**مسجداً))** إشارة الى المنع من ذلك وقد صــرح به الحـديث الآخر: ((**لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد))**[1].

وقد علّــق الصــنعاني -رحمه الله- على كلامه هـذا فقـال: (قوله: ((إشارة الى المنع من ذلك)). أقول: من حيث إنه جعل شرار خلق الله هم المصورون، ومعلوم أن من فعل شيئاً يكـون به من شـرار خلق الله أنه فعل محرمـــاً وقد صـــرح به في حـــديث آخـــر،يريد الحديث الذي أخرجه الشيخان بلفظ:((**قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مسـاجد**)) زاد مسـلم: ((**والنصـارى**)) وحـديث عائشة بلفـظ: ((**الرجل الصـالح**)) أعم من قبـور الأنبيـاء.والكل محــرم فإنه ذريعة إلى تعظيم الميت، والطـواف بقــبره،والتمــاس أركانه،والنداء باسـمه، وبالجملة أنه يصـير صـنماً يعبـد) انتهى محل الغرض منه.ولايزال بعده كلام قوي متين في النعي على القبوريين فلينظرهناك [2]0

ومما يناسب هذا المقام ما قـرره العلامة الشـيخ محمد بن سـالم البيحــاني [3] -رحمه الله- في كتابه (إصـــلاح المجتمع) إذ قـــال وهو يتحــدث عن الشــرك:(ومن الشــرك تعظيم القبــور الــذي فتن به المسلمون في مختلف الجهات، حتى بنوا عليها القباب، واتخذوا لها الأقفاص والتوابيت،وطافوا بها وحجوا إليها،ونـذروا لأصـحابها بجـزء معلـوم من أولادهم وأقـاموا لها الحفلات والمواسـم، وجـاءوا إليها متوسـلين ومسـتغيثين. وهـذا يطلب منهم الولـد،وثانٍ يطلب منهم شفاء المريض، وثالث يريد منهم النصرة على الأعداء، وأن ينصـفوا له من فلان الظالم،ونسبوا إليهم من الكرامات ما لا يصح أن يكون معجزة لنبي مرسل، وكتبوا عنهم الشطح، والكلام الذي لا يصدر إلا من ملحد في دين الله، أو مدّع أنه شريك لله) الخ كلامه رحمه الله [4] 0

---

[6] الإمام المجتهد المحدث محمد بن علي بن وهب المصري الدار، والشافعي ثم المالكي المذهب، أحد من قيل إنهم من المجددين لهذا الدين، وصاحب المصنفات المستعذبة المفيدة ،ولد في البحر قرب ينبع سنة (625هـ) وتوفي سنة (702هـ) انظر البداية والنهاية (14/27) والدرر الكامنــة في إعيان المائة الثامنة للحافظ أحمد بن علي بن حجر رحمة الله تعالى (4/91-96).

[1] الإحكام للإمام ابن دقيق العيد مع حاشية الصنعاني (3/257-258) طبع المكتبة السلفية ( 1409هـ )0

[2] 5 المصدر السابق (3/258).

[3] ? ستأتي ترجمته في الباب الثالث(ص ).

[4] إصلاح المجتمع للشيخ محمد بن سالم البيحاني ص (130) طبع مؤسسة طيبة الخيرية (1419هـ- 1998م ) 0

**الأسلوب السادس - النهي المباشر للأمة عن البناء على القبور، وتعظيمها بأي نوع من أنواع التعظيم، وإخبـاره  أنه لا يفعل ذلك إلا شـــرار الخلق عند الله تعـــالى**:فعن جنــدب بن عبدالله  قـال: سـمعت رسـول الله  قبل أن يمـوت بخمس يقـــول: **((إني أبـــرأ إلى الله أن يكـــون لي منكم خليـــل...))** إلى أن قـال: ((**ألا وإن من كـان قبلكم كـانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مسـاجد ألا فلا تتخـذوا القبور مساجد إنى أنهاكم عن ذلك**))[1].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهماقال: ((**نهى رسول الله  أن يجصص القـبر وأن يقعد عليه ويبـنى عليـه**))[2].ولفظ أبي داود: ((**نهى أن يقعد على القبر ويبنى عليه**)[3].

وعن ابن مسـعود  قـال: سـمعت رسـول الله  يقـول:((**إن من شـرار النـاس من تدركه السـاعة وهم أحيـاء ومن يتخذ القبور مساجد**)) [4].ففي هذه الأحاديث التي مـرت النهي الصـريح عن أي نوع من أنواع التعظيم للقبـور ومن ذلك: النهي عن اتخاذها مسـاجد، والنهي عن مجـرد البنـاء عليها، وعن تجصيصـها، والكتابة عليها. وقد توجه النهي أول ما توجه إلى قبور الأنبيـاء والصـالحين0 لمـاذا؟ لأنها هي الــتي يخشى الغلو في أربابها عكس قبـور سـائر

---

[1] النووي علىمسلم (5/13)كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب النهي عن بناء المسجد على القبور0

[2] النووي على مسلم (7/37) كتاب الجنائز باب النهي عن تجصيص القبر والبناء عليه والجلوس عليه 0

[3] رواه أبوداود(2/235) كتاب الجنائز ،باب في البناء على القبر طبع دار الجنان ومؤسسة الكتب الثقافية بيروت دراسة وفهرسة كمال يوسف الحوت ط الأولى ( 1409هـ-1988م )، والنسائي في سننه (4/86- 88) كتاب الجنائز رقم (2027، 2028، 2029) طبع مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب عناية عبد الفتاح أبو غده الطبعة الأولى (1406هـ-1986م ) ، و ابن ماجه في سننه ( 1/498) كتاب الجنائز با ب ماجاء في النهي عن البناء على القبور وتجصيصها والكتابة عليها طبع دار إحياء الكتب العربية (1372-1952) تحقيق وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، وصححه الشيخ الألباني ، ينظر صحيح أبي داود للشيخ الألباني ( 2/621) .

[4] رواه أحمد (5/324) تحقيق أحمد محمد شاكر ، وابن خزيمة في صحيحه ( 2/7)كتاب الصلاة باب الزجر عن اتخاذ القبور مساجد تحقيق محمد مصطفى الأعظمي طبع المكتب الإسلامي الطبعة الأولى ( 1395هـ-1975م ) ، وقال أحمد شاكر في تعليقه على المسنـد (5/324): ) إسناده صحيح .وهو في "مجمع الزوائد " (2/27) وقال: "رواه الطبراني في الكبير وإسناده حسن " وهو فيه أيضاً (8/13) وقال :" رواه البزار بإسنادين في أحدهما عاصم بن بهدلة وهو ثقة وفيه ضعف وبقية رجاله رجال الصحيح " ) 0

الناس، والفتنة بها أعظم من غيرها. وهذا هو الواقع المشـاهد فإنه ما من مشـهد إلا ويـزعم أنه بـني على ولي صـالح، ذي منـاقب وكرامات عظيمة يرجى نفعه ويخاف انتقامه، أو يزعم أنه على نبي من أنبيـاء الله كما ظهر ذلك تخمينـاً في أمـاكن كثـيرة من بلاد الله،ولكثير من الأنبياء، مع تصريح العلماء أنه لا يُعلم على التحقيق واليقين إلاَّ قـبر نبينا محمد ﷺ، وزاد بعضـهم قـبر الخليل ﷺ في الموضع المشهور باسمه في فلسطين [1].

ثم لاحِظْ كيف قرَنَ النبي ﷺ من يتخذ المساجد على القبور بمن تقوم عليهم الساعة وقد صرَّح عليه الصلاة والسلام في أحاديث صحيحة أن أولئك الذين تقوم عليهم الساعة لا يؤمنون بالله ولا يعرفونه كما جاء في صحيح مسلم من حديث أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((**لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض: الله، الله**)) [2]، فالذين تقوم عليهم الساعة لم يستحقوا أن يكونوا شرار الخلق إلا بالكفر التام والخلو التام من الإيمان، إذاً فمقارنتهم بالذين يتخذون القبور مساجد يدل على خطورة النهاية التى تصل إليها القبورية بأصحابها.

وهذا يظهر من تعليق العلماء على تلك الأحاديث: يقول الإمام النووي - رحمه الله - في شرح حديث جندب ﷺ:(قال العلماء: إنما نهى النبي ﷺ عن اتخاذ قبره مسجداً خوفاً من المبالغة في تعظيمه، والافتتان به،فربما أدى ذلك إلى الكفر كما جرى لكثيرمن الأمم الخالية، ولما احتاجت الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين والتابعون إلى الزيادة في مسجد رسول الله ﷺ حين كثر المسلمون وامتدت الزيادة إلى أن دخلت بيوت أمهات المؤمنين فيه، ومنها حجرة عائشة رضي الله عنها،مدفن رسول الله ﷺوصاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، بنوا على القبر حيطاناً مرتفعة مستديرة حوله لئلا يظهر في المسجد؛ فيصلي إليه العوام ويؤدي إلى المحذور، ثم بنوا جدارين من ركني القبر الشماليين وحرفوهما حتى التقيا حتى لايتمكن أحد من استقبال القبر، ولهذا قال في الحديث: **((ولولا ذلك أبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً))**والله أعلم بالصواب) [3].

وقال العلامة صديق حسن خان[4] في كتابه "السراج الوهاج في كشف مطالب صحيح مسلم بن الحجاج " في شرحه لحديث جابر

---

[1] مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (27/141) . طبع مكتبة المعارف الرباط بالمغرب بدون تاريخ .

[2] النووي على مسلم (2/178) كتاب الإيمان باب ذهاب الإيمان في آخر الزمان0

[3] ا لنووي على مسلم (5/12- 13)0

: ((**وأن يبنى عليه**)) قال النووي: فيه كراهة البناء عليه، قال: أما البناء عليه، فإن كان في ملك الباني فمكروه. وإن كان في مقبرة (مسبلة) فحرام نص عليه الشافعي والأصحاب، قال في (الأم): ورأيت الأئمة بمكة يأمرون بهدم ما يبنى، ويؤيد الهدم قوله: **((ولا قبراً مشرفاً إلا سويته))** انتهى.

وأقول: فإن البناء على القبر حرام لا مكروه في أي مكان ولأجل أي قبرٍ كان،وهذا بالأدلة الثابتة الصحيحة في الصحيح وغيره، من طرق تُوجِب العلم اليقين:

(فمنها): الأمر بالتسوية كما تقدم.

(ومنها): النهي عن البناء كما مر هنا.

(ومنها): النهي عن اتخاذ القبور مساجد، ولعنُ فاعل ذلك وغير ذلك مما هو مبين في كتب السنة.

وبالجملة فما هذه أول شريعة صحيحة محكمة،وسنة قائمة صريحة تركها الناس واستبدلوا بها غيرها0

وقد صارت هذه البدعة وسيلة لضلال كثير من الناس، "ولا سيما العوام" فإنهم إذا رأوا القبر عليه الأبنية الرفيعة، والستور العالية،وانضم إلى ذلك إيقاد السرج عليه، سبب عن ذلك الاعتقاد في ذلك الميت ولا يزال الشيطان الرجيم وإبليس اللعين يرفعه من رتبة إلى رتبة حتى ينادى مع الله،ويطلب منه ما لا يطلب إلا من الله ولا يقدر عليه سواه فيقع في الشرك 00هذا أمر العوام.

وأما الخواص فلهم عرس [1] الموتى على قبورهم وطوافها، والمراقبة عندها وانتظار وصول الفيض من أصحابها، والاستمداد بهم في الفرج بعد الشدة وإيجاب النذور لهم ووضع الأموال في المقابر إلى غير ذلك من الكبائر، والإشراك، والبدع،وكل ذلك ضلالة على ضلالة وظلمة فوق ظلمة  **وسيعلمُ الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون** [2].

---

[4] محيي السنة وقامع البدعة، الإمام العلامة أبو الطيب صديق بن حسن بن علي الحسيني البخاري القنوجي، أحد مجددي علوم السنة في الهند، وصاحب المصنفات الذائعة والمؤلفات النافعةالتي يجنح فيها إلى الاجتهاد وينفر عن التقليد تبعاً لشيخه وأستاذه الذي تتلمذ على كتبه، ونسج على منوالها شيخ الإسلام الشوكاني رحمه الله ، ولد سنة (1248هـ) وتوفي سنة (1307هـ).انظر كتاب :السيد صديق حسن خان آراؤه الاعتقادية وموقفه من عقيدة السلف للدكتور اختر جمال لقمان 0

[1] كذا في الأصل ولم أتبين المراد به.

[2] الشعراء (227) 0

وأما تخصيص قبور الفضلاء بهذه الداهية الـدهياء، والمعصـية الصـماء، والفاقرة العظمى فلا وجه له) الخ [3]

وقال القرطـبي -رحمه الله تعـالى- في تفسـيره "تفسـير سـورة الكهف ":(وأما تعلية البناء الكثير على نحو ما كـانت الجاهلية تفعله تفخيماً وتعظيماً فذلك يُهدم ويزال، فـإن فيه اسـتعمال زينة الـدنيا في أول منـازل الآخـرة، وتشـبهاً بمن كـان يعظم القبـور ويعبـدها وباعتبار هذه المعاني وظاهر النهي ينبغي أن يقال هو حرام)[2].

وكان -رحمه الله تعالى- قد صـرح في تفسـير سـورة البقـرة عند قوله تعـالى:  **يا أيها الذين آمنـوا لا تقولـوا راعنا وقولـوا انظرنا واسـمعوا وللكـافرين عـذاب أليم** [3].وهو يتكلم عن سد الـذرائع بـأن ما ورد من الأحـاديث في النهي عن البنـاء على القبـــور وتجصيصـــها...الخ. إنما هو لسد الذريعة المؤدية الى ما وصلت إليه الأمم السـابقة من التـدرج في عبادتها من دون الله وهـذا نص كلامه -رحمه الله-:(قـال علماؤنـا: ففعَـلَ ذلك أوائلهم ليأنسـوا برؤية تلك الصـور ويتـذكروا أحـوالهم الصـالحة فيجتهـدون كاجتهادهم ويعبـدون الله عز وجل عند قبـورهم، فمضت لهم بـذلك أزمان، ثم إنهم خلف من بعدهم خلوف جهلوا أغراضـهم، ووسـوس لهم الشـيطان:أن آباءكم وأجـدادكم كـانوا يعبـدون هـذه الصـور فعبدوها فحذر النبي  عن مثل ذلك وشدّد النكـير والوعيد على من فعل ذلك وسدَّ الذرائع المؤدية الى ذلك فقال:((**اشتدَّ غضب الله على قـوم اتخـذوا قبـور أنبيـائهم وصـالحيهم مسـاجد))** **وقـال: ((اللهم لا تجعلْ قبري وثناً يعبد))**)[4].

هذه أقوال أهل العلم على هـذه الأحـاديث ونحوها، وكلها تؤكد أن المقصد من ذلك النهي والتشـديد هو سدّ ذرائع الشـرك،وألا يصل الحال بهـذه الأمة كما وصل بـالأمم السـابقة حـتى حلّت بها الوثنية والشرك وذلك يؤكّد ما عَنْوَنَّا له أول الفصل ولله الحمد.

**الأسـلوب السـابع - الأمر بتسـوية القبـور المشـرفة مع قرن ذلك بطمس التماثيل**: فعن ثمامة بن شُفي -رحمه الله - قال: (كنا مع فضالة بن عبيد بأرض الروم برودس [5] فتوفي صـاحب

---

[3] السراج الوهاج من كشف مطالب صحيح مسلم بن الحجاج للشيخ صديق حسن خان إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية قطر (3/82-83-384) .

[2] الجامع لأحكام القرآن (10/381) 0

[3] ?البقرة (104) 0

[4] تفسير القرطبي (2/58) .

[5] (هي جزيرة من جزر البحر الأبيض المتوسط افتتحها معاوية  ودانت بالإسلام زمناً ثم طرد منها المسلمون وعادت إلى النصرانية ) انظر معجم البدان

لنا فأمر فضالة بن عبيد بقبره فسوى ثم قال:سمعت رسول الله  يأمر بتسويتها)[1].وعن أبي الهيَّاج الأسدي-رحمه الله- قـال: قـال لي علي بن أبي طـالب:**(ألا أبعثك على ما بعثـني عليه رسـول الله  ألا تـدع تمثـالاً إلا طمسـته ولا قـبراً مشـرفاً إلا سوّيته)[2].** وهكـذا فهم الصـحابة رضـوان الله عليهم الأمر، فسوّوا القبور المشرفة، وأمروا بذلك وصار هذا شعارهم وديدنهم.

فهذا فضالة بن عبيد  يطبِّق ما سمع ويأمر بتسوية القبر؛ امتثـالاً لأمر رســول الله  بتســويتها، وهــذا علي  يبعث رئيس شــرطته أبالهياج الأسدي[3] لطمس القبوركما بعثه رسول الله  أي أنه يطبِّق ماعرفه وفهمه من أمر رسـول الله  بـذلك، وهـذا عثمـان  يـأمر بتسوية القبـور كـذلك. قـال عبدالله بن شـرحبيل بن حسنة –رحمه اللـه-: (رأيت عثمـان  يـأمر بتسـوية القبـور فقيل له هـذا قـبر أم عمرو بنت عثمان! فأمر به فسوِّي)[4] وعن عمرو بن شرحبيل قـال: (لا ترفعوا جدثي – يعـني القـبر – فـإني رأيت المهـاجرين يكرهـون ذلك)[5]،وسيأتي مزيد بيان لهذا في الباب الأول إن شاء الله [6].

وأما العلماء ممن جاء بعد الصحابة والتابعين وإلى عصرنا الحاضر، فسـتأتي نمـاذج من كلامهم الـدال على أنهم فهمـوا ذلك المعـنى، وعملوا بمقتضاه، وصرحوا بأنه من بـاب سد الذريعة المفضـية إلى الوثنية والشرك بالله تعالى.

قــال الإمــام الشــافعي-رحمه الله-: (ولم أرَ قبــور المهــاجرين والأنصار مجصصة قال الراوي عن طـاووس: أن رسـول الله  نهى أن تبنى القبور أو تجصص (قال الشافعي) وقد رأيت من الولاة من يهدم بمكة ما يبنى فيها فلم أرَ الفقهاء يعيبون ذلك)[7].

---

لياقوت بن عبد الله الحموي (3/78) طبع دار صادر ،بيروت ط ثانية(1995م ).

[1] مسلم كتاب الجنائز باب الأمر بتسوية القبر (7/35-36 ) مع النووي .

[2] المصدر السابق (7/36).

[3] تحذير الساجد من اتخاد القبور مساجد ص (88) للعلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني .

[4] رواه أبوبكر بن أبي شيبة في المصنف ، كتاب الجنائز باب في تسوية القبر وما جاء فيه (3/341) طبع الدار السلفية بالهند بومبي الطبعة الثانية ( 1399هـ-1979م ) ، وأبو زرعة في تاريخه بسند صحيح إلى عبدالله وانظر تحذير الساجد( 88).

[5]رواه ابن سعد في الطبقات ( 6/108 ) دار بيروت للطباعة والنشر ( 1377 هـ - 1957م )وصحح إسناده الشيخ الألباني وانظر : تحذير الساجد ص (98) .

[6] الفصل الثاني من الباب الأول0

[7] الأم (1/277) 0

وقال العلامة ابن حجر الهيتمي في "الفتـاوى الكـبرى " في جـواب سؤال يتعلق بهذا الموضوع: (المنقول المعتمد كما جزم به النـووي في شرح المهذب حرمة البناء في المقبرة المسبلة،فـإن بُـني فيها هُدم ولا فرق في ذلك بين قبـور الصـالحين والعلمـاء وغـيرهم، وما في الخادم مما يخالف ذلك ضعيف لايلتفت إليه، وكم أنكـر العلمـاء على بـــاني قبة الإمــــام الشــــافعي- رحمه الله - وغيرها، وكفى بتصريحهم في كتبهم إنكاراً) انتهى محل الغرض منه [1].

وقـال في جـواب سـؤال آخـر: (يحـرم بنـاء القـبر في المقـبرة المسـبلة؛وهي الـتي اعتـاد أهل البلد الـدفن فيها، ومثلها الموقوفـة لذلك،سواء كان مدماكاً أم مدماكين لأن الكل يسمى بنـاء ولوجـود علة تحـريم البنـاء في ذلك وهي تحجـير الأرض على من يـدفن بعد بلاء الميت،إذ الغــــالب أن البنـــــاء يمكث إلى ما بعد البلى، وأن النــاس يهابون فتح القبر المبني، فكان في البنـاء تضـييق للمقـبرة ومنع النـاس من الانتفـاع بها فحـرم، ووجب على ولاة الأمر هـدم الأبنية الـتي في المقـابر المسـبلة،ولقد أفـتى جماعة من عظمـاء الشافعية بهدم قبة الإمام الشافعي -رحمه اللـه-وإن صـُرفت عليها ألوف من الدنانير لكونها المقبرة المسـبلة وهـذا - أعني البنـاء في المقابر المسـبلة - مما عمّ وطم،ولم يتوقّه كبـير ولا صـغير فإنا لله وإنا اليه راجعون) [2].

وقال شـيخ الإسـلام الشـوكاني -رحمه الله- في النيل في شـرح حـديث علي : (قوله:**" ولا قبراً مشـرفاً إلا سـويته "** فيه أن السـنة أن القـبر لا يرفع رفعـاً كثـيراً من غـير فـرق بين من كـان فاضلاً ومن كـان غـير فاضـل، والظـاهر أن رفع القبـور زيـادة على القدر المأذون فيه محرّم، وقد صـرح بـذلك أصـحاب أحمد وجماعة من أصحاب الشافعي ومالك، والقول بأنه غير محظـور لوقوعه من السـلف والخلـف بلا نكـير - كماقـال الإمـام يحـيى [3] والمهـدي[4] في

---

[1] الفتاوى الكبرى للإمام العلامة أحمد بن محمد الهيثمي المكي (2/17)طبع دار الفكر ببيروت ( 1403هـ-1983م ) .

[2] المرجع السابق (2/25) .

[3] ستأتي ترجمته في الباب الأول (ص 102 ).

[4] الإمام أحمد بن يحيى بن المرتضى ، من كبار أئمة الزيدية ومن عليهم المعـوَّل في الفقه بل إن كتابه (الأزهـار) هو عمـدتهم بلا منـازع .بلغ درجة الاجتهـاد وهي شرط من شروط الإمامة عند الزيدية فبويع له بالإمامة سنة (793هـ) ولم يتم له الأمر ،له عدد كبير من المصنفات من أشهرها:

- الأزهار وشرحه الغيث المدرار.
- البحر الزخار الجامع لمذهب علماء الأمصار .
- المنية والأمل في الملل والنحل .=

الغيث - لا يصح لأنه غاية ما فيه أنهم سكتوا عن ذلك والسكوت لا يكون دليلاً إذا كان في الأمور الظنية، وتحريم رفع القبور ظني،ومِن رفع القبور الداخل تحت الحديث دخولاً أولياً القبب والمشاهد المعمورة على القبور، وأيضاً هو من اتخاذ القبور مساجد، وقد لعن النبي فاعل ذلك كما سيأتي0 وكم قد سرى عن تشييد أبنية القبور وتحسينها من مفاسد يبكي لها الإسلام، منها اعتقاد الجهلة لها كاعتقاد الكفار للأصنام، وعظم ذلك فظنوا أنها قادرة على جلب النفع ودفع الضر، فجعلوها مقصداً لطلب قضاء الحوائج وملجأً لنجاح المطالب وسألوا منها ما يسأله العباد من ربهم، وشدّوا إليها الرحال وتمسحوا بها واستغاثوا.

وبالجملة إنهم لم يدَعوا شيئاً مما كانت الجاهلية تفعله بالأصنام إلا فعلوه - فإنا لله وإنا إليه راجعون – ومع هذا المنكر الشنيع والكفر الفظيع لا تجد من يغضب لله ويغار حمية للدين الحنيف لا عالماً ولا متعلماً ولا أميراً ولا وزيراً ولا ملكاً، وقد توارد إلينا من الأخبار ما لا يشك معه أن كثيراً من هؤلاء القبوريين[1] أو أكثرهم إذا توجهت عليه يمين من جهة خصمه حلف بالله فاجراً، فإن قيل له بعد ذلك: احلف بشيخك ومعتقدك الولي الفلاني تلعثم وتلكأ وأبى واعترف بالحق، وهذا من أبين الأدلة الدالة على أن شركهم قد بلغ فوق شرك من قال: إنه- تعالى- ثاني اثنين أو ثالث ثلاثة، فيا علماء الدين، ويا ملوك المسلمين،أي رزء للإسلام أشد من الكفر، وأي بلاء لهذا الدين أضر عليه من عبادة غير الله؟ وأي مصيبة يصاب بها المسلمون تعدل هذه المصيبة، وأي منكر يجب إنكاره إن لم يكن إنكار هذا الشرك البين واجباً:

**لقد أسمعت لوناديت حياً ولكن لاحياة لمن تنادي**

**ولو ناراً نفخت بها أضاءت ولكن أنت تنفخ في رمادِ**[2]

وقال صديق حسن خان: (أقول: الأحاديث الصحيحة وردت بالنهي عن رفع القبور، وقد ثبت من حديث أبي الهياج ما تقدم فما صدق عليه أنه قبر مرفوع أو مشرف لغة فهو من منكرات الشريعة التي

---

=وغيرها كثير ، توفي - رحمه الله - سنة(840هـ).انظر البدر الطالع (1/122-126)،بلوغ المرام في شرح مسك لختام للقاضي حسين بن أحمد العرشي ص (410) ، طبع دار إحياء التراث العربي ببيروت عني بطبعة الأب أنستاس ماري الكرملي .

[1] في المطبوع المقبورين وهو خطأ.

[2] نيل الأوطار (4/95) .

يجب على المسلمين إنكارها وتسويتها، من غير فرق بين نبي وغير نبي،وصالح وطالح،فقد مات جماعة من أكابر الصحابة في عصره  ولم يرفع قبورهم،بل أمر علياً بتسوية المشرف منها،ومات  ولم يرفع قبرَه أصحابُه،وكان من آخر قوله:**((لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد))**،ونهى أن يتخذ قبره وثناً، فما أحق الصلحاء والعلماء أن يكون شعارهم هو الشعار الذي أرشدهم إليه ، وتخصيصهم بهذه البدعة المنهي عنها تخصيص لهم بما لايناسب العلم والفضل؛فإنهم لو تكلموا لضجوا مِن اتخاذ الأبنية على قبورهم وزخرفتها لأنهم لا يرضون بأن يكون لهم شعار من مبتدعات الدين ومنهياته، فإن رضوا بذلك في الحياة كمن يوصي من بعده أن يجعل على قبره بناء، أو يزخرفه فهو غير فاضل، والعالم يزجره علمه عن أن يكون على قبره ما هو مخالف لهدي نبيه ،فما أقبح ما ابتدعه جهلة المسلمين من زخرفة القبور، وتشييدها، وما أسرع ما خالفوا وصية رسول الله  عند موته فجعلوا قبره على الصِفة التي هو عليها الآن وقد شدَّ من عضد هذه البدعة ما وقع من بعض الفقهاء من تسويغها لأهل الفضل حتى دوّنوها في كتب الهداية والله المستعان...) [1].

**الأسلوب الثامن - إنكاره على من طلبوا أن يجعل لهم شجرة يتبركون بها:**

كما في قصة ذات أنواط والحديث بذلك أخرجه الترمذي -رحمه الله- في سننه في كتاب الفتن، باب " لتركبن سنن من كان قبلكم " من حديث أبي واقد الليثي :(أن رسول الله  لما خرج إلى حنين مرَّ بشجرة للمشركين يقال لها: ذاتُ أنواط، يعلِّقون عليها أسلحتهم، قالوا: يا رسول الله اجعل لنا ذاتَ أنواط كما لهم ذاتُ أنواط، فقال لهم النبي :**((سبحان الله هذا كما قال قوم موسى: اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة. والذي نفسي بيده لتركبن سنن من كان قبلكم))** قال أبوعيسى هذا حديث حسن صحيح [2] 0

فانظر- رحمك الله- كيف عظَّم رسول الله  سؤالهم له أن يجعل لهم شجرة يتبركون بها كما يفعل المشركون وذلك بعدة أمور،

---

[1] ? الروضة الندية شرح الدر البهية للسيد صديق حسن خان (175-176) طبع دار الندوة الجديدة ببيروت ( 1404هـ-1984م ) .

[2] سنن الترمذي (4/475) طبع شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ، ط الأولى (1382هـ - 1962م)تحقيق وتعليق إبراهيم عطوه عوض ، وقال الشيخ الألباني في صحيحه (2/235) : ( صحيح ) ، طبع مكتب التربية العربي لدول الخليج ، ط الأولى ( 1408هـ -1988م ) 0

منها: التسبيح الـذي يقـال عند سـماع الأمر العظيم، ومنهـا: تشـبيه طلبهم ذلك بطلب قــوم موسى حين قــالوا لـه: **اجعل لنا إلهــاً كما لهم آلهة** [1]، ومنها: الإخبار بالسُـنَّة الماضـية من اتِّبـاع هـذه الأمة لغيرها من الأمم السابقة فيما وقعـوا فيه من الفتن والضـلال وإقسامه على ذلك 0

فهذا كله برهان واضح على خطورة تلك المظاهر الوثنية وماتجرُّه على الأمة من انحـراف في عقيـدتها ولهـذا حـذر العلمـاء - رحمهم الله- من وجود مثل تلك الأماكن التي يعظِّمها العوام ويتــبركون بها ويعتقدون فيها شـيئاً من النفع والضـر، أو يقومـون عنـدها بشـعائر تعبدية مبتدعة أو شركية، قال الإمام أبــوبكر الطرطوشي [2] - رحمه الله - في كتابه " الحــوادث والبــدع " بعد ســياق هــذا الحــديث: (فــانظروا -رحمكم الله - أينما وجــدتم ســدرة وشــجرة يقصــدها النـاس،ويعظِّمـون من شـأنها، ويرجـون الـبرء والشـفاء من قبلهـا، وينوطون بها المسامير والخرق،فهي ذات أنواط فاقطعوها) [3] 0

وقال الإمام أبو شامة الدمشقي الشافعي [4] -رحمه الله- في كتابه " البـــاعث على إنكارالبــــدع والحــــوادث" وهو يتكلم عن البــــدع والمحدثات المستقبحة: (ومن هذا القسم أيضاً: ماقد عمَّ به الابتلاء من تزيين الشيطان للعامة تخليق الحيطان والعمد [5] وسرْج مواضع في كل بلد يحكي لهم حاكٍ أنه رأى في منامه بها أحـداً ممن شـهر بالصــلاح والولايــة، فيفعلــون ذلك ويحــافظون عليه مع تضــييعهم

---

[1] الأعراف ( 138 ).

[2] الإمام العلامة محمد بن الوليد بن محمد الفهري المعروف بالطرطوشي، ولد بطرطوشه ببلاد الأندلس، ثم رحل إلى أهل بلده في طلب العلم ثم إلى المشرق العربي، واستقر به المقام بالإسكندرية حتى توفي بها رحمه الله ، ولد سنة ( 451هـ) وتوفي سنة (520هـ) انظر الأعلام (7/133-134) ومقدمة كتابه الحوادث والبدع تحقيق عبدالمجيد تركي،طبع دار الغرب الإسلامي ط الأولى ( 1410هـ-1990م ) .

[3] الحوادث والبدع للإمام محمد بن الوليد الطرطوشي (ص105) 0

[4] ?الإمـام الحافظ المجتهد شـهاب الـدين أبو القاسم عبـدالرحمن بن إسـماعيل الدمشقي الشافعي المعروف بأبي شامة ، قال عنه السخاوي (كان عالماً راسخاً في العلم ،مقرئاً محدثاً نحوياً ، يكتب الخط المليح المتقن مع التواضع والانطراح والتصانيف العدة ) ولد سنة (599هـ) وتوفي - رحمه الله - سنة ( 665هـ) . انظر : البداية والنهاية (13/250-251)، والإعلان بالتوبيخ (ص60) طبع دار الكتاب العربي طبعة مصورة عن نسختي الأستاذ المحقق أحمد باشا تيمـور (1403 هــ-01983م ).

[5] التخليق: أي طليها بالخلوق (والخلوق : طيب معروف يتخذ من الزعفران وغيره من أنــواع الطيب ،وتغلب عليه الحمــرة والصــفرة ) لســان العــرب(10/91)ـ ، و( العُمُد :جمع عمود ) وانظر المعجم الوسيط (2/626).

فرائض الله وسننه، ويظنون أنهم متقربون بذلك، ثم يتجاوزون هذا إلى أن يعظم وقع تلك الأماكن في قلـوبهم، فيعظمونها ويرجـون الشفاء لمرضاهم وقضاء حوائجهم بالنذر لها؛وهي ما بين عُيونٍ وشجرٍ وحائطٍ وحجر. وفي مدينة دمشق - صانها الله تعالى من ذلك- مواضع متعددة كعوينة الحمى خارج باب توما، والعمود المخلق داخل باب الصغير، والشجرة الملعونة اليابسة خارج باب النصر في نفس قارعة الطريق - سهَّل الله قطعها واجتثاثها من أصلها- فما أشبهها بذات أنواط الوارد في الحديث...)[1] وذكر الحديث السابق 0

فانظر كيف فهم العلماء- رحمهم الله تعالى - من هذا الحديث النهي عن هذه المظاهر الوثنية القبورية وأنها تؤدي إلى الشرك بالله تعالى وعبادة غيره كما قال ابن القيم [2]-رحمه الله تعالى-: (فما أسرع أهل الشرك إلى اتخاذ الأوثان من دون الله،ولو كانت ما كانت 0ويقولون: إن هذا الحجر وهذه الشجرة وهذه العين تقبل النذر0 أي تقبل العبادة من دون الله تعالى فإن النذر عبادة وقربة، يتقرب بها الناذر إلى المنذور له، ويتمسحون بذلك النصب ويستلمونه، ولقد أنكر السلف التمسح بحجر المقام الذي أمر الله تعالى أن يتخذ منه مصلى كما ذكر الأزرقي [3] في كتاب " تاريخ مكة " عن قتادة في قوله تعالى: ﴿ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ﴾ [4] قال: **(**إنما أمروا أن يصلوا عنده ولم يؤمروا بمسحه، ولقد تكلفت هذه الأمة شيئاً ما تكلفته الأمم قبلها، ذكر لنا من رأى

---

[1] الباعث على إنكار البدع والحوادث للشيخ عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة الدمشقي ص ( 101 **)ـ 0**طبع دار الراية للنشر والتوزيع الرياض الطبعة الأولى ( 1410هـ- 1990م )

[2] العلامة المحقق الأصولي الفقيه النحوي شمس الدين أبوعبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية ، صحب الإمام ابن تيمية ووافقه في كثير من آرائه دون تقليد وأُوذي وحبس معه حتى مات شيخه فأفرج عنه ، تعتبر كتبه شجىً في حلوق المبتدعة وقرة عين لأهل السنة ، لاسيما زاد المعاد الذي لاتكاد تخلو منه مكتبة عالم موافق له أو مخالف رحمه الله ، ولد سنة (691هـ) وتوفي سنة ( 751هـ ) . انظر ترجمته : في البداية والنهاية ( 14/234-235) والدرر الكامنة (400/3-403) 0

[3] الإمام الشيخ محمد بن عبدالله بن أحمد الأزرقي المكي صاحب أول تاريخ موجود لمكة المكرمة ، مات سنة (250هـ) انظر :مقدمة كتابه أخبار مكة طبع مطابع دار الثقافة بمكة تحقيق رشدي الصالح ملحس الطبعة الثامنة ( 1416هـ -1996 م )، الأعلام (6/222).

[4] البقرة ( 125 ).

أثره وأصابعه فمازالت هذه الأمة تمسحه حتى اخلولــق) [1]. وأعظم الفتنة بهذه الأنصاب فتنة القبور وهي أصل فتنة عبادة الأصـنام كما قاله السلف من الصحابة والتابعين وقد تقدَّم) [2] 0

وعلى ذلك فإن تنبيه رسول الله  لأصـحابه،هو تنبيه للأمة كلها ألا يتبعــوا الأمم الضــالة فيما ســلكوه من ســبل الضــلال، ومن أهمها وسائل الشرك 0

**الأسلوب التاسع - نهيه  أن يذبح لله في مواضع الشرك وأعياد الجاهلية:**

فقد روى أبوداود من حديث ثابت بن الضـحاك  قـال: (نـذر رجل على عهد النبي  أن ينحر إبلاً ببوانة[3] فأتى النبي  فقال: إني نذرت أن أنحر إبلاً ببوانــة، فقــال النــبي : **((هل كـان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبـد؟ قـالوا:لا، قـال: هل كـان فيها عيد من أعيـادهم،قـالوا: لا، قـال النـبي : أوفِ بنـذرك فإنه لانذر في معصية الله ولافيما لا يملك ابن آدم))** [4] 0

فالرســول  استوضح الســائل عن سر تخصيصه لــذلك المكــان بالذبح فيه، لأنه ربما كـان فيه وثن من أوثـان الجاهلية يـذبح له من دون الله، أو كـــان فيه عيد من أعيـــادهم،وخشي أن يكـــون ذلك السائل أراد التشـبه بهم في ذلـك، أو أنه بقي لديه شـيء من آثـار تعظيم ذلك المكان، فلما أجاب السائلُ بـالنفي أجـاز النـبي  نـذره وأمره بالوفاء به، معلناً لـه وللأمة كلها أنه لاوفاء لنـذر في معصـية اللـه،ومن ذلك يفهم أنه لوكـان في ذلك المكـان وثن يعبـد، أو عيد من أعياد الجاهلية، لكان ذلـك النذر بتخصيص ذلك المكـان معصـية ولما جاز الوفاء بـه، ومـاذاك إلا لاستئصـال كل مـايؤدي إلى تعظيم الأماكن الـتي يـؤدي تعظيمها إلى إفسـاد العقيـدة، وإيجـاد نـوع من التعظيم القلبي الذي يوجب الشرك بالله في ذلك 0

---

[1] أخبــار مكة وما جــاء فيها من الآثــار لأبي الوليد محمد بن عبد الله الأزرقي (2/ 29-30) 0

[2] إغاثة اللهفان من مصائد الشـيطان للإمـام محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ( 1/212) طبع دار المعرفة ببيروت بتحقيق محمد حامد الفقي 0

[3] بضم الموحدة وبعد الألف نـون وقيل بفتح البـاء : هضـبة من وراء ينبع 0 انظر : عون المعبود ( 9/140 )

[4] رواه أبوداود (9/140) مع عون المعبود وقـال الشـيخ عبـدالقادر الأرنـاؤوط في تعليقه على جـامع الأصـول :( وإسـناده صـحيح) (11/140) جـامع الأصـول في أحـاديث الرسـول  طبع دار الفكر بـيروت ط الثانية ( 1403 هــ - 1983 م ) ، وكذلك صححه الشيخ الألباني في صحيح أبي داود (2/636) 0

قال شيخ الإسلام ابن تيمية[5] - رحمه اللـه- في "اقتضـاء الصـراط المسـتقيم مخالفة أصـحاب الجحيم":(وهــذا يــدل على أن الــذبح بمكان عيـدهم ومحل أوثانهم معصية لله من وجوه:

**أحـــدها** - أن قوله ((**فــأوفِ بنــذرك**)) تعقيب للوصف بــالحكم بحـرف الفـاء وذلك يـدل على أن الوصف هو سـبب الحكم فيكـون سبب الأمر بالوفاء وجود النـذر خاليـاً من هـذين الوصـفين فيكـون الوصفان مانعين من الوفاء ولو لم يكن معصية لجاز الوفاء به 0

**الثانـي** - أنه عقب ذلك بقولـه: ((**لاوفـاء لنـذر في معصـية الله**)) ولولا اندراج الصـورة المسـؤول عنها في هـذا اللفظ العـام، وإلا لم يكن في الكلام ارتبــاط والمنــذور في نفسه – وإن لم يكن معصية - لكن لما سأله النـبي  عن الصـورتين قـال لـه: ((**فأوفِ بنذرك**)) حيث ليس هناك مايوجب تحريم الذبح هناك، فكان جوابه

---

[5] شيخ الإسلام وعلم الأعلام ومجدد القرن الثامن أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبدالسلام بن تيمية الحراني ثم الدمشقي، لايفي بالتعريف به أسطر قليلة ،كيف وقد أفردت لترجمته مؤلفات جليلة ، كان رحمه الله أمة في عصره وبعد عصره ، جمع الله له من أبواب الخير مالم يجمعه لسواه منذ القرون الأولى للإسلام ؛ جاهد في الله حق جهاده بسنانه ولسانه وبنانه حتى أتاه اليقين ، وهو مجدد منهج السلف الصالح وليس مبتدعا فيه كما ير يد أن يلبسه ذلك أعداء السنة الذين يحاربونها بالطعن في ذاته الشريفة ،ورافع لواء التوحيد وليس مخترعاً سبيله ، توفي رحمه الله مسجوناً في ذات الله من أجل إعلان كلمة الحق في زمن يضيق بها أهله، وتصغر عن فهمها عقولهم، وتتضرر به مصالحهم فنشر بذلك ذكره وعلا قدره ومات واندرس ذكرُ وقدرُ مناوئيه فلايكاد يذكرهم أحد بخير 0ولد سنة (661هـ) وتوفي رحمه الله سنة(728هـ) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ للإمام للذهبي ( 4/1496 - 1497 ) طبع دار الكتب العلمية بيروت بدون تاريخ ، والبداية والنهاية ( 14/135 - 140 ) ، والتذكرة والإعتبار والانتصار للأبرار في الثناء على شيخ الإسلام والوصاية به لعماد الدين الواسطي طبع دار العاصمة بالرياض ط الثانية ( 1415هـ -1994 م ) تحقيق د. عبد الرحمن الفريوائي ، والأعلام العلية في مناقب ابن تيمية لعمر بن علي البزّار طبع المكتب الإسلامي بيروت ط الثانية ( 1396هـ ) تحقيق زهير الشاويش ، والجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية خلال سبعة قرون لمحمد عزيز شمس وعلي العمران طبع دار عالم الفوائد مكة ط الأولى (1420هـ) .

[1] اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم لشيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق الدكتور ناصر العقل (1/440- 443) ط الأولى ( 1404 هـ ) ليس عليه اسم الدار ، مع شيء من الاختصار .

 فيه أمـراً بالوفـاء عند الخلو من هـذا، ونهى عنه عند وجـود هـذا، وأصل الوفاء بالنذر معلوم، فبين ما لا وفاء فيه.
**الثـالث** - أنه لوكـان الـذبح في موضع العيد جـائزاً لسـوغ  للنـاذر الوفـاء به كما سـوّغ لمن نـذرت الضـرب بالـدف أن تضـرب به بل لأوجب الوفاء به إذ كان الذبح بالمكـان المنـذور واجبـاً 0 وإذا كـان الـذبح بمكــان عيــدهم منهيــاً عنه فكيف بالموافقة في نفس العيد بفعل بعض الأعمال التي تعمل بسبب عيـدهم...) ثم أخذ يتكلم عن العيد واشـــتقاقاته ثم قـــال: (... ومعلـــوم أن ذلك إنما هو لتعظيم البقعة التي يعظمونها، بالتعييد فيها، أو لمشاركتهم في التعييد فيها، أو لإحياء شعار عيدهم فيهـا،ونحو ذلك0 إذ ليس إلا مكـان الفعل أو نفس الفعل أو زمانه 0
فإن كان من أجل تخصيص البقعة – وهو الظـاهر – فإنما نهى عن تخصيص البقعة لأجل كونها موضع عيدهم، ولهـذا لما خلت من ذلك أذن في الذبح، وقصد التخصـيص بـاق، فعلم أن المحـذور تخصـيص بقعة عيدهم.

وإذا كان تخصيص بقعة عيدهم محذوراً، فكيف نفس عيـدهم؟. هـذا كما أنه لما كرهها لكونها موضع شـركهم بعبـادة الأوثـان كـان ذلك أدل على النهي عن الشرك وعبادة الأوثـان...فإذا كان  قد نهى أن يـذبح في مكـان كـان الكفـار يعملـون فيه عيـداً - وإن كـان أولئك الكفار قد أسلموا وتركوا ذلك العيد، والسائل لايتخذ المكان عيــداً ، بل يذبح فيه فقط - فقد ظهر أن ذلك سداً للذريعة إلى بقاء شــيء من أعيـادهم؛خشـية أن يكـون الـذبح هنـاك سـبباً لإحيـاء أمر تلك البقعة؛وذريعة لاتخاذها عيداً)[1] 0
وقال الملا علي القاري - رحمه الله - في شرح المشـكاة: (وهـذا كله احتراز من التشبه بالكفار في أفعالهم) [2] 0

---

[2] المرقاة (6/609) 0

## المبحث الثالث

## هدي الإسلام في التعامل مع القبور وزيارتها

### وفيه أربعة مطالب:

**المطلب الأول:موازنة الإسلام بين مصالح الأحياء والأموات بالحفاظ عليكرامة الأموات وعقيدة الأحياء:**

من مزايا الإسلام شموله وكماله، ووسطيته واعتداله، وموازنته بين المصالح والمفاسد؛ بحيث لا يحث على جلب منفعة يترتب عليها حدوث مفسدة، أو تفويت مصلحة أعظم منها، ومن هذا المنطلق جاءت نظرته إلى مقابر المسلمين، فحفظت للأموات كرامتهم وشرعت ما فيه مصلحتهم، ونهت عن تقديس القبور تقديساً يؤدِّي إلى تعظيمها في نظر الأحياء وافتتانهم بها والاعتقاد في أصحابها ما لا يجوز اعتقاده إلا في الله.

فنهى رسول الله  عن امتهان المقابر بجعلها مواطن لقضاء الحاجة [1]، وعن وطء القبور [2]، والجلوس عليها[3]،وعن كسر عظام الميت [4]، وحذر علماءُ المسلمين وفقهاؤهم من نبش القبور لغير مصلحة تعود على الميت أو ضرورة تلجىء إلى ذلك [5]، وأرشد الرسول  الماشي بين القبور أن يخلع نعليه [6]، وهذه الأمور فيها غاية الحفاظ على قبور المسلمين، وغاية التكريم لأمواتهم.

---

[1] ? لما رواه ابن ماجه من حديث عقبة بن عامر  قال: قال رسول الله  : ( لأن أمشي على جمرة أوسيف أو أخصف نعلي برجلي ، أحب إليَّ من ان أمشي على قبر مسلم ، وما أبالي أوسط القبور قضيت حاجتي أو وسط السوق ) ،كتاب الجنائز باب ما جاء في النهي عن المشي على القبور والجلوس عليها ( 1/499) ،وصححه الشيخ الألباني في صحيحه (1/261) ، طبع مكتب التربية العربي لدول الخليج ط الثالثة ( 1408هـ -1988 م ).

[2] للحديث السابق .

[3] لحديث أبي هريرة  قال : قال رسول الله  : (( لأن يجلس أحدكم على جمرة فتحرق ثيابه ، فتخلص إلى جلده ، خير له من أن يجلس على قبر مسلم )) .رواه مسلم كتاب الجنائز باب النهي عن تجصيص القبر والبناء عليه والجلوس عليه (7/37- 38) مع النووي.

[4] لحديث عائشة رضي الله عنها أن رسول  قال : (( إن كسر عظم المؤمن ميتاً مثل كسره حياً )) رواه أحمد(6/58) وأبو داود في كتاب الجنائز باب في الحفار يجد العظم هل يتنكب ذلك المكان؟ (2/231) ، وابن ماجه كتاب الجنائز باب في النهي عن كسر عظم الميت (1/516)،وصححه شيخنا الألباني في صحيح أبي داود ( 2/618).

[5] انظر المجموع للإمام النووي تحقيق الشيخ محمد نجيب المطيعي (5/246، 266- 277 ) طبع مكتبة الإرشاد جده بدون تاريخ.

وحــتى لا يــؤدِّي تكــريم أمــوات المســلمين،والحفــاظ عليهم إلى تقديسهم والغلوّ فيهم، فقد نهى رسـول الله  عما يـؤدي إلى ذلك. فنهى عن الصــلاة على القبــور وإليهــا [1]، ونهى أن تتخذ مســاجد [2]، وعن تجصيصها والبنـاء عليها والكتابة عليها [3]، وأمر بتسـوية القبـور المشرفة التي ترفع فوق الحد الذي يسـمح به الشـرع [4]، وقد عقل الصــحابة والتــابعون لهم بإحســان، والأئمة المقتدى بهم ذلــك، وحـافظوا على ذلك الهدي الصـالح، والطريقة الرشـيدة حـتى نهاية القرون المفضــلة، عنــدما آلت ولاية المســلمين إلى الــروافض والباطنية فغيّروا وبدّلوا وأماتوا سـنة الرسـول  وأصـحابه،ونشـروا سنة اليهـود والنصـارى في بلاد المسـلمين، وتبعهم على ذلك جهلة الحكام، ومنحرفو المــتصوفة،حـتى شـاع ذلك في بلاد المسـلمين، وصــار هو الغــالب على كثــير منها رغم تحــذير العلمــاء وتقرير الفقهاء،وصيحات الغيورين على سنة المصطفى ) [5].

---

6? لحديث بشر مولى رسول الله  وفيه:( أن رسـول الله  رأى رجلاً يمشي بين القبور عليه نعلان فقال: (( ياصاحب السـبتيتين ويحك ألق سـبتيتيك)). فنظر فلما عرف رسول الله  خلعهما فرمى بهما ) رواه أبو داود في كتاب الجنائز = = باب المشي في النعل بين القبور( 2/236) وحسنه الشيخ الألباني في صحيحه ( 2/622 )ـ ، وكـذا روى نحـوه ابن ماجه في كتـاب الجنـائز بـاب ماجـاء في خلع النعلين في المقابر ( 1/499) وحسنه الشيخ الألباني في صحيحه (1/261) .

? ورد ذلك من حديث ابن عباس وأبي مرثد الغنوي وقد سبقا مع تخريجهما ص ( 13 ) .

4[1] صح بذلك الأحاديث عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم انظر طائفة منها ص ( 16 - 17).

5[2]كما في حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما وقد سبق (ص19)

6[3] صح ذلك من حــديث فضــالة بن عبيد وعلي بن أبي طــالب رضي الله عنهما وقد سبقا مع تخريجهما ص (23) 0

7[4] الكشف المــبين عن حقيقة القبــوريين زيــارة هــود وما فيها من ضــلالات ومنكرات للباحث ص ( 39-40 ) ط الأولى ( 1420هـ - 1999 م ) 0

5

**<u>المطلب الثاني:</u> تعامل الصحابة مع ما عرف من قبور الأنبياء:**

**وفيه مسألتان:**

**المسألة الأولى - تعاملهم مع قبر النبي :**

لقد مرت بنا أحاديث لعن النبي  اليهـود والنصـارى؛ حيث اتخـذوا قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد [1]، وأن ذلك كـان في آخر حياته  [2]، بل كان آخر ذلك في حال نـزول الموت به  [3]، وقدصـرحت عائشة رضي الله عنها أنه كان ((**يحذرماصنعوا**))،وصـرحت أن الصـحابة لم يبرزوا قبره لتلك العلة.

وهـذا الـذي فهمته عائشة من أحـاديث الرسـول  الـتي لعن فيها اليهـود والنصـارى لأنهم اتخـذوا قبـور أنبيـائهم مسـاجد- هو الفقه الصحيح والفهم الثـاقب اللائق بها رضي الله عنها، وليس هو فهمها وحدها رضي الله عنها،وإنما فَهْمُ الصـحابة جميعـاً، والـدليل على ذلك أنهم دفنوه كما يـدفن سائرالمسـلمين لم يميّـزوه بشـيء عن سائر الموتى إلاوضع قطيفة في لحده [4] حيث لا يخشى من ذلك أي تـأثير علىعقائـدالناس إذ لم تكن ظـاهرة لهم ولا يمكن أن يفتتن بها أحد.وأما هيئة القبر فإنه كسائر القبـور، فقد روى البخـاري - رحمه الله - عن سفيان التمار أنه (رأىقبر النبي  مسنماً) [5]. قال الحافظ: (أي مرتفعاً) [6].

---

[1] من ذلك حديثان عن عائشة وحديث عنها وعن ابن عباس رضي الله عنهما انظر فيما تقدم ص (16-17) وحديث جندب بن عبدالله وعبدالله بن مسعود رضي الله عنهما (ص19) 0

[2] ? كما في حديث جندب السابق في الهامش 1 0

[3] ?كما في حديث عائشة وابن عباس رضي الله عنهما السابقين في الهامش 1 0

[4] مسلم مع النووي(7/34)كتاب الجنائز باب جعل القطيفة في القبر 0

[5] البخاري مع الفتح (3/255) كتاب الجنائز باب ماجاء في قبر النبي وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما 0

[6] المرجع السابق (3/257) 0

قلت: الارتفاع المشروع فقـط، يفسـره مـارواه أبو داود والحـاكم وقـال: صـحيح الإسـناد ولم يخرجـاه عن القاسم بن محمد قـال: دخلت على عائشة رضي الله عنها فقلت: ياأمـاه اكشـفي لي قـبر رسـول الله  وصـاحبيه فكشـفت لي عن ثلاثة قبـور لامشـرفة ولا لاطئة مبطوحة ببطحـاء العرصة الحمـراء) [1] وزاد الأمر وضـوحاً مارواه الآجُرّي في كتاب صفـة قـبر النـبي  من طريق إسـحاق بن عيسى بن بنت داود بن أبي هند عن غنيم بن بسطام المدني قـال: رأيت قبر النبي  في إمارة عمر بن عبدالعزيز فرأيته مرتفعاً نحـواً من أربع أصابع ورأيت قبر أبي بكر وراء قبره ورأيت قـبر عمر وراء قبر أبي بكر أسفل منه) [2].

فهذه الروايات تبين ما كان عليه قبر النبي  وقبر صـاحبيه، وأنهـا ليس عليهـا أي أثر من آثـار التعظيم والتقـديس، وإنما هي قبـور عادية كسائر القبور، لا مجصصة، ولا مرتفعة، وليس عليها تـوابيت، ولا سـرج، ولا ثيـاب، ولا أي شـيء مما ابتدعته القبورية فيما بعـد، وهذا كله يحقق لنا هدي النبي  وأصحابه في القبـور، وأنَّ ما خالفه إنما هو هدي اليهود والنصارى الذين استحقوا اللعن على ذلك.

وكمافهم الصحابة  من تلـك الأحـاديث أنه لا يجـوز إضـفاء ملامح العظمة على قبر النبي  وقبور المسلمين، كذلك فهموا أنه لو أبرز قبر النبي  لربما أدَّى الى ان يفتتن الناس به،وأن يعملوا عنده مالا يجـوز،وذلك جَعَلَه يـدعو ربه أن يجنبه إيـاه، ولقد اسـتجاب الله دعـاءه، وحمـاه بما فعله الصـحابة رضـوان الله عليهم،ثم التـابعون رحمهم الله كماقال الإمام ابن القيم-رحمه الله-:

**فأجاب ربُّ العالمين دعاءه وأحاطه بثلاثة الجدرانِ**
**حتى غدت أرجاؤه بدعائه في عِزّةٍ وحمايةٍ وصيانِ**

---

[1] رواه أبوداود (2/234) كتاب الجنائز باب تسوية القبور ، ورواه البيهقي في السنن الكبرى (4/3) كتاب الجنائز باب تسوية القبور وتسطيحها طبع دار المعرفة بيروت بدون تاريخ،ورواه الحاكم أيضاً (1/700- 701 )طبع دار المعرفة بيروت ط الأولى ( 1418 هـ -1998 م )، وقال الأرناؤوط في نخريج جامع الأصول(11/82) " إسناده حسن " 0

[2] الفتح (3/255) كتاب الجنائز باب ماجاء في قبر النبي  وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما .

ففي عهد الصحابة  كان في بيت عائشة -رضي الله عنها- وكان لا يـدخل عليه ولا يصل إليه أحد إلا بإذنهـا،ولم يُنقَـل أن النـاس كـانوا يسـتأذنونها لزيارته، وإنما يسـلمون من المسـجد ثم ينصـرفون، ثم دفن معه أبو بكر ثم عمر ولم يـــــدفن عمر  إلا بإذنها -رضي الله عنها- وقد روى قصة دفنه مع صـــاحبيه البخـــاري -رحمه الله- في صـحيحه [1]، ومما يؤيد أن القـبر كـان بعيـداً عن أنظـار النـاس وعن وصـــولهم إليه؛ قصة القاسم بن محمد المتقدمة قريبـــاً في هـــذا البحث،وأنه عنــدما رغب في رؤية القــبر اســتأذن عائشة في ذلك فكشفت له عن القبور، أي أنها فتحت الباب وكشفت الستارة التي على الباب الذي في الجدار الذي بنته عندما دفن عمر  مع النبي  وأبي بكر ليكون حائلاً بينها وبين القبور [2]، وهذا دليل قــوي على أن القبور كانت في غاية الصيانة والبعد عن وصول الناس، حتى أقرب الناس إلى عائشة لا يرونها إلا بإذن منها رضي الله عنها،

ومما يؤكد ذلك أيضاً ما رواه البخاري في صـحيحه عن هشـام بن عروة عن أبيه: (لما سـقط عليهم الحائط[3] في زمـان الوليد بن عبد الملك أخـذوا في بنائـه، فبـدت لهم قـدم ففزعـوا وظنـوا أنها قـدم النبي  فما وجدوا أحداً يعلم ذلك حتى قـال لهم عـروة، لا والله ما هي قدم النبي ، ما هي إلا قدم عمر بن الخطاب )[4]، فـانظر كيف كـان ذلك الجمع الحاضـر لتلك الحادثة غـير ممـيز لمــواقع القبــور بعضها من بعض مما يؤكد أنها كانت محجوبة عنهم لا يعرفــون عنها شيئاً.

---

[1] البخاري مع الفتح (3/256)كتاب الجنائز باب ماجاء في قبر النبي  وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

[2] انظر وفاء الوفاء (2/544)طبع دار إحياء التراث العربي بيروت ط الرابعة ( 1404هـ -1984 م ) تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد 0

[3] ?أي حائط بيت عائشة رضي الله عنها وذلك عندما أراد عمر بن عبدالعزيز رفع الحائط حول الحجرة الشريفة حيث رأى بعض الناس يصلون إلى القبر فلما حفر حول الحائط القديم انهدم فبدت تلك القدم ،انظر الفتح (3/257) 0

[4] البخاري مع الفتح( 3/255) كتاب الجنائز باب ماجاء في قبر النبي  وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما0

ومما يؤكد أن القبر الشريف كان محجوباً عن الناس، لا يصلون اليه إلا بطريقة غير مأذون فيها، ولا مقرة من أهل العلم وأولي الأمر، حديث علي بن الحسين زين العابدين -رحمه الله- أنه رأى رجلاً يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي  فيدخل فيها فنهاه، وقال: ألا أحدثك حديثاً سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله  قال: **((لا تتخذوا قبري عيداً ولا بيوتكم قبوراً وصلوا علي فإن تسليمكم ليبلغني أين كنتم))** [1]. فأنت ترى أن الرجل كان يدخل من فرجة، إذاً هناك جدار محيط بالقبر مغلق عليه غير أن فرجة فتحت بأيّ سبب من الأسباب استغلّها ذلك الرجل، فصار يدخل إلى عند القبر فيسلِّم على النبي ، فنهاه ذلك الإمام العظيم علي بن الحسين زين العابدين -رحمه الله-، والجدار الذي أشرتُ اليه هو جدار حجرة عائشة رضي الله عنها التي سبقَ أن أشرتُ إليها فيما مضى وهذا –رواية سقوط جدار عائشة- من أوضح الأدلة على ما ذكرت من حجب القبر عن الناس وكذلك –رواية زين العابدين- على موقف علماء السلف ممن يحاول أن يصل إلى القبر ظاناً أن في ذلك قُرْبى وفضيلة، والله أعلم.

**المسألة الثانية - تعاملهم مع قبر النبي دانيال عليه السلام[2]:**

لقد تعلَّم الصحابة من رسول الله  أن سبب حدوث الشرك في العالم هو الغلوّ في الصالحين، وفهموا من نهيه المكثف آخر حياته،وفي مرض موته، أن قبور الأنبياء والصالحين لا يجوز تعظيمها، وأن اليهود والنصارى استحقوا اللعن حينما بنوا المساجد على قبورهم،وصوَّروا فيها صورهم،لذلك تعاملوا مع قبره بالشكل الذي سبق في المسألة الأولى من هذا المطلب.

وعندما انسابت جيوش المسلمين في أرجاء الأرض فاتحةً -تقتلع الشرك من النفوس، وتقتلع وسائله ومظاهره من على وجه الأرض،ووصل جيش أبي موسى الأشعري مدينة تَستُر[3] -وجدوا

---

[1] رواه أحمد في المسند (2/367)،وأبو داودفي كتاب المناسك باب زيارة القبور(1/622)برقم ( 2042)، وأبو يعلى الموصلي في مسنده (1/361) رقم ( 469)، وقال المحقق عبدالقادر الأرناؤوط في تخريج كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب طبع دار السلام الرياض 1413هـ (ص 90): وهوحديث صحيح بشواهده وطرقه حسنة 0

[2] يقال إنه أحد أنبياء بني إسرائيل الذين أسرهم بختنصر وسار بهم إلى بابل وأنه مات ببلد السوس، انظر البداية والنهاية (2/ 325) وانظر خبره (2/ 40-42) 0

[3] تَستُر :هي أعظم مدينة بخوزستان من بلاد العجم.انظر معجم البلدان لياقوت الحموي ( 2/29 ).

رجلاً يعظِّمه أهل البلد، ويستنـــزلون به الغيث، ويتوســلون به إلى ربهم،ويذكرون أنه النبي دانيال أحد أنبياء بـني إسـرائيل الـذين أُتيَ بهم إلى هـــذه الجهة أيـــام بختنصر، فخشي أن يبقى بين النـــاس فيفتتنون به، ويغلُـون فيه، فعمل على إخفائه، وإبعـاده عن متنـاول الناس،وطمس قبره؛حتى لا يعرفه أحد أبداً، ولم يشفع كونه نبياً أو صالحاً أن يبرزه أو يميِّز قبره.

قال الإمام ابن كثير-رحمه الله تعالى- في تاريخه:(وقال يونس بن بكيرعن محمدبن إسحاق عن خالد بن دينار حـدثنا أبو العاليـة قـال: لما افتتحنا تَستُر وجدنا في بيت الهرمـزان سـريراً عليه رجل ميت عند رأسه مصـــحف، فأخـــذنا المصـــحف فحملنـــاه الى عمر بن الخطاب، فدعا له كعبـاً فنسـخه بالعربيـة، قـال: فأنا أول رجل من العرب قرأه،قرأته مثلما أقـرأ القـرآن هـذا، فقلت: لأبي العاليـة ما كان فيه؟ قال: سيركم وأمـركم ولحـون كلامكم وما هو كـائن بعـد، قلت: فما صـنعتم بالرجـل؟ قـال: حفرنا بالنهـار ثلاثة عشر قـبراً متفرقة، فلما كـان الليل دفنـاه وسوَّينا القبـور كلهـا، لتعميته على الناس فلا ينبشونه قلت: فما يرجون منه؟ قـال: كـانت السـماء اذا حبست عنهم بـرزوا بسـريره فيمطـرون، قلت: مَن كنتم تظنـون الرجـل؟ قـال: رجل يقـال له دانيـال، قلت: منذ كم وجـدتموه قد مات؟ قال: منذ ثلاثمائة سنة، قلت ما تغير منه شـيء؟ قـال: لا، إلا شـعرات من قفـاه، إن لحـوم الأنبيـاء لا تبليها الأرض، ولا تأكلها السباع. وهذا إسناد صحيح إلى أبي العالية)[1].

قلت: قد يطعن البعض في هـذه الرواية لقوله فيها: (منذ ثلاثمائة سنة)؛ إذ من المعلوم أن آخر رسل وأنبياء بـني إسـرائيل هو عيسى عليه السـلام، وأنه لا نبي بينه وبين نبينا محمد ،وأنه من المتفق عليه أن ما بين عيسى ومحمد عليهما الصـلاة والسـلام أكـثر من ثلاثمائة سنة بكـثي ر، وكـان ابن كثـير قد أجـاب عن هـذا الإشـكال فقال:(ولكن إن كان تاريخ وفاته محفوظـاً من ثلاثمائة سـنة فليس بنبي بل هو رجل صالح لأن عيسى بن مريم ليس بينه وبين رسـول الله  نـبي بنص الحـديث الـذي في البخـاري[2] والفـترة الـتي كـانت بينهما أربعمائة سنة، وقيل سـتمائة،وقيل سـتمائة وعشـرون سـنة، وقد يكـون تـاريخ وفاته من ثمانمائة سـنة، وهو قـريب من وقت دانيـال، إن كـان كونه دانيـال هو المطـابق لما في نفس الأمر،فإنه

---

[1] ? البداية والنهاية (2/40) 0

[2] البخاري مع الفتح (6/477-478) كتاب الأنبياء باب قول الله:  واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها  ولفظه : (أنا أولى الناس بابن مريم، والأنبياء أولاد علات ليس بيني وبينه نبي ) من حديث أبي هريرة .

قد يكــون رجلاً آخر، إما من الأنبيــاء، أو الصــالحين،ولكن قــربت الظنون أنه دانيـال؛ لأن دانيـال كـان قد أخـذه ملك الفـرس فأقـام عنده مسجوناً كما تقدم) [1]. قلت: كيفما كان الأمر فموضع الشـاهد محفـوظ لنا وهو أن الصـحابة منهجهم الـذي تلقَّوه من النـبي  هو طمس القبــور، وإخفاؤها ســواء كــانت لأنبيــاء أو صــالحين أو غــيرهم،بل كلما كـان العبد ذا منزلة أعظم كـانت عنايتهم بإخفـاء قبره أكبر لأن خوف الفتنة حينئذ أشد.

**<u>المطلب الثالث</u>:كيف تصرَّف التابعون حين اضطروا إلى توسـعة المسـجد ليشـمل الحجـرة النبوية موضع القـبر الشريف في خلافة الوليد بن عبدالملك؟!**

كان الوليد بن عبد الملك [2] من أشهر خلفاء بني أُميَّة، وهو أكثرهم عنايةً بالبناء والعمران حتى لقب مهندس بني أميَّة[3]، وكان بين بـني أمية وآل علي بن أبي طـالب عــداء تــاريخي كما هو معلــوم، فلا يرضى خلفاء بني أمية أن يتميز عنهم آل علي بـأي فضـيلة، وكـان بيت فاطمة رضي الله عنها ضمن أبيـات النـبي  الواقعة على الحد الشـرقي للمسـجد النبـوي على صـاحبه أفضل الصـلاة والسـلام، فتــوافقت رغبة الوليد في بنــاء المســجد، وتشــييده بما يليق به وبعظمة الخلافة في عهـده مع الرغبة في إلغـاء تلك المـيزة الـتي يتميز بها بنو علي بسـكناهم في بيت فاطمة رضي الله عنها جـوار المسجد، وبين أبيات النبي ،فصمم على تنفيذ ذلك المشــروع وهو توسعة المسجد من جوانبه الأربعة،وإدخـال حجر أمهـات المؤمـنين وحجرة فاطمة وحجرة عائشة رضي الله عنهن جميعاً في المسجد إضافة إلى أن بعض المؤرخين قد ذكـروا أن بعض جـدران الحجـرة قد بــدأ فيه الخلل نتيجة القِــدَم[4]، وعنــدما وصل خطابه بــذلك إلى واليه على المدينة عمر بن عبد العزيز جمع الفقهــــاء العشــــرة[5]

---

[1] البداية والنهاية (2/ 40- 41) 0

[2] ولي الخلافة سنة (86 هـ) وتوفي سنة (96هـ) 0

[3] ? الشامل في تاريخ المدينة (1/396) للدكتور عبد الباسط بدر الطبعة الأولى ( 1414هـ -1993 م ) .

[4] انظر لهذه المبررات كلها المرجع السابق ( 1/395- 396 ) .

[5] 5 وهم : سعيد بن المسيب (ت93هـ) وعبيدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود (ت94هـ) وعروة بن الزبيربن العوام (ت94هـ)، والقاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق (ت106هـ)، وأبـوبكر بن عبـدالرحمن بن الحـارث بن هشـام المخـزومي (ت94هـ)، وسليمان بن يسار مولى ميمونة رضي الله عنها (ت100هــ)، وخارجة بن زيد بن ثابت الأنصاري (ت100هـ). هـؤلاء هم الفقهـاء السـبعة يجمعهم

ووجـوه النـاس،وأخـبرهم بما أمر به الوليد فـأنكروا ذلك، وكرهـوه، ورأوا أن بقـاء بيـوت النـبي  على حالها أدعى للعـبرة، والاتعـاظ، فكتب عمر بن عبد العزيز للوليد فرد بإنفـاذ الأمر وعـزم على عمر بذلك فنفذ ما أمر به[1]، وعـارض في ذلك سـعيد بن المسـيب، قـال ابن كثـير-رحمه الله-:(كأنه خشــيَ أن يُتَّخذَ القــبر مســجداً والله أعلم)[2].

وأصرحُ من ذلك ما نقله السمهودي عن عروة بن الزبير أنه قـال: (نازلت عمر بن عبد العزيز في قـبر النـبي  ألا يجعل في المسـجد أشد المنازلة فأبى وقال: كتاب أمير المؤمنين لابد من إنفاذه، قـال قلت: فإن كان ولابد فاجعلوا له حوجواً – قال السمهودي: (أي وهو الموضع المزور خلف الحجرة)[3].

قلت: وهذا العمل الذي أشار به عروة - رحمه الله- هو الذي ذكره الإمـام النـووي -رحمه الله – حيث قـال:(ولما احتـاجت الصـحابة [4] رضـــوان الله عليهــم أجمعين والتـابعون إلى الزيـادة في مسـجد رسول الله  حين كـثر المسـلمون وامتـدت الزيـادة إلى أن دخلت بيــوت أمهــات المؤمــنين فيه ومنها حجــرة عائشة رضي الله عنها مدفن رسـول الله  وصـاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما بنـوا على القبر حيـطاناً مرتفعة مستديرة حولـه،لئلا يظهر في المسـجد

---

هذان البيتان :=

إذا قيل من في العلم ســبعة أبـــحرٍ      روايتهم ليست عن العلم خـــارجة

فــقل هم عبيدالله عروة قاسـم      سعيد أبوبكـــر سليمان خارجـــة

ولعل تكملة العشرة هم:سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب (ت106هـ)، وأبو سـلمة بن عبـدالرحمن بن عـوف (ت104هــ) ، وأبـان بن عثمـان (ت 105هـ) .وانظـر:سـير أعلام النبلاء (4/354)، و الفكر السـامي في تـاريخ الفقه الإسـلامي (1/291-294).للشـيخ محمد الحسـين الحجـوي الثعلـبي الفاسي طبع المكتبة العلمية بالمدينة المنورة ( 1397هـ- 1997 م )0

[1] البداية والنهاية (9/74) 0

5[2] المرجع السابق (9/75) 0

[3] وفاء الوفاء (2/548) .

[4] الصحيح أن ذلك في عهد كبار التـابعين أما الصـحابة فلم يبق بالمدينة أحد منهم آنــذاك إلا على قــول في كل من الســائب ابن يزيد وســهل بن ســعد ولكن ابن عبدالهادي جزم أنه لم يوجد حينذاك أحد بها من الصحابة . انظر: الصـارم المنكي في الرد على السبكي للشيخ محمد أحمد بن عبد الهادي تحقيق الشــيخ عقيل بن محمد المقطـــري طبع مؤسسة الريـــاض بـــيروت الطبعة الأولى ( 1414هـ- 1992م ) ص ( 303 ) ، وفتح المغيث شرح ألفية الحديث ( 3/116) للشيخ محمد بن عبد الرحمن السخاوي تخريج وتعليق الشيخ صلاح محمد عويضة طبع دار الكتب العلمية ببيروت الطبعة الأولى ( 1414هـ- 1993 م ) .

فيصلي إليه العوام ويؤدي إلى المحذور، ثم بنوا جـدارين من ركـني القــبر الشــماليين وحرفوهما حــتى التقيا، حــتى لا يتمكن أحد من استقبال القبر. ولهذا قال في الحديث: ((ولولا ذلك أبرز قـبره غـير أنه خشي أن يتخذ مسجداً ))[1] والله أعلم بالصواب)[2].

هذا ما فعله أهل العلم وأولو الأمر عندما اضطروا إلى ذلك سـترًا للقبر ستراً كاملاً،فلا يُنظر، ولا يتمكن أحد من الصلاة إليه، وما ذاك إلا أنهم فهموا الأحاديث الناهية عن الصلاة على القبــور وإليها،وعن اتخـاذ القبـور مسـاجد،وفهمـوا العلة في ذلك النهي، فعملـوا على إزالة تلك العلة وفي هــذا أبلغ رد على شــبهة القبــوريين الــذين يحتجون بأن قبر النبي  في مسجده[3].

**المطلب الرابع هدْيُ الإسلام في زيارة القبور:**

كما هو الشأن في سـائر شـرائع الإسـلام أنها تكـون في غاية من الاعتدال والسماحة، وصادرة عن حكمة بالغة تضــمن لمن عمل بها على بصيرة: الفوز، والنجاح، والسعادة، دون أن يتعرض بسببها لأي نوع من أنواع الضلال والشقاء في الدنيا والآخرة.

كذلك كانت شرعية زيـارة القبـور في الإسـلام حينما كـان النـاس حدثاء عهد بالكفر والشرك وعبـادة غـير الله نهـاهم الرسـول  عن الزيارة، حـتى يكـون هنـاك بـرزخ فاصل بين العهـدين عهد الشـرك وعهد التوحيد، وعهد الجاهلية وعهد الإســلام حــتى يــذهب ما في النفــوس من الالتفــات إلى الأرض وما عليها مما يقدِّسه النــاس، وعهد السموّ الروحي والصـفاء القلـبي والـذهني الـذي لا يبقى معه التفات إلى غير الله .

[1] تقدّم تخريجة ص ( 17 )

[2] شرح مسلم (5/12-13) .

[3] انظر ذلك وأضف إليه ما سبق نقله عن النووي وابن حجر من شرحهما لحديث موسى عليه السلام حيث صرحا بأنه قصد إخفاء قبره خشية الفتنة على قومه، ثم انظر إلى معاكسة القبورية لذلك حيث يقول أحد مؤلفيهم المعاصرين : (... ومع ذلك فإن النبي في حادثة الإسراء والمعراج قد عرفهم ووصف لهم قبر موسى  وقال : ((لو كنت هناك لأريتكم إياه )).هو بنفسة عليه الصلاة والسلام يتولى تعريفهم بهذا الموطن المبارك من أجل ماذا ؟!! من أجل إقامة الصلات والروابط بين المؤمنين وأنبيائهم وصلحائهم وأوليائهم بالتأدب معهم وسلوك طريقتهم وزيارتهم في حياتهم وبعد مماتهم ، وهومقصد سامي سعت إليه شريعتنا له أثر بيِّن على القلوب ، فالمرء يوم القيامة مع من أحب ، ولاينبغي أن يصرف ولاؤنا إلى غير هؤلاء القوم الذين اصطفاهم بارئهم ، ومن بين خلقه اجتباهم ) .انظر الدر المنضود في أخبار قبر وزيارة النبي هود، لفهمي بن علي بن عبيدون التريمي الحضرمي، دار الفقيه للنشر والتوزيع الطبعة الأولى 1419هـ .

وفعلاً حينما حصل ذلك؛خاطب النبي  أمته قائلاً:((**كنت نهيتكم عن زيـارة القبـور فزوروها**))[1] ((**فإنها تـذكر الموت**))،وفي رواية: ((**فـــإن في زيارتها تـــذكرة**))، وفي أخـــرى: **((فإنها تذكر الآخـــرة))** [2]، وفي ثالثة:**((فزوروها ولـــتزدكم زيارتها خيراً))**[3]،وفي روايـة رابعـة:**((فإن فيـها عبرة))** [4]، ومن حديث أنس :**((ثم بـدا لي أنها تُـرقّ القلب وتُـدمع العين وتُـذكر الآخرة فزوروها ولا تقولوا هُجراً))**[5].

وبهذا يشـرع لنا الرسـول الله  زيـارة القبـور مع بيـان العلة فيها وهي تذكرة الموت، والدار الآخـرة، وتزهِّد في الـدنيا، وتـرق القلب وتــدمع العين، وينبغي أن يحــرص الزائر أن تزيــده زيارته للمقــابر خيراً، وهذا كله فيما يخص الزائر.

أما الأموات فإن لهم فيها نصيباً أيضاً حيث كان  إذا زارهم يـدعو ويسـتغفر لهم، كما روى مسـلم من حـديث عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله : **(كلما كـان ليلتها من رسـول الله  يخـرج من آخر الليل إلى البقيع فيقـول: السـلام عليكم دار قوم مؤمنين وأتاكم ما توعدون غداً مؤجَّلون وإنا إن شـاء الله بكم للاحقـون اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد))**[6]،وعنها رضي الله عنها أنها سـألته إذا هي زارت القبـور ما تقـول: قـال:**((قــولي السـلام على أهل الــديار من المؤمــنين**

---

[1]رواه مسلم في كتاب الجنائز باب استئذان النبي  ربه في زيارة قبر أمه من حديث أبي هريرة وانظرلشرح النووي (7/46).

[2] انظر تخريجها في المرجع السابق (7/46) .

[3]رواه الترمذي في كتاب الجنائز باب ماجاء في الرخصة في زيارة القبور من حديث بريدة وقال :وفي الباب عن أبي سعيد وابن مسعود وأنس وأبي هريرة وأم سلمة (3/361) ، وصححه الشيخ الألباني في صحيحه (1/ 307-308) ،والنسائي في كتاب الضحايا باب الإذن في أكل لحوم الأضاحي بعد ثلاثة أيام من حديث بريدة واللفظ له(7/234)وصححه الشيخ الألباني في صحيحه ( 3/923 ) طبع مكتب التربية العربي لدول الخليج الرياض ط الأولى (1409-1988)،ورواه ابن ماجه كتاب الجنائز باب ماجاء في زيارة القبور من حديث أبي هريرة (1/500) ، وصححه الشيخ الألباني في صحيحه (1/262).

[4] رواه أحمد (3/38)من حـديث أبي سـعيد الخـدري وقـال الأرنـاؤوط في تحقيقه للمسند ( 17/429 ) : حديث صحيح ، طبع مؤسسة الرسـالة بـيروت ط الأولى ( 1419هـ -1998 م ).

[5] رواه أحمد من حديث أنس (3/237،250)،وصححه بطرقه وشواهده الأرناؤوط في تحقيقه (21/223)، وكذا روى نحوه الحاكم (1/376) والبيهقي في السـنن ( 4/77).

[6] مسـلم مع النـووي (7/40-41) كتـاب الجنـائز بـاب مايقـال عند زيـارة القبـور والدعاء لأهلها .

**والمسلمين ويرحم الله المسـتقدمين منا والمسـتأخرين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون))** [1].

ففي هـذه الأحـاديث بيـان أن من مقاصد الزيـارة وعللها السـلام على الأموات والدعاء والاستغفار لهم، قال الإمام الصنعاني -رحمه الله- في"سبل السلام "بعدما شرح أحاديث الإذن بالزيارة: (والكل دالّ على مشروعية زيارة القبور وبيان الحكمة فيها وأنها للاعتبار... فإذا خلت من هذه لم تكن مرادة شرعاً)[2].

فهذه هي زيارة القبور عند أهل السنة كما علّمهم إيّاها رسول الله ﷺ فمن أتى بها على هـذا الوجه ولهـذه الغاية ظفر بـالأجر والفائـدة المترتبة عليهـا،ومن زارها لغـير ذلك فهي ردٌّ عليه0 ثم إنها إما أن تكـــون بدعية، وإما أن تكـــون شـــركية بحسب ما يحصل فيها من أعمال ويقارنها من اعتقاد وقصد.

**ذلك هو هدي الإسلام في زيارة القبور**، وتلك هي أهـداف وغايـات الزيـارة واضـحة ناصـعة بعيـدة عن كل ذريعة تـؤدي إلى الشرك بأربابها والغلـوّ في أصـحابها،وقد جـاءت بعض القيـود الـتي تسد الثغرات الموصلة إلى ذلك:

**القيد الأول**: **ألا تتخذ أعيــاداً: قــال ﷺ: (لاتجعلــوا بيــوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبري عيداً،وصـلوا عليّ، فـإن صـلاتكم تبلغني حيث كنتم)**[3]،وقد سبق كلام العلمـاء عليه ونص المنـاوي على أن من ذلك: (اجتماع العامة في بعض أضرحة الأولياء في يوم أو أشـــهر مخصـــوص من الســـنة) ودعا ولاة الأمر إلى إنكــار ذلك عليهم[4].

ونفهم من هـذا أنه ليس من هـدي الإسـلام تعـيين يـوم معين من ســنة،أو شــهر، أو أســبوع، يخصص لزيــارة القبــور كما هو شــأن القبورية.

**القيد الثـاني:** ألا تُشَـدّ إليها الرحـال، فعن أبي سـعيد الخـدري ﷺ قـــال:قـــال رســـول الله ﷺ: **((ولا تشد الرحـــال إلا إلى ثلاثة مسـاجد: مسـجد الحـرام ومسـجد الأقصى ومسـجدي))**[5]،

---

[1] المصدر السابق (7/44) .

[2] سبل السلام شرح بلوغ المـرام للإمـام محمد بن اسـماعيل الأمـير الصـنعاني (2/230-231) طبع دار الكتاب العربي ط الثانية (1406هـ -1986) .

[3] ? تقدم تخريجه(ص13).

[4] انظر كلامه رحمه الله (ص13).

[5] رواه البخاري عن أبي سعيد الخدري وانظر الفتح(3/70) كتاب فضل الصلاة في مسـجد مكة والمدينة بـاب مسـجد بيت المقـدس واللفظ لـه، ومسـلم نحـوه في كتــاب الحج بــاب ســفر المــرأة مع محــرم إلى حج وغــيره (9/104-106) مع

وروى الإمام أحمد -رحمه الله تعالى - في مسنده عن عبـدالرحمن بن هشام بن الحارث أنه قـال:(لقي أبو بصـرة الغفـاري أبا هريـرة وهو جاءٍ من الطور فقال: من أين أقبلت؟ فقال: من الطور صليت فيــه، قـــال: أما لو أدركتك قبل أن ترحل ما رحلت إني ســـمعت رسول الله  يقـول: ((**لا تشد الرحـال إلا إلى ثلاثة مسـاجد: المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى**))[1].

فهذا النهي عن شد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة مقصود به أن يشد رحله مسافراً إلى مكان بعينه لعبادة الله تعـالى فيـه، هـذا هو الظاهر المتبادر إلى الذهن وهو الذي فهمه ذلك الصحابي أبو بصرة الغفاري، واحتج به على أبي هريرة ،وسـكت أبو هريرة  فلم يـرد عليه وهـــذا دليل التســـليم لما رُوي ولِمَا أُخذ واســـتُنبط من تلك الرواية؛فـإن قـال قائـل: إن أبا هريـرة  قد روى ذلك الحـديث كما في الصحيحين [2]، قيل لــه: إن هـذا مما يؤكد قبـول أبي هريـرة لِمَا أتاه به أبو بصـرة رضي الله عنهمـا،ومن المعلـوم أن أبا هريـرة لم ينقل أنه سمع ذلك الحديث من رسول الله ،فالغالب أنه يرويه عن أبي بصرة،ولم يثبت عن أبي هريــرة أي رد لما جـاء به أبو بصرة لا في الصحيحين ولا في مسند أحمد؛ حيث جاءت القصة كاملة،وهـذا يؤكد ذلك القبول والرجوع من أبي هريرة لما جـاء به أبوبصرة، كما فهم ذلك أيضـاً أبو سـعيد الخـدري راوي الحـديث،فقد روى أحمد في مســنده أن شــهر ابن حوشب قـال:لقينا أبا سـعيد ونحن نريد الطور، فقال سمعت رسول  يقول: ((**لا تُعمَل المطي إلا إلى ثلاثة مساجد...**)) الحديث[3].

---

النووي .

[1] رواه مالك في الموطأ تحقيق محمد فــؤاد عبد البــاقي طبع دار إحيــاء الــتراث العربي بدون تاريخ (1/108-109) في كتاب الجمعة باب ماجاء في الساعة الـتي في يـوم الجمعـة، وأحمد في المسـند (6/7) وصـححه الشـيخ الألبـاني في إرواء الغليل في ســياق تخريجه لحــديث أبي هريــرة بــرقم (970) وانظر (4/141-143)من الإرواء وأبو بصرة هو حُمَيْل (مثل حُمَيْدلكن آخره لام وقيل بـالجيم ) بن بصرة ابن وقاص الغفاري، صحابي سكن مصر ومات بها.

[2] البخاري مع الفتح (3/63) كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة ،ومســلم كتاب الحج باب فضل المساجد الثلاثة (9/167- 168) مع النووي .

[3] رواه أحمد في المسند( 3/93)وقال الإرناؤوط في تحقيقه :صحيح وقدرواه أحمد من غير طريق شهر مما يـدل على أن شـهر حفظ هـذا الحـديث وانظر (17/91) من تحقيق المسـند(وشـهر هو بن حوشب الأشـعري الشـامي مـولى أسـماء بنت يزيد بن = = السـكن) قـال عنه الحافظ في تقــريب التهــذيب تحقيق أبي الأشــبال ص ( 441 ) : صـــدوق ، كثـــير الإرســـال والأوهـــام، من الثالثة (ت 112هـ)طبع دار العاصمة بالرياض ط الأولى (1416هـ ) .

وكذلك فهمه عبدالله بن عمر؛ فعن قزعة  قال: سألت ابن عمر  آتي الطور؟ فقـال: (دع الطـور ولا تأتها وقـال:لا تشد الرحـال إلا إلى ثلاثة مساجد) [1]،وعلى ذلك درج الصحابة والتابعون وتابعوهم لم يثبت أن أحداً منهم سافر إلى قـبر، أو مشـهد لمجـرد الزيـارة،ولم يصرح أحد منهم باستحباب ذلك العمل.

وأما الفقهاء المتأخرون فقد اختلفوا في ذلك ونقل خلافهم الإمام النووي [2]، وشـيخ الإسـلام ابن تيمية [3]،والحافظ ابن حجر [4] - رحمهم الله-،وقد بحث هذه المسألة بحثـاً مستفيضـاً العلامة صـديق حسن خـان -رحمه اللـه- في شـرحه لمختصر مسـلم المسـمى (السـراج الوهاج من كشف مطالب صحيح مسلم ابن الحجاج) وقد اسـتغرق بحثه أربعاً وثلاثين صفحة من الحجم الكبير (من ص84ـ 117) من الجـــزء الخـــامس من طبعة قطـــر؛وبعد إيـــراد مختلف الأقـــوال ومناقشـــتها قـــال: (وأما الســـفر لغـــير زيـــارة القبـــور كما تقـــدم نظائره،فقد ثبت بأدلة صحيحة ووقع في عصره  وقرره النبي عليه السـلام فلا سـبيل إلى المنع منه والنهي عنـه، بخلاف السـفر إلى زيارة القبور فإنه لم يقع في زمنه، ولم يقر أحداً من أصـحابه، ولم يشر في حديث واحد إلى فعله واختياره ولم يشـرعه لأحد من أمته لا قـــولاً ولا فعـــلاً...) إلى أن قـال:(وحاصل الكلام وجملة المـرام في هذا المقام أن مسألة السفر لزيـارة قـبر من القبـور " أي قـبر كان" أقل درجاتها أن تكون من المشتبهات والمؤمنون وقّافون عند الشبهات)[5].

---

1[1] رواه ابن أبي شيبة في مصـنفه( 2/374-375) في كتـاب الصـلوات بـاب في الصلاة في بيت المقدس ومسجد الكوفة، وصححه الألباني في أحكام الجنـائز ص (226) طبع المكتب الإسلامي بيروت ط الرابعة (1406هـ-1986م) وقال : رواه ابن أبي شيبة والأزرقي في أخبار مكة ص (304) ،وقزعة هو ابن يحـيى البصـري قال عنه الحافظ في التقريب :ص (801) ثقة من الثالثة.

[2] صحيح مسلم (9/105-106) .

[3] اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (2/665-666).

[4] الفتح (3/64) .

[5] السراج الوهاج (5/116).

## بين يــدي هذا الفصل

إننا عنـدما نبحث عن القبورية في العـالم لسـنا مجـرد مـؤرخين، يطيب لهم أن يتعرفوا على أحداث ويصوروا مجتمعـات،ويصـفوا ما وصلوا إليه من أحوال العـالم لمجـرد السـرد التـاريخي،وإنما نبحث ذلك منطلقين من سنة كونية ثابتة أخبرنا عنها الرسـول ، وهي أن هذه الأمة سـتأخذ مأخذ الأمم السـابقة، وستسـلك سـبيلها في كل جوانب حياتها بما في ذلك الجوانب الاعتقادية والتعبدية والأخلاقية.

فإذا ثبت أن تلك الأمم عظّمت القبـور وآثـار الصـالحين وتـدرجت في ذلك حـتى عبـدت أولئك الصـالحين-في نظرهـا- فـإن من هـذه الأمة من سيفعل ذلك، وهذا ما أخبر عنه رسـول الله  وما يشـاهد على أرض الواقع.

فأما ما أخبر به النبي  ففيما رواه البخاري من حديث أبى هريـرة  قال: قال رسول الله : ((**لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمــتي مأخذ القرون قبلها شبراً بشبر وذراعاً بـذراع، فقيـل: يا رسـول الله كفـارس والـروم؟ فقـال ومَنْ النـاس إلا أولئك**)) [1].

وروى البخاري أيضـاً من حـديث أبي سـعيد الخـدري  قـال: قـال رسـول الله : ((**لتتبعن سـنن من كـان قبلكم شـبراً بشـبر وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب لـدخلتموه، قلنـا: يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمَنْ؟**)) [2].

وقد وقع ما أخبر به النبي  كاملاً 0 والذي يهمنا إثباته هو مشـابهة هـــــذه الأمة للأمم قبلها في قبــــوريتهم،وتعظيمهم للأنبيــــاء والصـالحين،وانتشـار عقائـدهم الباطلة لـدى كثـير منهم، وهـذا ما سوف نبيّنه في هذا الفصل إن شاء الله.

---

[1] البخاري كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب قول النبي  لتتبعن سنن من كان قبلكم الفتح( 13/ 300 ) .

[2] المصدر السابق ( 13/ 300 ) .

# الفصل الأول
# نشأة القبورية في العالم
# وفيه أربعة مباحث:
## المبحث الأول
## نشأة القبورية في العالم بأسره
## وفيه مطلبان:

**<u>المطلب الأول</u>: إثبات أن البشرية كـانت على التوحيد قبل طروء الشرك.**

من المعلـوم المتفق عليه أن الله تعـالى خلق الخلق جميعـاً على فطرة التوحيد،فآدم عليه السلام هو الذي خلقه الله بيــده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وأسكنه جنتــه، وجــرى له في الجنة ما جــرى، ولم يكن من ذلك شــيء يخــالف التوحيد أو يقــدح فيــه،ثم أهبطه إلى الأرض نبياً كريماً ورسولاً مرشداً إلى ذريته،و هو قــول جمع من العلماء.

وعلى تعـاليم رسـالة آدم نشأ بنـوه وعلى نهجه سـاروا، حـتى لقد صرح عكرمة  بأنهم داموا على ذلك عشــرة قــرون، [1] وهـذا الـذي ذكرناه من نشأة البشرية على التوحيد هو ما قرره القرآن وشهدت به السنة المطهرة.

أما القرآن ففي قول الله تعالى: **فأقم وجهك للدين حنيفــاً فطرت الله الـتي فطر النـاس عليها لا تبـديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون**  [2].

ففي الآية الكريمة أن الدين الـذي أمر الله رسـوله أن يقيم وجهه عليه هو فطــرة الله الــتي فطر النــاس عليها ثم أكّد ذلك بقوله  **ذلك الدين القيم**  فالدين الحنيف والـدين القيم هو التوحيد وهو الذي فطر الله الناس عليه.

قـال ابن كثـير - رحمه الله -: (فإنه تعـالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده وأنه لا إله غيره) [3].

---

1 تفسير الطبري ( 29 /62 ) .
2 الروم ( 30) .
3 تفسير ابن كثير ، طبعة دار الشعب ( 6 / 320 ) .

وقد أكدت ذلك السنة وفصَّلته وذلك فيما رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة  قال: قال رسول الله : ((**كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كمثل البهيمة تنتج البهيمة، هل ترون فيها من جدعاء**؟[1])) [2] **ثم يقول أبو هريرة:** (**واقرأوا إن شئتم  فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله** [3]).

قال ابن حجر - رحمه الله - في شرح هذا الحديث: (وأجمع أهل العلم بالتأويل على أن المراد بقوله تعالى:  **فطرت الله التي فطر الناس عليها**  الإسلام واحتجوا بقول أبي هريرة  وبحديث عياض بن حمار عن النبي  فيما يرويه عن ربه:((**وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، فاجتالتهم الشياطين عن دينهم**))[4] الحديث وقد رواه غيره فزاد فيه **((حنفاء مسلمين))** ورجحه بعض المتأخرين بقوله تعالى:  فطرت الله  لأنها إضافة مدح وقد أمر نبيه بلزومها فعلم أنها الإسلام) [5].

ونكتفي بهذه النصوص الواضحة الصريحة التي لاخلاف على معناها، لإثبات أن البشرية كانت على التوحيد قبل طروء الشرك عليها.

**<u>المطلب الثاني:</u> إثبات أن أول شرك حصل في العالم كان بسبب الغلو في الصالحين:**

كانت عداوة إبليس لآدم قديمة منذ أن أمره الله بالسجود له،فأبى فلعنه الله وطرده بسبب ذلك، ومنذ ذلك الحين أخذ على نفسه: أن يعمل على كل ما فيه الإساءة إليه وإلى جلب سخط الله عليه، وكان أول عمل عمله إغراؤه بالأكل من الشجرة،ذلك العمل الذي كان سبباً لإخراجه من الجنة وإهباطه إلى الأرض هو وإبليس معاً، ولم يكتفِ إبليس بعداوة آدم وحده بل ضمّ إلى ذلك عداوة ذريته وأعلنها صريحة بأنه لن يدخر جهداً لإغوائهم وصدّهم عن السبيل،والعمل على جعل مصيرهم مقترناً بمصيره هو إلى نار جهنم  **قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم، ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن**

---

[1] أي مقطوعة الأنف أو الأذن أو الشفة القاموس المحيط ص ( 914 ) 0

[2] البخاري كتاب الجنائز باب ما قيل في أولاد المشركين الفتح ( 3/245-246 ) ، ومسلم كتاب القدر باب معنى كل مولود يولد على الفطرة ( 4/2047 ) .0

[3] الروم (30 ) 0

[4] سيأتي تخريجه في الصفحة القادمة0

[5] فتح الباري ( 3/248 ) .

**أيمـانهم وعن شـمائلهم ولا تجد أكـثرهم شـاكرين، قـال اخـــرج منها مـــذءوماً مـــدحوراً** لمن تبعك **منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين**  ،[1]  **قـــــال فبعزتك لأغـــــوينهم أجمعين، إلاّ عبادك منهم المخلصين، قـال فـالحق والحق أقـول، لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين** [2].

وقد حـذر الله عبـاده المؤمـنين وجميع بـني آدم من تلك العـداوة وخطورتها، وخطورة الهدف الـذي يسـعى إبليس لتحقيقه من خلال عداوته لهم، فقـال سـبحانه وتعـالى:  **إن الشـيطان لكم عـدو فاتخــذوه عــدواً إنما يــدعوا حزبه ليكونــوا من أصــحاب السعير**  [3] وقال:  **ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مـبين، وأن اعبـدوني هـذا صـراط مســـتقيم، ولقد أضل منكم جبلاً كثـــيراً أفلم تكونـــوا تعقلون**  [4].

ولكن لأمـــرٍ أراده الله نسي بنو آدم تلك العـــداوة، وجهلـــوا ذلك التحـذير الـذي حـذرهم الله إيـاه ولم ينسَ هو ذلـك، بل عمل على جلب الأنصـار والجنـود من الإنس والجن، فسـلطهم على بـني آدم حين غفلـــوا عما أوصـــاهم به اللـــه، فـــأجلب عليهم هو وجنـــوده فاجتالوهم عن دينهم وأوقعـوهم في الشـرك، وهو ما رواه النـبي  عن ربه عز وجل كما في حـديث عيـاض بن حمـار المجاشـعي أن رسول الله  قال ذات يـوم في خطبته ((**ألا إن ربي أمـرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا، كلّ مال نحلته [5] عبداً حلال، وإني خلقت عبادي حنفـاء كلهم وإنهم أتتهم الشـــياطين فاجتـــالتهم [6]عن دينهم،وحـــرمت عليهم ما أحللت لهم،وأمـــرَتْهم أن يشـــركوا بي ما لم أنـــزل به سـلطاناً،وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عـربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب))** [7]

ولم يكن ذلك في عهد النبي  وإنما من فجر التاريخ قبل أن يبعث نـوح عليه السـلام، بل إن مبعث نـوح إنما كـان لإرجـاع النـاس إلى

---

[1] الأعراف (16-18 )0

[2] سورة ص (82-85)0

[3] فاطـر ( 6 ) .

[4] يس ( 60-62 ) .

[5] نحلته أعطيته النووي على مسلم ( 17/197 ) .

[6] اجتالتهم ( أي استخفوهم فذهبوا بهم وأزالوهم عما كانوا عليه وجالوا معهم في الباطن ) نفس المصدر ( 17/197 )

[7] مسلم مع الشرح ،كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار)( 17/197 )

الجـادة بعد ذلك الانحـراف الخطـير، وكـان البـاب الـذي دخل منه الشيطان إلى إغواء أولئك الناس:باب الغلو في الصـالحين، فكـانت أول أصـــنام عبـــدت على وجه الأرض هي صـــور وتماثيل لرجـــال صالحين أحبهم قومهم وغلَوا فيهم فصوّروهم، ثم تـدرج بهم الحـال حـتى عبـدوهم من دون الله تعـالى! ولما جـاءهم نـوح ينعى عليهم ذلك المســـلك الخـــاطىء، ويـــدعوهم إلى العـــودة إلى الصـــراط المستقيم أبوا وعاندوا وتواصوا بالصبر على تلك الآلهة والاسـتمرار على الإشـــراك بالله المتمثل في عبادتها من دون الله  **وقـــالوا لاتذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولاسواعاً ولا يغـوث ويعـوق ونسراً**  [1].

وهـذه كما هو واضح أسـماء بشر كـانوا صـالحين محبـوبين لـدى قومهم،حملهم ذلك على الغلو فيهم وإنزالهم فوق منزلتهم، وتطور الأمر حتى عبدوهم،كما ورد عن ابن عباس  في تفسـير هـذه الآية أنه قال: (أسماء رجـال صـالحين من قـوم نـوح، فلما هلكـوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسـون أنصاباً، وسـموها بأسـمائهم ففعلـوا فلم تعبـد، حـتى إذا هلك أولئك ونُسِخ العلم عبدت)[2]

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في شرح هـذا الحـديث: (وقصة الصالحين كانت مبتدأ عبـادة قـوم نـوح هـذه الأصـنام ثم تبعهم من بعـدهم على ذلـك) [3] وقد تواطأ المفسـرون عند تفسـير هـذه الآية على ذكر هذا الأثر وأثاراً أخرى كلها تؤدي نفس المعنى. [4]

وقد صرح القرطـبي - رحمه الله تعـالى -:بأنه من أجل أن عبـادة الأوثان ابتدأت بسـبب الغلو في الصـالحين حـذر النـبي  من اتخـاذ

---

[1] نوح ( 23 ) .

[2] البخاري والفتح (2/667)0

[3] الفتح ( 8/669 ) .

[4] انظر: تفسير الطبري ( 29/62 ) للإمـام الطـبري، معـالم التنزيل ( 8/ـ 232-233 ) للإمـام الحسـين بن مسـعود البغـوي تحقيق وتخـريج محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسـليمان مسـلم الحـرش طبع دار طيبة بالريـاض الطبعة الرابعة ( 1417هـ-1997م ) ، زاد المسـير ( 8/373 ) لأبي الفـرج ابن الجـوزي طبع المكتب الإســلامي بــيروت الطبعة الثالثة (1404هـ-1984م) والكشــاف ( 4/414 ) للشيخ محمود بن عمر الزمخشري طبع دار الكتاب العـربي ببـيروت ( 1407هــ- 1987م ) ،والمحــرر الوجـيز ( 15/122 ) لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي تحقيق الرحـالي الفـاروق وآخـرين ، الطبعة الأولى قطر سـنة ( 1401هـ-1981م ) . وتفســير القرطــبي ( 18/307-310 ) وتفســير القــرآن العظيم ( 8/262 ) لابن كثـير . الـدر المنثـور ( 8/293-295 ) لعبد الـرحمن بن أبى بكر السـيوطي ( دار الفكر – بـيروت ط الأولى سـنه 1403هــ- 1983م ) . وفتح القدير ( 5/300 ) للشوكاني 0

القبور مساجد ولعن من فعل ذلك، قال: (قلت:وبهذا المعنى فسِّر ماجاء في صحيح مسلم من حديث عائشة أن أم حبيبة وأم سلمه ذكرتا كنيسة رأتاها بالحبشة- تسمى مارية فيها تصاوير- لرسول الله  فقال رسول : ((**إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة**)) [1].

وقال ابن القيم - رحمه الله تعالى -: (وقال غير واحد من السلف: " كان هؤلاء قوماً صالحين في قوم نوح ، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم" فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين، فتنة القبور وفتنة التماثيل، وهما الفتنتان اللتان أشار إليهما رسول الله  في الحديث المتفق على صحته: عن عائشة - رضي الله عنها – ثم ذكر الحديث السابق في كلام القرطبي – ثم قال: " فجمع في هذا الحديث بين التماثيل والقبور "وهذا كان سبب عبادة اللات، فقد روى ابن جرير بإسناده عن سفيان عن منصور عن مجاهد:  **أفرأيتم اللات والعزى**  [2] قال:(كان يلت السويق فمات فعكفوا على قبره) [3]،وكذلك قال أبو الجوزاء عن ابن عباس رضي الله عنهما: (كان يلت السويق للحاج) [4] فقد رأيت أن سبب عبادة ودّ، ويغوث، ويعوق،ونسر، واللات، إنما كانت من تعظيم قبورهم ثم اتخذوا لها التماثيل وعبدوها، كما أشار إليه النبي  قال شيخنا [5]: وهذه العلة التي لأجلها نهى الشارع عن اتخاذ المساجد على القبور هي التي أوقعت كثيراً من الأمم إما في الشرك الأكبر،أو فيما دونه من الشرك،فإن النفوس قد أشركت بتماثيل القوم الصالحين، وتماثيل يزعمون أنها طلاسم الكواكب ونحو ذلك، فإن الشرك بقبر الرجل الذي يعتقد صلاحه أقرب إلى النفوس من الشرك بخشبةٍ أو حجر، ولهذا نجد أهل الشرك كثيراً يتضرعون عندها، ويخشعون ويخضعون، ويعبدونهم بقلوبهم عبادة لا يفعلونها في بيوت الله ولا وقت السحر، ومنهم من يسجد لها وأكثرهم يرجون من بركة الصلاة عندها والدعاء مالا يرجونه في المساجد فلأجل هذه المفسدة حسَم النبي  مادتها، حتى نهى عن الصلاة في المقبرة مطلقاً، وإن لم يقصد المصلي بركة البقعة بصلاته كما يقصد بصلاته بركة المساجد، كما نهى عن الصلاة وقت

---

1 الجامع لأحكام القرآن ( 18/ 308 ) ، والحديث تقدم تخريجه(ص 18 ).
2 سورة النجم آية ( 19 ).
3 سيأتي تخريج الأثرين لاحقاً .
4 سيأتي تخريجه (ص 64 ) .
5 هو شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله .

طلوع الشمس وغروبها؛ لأنها أوقات يقصد المشركون الصـلاة فيها للشـمس، فنهى أمته عن الصـلاة حينئـذ، وألا يقصد المصـلي ما قصده المشركون سداً للذريعة)[1].

وبهذه الآيات المحكمة والأحاديث الصحيحة الصريحة، وما علق به عليها أهل العلم؛ تعلم أن القبورية هي أسـاس الوثنيـة،وأن الوثنية هي الوعاء الذي أحتوى على الشرك بالله عز وجل وجسَّدَه.

---

[1] إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ( 1/184 ) لابن القيم .

## المبحث الثاني
## القبورية عند اليهود والنصارى:
## وفيه مطلبــان:

**<u>المطلب الأول</u>: القبوريـة عند اليهـود:**

لست بحاجة إلى الإطالة في إثبــات قبورية اليهــود، فقد أغنتننا الأحاديث المصـرحة بـذلك عن الصـادق المصـدوق  والمخرجة في الصـحيحين وغيرهمـا،ومنها حـديث أبي هريـرة  أن رسـول الله  قال: ((**قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيـائهم مسـاجد**)) [1] وحديث عائشة رضي الله عنها عن النبي  قال:**في مرضه الـذي مــات فيه** ((**لعن الله اليهــود والنصــارى اتخــذوا قبــور أنبيائهم مساجد**))[2].

فهـذان الحـديثان في الصـحيحين - وسـيأتي غيرهما في المطلب الثاني- قاطعان على قبورية اليهود، وأزيد أن اليهود ليسوا قبـوريين فقط ولكنهم أيضــاً ميــالون إلى عبــادة غــير الله بشــكل أوضح وأصـرح، كما نقل ذلك عنهم القـرآن وذلك في موضـعين من قصة موسى .

**الموضع الأول**: بعد نجاتهم من ملاحقة فرعـون وخـروجهم من البحر وإهلاك الله لعــــدوهم وهي نعم عظيمة تســــتوجب شــــكر مسديها وإفراده بالعبادة وعـدم الالتفـات إلى غـيره، لكن النفـوس الدنيئة لا تكون نظرتها إلا إلى الأسفل دائماً،لذلك عندما مـروا على القــوم المشــركين العــاكفين على أصــنامهم مــالت نفوســهم إلى تقليــدهم ومحاكــاتهم في ذلــك،قــال تعــالى:  **وجاوزنا ببــني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصـنام لهم قـالوا يا موسى اجعل لنا إلهـاً كما لهم آلهة قـال: إنكم قوم تجهلون. إن هؤلاء متـبر ما هم فيه وباطل ما كـانوا**

---

[1] ? أخرجه البخاري ( 1/532 ) مع الفتح كتاب الصلاة باب " حدثنا أبو اليمان " ، ومسلم (5/12) مع النووي كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب النهي عن بناء المساجد على القبور0

[2] تقدم تخريجه (ص 17 )0

**يعملـون. قـال أغـير الله أبغيكم إلهـاً وهو فضـلكم على العالمين** [1]
وهذا في غاية الصراحة فهم طلبوا من موسى أن يجعل لهم إلهـاً آخر كما أن أولئك لهم آلهة فهو طلب الشـرك والاسـتعداد النفسي له.
**الموضع الثـاني:** حينما ذهب موسى لميقـات ربه وتـركهم مع هارون فصنع لهم السامري العجل ودعاهم إلى عبادته، فبادروا إلى ذلك ولما يأبهوا لتحذير هارون من ذلك بل واجهـوه بـالتمرد وكـادوا يقتلونه حينما وقف في طـريقهم قـال تعـالى:  **وما أعجلك عن قومك يا موسى. قـال هم أولاء على أثـري وعجلت إليك ربِّ لترضى. قال فإنا قد فتنا قومك من بعـدك وأضـلهم السـامري. فرجع موسى إلى قومه غضـبان أسـفاً قـال ياقوم ألم يعدكم ربكم وعداً حسـناً أفطـال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فـــــــأخلفتم موعـــدي. قـــالوا ما أخلفنا موعـــدك بملكنا ولكنا حملنا أوزاراً من زينة القوم فقذفناها فكذلك ألقى السـامري. فأخرج لهم عجلاً جسداً له خوار فقـالوا هـذا إلهكم وإله موسى فنسي. أفلا يرون ألا يرجع إليهم قــولاً ولا يملك لهم ضــراً ولا نفعــاً. ولقد قــال لهم هــارون من قبل يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعـوا أمــري. قــالوا لن نــبرح عليه عــاكفين حــتى يرجع إلينا موسى**  [2].
وبهذا العرض اليسير تتضح قبورية اليهود وشركهم واتخاذهم الآلهة من دون الله.
**المطلب الثاني: القبورية عند النصـارى:**
الأمة النصــرانية أمة غالية فيمن تعظمه من الأنبيــاء والصــالحين ولقد حملهم ذلك على تأليه المســـيح وأمه وغيرهما من الأحبـــار والرهبان،وهـذا صـريحُ نصِّ القـرآن،حيث يقـول الله تعـالى فيهم:  **اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابــاً من دون الله والمســيح بن مريم وما أمـروا إلا ليعبـدوا إلهـاً واحـداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون** [3].
وقد أمر الله رســوله  أن يقيم عليهم الحجة ببطلان ما هم عليه من عبــادة غــير الله فقــال:  **قل أتعبدون من دون الله ما لا**

---
[1] 3 الأعراف ( 138-140 )0
[2] طه من ( 83 – 91 ) .
[3] التوبة ( 31 ) .

**يملك لكم ضـراً ولا نفعـاً والله هو السـميع العليم**  [1]، ثم أمره أن ينهاهم عن الغلو في الدين وتقليد سلفهم الغالين فيه؛ لأن الغلو هو سبب عبادتهم لغير الله فقـال:  **قل يا أهل الكتـاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلّوا عن سـواء السـبيل**  [2]، فمن غلــوِّهم أنهم اتخــذوا المســيح وأمه إلهين من دون اللــه،واتخــذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دونه وتلك العلـة- الـتي هي الغلو -هي العلة المشتركة بين جميع المشركين.

ومن الغلو كذلك اتخاذهم قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد كما في حـديث عائشة رضي الله عنها أن أم حبيبة وأم سـلمه ذكرتا كنيسة رأتاها بالحبشة فيها تصاوير فذكرتا ذلك للنبي  فقال: ((**إن أولئك إذا كــان فيهم الرجل الصــالح فمــات بنــوا على قــبره مسـجداً وصـوروا فيه تلك الصـور، فأولئـكِ شـرار الخلق عند الله يوم القيامه**)) [3]

وهــذه الكنيسة الــتي رأتها أم حبيبة وأم ســلمه هي قطعــاً كنيسة نصارى فهذا إثبات قاطع لقبـوريتهم وقد حـذر النـبي  من الاقتـداء بهم في ذلك كما في حديث عائشة وعبدالله بن عباس  قالا: (**لما نُــزِل برسـول الله  طفق يطــرح خميصة له على وجهه فإذا اغتم كشفها عن وجهه فقال وهو كذلك:** ((**لعنة الله على اليهود والنصـارى اتخـذوا قبـور أنبيـائهم مسـاجد**)) **يحذر ما صنعوا**) [4].

وقد بيّن ابن كثــير رحمه الله في تاريخــه: أن تلك القبورية عند النصارى 0إنما حدثت فيهم بعد أن حرفـوا دينهم، وقـالوا بـالتثليث، قال رحمه الله تعالى: (ثم بعد المسـيح بثلاثمائة سـنة؛حـدثت فيهم الطامة العظمى، والبليّة الكــبرى، واختلف البتاركة [5] الأربعة وجميع الاســاقفة [6] والقساوسة [7] والشماسة [8] والرَهَــابين [9] في المســيح على أقوال متعـددة لا تنحصر ولا تنضـبط، واجتمعـوا وتحـاكموا إلى

---

[1] المائدة ( 76 ) .

[2] المائدة ( 77 ) .

[3] تقدم تخريجه ( 18 ).

[4] تقدم تخريجه ( 18 ) .

[5] ويقال البطارقة جمع بطريق وهو رئيس رؤساء الأساقفة انظر : المعجم الوسيط ( 1/61 ) .

[6] جمع أسقف وهو رئيس من رؤساء النصارى فوق القسيس ودون المطران ، المصدر السابق ( 1/ 436 ) .

[7] جمع قس وهو رئيس من رؤساء النصارى بين الأسقف والشماس ، المصدر السابق ( 2/734 ) .

الملك قسـطنطين بـاني القسـطنطينية، وهو المجمع الأول فصـار الملك إلى قــول أكــثر فرقة اتفقت على قــول من تلك المقــالات فسموا "الملائكـة"، ودحَضَ من عـداهم وأبعـدهم، وتفـردتْ الفرقة التابعة لعبدالله بن أديــوس الــذي اثبت أن عيسى عبد من عبـــاد الله،ورسول من رسله، فسكنوا البراري، والبوادي، وبنـوا الصـوامع [1]،والديارات [2]،

والقلايـات [3]،وقنعــوا بــالعيش الزهيــد، ولم يخــالطوا أولئك الملل والنحـل، وبنت الملائكة [4] الكنـائس الهائلـة، عمـدوا إلى ماكـان من بناء اليونـان فحولـوا محاريبها إلى الشـرق وقد كـانت إلى الشـمال إلى الجدي[5]) [6].

ثم قــال: رحمه الله تحت عنــوان " بنــاء بيت لحم والقمامة [7] " (وبـنى الملك قسـطنطين بيت لحم على محل مولد المسـيح وبنت أمه هيلانة القمامة يعني على قبر المصـلوب وهم يسـلّمون لليهـود أنه المسيح).[8]

وبما مر من نصوص قرآنية ونبوية وتاريخية تتضح قبورية النصارى وغلوّهم في أنبيائهم وصالحيهم حتى عبدوهم من دون الله تعالى.

---

[8] جمع شماس من يقوم بالخدمة الكنيسة ومرتبته دون القسيس ، المصدر السابق ( 1/ 494 ) .

[9] جمع راهب المتعبد في صومعة من النصارى يتخلى عن أشغال الدنيا وملاذها زاهداً فيها معتزلاً أهلها. ، المصدر السابق ( 1/ 376 ) .

[1] جمع صومعة و صومع وهو بيت العبادة عند النصارى ، المصدر السابق (1/ 523 ) .

[2] جمع دير وهو دار الرهبان ، المعجم الوسيط ( 1/ 307 ) .

[3] القلايات جمع قلاية وهي الصومعة . المصدر السابق ( 2/757 )

[4] أي الفرقة التي سميت الملائكة .

[5] الجدي نجم قريب من القطب تعرف به القبلة ، المصدر السابق ( 1/ 112 ) .

[6] البداية والنهاية ( 2/101 ) .

[7] وهي التي يطلق عليها الناس اليوم كنيسة القيامة 0

[8] المصدر السابق ( 2/ 101 ) .

# المبحث الثالث
# قبورية اليونــان
## وفيه ثلاثة مطالب:

**المطلب الأول: قبورية الأمة اليونانية:**

الأمة اليونانية أمة عظيمة سـادت وظهـرت على مسـرح التـاريخ القديم قروناً من الـزمن، وقد أنشـأت حضـارة متمـيزة وظهر فيها علوم ومعارف وفلسفة وصلت إلى الأمم الأخرى، وتناقلتها الأجيال إلى العصر الحاضر، وهذا لا مراءٍ فيه، ولكن مع كل ذلك فقد كـانت هـــذه الأمة أمة وثنية قبورية تُأَلِّه كل ما أعجبت به من مظـــاهر الكون، وعباقرة وأبطـال البشـر،بل وجميلات النسـاء!فهنـاك (آلهة السماء) و(آلهة الأرض) و(آلهة الخصـب) و(الآلهة الحيوانيـة) و(آلهة ما تحت الأرض) إلى آخر القائمــة، وقد ذكر المؤرخــون كيف تنشأ تلك الآلهة وكيف تعبد [1] وكــانت كــذلك أمة قبورية تقــدس قبــور موتاها، فقد كـان المـوتى في العصـور المبكـرة من تـاريخ اليونـان يُعْتَــبرون أرواحـــاً قـــادرة على أن تفعل للنـــاس الخـــير والشر وتسترضى بالقرابين والصلاة [2]. وكـان اليونـان في عصـرهم الزاهر يرهبون هذه الأشباح الغامضة أكثر مما يحبونها، وكانوا يسترضــونها بطقوس ومراسم يقصد بها إبعادها واتقاء شـرها [3]، وكـان الإله في أول الأمر من الأســلاف والأبطــال المــوتى، كما كــان المعبد في

---

[1] انظر : الفكر الإغريقي تـأليف محمد الخطيب ( دمشق ، الطبعة الأولى عـام ( 1999م ) ، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة ص ( 28 – 52 ) .

[2] المصدر السابق ص( 35-36 ) .

[3] المصدر السابق ص ( 35-36 ) .

الأصل قــبراً، ولا تــزال الكنيسة حــتى الآن في معظم البلاد مكانــاً تحفظ فيه آثار الموتى القديسين [1].

هذه هي أمة اليونان وتلك آلهتها كانت في بدايتها أمواتــاً من ذوي التمــيز في جــوانب مختلفة من الحيــاة،تــدرج بهم الشــيطان حــتى صــيروهم آلهة من دون اللــه، وقبــور أولئك المــوتى هي الأصل في المعابد التي تتربع فيها تلك الآلهة.

**<u>المطلب الثاني</u>: قبورية فلاسفة اليونــان:**

في تلك الأمة وذلك الجو نشأ فلاســـفة اليونــــان على الوثنية والقبورية، وبقي ذلك هو اعتقادهم وتفكــيرهم ولم يغنِهم ما وصــلوا إليه في مختلف العلوم- التي أصبحوا فيها أساتذة العالم- لم تغنهم تلك العلوم، ولم ترتفع بتفكيرهم في الجانب الإلهي من حيــاتهم،بل ظلوا يتخبطون في ظلمــات الجهل ومســالك الضــلال، ذلك أن هــذا الجانب ليس بمقدور العقــول تصــوّره التصــوّر الصــحيح، والوصــول إلى حقيقتـــه، وإنما مصــــدره هو الــــوحي الــــذي ينزله الله على رســـله،فيبلغونه للنـــاس ويقـــودونهم به إلى معرفة ربهم وما يجب عليهم، وما يلتحق بــذلك من أركــان الإيمــان ومقوماتــه، وحيث إن أولئك الفلاســـفة مصـــــدرهم في بحثهم عن الحقيقة هو العقــــل، والعقل قاصر عن إدراكها فقد تــاهوا في أودية الضــلال وما وصــلوا إلا إلى نظريات متناقضة، وقضــايا فجّة غــير ناضــجة، وبقي ما تربَّوا عليه من الوثنية والقبورية؛ هو الذي يوجه تفكــيرهم ويســتحوذ على أعمــالهم وطقوســهم، وقد شــهد المتلقفــون لفلســفة اليونــان من علماء المسلمين على قدواتهم من فلاسفة اليونان بالقبورية وأبانوا كيف يتصـــور أولئك الفلاســـفة إمـــداد أرواح المـــوتى لمن دعـــاهم وتشفع بهم.

يقول الفخر الرازي في كتابه المطالب العالية: (إن فلاسفة اليونان كانوا يستمدون الفيوض من القبور وأهلها، إذا اعترتهم مشــكلة من المشــكلات، وكــان الفلاســفة من تلاميذ أرســطو إذا دهمتهم نازلة ذهبوا إلى قبره للحصول على المدد والفيض) [2].

وبما أن القوم فلاسفة وليسوا مقلدين لما كان عليه الآباء والأجداد فقد خرَّجــوا تعلقهم بــالقبور تخريجــاً علميــاً مبنيــاً على نظــريتهم العامة في الإلهيـــات، حيث يؤمنـــون بنظرية الفيض أي أن " العقل الفعال " الذي هو موازٍ للإله يفيض على من دونه من المخلوقات.

---

[1] المصدر السابق ص ( 36 ) 0

[2] المطالب العالية ( 7-228 ) بواسطة جهود الحنفية في إبطال عقائد القبورية ( 1-416 ) للدكتور شمس الدين السلفي الأفغاني ، دار الصميعي الرياض ، الطبعة الأولى ( 1416هـ - 1996 م ) .

وبما أن أرواح المـوتى القديسـين هي كـذلك آلهة صـغيرة حسب العقيـــدة اليونانية العامة فـــإن تلك الأرواح تفيض على من زارها طالبـاً منها الشـفاعة، وذلك بحسب يقين الزائر وفنائه في المـزور واسـتعداد نفسه لتقبل ذلك الفيض، وهي بـدورها تتلقى الفيض من الإله الأعظم، وقد مثلوا ذلك بانعكاس شعاع الشـمس إذا وقع على جسم صقيل ثم انعكس على غـيره، فـإن الشـمس إذا وقعت على الماء أو مرآة وانعكس شعاعها على حائط أو غيره حصل النور في الموضع الثـاني بواسـطة الشـعاع المنعكس على المـرآة، قـالوا: فهكـــذا الرحمة تفيض على النفـــوس الفاضـــلة كنفـــوس الأنبيـــاء والصالحين، ثم تفيض بتوسـطهم على نفـوس المتعلقين بهم، وكما أن انعكاس الشعاع يحتاج إلى المحاذاة فكذلك الفيض لابدّ فيه من توجه الإنسان إلى النفوس الفاضلة [1].

**<u>المطلب الثـالث</u>: اِتِّبـاع قبورية المسـلمين لفلاسـفة اليونان في علة زيارة القبور:**

إن معظم ما يأتيه القبورية وما يعتقدونه تجاه القبـور وأهلها وإنما هو اتباع للأمم السابقة، تصديقاً لحديث الرسـول  في حـديث ذات أنـــواط حيث طلب بعض أصـــحابه أن يجعل لهم ذات أنـــواط كما للمشـــــركين ذات أنـــــواط فقـــــال لهم: ((**الله أكـــــبر! إنها السنن،قلتم والذي نفسي بيـده كما قـالت بنو إسـرائيل لموسى  اجعل لنا إلهـاً كما لهم ءالهه قـال: إنكم قـوم تجهلـون  [2] لـتركبن سـنن من كـان قبلكم))** [3]، وجـاء من حديث أبي سعيد رضي الله عنه بلفظ: ((**لتتبعن سنن من كـان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتمـوهم، قلنـا: يارسـول الله اليهـود والنصـارى قـال فمن؟))** [4]، ومن حـــديث أبي هريـــرة رضي الله عنه ((**لا تقـــوم الساعة حتى تأخذ أمتي مأخذ القرون قبلها شـبراً بشـبر**

---

[1] انظر الاستغاثة في الرد على البكر ي (2/410-411 ) لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية ، تحقيق عبد الله بن دجين السهيلي ، دار الوطن ، الطبعة الأولى ( 1417 هـ - 1997م )

[2] ا لأعراف ( 138 ) .

[3] الترمذي في الفتن باب ماجاء لتركبن سنن من كان قبلكم ( 4/475 ) . وأحمد ( 5/218 ) .

[4] تقدم تخريجه ص ( 47 )

**وذراعاً بذراع،قيل: يا رسول الله،كفارس والروم؟ قال: مَنْ الناس إلا أولئك))** [1].

ويظهر من سبب ورود الحديث الأول أن بعضاً من هذه الأمة ستتبع اليهود فيما انحرفوا فيه من التفاتهم إلى التعلق بالمخلوقين،وهذا هو أساس القبورية.

كما يظهر من الحديث الثالث أن اتباع الأمم السابقة لا يقتصر على اليهود والنصارى وإنما يتعداه إلى سائر فارس والروم،ومن الروم اليونان الذين نُقِلت فلسفتهم إلى الأمة الإسلامية فأفسدت عقائد قوم من المسلمين.

وممن تلقى عقائد الفلاسفة وألبسها رداء الإسلام ونشرها في الأمة المحمدية قبورية المسلمين من فلاسفة وباطنية شيعية وصوفية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - وهو يتكلم عن الوسائل المشروعة وغيرها: " الوجه الثاني أن يدعو له الرسول  فهذه أيضاً مما يتوسل به إلى الله تعالى، فإن دعاءه وشفاعته عند الله من أعظم الوسائل فأما إذا لم يتوسل العبد بفعل واجب، ولا مستحب، ولا الرسول دعا له، فليس في عظم قدر الرسول ما ينفعه، ولكن بعض الناس الذين دخلوا في دين الصابئة والمشركين،ظنوا شفاعة الرسول  لأمته لا تحتاج إلى دعاء منه، بل الرحمة التي تفيض على الرسول  تفيض على المستشفع من غير شعور من الرسول  ولا دعاء منه، ومثلوا ذلك بانعكاس شعاع الشمس إذا وقع على جسم صقيل ثم انعكس على غيره، فإن الشمس إذا وقعت على الماء أو مرآة، وانعكس شعاعها على حائط أو غيره؛ حصل النور في الموضع الثاني بواسطة الشعاع المنعكس على المرآة،قالوا: فهكذا الرحمة تفيض على النفس الفاضلة كنفوس الأنبياء والصالحين، ثم تفيض بتوسطهم على نفوس المتعلقين بهم،وكما أن انعكاس الشعاع يحتاج إلى المحاذاة فكذلك الفيض لابد فيه من توجه الإنسان إلى النفوس الفاضلة وجعل هؤلاء الفائدة في زيارة قبورهم من هذا الوجه.

وقالوا أن الأرواح المفارقة تجتمع هي والأرواح الزائرة فيقوى تأثيرها وهذه المعاني ذكرها طائفة من الفلاسفة ومن أخذ عنهم كابن سيناء وأبي حامد وغيرهم) [2].

قلت: هذا فرع من فروع نظرية الفيض التي يعتقدها الفلاسفة،وطبيعي على هذا الاعتقاد أن يكون هناك توجه إلى

---

[1] تقدم تخريجه ص ( 47 ).

[2] الاستغاثة (2/411-412 ) .

النفوس الفاضلة لتكون واسطة بين المستشـفع والخـالق المعطي سـبحانه، تلك الواسـطة هي ” الشـافع “ وقد قـرر ذلك من أتبـاع الفلاسفة قوم كما ذكره شيخ الإسلام - رحمه الله - منهم أبو حامد الغــزالي وذلك في كتابه " المظنــون به على غــير أهله " والفخر الـرازي في كتابه "المطـالب العليـة" ونقل عن الاثـنين أحد قبورية حضرموت وهو عبد الرحمن بن محمد العيـدروس في كتابه " بـذل المجهود في خدمة ضريح نبي الله هـود "وجعل ذلك هو علة زيـارة القبور، وسيأتي نص كلام الغزالي منقـولاً من كتابـه، وكلام الـرازي عن العيدروس في مطلب علة الزيارة عند القبورية [1]، وبهـذا يتضح أن زيـارات القبورية لم تكن هي الزيــارات الشــرعية الــتي علتها الاعتبار والاتعاض بحال الموتى ورقة القلب وتذكر الآخـرة والـدعاء للأموات والسلام، عليهم وإنما لاسـتمداد من الأمـوات على طريقة الفلاسفة.

وأما تشـبههم بـاليهود والنصـارى في البنـاء على القبـور واتخـاذ المســاجد عليها فظــاهر، وحــتى لا يقــول قائل إن ذلك من أتبــاع الفلاسفة في علة الزيارة إنما هو مذهب مهجور لدى قبورية اليــوم لا وجود له عندهم 0

أقـول له ولكل من يـدافع عنهم:انظر إلى محمد علـوي مـالكي - بــــاعث القبورية في مكة من جديد ووارث أحمد زيــــني دحلان ويوسف النبهـاني- انظر إليه وهو يحكي أحـوال الزائـرين للنـبي : (تختلف أحوال الزائـرين في اسـتفادتهم من زيـارتهم واسـتمدادهم من الله بواسـطة نـبيهم المصـطفى وحـبيبهم المجتـبى  وبحسب استعدادهم في تلقي الفيوضات الإلهية والواردات الربانية بواسـطة الحضرة المحمدية،) 0[2]

ويقول في موطن آخر: (اللهم صلِّ وسلم على سـيدنا محمد أول متلق لفيضك الأول. صــلاة نشــهدك بها من مرآتــه،ونصل بها إلى حضرتك من حضرة ذاته، قـائمين لك وله بـالأدب الـوافر،مغمـورين منك ومنه بالمدد الباطن والظاهر) 0[3]

وأما تشـبههم بـاليهود والنصـارى في البنـاء على القبـور واتخـاذ المساجد عليها فظاهر ليس به خفاء.

---

[1] انظر ص ( 324 )
[2] شفاء الفؤاد بزيارة خير العباد (124)السيد محمد بن السـيد علـوي بن السـيد عباس المالكي الحسني،ط الأولى(1411 هـ-1991م ).
[3] المصدر السابق ( 117 ) .

## المبحث الرابع
## القبورية عند العرب قبل الإسلام وصلتها بالوثنية
### وفيه أربعة مطالب:

**المطلب الأول: إثبـــات أن العـــرب كـــانوا على ملة إبراهيم  الحنيفية السمحة:**

كانت العرب وبالأخص عرب الحجاز على ملة أبيهم إبراهيم ، ملة التوحيد الحنيفية السمحة، برآء من الشرك وأهله، كما حكى الله تعالى عن إبراهيم  مثنياً عليه وعلى أتباعه بذلك:  **إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين. شاكرا لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم وآتيناه في الدنيا حسنة وإنه في الآخرة لمن الصالحين. ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين**  [1] وقال تعالى مبرئاً إبراهيم والذين معه من الشرك،ومقدِّمَهم لنا قدوةً، وجاعلاً لنا الأسوة فيهم  **قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنّا برءآؤا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده  [2]..**

وقد ذكّر الله العرب بهذا الإرث العظيم الذي ورثوه من أبيهم إبراهيم فقال:  **ملة أبيكم إبراهيم هو سمّاكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير  [3]**

وقد بقي العرب على تلك الملة قروناً، حتى ظهر عمرو بن لحي الخزاعي فغيرها، ودعا العرب إلى عبادة الأوثان، قال رسول الله : ((**وعرضت عليَّ النار فلما وجدت سفعتها تأخرت عنها، وأكثر من رأيت فيها النساء إنِ ائتمن أفشين،وإن سألن ألحفن، وإذا سئلن بخلن، وإذا أعطين لم يشكرن،ورأيت فيها عمرو بن لحي يجر قُصبه في النار وأشبه من رأيت به معبد بن أكثم الخزاعي، فقال معبد: يا رسول أتخشى عليَّ من شَبَهه فإنه والدي، فقال: لا، أنت مؤمن وهو كافر، وهو أول من حمل العرب على عبادة الأصنام**)) [4]،وهناك ألفاظ أخرى بنفس المعنى في الصحيحين وغيرهما [5].

---

[1] النحل ( 120 – 123 ) .
[2] الممتحنة ( 4 ) .
[3] الحج ( 78 ) .
[4] الحاكم في المستدرك ( 4/605 ) وقال :حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي ، طبع دار المعرفةبيروت بإشراف د. يوسف المرعشلي .
[5] انظر: السلسة الصحيحة للشيخ الألباني ( 4/ 242-244 ) .

وكـــان ســـبب انحـــرافهم ووقـــوعهم في الشـــرك هو الغلو في الصالحين كما سيأتي في قصة عبـادتهم للّات أو للأمـاكن المقدسة كما في قصة نقلهم حجارة الحرم والطواف بها حيثما حلّوا.

**المطلب الثاني: القبورية هي أصل الوثنية عند العرب:**

كما هو الشأن -بعد كل رسالة من الرسالات السابقة- تأتي بعدها فترة ينقص العلم ويثبت الجهل، ويجد الشيطان سـبيلاً إلى نفـوس النـاس وعقـولهم، فينحـرف بهم عن الصـراط المسـتقيم، وقد مـرّ معنا أن دين إبراهيم ظل قائماً حتى ظهور عمرو بن لحي الخزاعي الذي كـان أول من غيّـره وحـرَف العـرب عنه إلى عبـادة الأصـنام، وكـــان ســـبب وقـــوعهم في الوثنية هو الغلو في الصـــالحين منهم وتعظيم قبـورهم حـتى اتخـذوها أصـناماً،قـال ابن عبـاس في قوله تعالى  **اللات والعزى** [1]: (كان اللات رجلاً يلت السـويق للحـاج) [2].

والذي أمرهم بذلك هو عمرو بن لحي.

قال الحافظ ابن حجر في شرح هذا الحـديث -راداً على من زعم أن اللات هو عمـرو بن لحي: (والصـحيح أن اللات غـير عمـرو بن لحي، فقد أخرج الفاكهي من وجه آخر عن ابن عباس أن اللات لما مـات قـال لهم عمـرو بن لحي: إنه لم يمت ولكنه دخل الصـخرة فعبدوها وبنـوا عليها بيتـاً، وتقـدم في منـاقب قـريش أن عمـرو بن لحي هو الـذي حمل العـرب على عبـادة الأصـنام، وهو يؤيد هـذه الرواية) [3].

**فهـــــذا وجه من أوجه** القبورية المؤدية إلى الوثنية عند العـرب،**وهنـاك وجه آخر** وهو تعظيم آثـار الصـالحين ومنـازلهم وبيوت عباداتهم تعظيماً زائداً على الحد المشروع.

قال ابن هشام في سيرته: قال: ابن إسـحاق: (ويزعمـون أن أول ما كـانت عبـادة الحجـارة في بـني إسـماعيل أنه كـان لا يظعن من مكة ظـاعن منهم -حين ضـاقت عليهم والتمسـوا الفسح في البلاد- إلا حمل معه حجراً من حجارة الحرم تعظيماً للحـرم،فحيثما نزلـوا وضعوه فطـافوا به كطـوافهم بالكعبـة،حـتى سـلخ ذلك بهم إلى أن كــانوا يعبــدون ما استحســنوا من الحجــارة، وأعجبهم،حــتى خلف الخلوف ونسوا ما كانوا عليه، واستبدلوا بــدين إبــراهيم وإســماعيل

---

1 النجم (19)0

2 البخاري كتاب التفسير باب ( أفرأيتم اللات والعزى ) ( 8/611 ) مع الفتح .

3 الفتح ( 8/ 612 ) .

غـيره فعبـدوا الأوثـان، وصـاروا إلى ما كـانت عليه الأمم قبلهم من الضلالات) [1]

فهذا السبب كما ترى كان ناتجاً عن تعظيم آثار إبراهيم وإسماعيل عليهما السـلام، فـالحرم شـرَّفه الله تعـالى بهما حيث بَنَيَا فيه بيت الله الحرام والكعبة المشرفة، فكان تعظيم المكان ناتج عن تعظيم من اشـتهر به وهو إبـراهيم وإسـماعيل عليهما السـلام، ذلك الغلو فيهما وفي البيت الذي ينسب إليهما كـان سـبباً في ضـلال طوائف من العرب والزج بهم في الوثنية والشرك.

**<u>المطلب الثالث</u>: انتشار الأصنـام في جزيـرة العـرب:**

بعد تلك البدايات البسيطة والبدائية أخذ إبليس يـرقّي العـرب في سلّم الوثنية حتى أصبحت ديناً تـدين بـه، له شـعائره [2] ومشـاعره [3] وطقوسه [4] وعقائده وتنـوعت العبـادات من طـواف وتمسح ودعـاء واستشـفاع واستقسـام [5] بـالأزلام بين يـدي تلك الأصـنام إلى نـذر الأموال ونحر النعم وغير ذلـك، كما انتشـرت الأصـنام في الجزيـرة العربية انتشار النار في الهشـيم بـدءاً بـبيت الله الـذي أنشئ على التوحيد ولأجل التوحيـد،حيث يقـول الله تعـالى عنـه:  **وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شـيئاً وطهر بيـتي للطائفين والقائمين والركع السجود**  [6].

هذا البيت كان فيه أكبر تجمع للأصنام في جزيرة العرب حيث كان عدد الأصنام -الـتي كسـرها رسـول الله  يـوم فتح مكة في جـوف الكعبة وحولها- ثلاثمائة وستين صـنماً [7]،كما كـان في جـوف الكعبة

---

[1] سيرة ابن هشام ( 1/77 )طبع مؤسسة علوم القرآن بدون تاريخ تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبدالحفيظ شلبي

[2] جمع شعيرة مناسك العبادة ومعالمها انظر القاموس المحيط ص ( 535 ) .

[3] جمع مشعر موطن العبادة . المصدر السابق ص ( 535 )

[4] جمع طقس وهو نظام الخدمة الدينية عند النصارى .انظر : المعجم الوسيط ( 2/ 561 ) .

[5] قال ابن جرير(6/49 ) : ( وأن تستقسموا بالأزلام " وأن تطلبوا علم ما قسم لكم أو لم يقسم بالأزلام وهو استفعلت من القسم ، قسم الرزق والحاجات وذلك أن أهل الجاهلية كان أحدهم إذا أراد سفراً أو غزواً أو نحو ذلك أجال القداح وهي الأزلام وكانت قداحاً مكتوباً على بعضها "نهاني ربي" وعلى بعضها "أمرني ربي" فإن خرج القدح الذي هو مكتوب عليه أمرني ربي مضى لذلك لما أراد من سفر أو غزو أو تزويج وغير ذلك وإن خرج الذي عليه "نهاني ربي" كف عن المعنى لذلك وأمسك ،وأما الأزلام فإن واحدها زلم ويقال زلم وهي القداح التي وصفنا أمرها ) .

[6] الحج ( 26 ) .

[7] البخاري كتاب التفسير سورة الإسراء باب ( وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا ) ( 8 / 400 ) من حديث ابن مسعود  .

أشهر أصنام قريش على الإطلاق (هبـل) [1]،ولم تبق قبيلة من قبائل العرب إلا ولها صـنمها الـذي يعـرف بها وتعـرف به وتعبّد له أبناءها [2]،بل تجاوز الأمر إلى أن أصبح لكل بيت صنمه الخـاص بـه، [3] وحـتى المســافر لا يقيم أثنـــاء ســـفره في بقعة إلا تخيّر من أحجارها ما يعجبه فينصبه إلهاً له. [4]

ولم يكتف الشـيطان بـذلك بل دلّهم على أصـنام قـوم نـوح الـتي كانت مطمورة في رمال سـاحل جـدّة فاسـتخرجها مؤسس الوثنية في الجزيرة العربية عمـرو بن لحي الخـزاعي وفرقها على العـرب فعظمت وعبدت فيهم [5].

وبـــذلك انطمست ملة إبـــراهيم وغـــاب التوحيد وحل الشـــرك محلــه،حــتى صــارت الــدعوة إلى إخلاص العبــادة لله تعــالى من العجائب لديهم حينما صدع بها النبي  فقالوا -كما حكاه القرآن -:  أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هـذا لشـيء عجـاب، وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد،ما سـمعنا بهـذا في الملة الآخرة إن هذا إلاّ اختلاق  [6].

**المطلب الرابـع: الحنفاء من العـرب:**

ذلك هو الجـوّ المظلم الـذي وصـلت إليه الأمة العربية قبل البعثة وهو الغالب عليها، ولكن بقي بصيص ضئيل من النور الخافت الـذي نجا من أطباق الظلمـة، ولكنه لم يهـدِ أصـحابه صـراطاً مسـتقيماً، ولم يسـلك بهم سـبيلاً قويمـاً [7]، وقد تمثّل ذلك في بقـاء مجموعة صغيرة جـداً متفرقة في أنحـاء الجزيـرة العربيـة، وربما كـان بمكة منهم نصيب أوفر، أولئك هم من سُمّوا بالحنفاء نسـبة إلى الحنيفية ملة إبـــراهيم، وتمثل تمســـكهم بالحنيفية في رفضـــهم للوثنية من حيث عبـادة الأوثـان وتقـريب القـرابين لهـا،واعتقـاد نفعها وضـرّها وشفاعتها كما هو شأن الوثنيين، هداهم إلى ذلك فطرتهم التي مَنَّ الله عليهم ببقائها صـافية نقية من كَـدُورات الوثنيـة، غـير أنهم لم يهتدوا إلى مراد الله تعـالى وما يجب له من العبـادة،حـتى لقد نقل أهل السير عن زيد بن عمرو بن نقيل قوله: (اللهم إني لو أعلم أيّ

---

[1] الأصنام لابن الكلبي ص ( 27 ) .

[2] انظر : الأصنام ص( 13 ) و( 16 ) و( 18 ) الدار القومية بالقاهرة نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب سنة(1343هـ-1924م) .

[3] المصدر السابق ص ( 33 ) .

[4] االمصدر السابق ص ( 33 ) .

[5] أصله في البخاري كتاب التفسير سورة نوح باب " ود اً ولا سواعاً ولايغوث ويعوق " وانظر : ابن هشام ( 1/78-80 ).

[6] سورة ص ( 5- 7 ) .

[7] لأن الهداية التامة لا تكون إلا بالوحي لا غير .

الوجوه إليك أحب عبدتك به ولكني لا أعلمـه)[1] ولـذلك تفرقـوا في البلاد يبحثـون عن دين إبـراهيم، فمنهم من دخل النصـرانية كورقة بن نوفل، ومنهم من لم يـدخل أيّ دين وبقي على ما هو عليه كزيد بن عمرو بن نفيل.

وقد ذكرت أسـماء بعض هـؤلاء فمنهم: قس بن سـاعدة الأيـادي، وزيد بن عمـرو بن نفيـل، وأمية بن أبي الصـلت، وأبو قيس بن أبى أنس، وخالد بن سـنان، والنابغة الـذبياني، وزهـير بن أبي سُـلمى، وكعب بن لؤي بن غالب أحد أجداد النبي  [2] وقد ذكر غـيرهم أيضـاً

---

[1] ابن هشام ( 1/225 ) عن ابن إسحاق قال حـدثني : هشـام بن عـروة عن أبيه عن أمه أسماء ، وهذا حديث حسن لمكان ابن إسـحاق وأما بقية أصـحاب السـند فمن أصح الأسانيد .

[2] السـيرة النبوية في ضـوء المصـادر الأصـلية ( دراسة وتحليل ) ص ( 72 ) للدكتور مهدي رزق الله أحمد الأستاذ المشارك بكلية التربية جامعة الملك سـعود الطبعة الأولى ، ( 1412هـــــ - 1992م ) نشر مركز الملك فيصل للبحـــــوث والدراسات الإسلامية الرياض .

[1]، غير أن من هؤلاء الذين ذكروا من تنصـر، وكل هـؤلاء لم يـدركوا الإســلام إلا ورقة بن نوفل حيث أدرك الفــترة الأولى من الــوحي ففرح واستبشر وتمنى أن يعيش ليرى دعوة النبي  وينصره ولكنه مات في فترة الوحي. [2]

# الفصل الثاني

## *القضاء على الوثنية والقبورية على عهد النبي  والصحابة  والتابعين*

### *إلى نهاية القرون الثلاثة المفضلة*

### *وفيه ثلاثة مباحث:*

## المبحث الأول

## حال جزيرة العرب حين مبعث النبي  وكيف قضى على الوثنية فيها

### وفيه مطلبان:

***المطلب الأول:* حال جزيرة العرب عند مبعث النــبي :**

---

1 نفس المصدر ( 77 ) .

2 انظر خبره في البخاري كتاب بدء الوحي ( 1/ 22 ) مع الفتح .

*عرفنا في مطلب القبورية عند العرب كيف فشت عبادة الأصنام، وشـملت جميع أطـراف جزيـرة العـرب، وأنه لم يبـقَ على أصل التوحيد إلاّ أفراد يعدون بالأصابع، منبوذون من قومهم يلقـون منهم السخرية والاستهزاء والمقت، وكيف سـيطرت الجاهلية على جميع أوجه الحياة حتى أظلم الكون، واسـتوجب أهله مقت الله وغضـبه، إلاّ أولئك الحنفـــاء القلائل وبقايا من أهل الكتـــاب مشـــردين في الصحاري والقفار متوارين في صوامعهم وأديرتهم، وقد صوَّر النبي  تلك الحالـة، وذلك فيما رواه مسـلم من حـديث عيـاض بن حمـار المجاشعي  قال: ((***ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هـذا، كل مـال نحلته عبـداً حلال، وإني خلقت عبـــادي حنفـــاء كلهم وإنهم أتتهم الشـــياطين فاجتـــالتهم عن دينهم وحـــرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً، وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عـــربهم وعجمهم إلاّ بقايا من أهل الكتاب))***[1]*، هكـذا كـانت الـدنيا بما فيها جزيـرة العـرب عند مبعث النـــبي ، فكيف انجـــابت تلك الظلمـــة، وزالت تلك الجاهلية؟ هذا ما سنعرفه في المطلب الثاني.*

***<u>المطلب الثاني</u>: قضـاء النـبي  على الوثنية في جزيـرة العرب:***

*لقد بعث الله  رسـوله  بما بعث به إخوانه المرسـلين من قبلـه؛ لإزالة الشرك،ونشر التوحيد، وإخـراج العبـاد من عبـادة العبـاد إلى عبادة رب العباد سـبحانه،كما قـال تعـالى: ***﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبـدوا الله واجتنبـوا الطـاغوت﴾***[2]، فشـمّر الرسول  في الدعوة إلى الله سراً وجهراً وليلاً ونهاراً، وكـان أول ما أعلنه من دعوته حين أمره الله تعالى أن يصدع بها أن قال: ((***يا أيها النـاس قولـوا لا إله إلاّ الله تفلحـوا***))[3]،فاسـتجاب له الســابقون الأولـــون، وحاربه بقية قومه واســتهجنوا ما جـــاء به واسـتنكروه، وقـالوا ما حكـاه الله عنهم: ***﴿وعجبـوا أن جـاءهم***

---

[1] صحيح مسلم ( 4/2197) ،كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها،باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة و أهل النار.

[2] النحل ( 36) .

[3] *المسـند ( 3/ـ 492 ، 4/341 )ـ ، و الطـبراني في الكبـير ( 4582 ) من طريق عبدالرحمن بن أبي الزناد ،وله شاهد من طريق طارق ابن عبدالله المحاربي أخرجه ا بن حبان ( 6562 )كتاب التاريخ ، باب كتب النبي  ذكر مقاساة المصـطفى  ما كـان يقاسي من قومه في إظهار الإسلام صحيح ابن حبان بـترتيب ابن بلبـان طبع مؤسسة الرسالة بـيروت الطبعة الثانية (1314هـ-1993م) بتحقيق شـعيب الأرنـاؤوط .وصـححه الحاكم( 2/612 )كتاب التاريخ، ذكر أخبار سيد المرسلين  ، ووافقه الذهبي .*

***منـذرٌ منهم وقـال الكـافرون هـذا سـاحر كـذاّب 0 أجعل الآلهة إلهًا واحـداً إن هـذا لشـيء عجـاب. وانطلق الملأ منهم أن امشـوا واصـبروا على آلهتكم إن هـذا لشـيء يراد. ما سمعنا بهذا في المِلَّةِ الآخرة إن هذا إلا اختلاق*** [1].

*لكن الله أبى إلاّ أن يتم نـوره ويعليَ كلمته ولـوكره الكـافرون، ومضى  في دعوته وتربى على ذلك أصحابه، وانطلقـوا دعـاةً إلى ذلك، فاتسعت دائرة الحق وانتشر نور الإسلام بعد جهد كبير وزمن غـير قصـير؛ حمل عليه العناية الفائقة الـتي أولاها رسـول  للتربية وغرس العقيدة في النفـوس حـتى تمكنت منهـا، ثم تـوالت المحن وصب العذاب على أصحابه ليشتدّ عـودهم وتصـقل نفوسـهم،حـتى إذا تهيئوا لإقامة دولة التوحيد؛هيأ لهم الملاذ الآمن والقاعدة الصلبة الـتي تبـنى عليها تلك الدولـة، وذلك بإسـلام الأوس والخـزرج ومبـايعتهم للنـبي ، ثم هجرته إليهم، وحينما اسـتقر في المدينة وثبّت دعـائم الدولة انكفأ يـدعو إلى الله بأسـلوب آخـر، بـالقوة والجهاد لمن يعترض سبيل تلك الدعوة كما أمـره الله تعـالى بـذلك حيث قال: ***وقاتلوهم حتى لا تكون فتنةٌ ويكـون الـدين كله لله فإن انتهوا فإنَّ الله بما يعملون بصير*** [2]، وكما صرَّح هو  عن حقيقة دعوته ووسـيلته لتحقيقها حيث قـال: ***((بعثت بين يدي الساعة بالسـيف حـتى يعبد الله وحـده لا شـريك له وجُعِـلَ رزقي تحت ظل رمحي وجُعلَت الذلة والصـغار على من خالف أمري ومن تشبَّه بقوم فهو منهم))*** [3].*

*وتـوالت الحـروب بينه وبين الكـافرين مع اسـتمراره في الـدعوة والتربيـة، حـتى أذن الله بـالفتح ففتحت مكـة، وعلى أثر ذلك دخل الناس في دين الله أفواجـاً كما قـال تعـالى:  ***إذا جاء نصر الله والفتح. ورأيت النـاس يـدخلون في دين الله أفواجـاً. فسبِّح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً***  [4].*

*وعند ذلك علت راية التوحيد خفاقة على ربوع الجزيـرة العربيـة، وكانت الدولة والكلمة للإسلام، وزال الشـرك وقضي عليـه،حـتى بعَث النبي  في السـنة التاسـعة من الهجـرة علياً  بهـذا الإعلان النهائي المشـعر بأنه لا مكـان للشـرك في هـذه الجزيـرة، ولاحق لمشـرك أن يمـارس شـركه فيهـا، فكـان هـذا الإعلان في موسم*

---

[1] سورة ص ( 4 – 7 ) .

[2] الأنفال ( 39 )

[3] تقدَّم تخريجه في الباب التمهيدي ص ( 4 ).

[4] سورة النصر .

*الحج ليسمعه كل من شهد الموسم ويعود لإبلاغه إلى قومه:  **براءةٌ من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين.فسيحوا في الأرض أربعة أشهر واعلموا أنكم غيرُ معجزي الله وأن الله مخزي الكافرين. وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله، فإن تبتم فهو خير لكم وإن توليتم فاعلموا أنكم غير معجزي الله وبشر الذين كفروا بعذاب أليم** [1] ، وكان عليّ يتبع ذلك بقوله: (ألا لا يحجَّ بعد هذا العام مشرك،ولا يطوفن بالبيت عريان)[2].*

*وبالفعل لم يعد ذلك الموسم من السنة العاشرة إلَّا وقد طهِّرت الجزيرة من الشرك والمشركين,وأُجلِب أهلها للاستجابة لدعوة الله، وحققوا توحيده، وصاروا من حزبه بعد أن كانوا من حزب الشيطان، فما حج رسول الله  حجته الوحيدة الشهيرة بحجة الوداع إلّا وكلٍ من حضر الموسم - وهم عدد كبير لم تشهد الجزيرة تجمعاً مثله من قبل - كلهم مسلمون موحدون وبذلك أكمل الله الدين وأتم النعمة على عباده المؤمنين وانتهت مهمة خاتم المرسلين، ونزلت في يوم عرفة من ذلك العام آخر آية من كتاب الله معلنة ذلك:  **اليوم أكملتُ لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً**  [3].*

*وحين رأى الشيطان تلك الفتوح وذلك الإقبال على دين الله وتلك النهاية للشرك والمشركين في جزيرة العرب،أصابه اليأس وغلب عليه القنوط من عودة الشرك إليها وقيام دولة له فيها كتلك التي هوت وتلاشت بقيام دولة الإسلام، وقد أخبر النبي  بيأسه ذلك فقال: ((**إنَّ الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم**)) [4]، وقال: ((**وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي، ولكن أخاف عليكم أن تنافسوا فيها**))[5]، وقال: ((**لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا***

---

[1] التوبة (1-3).

[2] البخاري مع الفتح (8/317-318)، كتاب التفسير، باب (فسيحوا في الأرض أربعة أشهر ) ، وباب (وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله).

[3] المائدة ( 3 ) .

[4] صحيح مسلم (4/2166) ،كتاب صفة المنافقين وأحكامهم ، باب تحريش الشيطان وبعثه السرايا لفتنة الناس وأن مع كل إنسان قريناً.

[5] رواه البخاري مع الفتح (3/209) ،في الجنائز باب الصلاة على الشهيد ، ومسلم (4/1795)في الفضائل ،باب إثبات حوض النبي  ، تحقيق عبد الباقي .

***يضرهم من خذلهم ولا من عـاداهم حـتى يـأتي أمر الله وهم على ذلك))***[1].

*وليس معنى ذلك أن لا يتطرق أي نوع من الشرك على أي حال من الأحوال، وإنما المقصود نـوع خـاص من عبـادة الشـيطان،كما سيأتي إيضاحه في المبحث الثاني إن شاء الله.*

---

[1] مسـلم (3/1523)،كتـاب الإمـارة ، بـاب قوله ﷺ :( لا تـزال طائفة من أمـتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم).

# المبحث الثاني

# إنذار النبي  بعودة الشرك إلى جزيرة العرب والرد على من زعم المنع من عودة الشرك إليها مطلقاً

## و فيه مطلبان:

***المطلب الأول*: الإنــذار بعـودة الشـرك إلى جزيـرة العرب:**

*رغم البشـارات العظيمة الـتي رأيناها في المبحث السـابق،فـإن النـبي  أنـذر كـذلك بعـودة الشـرك والوثنية إلى هـذه الجزيـرة المباركة في أحـاديث كثـيرة صـرَّح فيها بعبـادة الأوثـان مطلقـاً،أو عبـادة أوثـان مخصوصة من أوثـان العـرب في جاهليتهـا،أو بلحـوق أقوام من أمته بالمشركين، وهذا كله يـدل على أن الأحـاديث الـتي يُفهم منها امتنـاع عــودة الشــرك إلى جزيــرة العــرب ليس على إطلاقهـــــا، وإنما هي محمولة على معـــــانٍ أو أحـــــوال مخصوصـــة،والـــداعي إلى حملها على تلك الأحـــوال والمعـــاني المخصوصة هو وجوب الجمع بين النصوص الصـحيحة؛ حـتى نتمكن من إعمـال جميع النصـوص ولا نلجأ إلى التحكم بإبطـال بعضـها مع صــحة أســانيدها إلى النــبي  كما صــرّح بــذلك علمــاء الأصــول والمصطلح [1]*

*ومن هذه الأحاديث حديث ثوبان  الطويل الذي أخبر فيه النـبي  ببلــوغ الإســلام إلى مشــارق الأرض ومغاربها وفيــه:* ***((لا تقــوم الساعة حـتى تلحق قبائل من أمـتي بالمشـركين وحـتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان))*** *[2].*

*ومنها حــديث أبي هريــرة  أن رســول الله  قــال:* ***((لا تقــوم الســاعة حــتى تضــطرب إليــات نســاء دوس حــول ذي الخلصة))*** *[3].*

---

[1] انظر: الموافقات ( 4/299 ) للإمام إبـراهيم بن موسى الشـاطبي ، طبع دار المعرفة بيروت بدون تـاريخ ، والاعتبـار في الناسخ و المنسـوخ من الآثـار ( 54) للإمـام أبي بكر محمد بن موسى الحـازمي الهمـذاني، تحقيق الـدكتور عبد لمعطي قلعجي ،نشر جامعة الدراســات الإســلامية بكراتشــي، الطبعة الأولى ( 1403هـ-1982م).

[2] أبو داود (2/499 ) كتــاب الفتن ودلائلها ، بــاب ما ذكر الفتن ودلائلهــا، وابن ماجه ( 2 /1304 )، كتاب الفتن، باب ما يكون من الفتن. وصححه شيخنا الألباني في صحيح ابن ماجه ( 2/352) .

[3] البخاري مع الفتح( 13/76)،كتاب الفتن، باب تغير الزمـان حـتى تعبد الأوثـان ،ومسلم مع النووي( 18/32 )، كتاب الفتن .

*ومنها حـديث عائشة رضي الله عنها أن رسـول الله  قـال:* ***((لا يـذهب الليل والنهـار حـتى تعبد اللات والعـزى، فقـالت عائشة:يا رسول الله إن كنت لأظن حين أنزل الله:  هو الـذي أرسل رسـوله بالهـدى ودين الحق ليظهـره على الدين كله ولو كره المشركون  [1] أن ذلك تام قـال: ((إنه سيكون من ذلك ما شاء اللـه، ثم يبعث الله ريحـاً طيبـة، فَتَـوَفَّى كل من في قلبه مثقـال حبة خـردل من إيمـان فيبقى من لا خير فيه فيرجعون إلى دين آبائهم))*** [2].

*فهذه الأحـاديث الثلاثة صحيحة أسـانيدها، صـريحة متونهـا،في أن الأوثـان سـتعبد في جزيـرة العـرب،وأن أقوامــاً من أمة محمد  سـيلتحقون بالمشـركين،ومن بـاب الإنصـاف فإنه يفهم من حـديث عائشة رضي الله عنها أن ذلك كـائن بعد أن يبعث الله الـريح الـتي تقبض أرواح المؤمـنين،ومع تسـليمنا بـذلك إلا أننا نقـول: إنه ليس في الحديث ما يمنع وقوع الشرك وعبـادة الأوثـان قبل ذلك الـريح، وهذا ما سنثبته في المطلب الثاني إن شاء الله.*

## ***المطلب الثاني:** الرد على من زعم المنع من عودة الشرك إلى جزيرة العرب:*

إن الأحاديث التي أوردنا بعضـها في المطلب الأول لَتَـردُّ على مَنْ منع عودة الشرك في هذه الأمة، وذلك من ناحيتين:

**الناحية الأولى** أن هـذه الأحـاديث دالة قطعـاً على أن الحـديث الــذي يســتدلون به **((إن الشــيطان قد أيس أن يعبــده المصــلون في جزيــرة** العــرب))[3] ليس على عمومه بل هو مخصوص، ومعلوم عند أهل الأصـول أن العـام الـذي قد دخل عليه التخصيص تضعف دلالته بذلك،ولا يكون كالسـالم من ذلك الـذي لم يتطـرق إليه تخصـيص، وعلى هـذا فإننا نقـول إن كـان النـبي  ذكر يأس الشيطان مقِراً له فإن ذلك محمول على حال مخصـوص وهو أن تجتمع الأمة على عبــادة الأوثــان أو نحو ذلك من المعــاني والأحوال.

وإن كان مجرد إخبار عن حال الشيطان حين بُهر بانتشار الإسلام ودخول الناس في دين الله أفواجاً فهذا ليس بدليل أصلاً؛ لأن يأس الشـيطان ليس بحجة على أحـد،وهو لا شك مخلـوق كسـائر الخلق معـرض لسـوء التقـدير وخلف الظن، وطـروء سـائر ما يطـرأ على المخلوقين من أمل وقنـوط ويـأس واستبشـار، ولا يلـزم أن يتحقق

---

[1] الصف ( 9 ) .
[2] مسلم مع النووي ( 18/ 33 ) كتاب الفتن و أشراط الساعة .
[3] تقدم تخريجه ص ( 72 ) .

كل ما يطرأ عليه، وما يأسُـه هنا إلا من هـذا القبيـل، أيِسَ في ذلك الوقت الذي رأى فيه إقبال الخير واندحار الشر، ثم عـاد إليه الأمل والرجـاء منذ أن أوشك الرسـول  على الرحيـل، وتحقق له شـيء مما أمَّلَهُ على يد مسيلمة الكـذاب، والأسـود العنسي وأتباعهما من المرتدين في نواحي الجزيرة العربية،وإن كـان هـذا الحـال لم يـدمْ طـويلاً حيث قضى أبـوبكر ومعه سـائر الصـحابة على تلك الـردة، وأعادوا المرتـدين إلى حظـيرة الإسـلام، إلا أن ما حصل كـان دليلاً على أن يـأس الشـيطان لم يكن قاطعـاً ولا ثابتـاً، بل كـان قـابلاً للتحول إلى الأمل والرجاء.

**الناحية الثانية** إن مما يدل على أن ذلك الحـديث ليس دالاً على عـدم وقـوع الشـرك في جزيـرة العـرب هو وقوعه بالفعل وإليك نماذج من ذلك الوقوع:

**النموذج الأول** الردة الواقعة عند وفاة النبي  وهي معلومة لدى الجميع امتلأت بها كتب السير والتـواريخ وكتب السـنة والحـديث [1]، ومجرد الردة يعتبر عبادةً للشيطان على أي صـورة كـانت، فمجـرد الكفر بالله يعتبر عبادة للشـيطان، لأنه اسـتجابة وطاعة للشـيطان وتلك هي العبادة بعينها.

ومع ذلك فقد صرح العلماء برجوع طوائف من العرب إلى عبـادة الأوثان.

فقد نقل الحافظ ابن حجر عن القاضي عياض [2] وغيره أنهم قالوا: (كان أهل الردة على ثلاثة أصناف، صنف عادوا إلى عبادة الأوثـان، وصـنف تبعـوا مسـيلمة والأسـود العنسـي،وكـان كل منهمـا، ادعى النبـوة قبل مـوت النـبي  فصـدق مسـيلمة أهل اليمامة وجماعة غيرهم، وصدق الأسود أهل صنعاء وجماعة غيرهم – إلى أن قـال – وصنف ثالث استمروا على الإسلام، ولكنهم جحـدوا الزكـاة وتـأولوا بأنها خاصة بزمن النبي  وهم الذين نـاظر عمر أبا بكـر في قتـالهم كما وقع في حـــديث البـــاب، ثم نقل عن ابن حـــزم أن العـــرب انقسمت إلى أربعة أقسام "00 والثالثة أعلنت بالكفر والردة 00") [3].

وقد أقر الحافظ هـــذه الأقـــوال،كما أقرها غـــيره من العلمـــاء والمـــؤرخين،وممن نقل ذلك عن القاضي عيـــاض -مقـــراً له -أحد

---

[1] وقد أورد ابن كثير أخبار الردة وقتال المرتـدين بإسـهاب في تاريخه ( 6/311-332 ) .

[2] هو القاضي عياض بن موسى اليحصبي توفي سنة (544هـ) انظر ترجمته في السير (20/212) والبداية والنهاية (12/225)0

[3] الفتح ( 12/276 ) .

مؤرخي حضرموت المعتمدين لدى القبوريين وهو صالح بن علي الحامد في كتابه " تاريخ حضرموت "[1]، فهذه الحادثة تنقض الاستدلال بحديث: **((يأس الشيطان))** وحديث: **((ما الشرك أخشى عليكم))** على استحالة عودة الشرك إلى جزيرة العرب نقضاً صريحاً.

**النموذج الثاني -** التصريح بألوهية علي بن أبي طالب  من قبل عبدالله بن سبأ اليهودي وأتباعه أيام خلافته بالعراق.

روى البخاري - رحمه الله - في صحيحه عن عكرمة - رحمه الله - قال: (أتى علي  بزنادقة فأحرقهم،فبلغ ذلك ابن عباس فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم لنهي النبي  **" لا تعذبوا بعذاب الله "** ولَقَتَلْتُهم لقول النبي : **" من بدّل دينه فاقتلوه "**)[2].

قال الحافظ في شرحه لهذا الحديث: (وزعم أبو المظفر الإسفرايني في " الملل والنحل " أن الذين أحرقهم عليٌّ  طائفة من الروافض ادعَوا فيه الألوهية وهم السبأية،وكان كبيرهم عبدالله بن سبأ يهودياً، ثم أظهر الإسلام وابتدع هذه المقالة، وهذا يمكن أن يكون أصله: ما رويناه في الجزء الثالث من حديث أبي طاهر المخلص من طريق عبدالله بن شريك العامري عن أبيه قال: قيل لعلي : إن هنا قوم على باب المسجد يدّعون أنك ربهم فدعاهم فقال لهم ويلكم ما تقولون؟ قالوا: أنت ربنا وخالقنا ورازقنا فقال: ويلكم إنما أنا عبد مثلكم آكل الطعام كما تأكلون، وأشرب كما تشربون، إن أطعت الله أثابني إن شاء، وإن عصيته خشيت أن يعذبني، فاتقوا الله وارجعوا، فأبَوا إلا ذلك،فقال: ياقنبر ائتني بفَعَلَةٍ[3] معهم مَرورهم [4]، فخُدَّ لهم أخدوداً بين باب المسجد والقصر،وقال: احفروا فأبعِدوا في الأرض، وجاء بالحطب فطرحه بالنار في الأخدود وقال إني طارحكم فيها أو ترجعوا، فأبوا فلما كان الغد غدَوا عليه، فجاء قنبر فقال: قد والله رجعوا يقولون ذلك الكلام، فقال: أدخلهم، فقالوا كذلك، فلما كان الثالث قال:لئن قلتم ذلك لأقتلنكم بأخبث قتلة فأبوا إلا ذلك أن يرجعوا فقذف بهم فيها حتى احترقوا وقال:

---

[1] تاريخ حضرموت ( ص146 ) لصالح بن علي الحامد ، طبع مكتب الإرشاد بجدة بدون تاريخ .

[2] البخاري مع الفتح ( 12/267 ) .

[3] ، [2] الفَعَلَة : جمعُ فاعلٍ ،أي عامل 0 والمرور: جمعُ مَرٍّ وهو " المسحاة " القاموس المحيط ص ( 610 ) 0

إني إذا رأيت الأمر أمراً منكراً أو قدت ناري ودعوت قنبراً

وهذا سند حسن) [1].

وقد اعترف الرافضة أنفسهم بهذه الحادثة،فقد أورد الـدكتور عبد الرسـول الغفـار في كتابه "شـبهة الغلو عند الشـيعة " عـدد من الروايات عن أئمة الشيعة تؤيد ما ذكره الحافظ.[2].

وهذا شرك لا ريب فيه وعبادة للشيطان على جميع وجوه التفسير لذلك الحـديث، فـإن قـال قائـل: إن هـذا ليس في جزيـرة العـرب، قلت: هل الشرك ممتنع في خصوص الجزيرة أم في عموم الأمـة؟ الذي أعرفه من كلام القوم هو أن الشرك ممتنع في عمـوم الأمة0 وعلى ذلك فهذه الحادثة ردٌّ صريح عليهم.

**النمـوذج الثـالث** القرامطة الـذين أعلنـوا عن كفـرهم بـأقوالهم وأفعالهم، وأجمع العلماء والمؤرخون على كفـرهم وقد خرجـوا في هذه الأمة وفي جزيـرة العـرب، وكـان مقر ملكهم البحـرين،ووصل من كفـرهم أنهم أغـاروا على مكة فقتلـوا الحجيج، وانتهكـوا حرمة البيت، واقتلعوا الحجر الأسود من موضعه واحتملوه معهم إلى مقر ملكهم، ومكث عندهم بضعاً وعشرين سنة ثم أعادوه، وعندما فعل قائـدهم الخـبيث فعلته رفع عقيرته متبجحـاً بما فعل معلنـاً كفـره وإلحاده قائلاً:

فلو كان هذا البيت لله ربنا لصبَّ علينا النار من فوقنا صبا

**لأنا حججنا حجة جاهلية مجللة لم تـبقِ شرقًا ولا غـربا** [3]

وهذا النموذج رد آخر صـريح على من يـزعم أن الشـرك لن يعـود إلى جزيـــرة العـــرب، إلا إن كـــان يفهم من الحـــديث أن عبـــادة الشيطان لا تكون إلا بعبادة الأصنام خاصة فـإن صـاحب هـذا الفهم ربما سلم له ذلك ولكن ما الـدليل على تخصـيص عبـادة الشـيطان بذلك دون سواه من أنواع الكفر والإلحاد؟

الواقع أنه لا دليل على ذلـك،وأن جميع أنـواع الكفـر- من شـرك وإلحاد وغيرها من أنواع الكفر -هي من عبـادة الشـيطان، بل جميع المعاصي من عبادة الشيطان.

قال الإمام الرازي - رحمه الله -: " المسـألة الرابعة " قولـه:  **لا تعبدوا الشيطان**  معنـاه لا تطيعـوه بـدليل أن المنهي عنه ليس

---

[1] الفتح ( 12/270 ) .

[2] انظر : شبهة الغلو عند الشيعة ( 56-60 ) للدكتور عبدالرسول الغفار ، الطبعة الأولى (.1415هـ - 1995 م ) دار المحجة البيضاء ، بيروت لبنان .

[3] مرآة الجنان وعبرة اليقظان ( 2/272 ) لأبي محمد عبدالله بن أسعد اليافعي ، الطبعة الثانية ( 1413 هـ- 1993 م ) دار الكتاب الإسلامي القاهرة .

هو السـجود له فحسـب، بل الانقيـاد لأمـره والطاعة له فالطاعة عبادة) [1]، وهذا يشمل جميع أنواع المعاصي.

وقد عـدَّ الشـنقيطي -رحمه الله - الحكم بغـير ما أنـزل الله من عبادة الشـيطان فقـال: (واتبـاع الشـرائع المخالفة لما شـرعه الله تعـالى هو المـراد بعبـادة الشـيطان في قوله تعـالى:  **ألم أعهد إليكم يا بـني آدم أن لا تعبـدوا الشـيطان**  [2] وقوله تعـالى على لسان إبـراهيم: **يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشـيطان كان للرحمن عصياً [3])** [4].

النموذج الرابع -علي بن الفضل الجـدني الـذي ظهر في اليمن عـام ( 278هـ) وقتل بعاصـمة مملكته المـذيخرة عـام (304 هـ) هـذا الرجل أجمع –كذلك- على كفره وإلحاده العلماء والمؤرخون ونقلوا عنه الإلحاد الصريح والكفر البواح، فهل يقول القبوريون أنه ليس بكافر؛لأن جزيـرة العرب لن يعود إليها الشرك إلى قيام الساعة أم بماذا يجيبون عنه؟

**النموذج الخامس** رؤساء وقادة الحزب الاشتراكي اليمني الـذين أعلنوا الإلحاد وحاربوا الله ورسوله والمؤمـنين، وأحلـوا المحرمـات المعلومة من الـدين بالضـرورة،واسـتهزأوا بالله ورسـوله، اتفقت كلمة العلماء المعتـبرين- المعاصـرين لهم- على كفـرهم وإلحـادهم في الجملـة، وهو دليل قـاطع على أن الشـرك قابل أن يعـود إلى جزيـرة العـرب وإلى سـواها من بلاد العـالم الإسـلامي،ولا يمكن للقبوريين أن يردوا هذا الدليل بـأي حجة مقنعـة، فلم يبق بعد هـذه النماذج شبهة للقبوريين إلا: الهوى والإصـرار على التمسك بـالقول وإن ظهر خطؤه.

***ومما يدل على إمكان وقوع الشرك في هذه الأمة*** *تواطؤ جميع المؤلفين في الفقه، وكذا كتب أحاديث الأحكام على تخصيص باب أو كتاب في كل مؤلفاتهم الشاملة باسم باب الـردة، ولو كـان الأمر مسـتحيلاً لما أضـاعوا الجهد والـوقت في الكلام على أمر مستحيل الوقوع، إنهم ما فعلوا ذلك إلا وهم يعلمـون يقينـاً أن ذلك ممكن، وأن ما يستدل به القبوريون لايدل على شيء من ذلك.*

---

[1] تفسير الرازي ( 26/96 ) .

[2] يس ( 60 ) .

[3] مريم ( 44 ) .

[4] أضواء البيان تفسير القرآن بالقرآن ( 4/ـ 83 ) محمد الأمين الشـنقيطي طبع عالم الكتب بيروت بدون تاريخ .

## المبحث الثالث

## خلو الثلاثة القرون المفضلة من مظاهر القبورية وآثارها

***وفيه خمسة مطالب:***

***المطلب الأول: تصريح العلماء بخلوّ القرون المفضلة عن وجود المشاهد والمساجد على القبور:***

*سبق في الباب التمهيدي الأحاديث الناهية عن اتخاذ القبور مساجد والأمر بتسوية القبور،وعرفنا كيف طبّق الصحابة والتابعون تلك الأحاديث،وكيف فعلوا بقبر النبي  عند موته، ثم كيف فعلوا عندما اضطروا إلى إدخال موضع قبر النبي  وقبري صاحبيه أبي بكر وعمر، وكيف تصرف الصحابة إزاء قبر دانيال حين وجدوه أيام*

*الفتوح، وعرفنا مما سبق حذرهم الشديد من ظهـور تعظيم القبـور وتقديسها خشية الافتتان بها، وعلى ذلك فلا غروَ أن يسير التـابعون لهم بإحسان على طريقهم، وكـذلك تـابعوهم رضي الله عن الجميع ورحمهم رحمة واسعة، وهذا ما صرح به العلماء رحمهم الله تعالى.*

*قـال شـيخ الإسـلام ا بن تيمية -رحمه الله تعـالى- في مجمـوع الفتـاوى وهو يتكلَّم عن مشـهد رأس الحسـين : (...دَعْ خلافة بـني العبـاس في أوائلها وفي حـال اسـتقامتها فـإنهم حينئذ لم يكونـوا يعظمون المشاهد سواء منها ما كان صدقاً أو كذباً كما حـدث فيما بعد؛ لأن الإسـلام كـان حينئذ في قوته وعنفوانه ولم يكن على عهد الصحابة والتابعين وتـابعيهم من ذلك شـيء في بلاد الإسـلام لا في الحجـاز ولا اليمن ولا الشـام ولا العـراق ولا مصر ولا خراسـان ولا المغرب ولم يكن قد أحْدِث مشهد لا على قـبر نـبي ولا صـاحب ولا من أهل البيت ولا صـالح أصـلاً، بل عامة هـذه المشـاهد محدثه بعد ذلك، وكـان ظهورها وانتشـارها حين ضـعفت خلافة بـني العبـاس وتفـــرقت الأمة وكــــثر فيهم الزنادقة والملبســـون على المسـلمين،وفشت فيهم كلمة أهل البـدع وذلك من دولة المقتـدر في أواخر المائة الثالثـــة، فإنه إذ ذاك ظهـــرت القرامطة العبيدية القداحية بأرض المغـرب ثم جـاءوا بعد ذلك إلى أرض مصر وقريبـاً من ذلك ظهر بنو بويه وكان في كثير منهم زندقة وبدع قويـة، وفي دولتهم قـويَ بنو القـداح بـأرض مصـر، وفي دولتهم أظهر المشـهد المنســوب إلى علي  بناحية النجــف، وإلاَّ فقبل ذلك لم يكن أحد يقول إن قـبر علي هنـاك وإنما دفن علي  بقصر الإمـارة بالكوفـة. وإنما ذكروا أن بعضـهم حكى عن الرشـيد أنه جـاء إلى بقعة هنـاك وجعل يعتذر إلى المدفون فيها، فقالوا إنه علي،وإنه اعتذر إليه مما فعل بولده، فقالوا هذا قبر علي،وقد قال قوم إنه قـبر المغـيرة بن شعبة والكلام عليه مبسوط في غير هذا الموضع)[1].*

ويؤيد ماقرره شـيخ الإسـلام مقاتله الإمامـان الـذهبي وابن كثـير، يقول الـذهبي في آخر ترجمة عضد الدولة البـويهي الـذي قـال عنه قبل ذلـك: (وكـان شـيعياً جلـداً أظهر بـالنجف قـبراً زعم أنه قـبر الإمام علي وبنى عليه المشهد وأقام شعار الرفض ومأتَم عاشوراء والاعتزال) ثم قال: وبه ختم ترجمة عضد الدولة: (قلت:فنحمد الله على العافية فلقد جرى على الإسـلام في المائة الرابعة بلاء شـديد بالدولة العبيدية بـالمغرب، وبالدولة البويهية بالمشـرق وبـالأعراب القرامطة فالأمر لله تعالى).[2].

---

1 مجموع الفتاوى ( 27 / 465- 467 ) .

2 السير (16/250-252 ) .

وقال ابن كثير في حوادث سنة (347 هـ):(وقد امتلأت البلاد رفضاً وسباً للصحابة من بني بوية وبني حمدان والفاطميين، وكل ملوك البلادِ مصراً وشاماً وعراقاً وخرا سان وغير ذلك من البلاد كانوا رفضاً وكذلك الحجاز وغيره،وغالب بلاد المغرب،وكثر السب والتكفير منهم للصحابة) [1].

*ويؤيده كذلك ما ذكره السمهودي -رحمه الله -في كتابه (وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى) وهو يتحدث عن قبر فاطمة رضي الله عنها قال: (وإنما أوجب عدم العلم بعين قبر فاطمة رضي الله عنها وغيرها من السلف ما كانوا عليه من عدم البناء على القبور وتجصيصها)[2].*

*ثم قال تحت عنوان: " بيان المشاهد المعروفة اليوم بالبقيع وغيره من المدينة المشرفة ": (اعلم أن أكثر الصحابة  -كما قال المطري ممن توفي في حياة النبي  وبعد وفاته- مدفونون بالبقيع وكذلك سادات أهل بيت النبي  وسادات التابعين .*

*وفي مدارك عياض عن مالك أنه مات بالمدينة من الصحابة نحو عشرة آلاف وباقيهم تفرقوا في البلدان.*

*وقال المجد: " لاشك أن مقبرة البقيع محشوة بالجماء الغفير من سادات الأمة غير أن اجتناب السلف الصالح المبالغة في تعظيم القبور وتجصيصها أفضى إلى انطماس آثار أكثرهم فلذلك لا يعرف قبر معين منهم إلاّ أفراداً معدودة ") [3].*

*ويؤيده أيضاً ما ذكره الشافعي- رحمه الله تعالى - في كتابه الأم قال: (ولم أر قبور المهاجرين والأنصار مجصصة)، قال الراوي عن طاووس: (إن رسول  نهى أن تبنى القبور أو تجصص - قال الشافعي -:(وقد رأيت من الولاة من يهدم بمكة ما يبنى فيها فلم أرَ الفقهاء يعيبون ذلك) [4].*

---

[1] البداية والنهاية ( 11 / 233 ) .
[2] وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ( 3 / 906 ) لنور الدين محمد السمهودي توفي (911هـ) 0
[3] المصدر السابق ( 3 / 916 ) .
[4] الأم ( 11 / 277 )للإمام محمد بن إدريس الشافعي .

وحـتى قبورية اليمن يعـترفون بـذلك، فهـذا الشـلي[1] يقـول وهو يتحدث عن مقابر تريم: (إن كثيرا منهم لايعرف عين قبره، بـل ولا جهته لأن المتقدمين كـانوا يجتنبون البناء والكتابة على القبور وإنما استحسنه
المتأخرون) 0[2]

**المطلب الثـاني:ما يسـتدل به القبورية على وجـود مشاهد ومبان على القبور في تلك القرون:**

القبورية فرقة مبتدعة كسـائر الفـرق المبتدعة الضـالة، يجمعها جميعـاً تتبع المتشـابه من القـول والإعـراض عن المحكم الصـريح، فبرغم الأدلة القطعية على النهي عن البناء على القبور وتجصيصـها واتخاذها مسـاجد والكتابة عليها وغـير ذلك من الأدلة المحكمـة، إلا أنهم تركوا ذلك كله واحتجوا بأمور لا يجوز الاحتجـاج بهـا، إما لعـدم ثبوتها أو لعـدم دلالتها على المطلـوب، وسـأذكر هنا ما اسـتدلوا به من وجود مبان على القبور في القرون المفضلة وهي:

(1) أن الصحابة  بنوا مسـجداً على القـبر في حياته  فـأقرهم على ذلك، ولم يأمرهم بهدمه.
(2) أن عمر بن الخطـاب ضـرب خيمة على قـبر زينب بنت جحش رضي الله عنها.
(3) أن عثمان بن عفان  ضرب الفسطاط على قـبر الحكم بن أبي العاص.
(4) أن محمد بن الحنفية ضرب فسطاطاً على قـبر عبدالله بن العباس .
(5) أن فاطمة بنت الحسين امـرأة الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ضربت على قبره القبة سنة ثم رُفعت.
(6) أن عائشة رضي الله عنها أمـرت بفسـطاط فضـرب على قبر أخيها عبدالرحمن حين مات بذي طوى.

---

[1] محمد بن أبي بكر الشلي باعلوي من كبار صوفية حضرموت عاش بمكة وله عدد من المؤلفات أشهرها "المشرع الروي" يعد من أكثر كتب التراجم سخافة وخرافة شحنه بما لا يقبله عقل ولا يقره نقل ومع ذلك فهو عمدة من عمد تاريخ حضرموت قال علوي ابن طاهر الحداد في جني الشماريخ ص (31) : ( ولا يحتاج الآخذ من المشرع أن يتطلب حجة في كل شي ء رآه فيه 0 فإن صاحب المشرع من العلم والاطلاع والاستقراء بالمحل العالي وقد شهد له الحبيب الإمام القطب الحداد بالثقة والصدق كما جاء في مجموع كلامه ولا يحضرني الآن نقله بالحرف وناهيك بذلك ناهيك ) توفي سنة(1093هـ) انظر ترجمته :في المشرع وقد ترجم لنفسه (2/17)0

[2] ? المشرع ( 1/147) 0

*(7) أن خارجة بن زيد قــال: (رأيتــني ونحن شــبان في زمــان عثمان بن عفان  وإن أشدَّنا وثبة الذي يثب قبر عثمـان بن مضعون حتى يجاوزه).*

*قلت:هذه سبعة آثار اسـتدل بها القبوريـون على وجـود أصـلٍ لما دَرَجوا عليه من البناء على القبور في عهد السـلف الصـالح [1]،وسـأرد - بحـول اللــه- على ذلك مبينـاً أنه لا أساس لما تمسكوا به إلا ما يفعله من قال الله فيهم:**فأما الذين في قلـوبهم زيغ فيتبعـون ما تشـابه منه ابتغـاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلاّ الله  [2].***

***<u>المطلب الثالث</u>: الرد على ما استدلوا به من الشـبهات على وجود مبان على القبور في تلك القرون:***

***الشبهة الأولى -** قولهم بأن الصحابة بنوا مسجداً على القبر في حياته  فأقرهم على ذلك، وهم يريدون بذلك ما ذكره ابن عبد البر في الاسـتيعاب في ترجمة أبي بصـير ،حيث ذكر قصة مجيئه إلى النـبي  بعد صـلح الحديبيـة، وإرسـال المشـركين يطلبـون إرجاعه إليهم وكيف سلَّمه إليهم،ثم قتل أبو بصير  أحد الرسولين ثم خرج إلى سـيف البحر ومكث هنـاك،ولحق به أبو جنـدل بن سـهيل بن عمرو وجماعة من المسلمين، وأنهم شكَّلوا عصـابة لقطع الطريق على المشركين والاسـتيلاء على قـوافلهم،حـتى أرسل المشـركون للنبي  يرجونه قبولهم لديه فأرسل النبي  إليهم كتاباً بذلك، فجاء الكتاب وأبو بصير  في حال المـوت،فمـات وكتـاب رسـول  على صدره فصلى عليه أبو جندل.*

*والقصة إلى هنا- في البخاري وغيره-مُسـنَدة،غـير أن فيما سـاقه ابن عبد البر زيادة **((وبنى على قبره مسجداً))** [3]،وهــذا موضع الشـاهد الـذي احتجَّ به القبوريـون كما فعل الغمـاري في رسـالته*

---

1 تجد هذه الشبهات في رسـالة( الجـواب المشـكور ) ، وهي عبـارة عن فتـوى أجـاب فيها المفـتي عن أسـئلة تتعلق بـالقبور والبنـاء عليها ووقع عليها عـدد من علماء الهند وأرسلت إلى الملك سعود بن عبد العزيز آل سـعود فقـام هو بإحالتها إلى دار الإفتاء الـتي أجـابت عليها بكتـاب شـفاء الصـدور في الـرد على الجـواب المشكور أنظر مقدمة شفاء الصدور (ص5-6) وقد طبع في دار العصمة بالرياض (1409هـ)تحقيق عبد السلام آل عبد الكـريم 0 ورسـالة (إحيـاء المقبـور من أدلة استحباب بناء المساجد والقبـاب على القبـور ) لأحمد عبد الله الصـديق الغمـاري الطبعة الثانية ، نشر مكتبة القاهرة بمصر .

2 ? آل عمران ( 7 ) .

3 الاستيعاب في أسماء الأصحاب ( 4/21-23)ـ ، للحافظ ابن عبد البر ،بهـامش الإصابة لابن حجر طبع ( دار الكتاب العربي)، بدون تاريخ .

إحياء المقبور حيث قال: **(**الدليل الثامن**:** أن الصحابة بنـوا مسـجداً على القـبر في حياته ﷺ)[1]ثم سـاق القصة عن الاسـتيعاب وفيها تلك الزيادة.

قلت: نعم ذكر ذلك ابن عبد البر في الاستيعاب ولكنه ساق القصة من طريق عبد الرزاق عن معمر –قـال الزهـري في حديثه -: غـير أن عبد الـرزاق لم يـذكر موضع الشـاهد وإنما وقف عند قولـه: (فأرسلت قريش إلى النبي ﷺ تناشده الله والـرحم، إلاّ أرسل إليهم فمن أتاه فهو آمن فأرسل النـبي ﷺ إليهم) [2]، وإلى هنا سـاق القصة ابن عبد الـبر ثم قـال: (وذكر موسى بن عقبة هـذا الخـبر في أبي بصـير بـأتم ألفـاظٍ وأكمل سـياقه)، ثم ذكر القصة وفيها موضع الشاهد (فقدم كتاب رسول الله ﷺ على أبي جندل وأبو بصير يموت فمـات وكتـاب رسـول الله ﷺ بيـده يقـرأه فدفنه أبو جنـدل مكانه وصلى عليه وبنى على قبره مسجداً) [3].

فأنت ترى أن ابن عبد البر فرَّق بين رواية عبد الرزاق الموصـولة الصـحيحة وبين هـذه الرواية الـتي نقلها عن موسى بن عقبـة، وقد **دمجها** الغماري تدليساً على القارئ ليتـوهم أن القصة كلها بـذلك الطريق الصحيح المسند والواقع خلاف ذلك.

وبعد أن عرفنا أن قصة المســجد إنما هي من رواية موسى بن عقبة نعـود لنقـول: هنـاك اعـتراض على الاستشـهاد والاسـتدلال بالقصة من ناحيتين:

**الناحية الأولى من جهة السـند:** فموسى بن عقبة رواها عن الزهـري مرسـلة، وقد رواها مـن طريق موسى بن عقبة الـبيهقي في دلائل النبوة من طـريقين عن موسى بن عقبة عن ابن شـهاب مرسلة [4]، كما رواها ابن عساكر في تاريخـه،ذكـره الشـيخ الألبـاني وقـال: (رواية موسى بن عقبة في تـاريخ ابن عسـاكر( 8/334/1)رواه بإسـنادين عنه عن ابن شـهاب مرسلاً أو معضـلاً بلفظ: (وجعل عند قبره مسجدا) [5].

وبناء على ما تقدم فإن هذا المرسل لا يحتج به كما هو مقرر عند علماء الحديث، هذا لوكان سالماً من المعارضة،فكيف وهو مخالف لما في البخاري،حيث لم يـذكر تلك الزيـادة هو ولا أحد ممن خـرَّج

[1] إحياء المقبور من أدلة جواز بناء المساجد على القبور ( 38 ) 0

[2] عبد الرزاق في مصنفه ( 5/ 337- 342 ) 0

[3] ? الاستيعاب ( 4/22-23 ) .

[4] دلائل النبوة ( 4/172-175 )ـ ، للإمام البيهقي ،تحقيق الـدكتور عبد المعطي قلعجي ، طبع دار الكتب العلمية بـيروت الطبعة الأولى سـنة ( 1405هــ – 1985 م )

[5] تحذير الساجد ص ( 118 )

*تلك القصة سوى موسى بن عقبة، ثم هو مخالف للأحاديث التي تبلغ مبلغ التواتر المعنوي في المنع من بناء المساجد على القبور ولعن فاعلِ ذلك،مع تأخّر تلك الأحاديث أو بعضها عن هذه الحادثة؛ إذ كان لعن أولئك في مرض موت الرسول .*

***الناحية الثانية من جهة المتن:*** *في اللفظ الذي ذكره ابن عبد البر (وبنى على قبره مسجداً)،هذا اللفظ قد خالفه ثلاثة من الحفاظ، روَوه بلفظ: (وجعل عند قبره مسجداً)، وهم: البيهقي في دلائل النبوة،وابن عساكر في تاريخه وتقدم العزْو إليهما، والثالث الحافظ ابن حجر في الفتح حيث قال في شرح الحديث الذي ساقه البخاري في كتاب الشروط من صحيحه: (وفي رواية موسى بن عقبة عن الزهري فكتب رسول الله  إلى أبي بصير فقدم كتابه وأبو بصير يموت فمات وكتاب رسول الله  في يده فدفنه أبو جندل مكانه وجعل عند قبره مسجداً)* [1]*،*

*وظاهر أن (عند قبره) يختلف قطعاً عن (على قبره)، فبناء المسجد على القبر هو الذي فيه النزاع، والذي قد وردت الأحاديث بتحريمه ولعن فاعله، وأما البناء عند القبر فيختلف باختلاف قصد الباني وليس فيه نهي لذاته فلو فرضنا أن هذا اللفظ صحيح فإنه لا دليل فيه على مطلوب القبورية.*

***وهناك ناحية ثالثة*** *وهي على افتراض أن السند صحيح وأن اللفظ هو كما أورده الغماري: (على قبره مسجداً)، فإن التعارض قائم لا شك ولا إمكان للجمع، والتاريخ معروف، فقصة أبي بصير قبل السنةِ الثامنة سنةِ الفتح،والأحاديث الناهية عن اتخاذ المساجد على القبور في آخر أيام النبي ،بعضها قبل موته  بخمسة أيام*[2] *وبعضها وهو محتضر*[3] *فهي ناسخة لتلك القصة وبهذا لا يبقى للقبورية أي استدلال بهذه القصة.*

***الشبهة الثانية من شبهات القوم:****أن عمر بن الخطاب ضرب خيمة على قبر زينب بنت جحش رضي الله عنها.*

*قلت: قصة ضرب عمر  الخيمة على قبر زينب بنت جحش رضي الله عنها رواها ابن سعد من طريق محمد بن المنكدر،وعن موسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث عن أبيه، فلفظ محمد بن المنكدر عن عمر:(أنه مرَّ على حفارين يحفرون قبر زينب في يوم صائف*

---

[1] فتح الباري ( 5/351 )

[2] هو حديث جندب بن عبدالله  تقدم تخريجه ص ( 19 )0

[3] هو حديث عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما وكلا الحديثين تقدم تخريجهما ( 17 ) .

*فقال: (لو أني ضربت عليهم فسطاطاً، فكان أول فسطاط ضرب على قبر) [1]، ولفظ موسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث عن أبيه (أمر بفسطاط فضرب على قبرها لشدة الحر يومئذ فكان أول فسطاط ضرب على قبر بالبقيع) [2]، وهناك لفظ ثالث عن عبدالله بن ربيعة قال: (رأيت عمر بن الخطاب صلى على قبر زينب بنت جحش سنة عشرين في يوم صائف ورأيت ثوباً مد على قبرها وعمر جالس على شفير القبر) [3].*

*وهذه الألفاظ جميعها مبينة أن الفسطاط الذي ضرب أو الثوب الذي مد كما في الرواية الثالثة؛إنما مُدَّ لإظلال الحفارين ووقايتهم من حر الشمس في ذلك اليوم الصائف، فأي دليل فيه على بناء المساجد والمشاهد على القبور؟!، هذا إن صح، ولم أكلِّف نفسي البحث في أسانيدها لأنها حتى لو صحت لم تدل على قصد المستدل،وهذا واضح فبطل الاستدلال بهذه القصة.*

***الشبهة الثالثة من شبهات القوم:** قصة عثمان بن عفان  حين ضرب الفسطاط على قبر الحكم بن أبي العاص، ولفظها عند ابن سعد من طريق الواقدي سنده إلى ثعلبة بن أبي مالك قال: (رأيت يوم مات الحكم بن أبي العاص في خلافة عثمان بن عفان ضرب على قبره فسطاطاً في يوم صائف، فتكلم الناس فأكثروا في الفسطاط فقال عثمان: (ما أسرع الناس إلى الشر وأشبه بعضهم إلى بعض، أنشدكم الله من حضر نشدتي: هل علمتم عمر بن الخطاب ضرب على قبر زينب بنت جحش فسطاطاً؟ قالوا: نعم،قال: فهل سمعتم عائباً؟ قالوا: لا) [4]،قلت: الحديث في سنده الواقدي ومع ذلك فهو من حيث الدلالة كالذي قبله لادليل فيه على ما يريدون.*

***الشبهة الرابعة من شبهاتهم:** أن محمداً بن الحنفية ضرب فسطاطاً على قبر عبدالله بن عباس ،قلت: الأثر رواه ابن أبي شيبة من طريق هشيم عن عمران بن أبي عطاء قال:(شهدت وفاة ابن عباس فوليه ابن الحنفية فبنى عليه بناءً ثلاثة أيام) [5] وكذلك أخرجه الحاكم من طريق هشيم إلا أنه قال: (حدثنا أبو حمزة، ثنا*

---

[1]، [2]، [3]والثلاثة الآثار رواها ابن سعد في الطبقات الكبرى ( 8/112-113) ، طبع دار صادر بيروت، وطريق موسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث وهو التميمي رواه الحاكم في المستدرك ( 4/24 ) ، كتاب معرفة الصحابة (ذكر زينب بنت جحش ) .

[4] رواه ابن سعد في الطبقات ( 8/113 ) من طريق محمد بن عمر الواقدي وهو متهم بالكذب .

[5] ابن أبي شيبة في المصنف كتاب الجنائز (في الفسطاط يضرب على قبر ) ( 3/335-336 ) 0

*عمــران بن أبي عطــاء، فجعلها اثــنين أبا حمــزة وعمــران مع أن الصحيح أن أبا حمزة هو عمـران نفسه فلا أدري أهي غلطة مطبعية أم أنه وهم من الحاكم -رحمه الله-،ولم يعلق الذهبي على ذلـك،ولا محقق الكتــاب في طبعته الجديــدة [1]، وكــذلك رواه الخطيب في "مُوضِح أوهام الجمع والتفريق" من طـريقين: أحـدهما عن سـفيان عن عمران بن أبي عطاء،وأخرى عن هشيم عن أبي حمزة الأسدي يريد بذلك إثبات أن عمران بن أبي عطاء هو أبو حمـزة الأسـدي) [2]، وعمران الذي يدور عليه الأثر من رجـال مسـلم وقـال عنه الحافظ في التقريب: (صدوق له أوهام) [3]، فالأثر ثابت رغم ذلك؛ لأنه يحكي مشاهدة ورؤية فلا يضر ما قيل عنه من أوهام، غــير أن الأثر لا يفيد القوم شيئاً إذ أنه لا يخرج عما سبق من الآثار،إذ بقـاء الفسـطاط -الذي جاء مصرحاً به في رواية الجميع كـان لمـدة ثلاثة أيـام فقـط- دالّ أنه كان لغرض آخر غير ما تَـرمِي إليه القبوريـة؛ فإما أن يكـون بُنِي على الحفارين ثم ظلَّ كذلك وهذا الأقرب وإما لأمر آخر، ولكن أن يحتج به على بناء المشاهد والمساجد على القبور فهــذا لا يقوله عاقل منصف.*

***الشبهة الخامسة:*** *قصة فاطمة بنت الحسين وضــربها القبة على قبر زوجها الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب.*

*قلت: هذا الأثر قد علّقه البخاري في صحيحه،في كتاب الجنائز،في باب "ما يكـره من اتخـاذ المسـاجد على القبـور" قـال: (ولما مـات الحسن بن الحسن بن علي  ضـربت امرأته القبة على قـبره سـنة ثم رُفعت فسمعوا صـائحاً يقـول: (ألا هل وجـدوا ما فقـدوا؟ فأجابه الآخر: بل يئسوا فانقلبوا)* [4]

*وهذا الأثر قد حمَلَ نقدَه وتفنيدَه معَه؛ لأمور:*

***الأمر الأول -*** *إيراد البخاري له في هذا البـاب دال على اسـتنكاره له، قال الحافظ -رحمه الله-: (ومناسبة هذا الأثر لحـديث البـاب أن المقيم في الفسطاط لا يخلو من الصلاة هناك فيلزم اتخاذ المسجد عند القبر وقد يكون في جهة القبلة فتزداد الكراهة)* [5]*.*

***والأمر الثاني*** *ذكرُ الهاتف فإنه مُشْعِر بقبح ما صنعت تلك المرأة.*

---

[1] الحاكم في المستدرك(4/702 )، كتاب معرفة الصحابة ( ذكر وفاة عبدالله بن عباس  ).

[2] موضع أوهام الجمع والتفريق ( 2/332 ) ، للخطيب البغدادي، تحقيق الدكتور عبد المعطي أمين قلعجي ،طبعة دار المعرفة بـــيروت الطبعة الأولى ســـنة ( 1407هـ - 1987م ).

[3] تقريب التهذيب( 751 )،للحافظ ابن حجر 0

[4] البخاري مع الفتح ( 3/200) .

[5] المصدر السابق ( 3 / 200 )

*قال ابن المنير _كما نقل عنه الحافظ _: (إنما ضربت الخيمة هناك للاستمتاع بالميت بالقرب منه تعليلاً للنفس، وتخيلاً باستصحاب المألوف من الأنس ومكابرة للحس، كما يتعلل بالوقوف على الأطلال البالية ومخاطبة المنازل الخالية،فجاءتهم الموعظة على لسان الهاتفين بتقبيح ما صنعوا، وكأنهما من الملائكة أومن مؤمني الجن، وإنما ذكره البخاري لموافقته للأدلة الشرعية لا لأنه دليل برأسه)[1]، إذاً فعلى رأي ابن المنير إنما أورد البخاري ذلك للاستئناس به لما ذهب إليه من كراهة اتخاذ المساجد على القبور وليس لتأييد ذلك.*

*قال القسطلاني -رحمه الله - في شرحه على البخاري: (ومطابقة الحديث للترجمة من جهة أن المقيم في الفسطاط لا يخلو من الصلاة فيه فيسلتزم اتخاذ المسجد عند القبر، وقد يكون القبر في جهة القبلة فتزداد الكراهية وإذا أنكر الصائح بناءً زائلاً وهو الخيمة فالبناء الثابت أجدر، ولكن لا يُؤخَذ من كلام الصائح حكم لأن مسالك الأحكام الكتاب والسنة والقياس والإجماع ولا وحي بعده عليه الصلاة والسلام، وإنما هذا وأمثاله تنبيه على انتزاع الأدلة من مواضعها واستنباطها من مظانها)[2]. وبهذا يظهر أن الدليل هو لنا وليس للقبورية.*

***الشبهة السادسة من شبهات القوم:** أن عائشة رضي الله عنها أدركت أخاها عبد الرحمن بعد موته -حين رفعوا أيديهم عن دفنه بذي طوى -فأمرت بفسطاط فضرب على قبره.*

*قلت: هذا الأثر علقه البخاري -رحمه الله تعالى- قال: (رأى ابن عمر  فسطاطاً على قبر عبدالرحمن فقال: انزعه يا غلام فإنما يظلّه عمله)[3].*

*وقال الحافظ في شرحه: (وعبد الرحمن هو ابن أبي بكر الصديق بَيَّنَه ابن سعد في روايته له موصولاً من طريق أيوب بن عبدالله بن يسار قال: (مرَّ عبدالله بن عمر على قبر عبدالرحمن بن أبي بكر أخي عائشة وعليه فسطاط مضروب فقال: يا غلام انزعه فإنما يظله عمله، قال الغلام تضربني مولاتي. قال: كلا فنزعه)،ومن طريق ابن عون عن رجل قال: (قدمت عائشة ذا طوى حين رفعوا أيديهم عن عبدالرحمن بن أبي بكر فأمرت بفسطاط فضرب على قبره ووكلت به إنساناً وارتحلت فقدم ابن*

---

[1] المصدر السابق (3 / 200 ).

[2] إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ( 2 / 430 ) ، لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني ، دار إحياء التراث بيروت بدون تاريخ .

[3] صحيح البخاري كتاب الجنائز باب ( الجريدة على القبر ) (2 / 457 ) .

*عمـر...) فـذكر نحـوه، وقد تقـدَّم توجيه إدخـال هـذا الأثر في هـذه الترجمـة)، قلت: يعـني ما ذكـره في الأثر السـابق أثر فاطمة بنت الحسـين وهو أن البخـاري قـاس الفسـطاط على المسـجد في الكراهة.*

*وهـذا الأثر كـذلك يجب أن يسـتدل به على محاربة الصـحابة لتلك المظاهر لا على إثباتها وتأصيلها،فعائشة رضي الله عنها نصبت تلك الخيمة ولم يتـبين لنا ما هو السـبب في ذلـك، ولا لأي غـرض كـان نصـــبها،ثم ذهبت فلما جـــاء ابن عمر اســـتنكر ذلك وعبّر عن استنكاره بالأمر بنزع ذلك الفسطاط، رغم إخبـار الغلام له بـأن من أمر به هو عائشة رضي الله عنهـا،ورغم ما يكنّه الصـحابة جميعـاً لعائشة رضي الله عنها من التقــدير والاحــترام،إلا أن ذلك لم يمنع ابن عمر من تغيير ما رأى أنها أخطأت فيه.*

*ولم يذكر بعد ذلك لنا محدث ولامؤرخ أن عائشة اعترضت على ما فعله ابن عمــر،وهــذا دليل على أنها رجعت إلى ما رآه ابن عمــر، خصوصـاً وأن عائشة رضي الله عنها ليست ممن يسـكت على ما يرى خلافه، ومن أجل ذلك كثرت اسـتدراكاتها على الصـحابة حـتى جمعها الزركشي - رحمه الله - في كتـاب مسـتقل سـماه (الإجابة لما اسـتدركته عائشة رضي الله عنها على الصـحابة) ولم يـذكر هو ولا غـــيره أن عائشة رضي الله عنها اســـتدركت على ابن عمر ما فعل، فسقط هذا الدليل والحمد لله.*

***الشـبهة السـابعة:*** *أثر خارجة بن زيد -رحمه اللـه- أحد الفقهـاء السبعة أنه قال: (رأيتني ونحن شبان في زمن عثمان  وإن أشــدنا وثبة الذي يثب قبر عثمان بن مظعون حتى يجاوزه).*

*قلت: الأثر علقه البخـاري [1] بنفس اللفـظ، وقد تعـرض له العلامة عبدالرحمن المعلمي اليماني [2] - رحمه اللـه- في كتـاب البنـاء على*

---

[1] في الصحيح كتاب الجنائز ( الجريدة على القبر ) (2/465).

[2] هو العلامة المحدث المحقق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، رحل في طلب العلم والمعـاش ، فمكث مـدة في الهند ثم اسـتقر في مكة المكرمة أمينا لمكتبة الحرم المكي ، حقق عدداً كثـيراً من كتب الحـديث والرجـال ، وألف في الرد على أهل البدع والباطل من أشهر كتبه " التنكيل بما في تأنيب الكـوثري من الأباطيل "وله كتاب بعنوان " البناء على القبور " لم يكمله، وفي الموجـود منه ما يــدل على تحقيق بــالغ وعلم غزير كما أن له كتابا بعنــوان " القائد إلى تصــحيح العقائد " توفي رحمه الله بمكة سـنة(1386هــ) انظر ترجمته بقلم عبد الله ابن عبد الـــــرحمن بن عبد الـــــرحيم المعلمي في مقدمة التنكيل ص(9)طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء = = والدعوة والإرشاد بالرياض ( 1403 هـ -1983 م ) وهجر العلم (3/1266) طبع دار الفكر المعاصـر بيروت ، ودار الفكـر سورية الطبعة الأولى ( 1416هـ - 1996 م ) .

*القبور وردّه من أحد عشر وجهاً، وأكتفي بوجهين اثنين فقط أراهما مزيلين للإشكال، قـال رحمه اللـه: (ثانيـاً في تهـذيب التهـذيب في ترجمة خارجة: " قال ابن نمير وعمرو بن علي: مات سـنة (99هـ) وقال ابن المديني وغـير واحـد: مـات سـنة مائة "، فظـاهر هـذا أن الأكـثر على أن موته كـان سـنة مائة والجمع أولى بأنه مـات أواخر سـنة (99هـ)، وفي تـاريخ ابن عسـاكر أنه تـوفي وعمـره سـبعون سنة، وذكر لذلك قصة أن خارجة قـال:" رأيت كـأني بـنيت سـبعين درجة، فلما فرغت منها هـويت وهـذا السـنة لي سـبعون سـنة وقد أكملتها، قال فمات فيها ".*

*ونقل مثله ابن خلكان عن طبقـات ابن سـعد، فـإذا أنقصـنا سـني عمره من سني الهجرة لموته بقي تسع وعشـرون، فيكـون مولـده آخر سنة تسع وعشرين،وعثمان قتل سـابع ذي الحجة سـنة خمس وثلاثين، فيكــون سن خارجة يــوم قتل عثمــان ست ســنين تقريباً،فكيف يكون شاباً في زمن عثمان؟.*

*وقد راجعت طبقـات ابن سـعد، "طبع أورُبَّا" فظهر أنه روى هـذه القصة عن الواقـدي) - قلت: والمعلمي -رحمه اللـه- يشـير بـذلك إلى ضـعف القصة حيث ظهر تناقضـها- ثم قـال (**ثالثـاً:** إذا سـلم إسناده ولم نعتبر هذه علة قادحة فيه، فإنه ينبغي الجمع بأن يتـأول الأثر بأن قولـه:(شـبّان) مجـاز، أراد أننا غلمـان أقويـاء أصـحاء كأننا شبان، ويؤيد هذا كلمة (غلمان) الثابتة في التـاريخ وإن حـذفت في التعليق، ويؤيده أيضاً أنه لو كانوا أبناء تسع سنين ونحوها لما ذهبوا يتواثبون على قبر رجل من أفاضل السابقين، ولاسيما وبجواره قبر ابن رسول الله ، وهذا ممنوع في الشرع اتفاقـاً لأن من روى عنه إباحة الجلوس على القبر لا يبيح التـوثب عليـه. وقولـه: (إن أشـدنا وثبة... الخ).يدل أن أكـثرهم يقصر فيقع على القـبر والـذي يجـاوزه يقع على القبـور المجـاورة، وأبنـاء الصـحابة  لم يكونـوا يبلغـون التميـيز إلاّ وهم عـارفون آداب الـدين ملـتزمون لها مثل خارجة بن زيد، وعلى هذا فلا دلالة في الأثر لأن الغلام الذي عمرُه ست سنين –وإن كان قويـاً – يشق عليه أن يثب أكـثر من ذراعين ونصف على وجه الأرض وهذا هو عرض القبر عادة تقريباً.*

*ويشبه أن يكون قبر عثمان بن مظعـون أعـرض قليلاً من القبـور المعتادة، ويكون خارجة أراد بذلك القول: الإخبار عن عـرض القـبر ليخبرهم أن السنة توسعة القبر)* [1].

---

[1] ? البناء على القبور ص ( 33-34 ) ، للعلامة عبدالرحمن بن يحـيى المعلمي ، تحقيق حاكم بن عبيسان المطيري ، الطبعة الأولى ( 1417هــ -1996

*وبهـذا تنقطع حجة القبـوريين في جميع ما إسـتدلوا به من وجـود مظاهر القبورية في عهد السلف الصالح وسـأثبت - إن شـاء الله - إضافة لما سبق خلاف ذلك: وهو إنكار السـلف لكل ما هو من هـذا القبيل والتنصيص على منع إقامة الفساطيط وما هو أعلى منها في المطلب الرابع.*

***<u>المطلب الرابع</u>:التصـريح بتسـوية الصـحابة لما ارتفع من القبـــور وإزالة ما اســـتجد في المقـــابر من فساطيط ونحوها:***

*تقدم في الباب التمهيدي في الأسلوب السابع: أمر النبي ﷺ بتسوية القبور المشـرفة،وذلك عن فضـالة بن عبيـد، وعلي بن أبي طـالب ،وكذلك تطبيقهما لذلك،فأمر فضالة بتسوية قـبر [1] صـاحبهم الـذي مـات بـرودس،كما بعث علي أبا الهيـاج الأسـدي لـذلك الغـرض [2]،وكذلك عثمان بن عفان كـان يـأمر بتسـوية القبـور بما في ذلك قـــبر ابنته أم عمـــرو بنت عثمـــان [3]، ومن ذلك تعامل أبي موسى وأصحابه مع قبر دانيـال وقد مر [4] وأما قضـية الفسـاطيط فقد مـرَّ معنا قصة عائشة في وضع فسـطاط على قـبر أخيها عبد الـرحمن وكيف أزاله ابن عمر ولم تعــترض على ذلك [5]، وكـــذلك ما فعلتــه فاطمة بنت الحســين ومانبه به على خطئها من الهـــاتفين، وكيف أدخل البخاري ذلك في باب كراهية اتخاذ المساجد على القبور [6].*

*وقد أوصى بعض الصحابة والتـابعين بـالمنع من إقامة الفسـطاط على قبورهم أو رفعها، فأوصى أبو هريرة (ألا يضـربوا على قـبره فسـطاطاً) [7]، وأوصى بمثل ذلك أبو سـعيد الخـدري [8]، وكـــذلك*

---

م ) ، دار أطلس الرياض ،وقد رد في هذا الكتـاب وبأسـلوب قـوي وحجج رصـينة ساطعة شبهة اتخـاذ المسـجد على أصـحاب الكهف فلـيرجع إليها من أراد معرفة الحقيقة .

[1] انظر : ص ( 24 ) .

[2] انظر :ص ( 24 ).

[3] الباب التمهيدي ص ( 24 ).

[4] انظر : ص ( 37-38 )

[5] انظر : ص ( 87 )

[6] انظر : ص (87 ) .

[7] رواه عبد الرزاق ( 3/ 418 ) كتاب الجنائز باب لا يتبع بالجمرة ، وابن أبي شيبة في كتاب الجنائز : في الفسطاط يضرب على القبر ( 2/335 ) ، وزاد الشيخ الألباني -رحمه الله -عزوه إلى الربعي في وصايا العلماء (2/141) ، وابن سعد ( 4/338 ) قال : وإسناده صحيح تحذير الساجد ص ( 143 ).

[8] ابن أبي شيبة في نفس الباب السابق (2/335 – 336 )، وعمر بن شبَّه في أخبار المدينة الطبعة التي علّق عليها الشيخ عبدالله الدويش (ص96 – 97 ) دار

*أوصى بمثل ذلك سـعيد بن المسـيب [1]، وقـال محمد بن كعب القـرظي (هذه الفسـاطيط التي على القبـور*

*محدثة) [2]، وقال عمر بن شرحبيل: (لا ترفعـوا جـدثي [3] فـإني رأيت المهاجرين يكرهون ذلك [4]).*

*فهذه الآثار كافية لإثبات منهج الصحابة والتـابعين في وضع القبـور وتسويتها والمنع من عمل أي شـيء يـؤدي إلى تعظيمها والغلو في أصحابها.*

***<u>المطلب الخـامس</u>:محـاولات الشـيعة المبكـرة لإنشـاء المشاهد وتصدي الخلفاء لذلك:***

*لقد نشـأت الشـيعة -يـوم نشـأت- غالية في حبها غالية في بغضها،وكانت الرافضة من أكثر فـرق الشـيعة غلـواً،ولا عجب فـإن مُنْشِـئها ومؤسسـها الأول كـان يهوديـاً غاليـاً، يحمل أسـوأ ما عند اليهـود من عقائـد، وينطـوي على أبشع ما لـديهم من حقد على الإسلام والمسـلمين، ذلك هو أحد أهم رؤوس أهل الـرفض عبدالله بن سـبأ اليهـودي [5]، فلا غرابة أن تحمل تلك الفرقة بـذور القبورية*

---

العليان بريـدة الطبعة الأولى(1411هـ-1990م) ،وعـزاه الشـيخ الألبـاني إلى ابن عساكر ( 7 /96 ) وقال : إسناده ضعيف ، لكن له طرق أخـرى عند ابن عسـاكر فهو بها صحيح . انظر : تحذير الساجد ص ( 143 ) . وقال الشيخ الدويّش معلقاً على سند ابن شبَّه : رجاله رجـال الصحيح إلا عبد الـرحمن بن الرجـال قـال في التقريب : ( صـدوق ربما أخطأ ) . قلت : ومن كـان هـذا حاله فحديثه حسن عند ابن حجر -رحمه الله - .

[1] رواه ابن سعد في الطبقات ( 5/142) .

[2] ابن أبي شيبة في مصنفه ( 3 /336 ) ، قال الشيخ الألباني في تحذير الساجد ص ( 143 ) : ورجاله ثقات غير ثعلبة وهو ابن الفرات ، قال أبو حاتم وأبو زرعة : ( لا أعرفه ) كما في " الجرح والتعديل " ( 2/464 - 465 ) طبع دار الفكر طبعة مصورة من طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد الهند سنة ( 1371هـ-1952م) .

[3] الجدث : القبر، انظر : القاموس المحيط ص ( 213 ) .

[4] رواه ابن سعد ( 6 / 108 ) وصحح إسناده الشيخ الألباني في تحذير الساجد ( ص 134 ) .

[5] هو عبدالله بن سبأ الهمداني وقيل الحميري، اليماني النسب والدار، اليهودي الديانة، أسلم زمن عثمان وهاجر إلى الحجاز ثم إلى الشام ومصر، وهناك تحرك في تحريض الثوار على عثمان  حتى قتلوه ،ثم عاد فاندس في أصحاب علي  وغرس فيهم العقيدة الضالة عقيدة ألوهية علي ، فما كان من علي إلا أن زجرهم عن ذلك فلما لم ينزجروا أحرقهم بالنار0وهل أُحرق معهم ؟ ربما الأصح أنه هرب ولم يحرق، ثم كوَّن فرقة هي من أخبث فرق الشيعة وتسمى السبئية، أخرجها جمهور السنة والشيعة من فرق المسلمين، وقد أثبت وجود هذه

والوثنية في طياتها منذ نشـأتها الأولى، ففي الـوقت الـذي كـانت الأمة -كل الأمة- تحارب القبورية وتطمس آثارها،كـان هـؤلاء الغلاة يحاولون إنشاء المشاهد والقباب على قـبر الحسـين  في كـربلاء، ولكن يقظة الخلفـاء والأمـراء وما يجـري في عـروق الأمة من مقاومة لتلك القبورية كان يقف حائلاً قوياً وسداً منيعاً دون تمكين الرافضة من تلك الغاية.

وبنظـرة عـابرة إلى تـاريخ كـربلاء يتـبين ذلـك، فقد زعم مؤرخو الرافضة أن أول بناء أقيم على قبر الحسين كان بعد دفنه مباشرة [1]،ولم أرَ في تواريخ أهل السنة ما يؤيد ذلك،وقد اختلفوا فيمن أقام تلك المباني فقيل: بنوأسد الذين تولّوا دفنـه، وقيل المختـار بن أبي عبيد الثقفي،وكلا الاحتمالين لم يقيموا عليه دليلاً معتبراً،وعندي أنه إن كان ذلك ثابتاً فالمختار أحرى به؛ لأنه كـان شـيعياً متعصـباً نـذر نفسه للقضاء على قتلة الحسين مع ما عنده من انحرافـات وكـذب على الله حتى زعم أنه يُوحى إليه [2].

---

الشخصية الخبيثة مؤرخو السنة والشيعة على السواء ، غير أن بعض المعاصرين من آيات الشيعة وجد أن ترقيع ذلك الثوب المهلهل لا يجدي ،فقرر عدم وجود شخص اسمه عبدالله بن سبأ ،واتهم سيف بن عمر الضبي الإخباري المشهور باختراع هذه الشخصية، غير أن باحثي أهل السنة فندوا تلك الدعوى ، ورد على ذلك المؤلف الشيعي عدد من باحثي أهل السنة في مواضع مختلفة ومناسبات مختلفة ، وأجمَعُ ذلك -حسب علمي- هي رسالة الشيخ سليمان بن حمد العودة التي تقدم بها لنيل درجة الماجستير من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية قسم التاريخ بكلية العلوم الاجتماعية بالرياض عام ( 1402 هـ ) بعنوان ( عبدالله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام ) ، ونشرتها دار طيبة للنشر والتوزيع بالرياض ، فليرجع إليها من أراد الوقوف على حقيقة هذا الرجل .

[1] تاريخ كربلاء ( حائر الحسـين  )،للـدكتور عبد الجـواد الكليـدار ، طبع مـدبولي الصغير بالقاهرة بدون تاريخ ص ( 151 ) .

[2] هو كـذاب ثقيف المختـار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي ، أظهر التشـيع أيـام معاوية فنفي إلى الطـائف ، فلما قـام عبدالله بن الزبـير وفد إليه فأرسـله إلى العراق ، وهناك اتصل بالشيعة وزين لهم أمر إمامة محمد بن الحنفية بدون أمـره ، وأظهر المخاريق وزعم أن جبريل يأتيه بـالوحي ، وتتبع قتلة الحسـين ثم قـامت الحـرب بينه وبين مصـعب بن الزبـير أمـير العـراق من قبل أخيه عبدالله وبعد جولات هزمه مصعب وقتله وقتل جمعاً من أصحابه، وفيه تقـول أسـماء بنت أبي بكر رضي الله عنها للحجاج: سمعت رسـول الله  يقـول : ( إن في ثقيف كـذاباً ومبيراً ) أما الكـذاب فرأينـاه – تعـني المختـار – وأما المبـير فما أخالك إلا إيـاه ) رواه مسلم .

وفيه يقول سراقة البارقي :

كفرت بوحيكم وجعلت نذراً ... عليَّ جهادكم حتى الممات
أرِي عينيَّ مـا لم تَـرَياه ... كلانا عـالم بالترهـات

*ولكن كيف تم له ذلـك؟ وإن تم فكيف يُــقرّ ويُـترك في ظل دولة ابن الزبــير، ثم في ظل دولة بــني أميــة؟، وهم كما يقــول مــؤرخ كــربلاء: (أقــاموا المخــافر والمســالح [1] المدججة بالعتــاد والسـلاح والرجال على أطـراف كـربلاء لمطـاردة الـزوار ومعـاقبتهم بأقسى العقوبات من القتل والصلب والتمثيل بهم)[2].*

*إن أولئك الزوار المزعومين - الذين وضعت دولة بـني أمية العتـاد والســلاح والرجــال لمنعهم من الزيــارة -إنما كــانوا يــزورون ذلك المكــان المقــدس المعلّم بالبنــاء المزعــوم، فكيف يُعقل أن يـترك البناء طيلة تلك الفـترة دون أن يتعرضـوا لـه،مع وجـود ما قيل من المنع من الزيارة والمعاقبة لمن ظُفر به من الزوار.*

*وقد زعم مؤرخ كربلاء أن أول من تعرَّض لهدم ما على القــبر من بناء هو أبو جعفر المنصـور ثـاني خلفـاء العباسـيين، ولم يرجع ذلك إلى مصدر معتمد،وإنما عزاه إلى منظومة بعنوان " مجالي اللطف " للشيخ محمد السماوي[3].*

*قلت: إن صح هذا فإنه قد يكون هنـاك مبـانٍ يسـيرة بُـنيتْ خلسة في حــال غفلة من الرقبــاء، فلما عــرف بهاَ المنصــور بــادر إلى هدمها..*

*ثم زعم مؤرخ كربـلاء أنه في عهد هارون الرشـيد وفي آخر أيامه بالذات:(هدَم الحائر وكَرَبَ موضَع [4]*

*القبر المطهر وقطع السدرة التي كـانت نابتة عنـده ليمحو بعد ذلك كل أثر له) [5]، وهذا إن صح فهو شـبيه بما فعله أبو جعفر المنصـور، وقد أورد بعد ذلك قصة توحي بأنه كان للحائر نظام معين وله خدم وسدنة موظفون للقيـام بـواجب الخدمة وأوقـاف هي تلك الأمـوال الــتي أجرتها أم موسى وهي أم المهــدي ابنة يزيد بن منصــور وقد عزى تلك القصة إلى الطبري في تاريخه في حوادث عام (193هـ) [6].*

---

ترجمه الذهبي في السير ( 3/538 ) وما بعـدها ، وابن كثـير في البداية والنهاية ( 8/289 ) وما بعدها .

[1] المخافر : جمع مخفر وهو مكان الخفارة والحراسة ، والمسالح : جمع مسلحة وهم القوم ذوو السلاح . القاموس ص ( 287 ) ، والمعجم الوسيط ( 1/246 ) .

[2] تاريخ كربلاء ص ( 183-184 ) .

[3] المصدر السابق ص ( 184 ) .

[4] الحائر : موضع قبر الحسين  ، وكرَبَه : أثاره للزرع . انظر : القاموس ص ( 166 )

[5] المصدر السابق ( ص186 )

[6] المصدر السابق ص ( 186 ) .

وعلى كل حال فاحتمال أن يكون الشيعة - في الفترة ما بين عصر المنصور والرشيد - قد تمكنوا من عمل شيء ما من البدع وأحدثوا شيئاً ما من المعالم على قبر الحسين - غير بعيد، ولكن حينما فطن لها الرشيد فعل ما يجب عليه من إزالة لما أوجب الشرع إزالته، وأما كون القبر قد صار له نظام معين وإدارة وسدنة.... الخ فهذه مزاعم لادليل عليها، ولا تتماشى مع واقع ذلك العصر.

ثم ذكر أن القبر وما عليه من بناء وما حوله من دور قد هدمت في أيام الخليفة المتوكل أربع مرات خلال خمسة عشرة سنة،وأطال في ذلك جداً وكانت مراجعه في ذلك في الغالب كتب الشيعة وبعض كتب مؤرخي أهل السنة، والذي يظهر أن بناءً بشكل ما قد أقيم على القبر، وذلك بعد عهد الرشيد وفي أيام الخلفاء الذين تبنوا مذهب الشيعة وهم المأمون والمعتصم والواثق،إما برضى منهم أو بانصرافهم عن مراقبة تلك البقعة وما يدور فيها، لعدم الحساسية التي كانت لدى أسلافهم، من ذلك؛ فتمكن المتربصون من الرافضة مما يريدون، حتى إذا كانت خلافة المتوكل ورجع عن التشيع والاعتزال وأحاط به أهل السنة قام بما يجب عليه من طمس تلك المعالم المخالفة للشرع تنفيذاً لأمر الرسول ﷺ الذي رواه عنه على بن أبي طالب ﷺ.

هذا الذي يمكن أن يكون قد حصل وأما ما كثَّر به الدكتور عبد الجواد الكلام وسوَّد به الصفحات فهو مما لا تطمئن إليه النفس، إذ يبعد أن يحصل ذلك أربع مرات في خلال خمس عشرة سنة مع إصرار المتوكل على منع أي إحداث في ذلك الموضع، وقد ذكر بعد ذلك أن المنتصر بن المتوكل كان قد أعاد البناء على قبر الحسين ووضع عليه ميلاً عالياً يرشد الناس إليه، واعتمد في ذلك على مراجع شيعية فقط.

غير أن مؤرخي السنة قد ذكروا ميل المنتصر إلى آل أبي طالب ومحبته لهم وإرجاع بعض ما كان لهم من الأوقاف وغيرها [1]، ومن هنا فلا يستبعد أن يجيبهم إلى شيء من ذلك، غير أن كل ما يمكن أن يقال: أنه فعله، إنما هو وضع علامة على قبر الحسين ﷺ فقط، ليعرف موضع القبر، والشيعة عندما يستميتون في إثبات ذلك إنما يريدون الاستدلال على عراقة ما هم عليه من القبورية المعاصرة وأن جذورها ممتدة إلى القرون المفضلة.

---

[1] تاريخ الخلفاء ( 356 ) لجلال الدين السيوطي ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة دار السعادة مصر ، الطبعة الأولى ( 1371 هـ 1952م )

***وبهذا تعرف أن القرون الثلاثة المفضلة مضت وليس هناك قبور معظمة، ولا مشاهد أو قباب ولا غيرها من مظاهر القبورية،ولا شيء من طقوس ومراسيم العبادات القبورية، وما حاول فعله الرافضة من ذلك فقد جُوبِهَ بردع قوي من خلفاء المسلمين وأمرائهم.***

*ولا يقدح فيما قرره العلماء من خلو القرون المفضلة من مظاهر القبورية، وجود بعض قبور للخلفاء قد أبرزت وبنيَ عليها، إذ أن ذلك لم يدخل فيما قصدوه بالنفي،حيث إن الكلام هو في مشاهد من يعتقد فيهم الصلاح ويُقْصدون للتبرك،وذلك غير موجود في قبور الأمراء والسلاطين، على أن هذه القبور التي بُني عليها إنما كانت في القرن الثالث بعد الجولة التي ظهر فيها الرفض والتجهم أيام المأمون والمعتصم والواثق، وقد نص المؤرخون على أن أول خليفة أبرز قبره هو الخليفة محمد المنتصر بن المتوكل العباسي المتوفى سنة (248هـ) بطلب من أمّه الرومية الأصل [1].*

*ثم بنيت عليه قبّة عرفت فيما بعد باسم القبّة الصليبية ودفن مع المنتصر فيها الخليفتان المعتز (ت 255هـ) والمهتدي (256 هـ)،وقد قرر المستشرق (هرستفيلد) أنها أول قبّة في الإسلام،وأقره على ذلك عدد من المؤرخين المعاصرين [2]،وهذا تأكيد ثان على ما سبق تقريره من أن القرون المفضلة مرت وليس فيها مشاهد ولا قباب على قبور الأئمة والأولياء ومن يُرى فيهم الصلاح.*

---

[1] ذكر ذلك الطبري في حوادث سنة ( 248هـ ) . وعنه ابن كثير في البداية والنهاية نفس السنة ( 10/ 354 ) ونص كلام ابن كثير في ترجمة المنتصر ابن المتوكل: ( وهو أول خليفة من بني العباس أبرز قبره بإشارة من أمّه حبشية الرومية ) ،قلت: اسمها حبشية وأصلها رومية فهي نصرانية قبورية .

[2] مساجد مصر وأوليائها الصالحون ( 1/46 )للدكتورة سعادة ماهر محمد طبع وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية مصر بدون تاريخ، وموسوعة العتبات المقدسة ( 12 / 229 )لجعفر الخليلي الطبعة الثانية (1407هـ-1987م) مؤسسة الأعلمي بيروت ، ومعالم الحضارة العربية الإسلامية ص ( 34 ) للدكتور قصي الحسين الطبعة الأولى (1414هـ-1993م) المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت، والعمارة الإسلامية ص ( 43 ) للدكتور كامل حيدر دار الفكر اللبناني بيروت.

# بين يــدي هذا الفصل

إننا عنـدما نبحث عن القبورية في العـالم لسـنا مجـرد مـؤرخين، يطيب لهم أن يتعرفوا على أحداث ويصوروا مجتمعـات،ويصـفوا ما وصلوا إليه من أحوال العـالم لمجـرد السـرد التـاريخي،وإنما نبحث ذلك منطلقين من سنة كونية ثابتة أخبرنا عنها الرسـول ، وهي أن هذه الأمة سـتأخذ مأخذ الأمم السـابقة، وستسـلك سـبيلها في كل جوانب حياتها بما في ذلك الجوانب الاعتقادية والتعبدية والأخلاقية.

فإذا ثبت أن تلك الأمم عظّمت القبـور وآثـار الصـالحين وتـدرجت في ذلك حـتى عبـدت أولئك الصـالحين-في نظرهـا- فـإن من هـذه الأمة من سيفعل ذلك، وهذا ما أخبر عنه رسـول الله  وما يشـاهد على أرض الواقع.

فأما ما أخبر به النبي  ففيما رواه البخاري من حديث أبى هريـرة  قال: قال رسول الله : ((**لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمــتي مأخذ القرون قبلها شبراً بشبر وذراعاً بـذراع، فقيـل: يا رسـول الله كفـارس والـروم؟ فقـال ومَنْ النـاس إلا أولئك**)) [1].

وروى البخاري أيضـاً من حـديث أبي سـعيد الخـدري  قـال: قـال رسـول الله : ((**لتتبعن سـنن من كـان قبلكم شـبراً بشـبر وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب لـدخلتموه، قلنـا: يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمَنْ؟**)) [2].

وقد وقع ما أخبر به النبي  كاملاً 0 والذي يهمنا إثباته هو مشـابهة هــــذه الأمة للأمم قبلها في قبــــوريتهم،وتعظيمهم للأنبيــــاء والصـالحين،وانتشـار عقائـدهم الباطلة لـدى كثـير منهم، وهـذا ما سوف نبيّنه في هذا الفصل إن شاء الله.

---

[1] البخاري كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب قول النبي  لتتبعن سنن من كان قبلكم الفتح( 13/ 300 ) .

[2] المصدر السابق ( 13/ 300 ) .

# الفصل الأول
# نشأة القبورية في العالم
## وفيه أربعة مباحث:
## المبحث الأول
## نشأة القبورية في العالم بأسره
### وفيه مطلبان:

**<u>المطلب الأول</u>: إثبات أن البشرية كـانت على التوحيد قبل طروء الشرك.**

من المعلـوم المتفق عليه أن الله تعـالى خلق الخلق جميعـاً على فطرة التوحيد،فآدم عليه السلام هو الذي خلقه الله بيــده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وأسكنه جنتـه، وجـرى له في الجنة ما جــرى، ولم يكن من ذلك شــيء يخــالف التوحيد أو يقــدح فيــه،ثم أهبطه إلى الأرض نبياً كريماً ورسولاً مرشداً إلى ذريته،و هو قــول جمع من العلماء.

وعلى تعـاليم رسـالة آدم نشأ بنـوه وعلى نهجه سـاروا، حـتى لقد صرح عكرمة  بأنهم داموا على ذلك عشــرة قــرون، [1] وهـذا الـذي ذكرناه من نشأة البشرية على التوحيد هو ما قرره القرآن وشهدت به السنة المطهرة.

أما القرآن ففي قول الله تعالى: **فأقم وجهك للدين حنيفــاً فطرت الله الـتي فطر النـاس عليها لا تبـديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون**  [2].

ففي الآية الكريمة أن الدين الـذي أمر الله رسـوله أن يقيم وجهه عليه هو فطــرة الله الــتي فطر النــاس عليها ثم أكّد ذلك بقوله  **ذلك الدين القيم**  فالدين الحنيف والـدين القيم هو التوحيد وهو الذي فطر الله الناس عليه.

قـال ابن كثـير - رحمه الله -: (فإنه تعـالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده وأنه لا إله غيره) [3].

---

1 تفسير الطبري ( 29 /62 ) .

2 الروم ( 30) .

3 تفسير ابن كثير ، طبعة دار الشعب ( 6 / 320 ) .

وقد أكدت ذلك السنة وفصَّلته وذلك فيما رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة  قال: قال رسول الله : ((**كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كمثل البهيمة تنتج البهيمة، هل ترون فيها من جدعاء؟**[1])) [2] **ثم يقول أبو هريرة:** (و**اقرأوا إن شئتم  فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله** [3]).

قال ابن حجر - رحمه الله - في شرح هذا الحديث: (وأجمع أهل العلم بالتأويل على أن المراد بقوله تعالى:  **فطرت الله التي فطر الناس عليها**  الإسلام واحتجوا بقول أبي هريرة  وبحديث عياض بن حمار عن النبي  فيما يرويه عن ربه:((**وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، فاجتالتهم الشياطين عن دينهم**))[4] الحديث وقد رواه غيره فزاد فيه **((حنفاء مسلمين))** ورجحه بعض المتأخرين بقوله تعالى:  فطرت الله  لأنها إضافة مدح وقد أمر نبيه بلزومها فعلم أنها الإسلام) [5].

ونكتفي بهذه النصوص الواضحة الصريحة التي لاخلاف على معناها، لإثبات أن البشرية كانت على التوحيد قبل طروء الشرك عليها.

**المطلب الثاني: إثبات أن أول شرك حصل في العالم كان بسبب الغلو في الصالحين:**

كانت عداوة إبليس لآدم قديمة منذ أن أمره الله بالسجود له،فأبى فلعنه الله وطرده بسبب ذلك، ومنذ ذلك الحين أخذ على نفسه: أن يعمل على كل ما فيه الإساءة إليه وإلى جلب سخط الله عليه، وكان أول عمل عمله إغراؤه بالأكل من الشجرة،ذلك العمل الذي كان سبباً لإخراجه من الجنة وإهباطه إلى الأرض هو وإبليس معاً، ولم يكتفِ إبليس بعداوة آدم وحده بل ضمّ إلى ذلك عداوة ذريته وأعلنها صريحة بأنه لن يدخر جهداً لإغوائهم وصدّهم عن السبيل،والعمل على جعل مصيرهم مقترناً بمصيره هو إلى نار جهنم  **قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم، ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن**

---

[1] أي مقطوعة الأنف أو الأذن أو الشفة القاموس المحيط ص ( 914 ) 0

[2] البخاري كتاب الجنائز باب ما قيل في أولاد المشركين الفتح ( 3/245-246 ) ، ومسلم كتاب القدر باب معنى كل مولود يولد على الفطرة ( 4/2047 ) .0

[3] الروم (30 ) 0

[4] سيأتي تخريجه في الصفحة القادمة0

[5] فتح الباري ( 3/248 ) .

**أيمـانهم وعن شـمائلهم ولا تجد أكـثرهم شـاكرين، قـال اخـــرج منها مــذءوماً مــدحوراً** لمن تبعك **منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين**  ،[1]  **قــــال فبعزتك لأغـــــوينهم أجمعين، إلاّ عبادك منهم المخلصين، قـال فـالحق والحق أقـول، لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين** [2].

وقد حـذر الله عبـاده المؤمـنين وجميع بـني آدم من تلك العـداوة وخطورتها، وخطورة الهدف الـذي يسـعى إبليس لتحقيقه من خلال عداوته لهم، فقـال سـبحانه وتعـالى:  **إن الشـيطان لكم عـدو فاتخــذوه عــدواً إنما يــدعوا حزبه ليكونــوا من أصــحاب السعير**  [3] وقال:  **ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مـبين، وأن اعبـدوني هـذا صـراط مســــتقيم، ولقد أضل منكم جبلاً كثــــيراً أفلم تكونـــــوا تعقلون**  [4].

ولكن لأمـــرٍ أراده الله نسي بنو آدم تلك العـــداوة، وجهلـــوا ذلك التحـذير الـذي حـذرهم الله إيـاه ولم ينسَ هو ذلـك، بل عمل على جلب الأنصـار والجنـود من الإنس والجن، فسـلطهم على بـني آدم حين غفلـــوا عما أوصـــاهم به اللـــه، فـــأجلب عليهم هو وجنـــوده فاجتالوهم عن دينهم وأوقعـوهم في الشـرك، وهو ما رواه النـبي  عن ربه عز وجل كما في حـديث عيـاض بن حمـار المجاشـعي أن رسول الله  قال ذات يـوم في خطبته ((**ألا إن ربي أمـرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا، كلّ مال نحلته** [5] **عبداً حلال، وإني خلقت عبادي حنفـاء كلهم وإنهم أتتهم الشــــياطين فاجتـــالتهم** [6]**عن دينهم،وحـــــرمت عليهم ما أحللت لهم،وأمـــــرَتْهم أن يشــــركوا بي ما لم أنــــزل به سـلطاناً،وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عـربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب))** [7]

ولم يكن ذلك في عهد النبي  وإنما من فجر التاريخ قبل أن يبعث نـوح عليه السـلام، بل إن مبعث نـوح إنما كـان لإرجـاع النـاس إلى

---

[1] الأعراف (16-18 )0
[2] سورة ص (82-85)0
[3] فاطـر ( 6 ) .
[4] يس ( 60-62 ) .
[5] نحلته أعطيته النووي على مسلم ( 17/197 ) .
[6] اجتالتهم ( أي استخفوهم فذهبوا بهم وأزالوهم عما كانوا عليه وجالوا معهم في الباطن ) نفس المصدر ( 17/197 )
[7] مسلم مع الشرح ،كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار)( 17/197 )

الجـادة بعد ذلك الانحـراف الخطـير، وكـان البـاب الـذي دخل منه الشيطان إلى إغواء أولئك الناس:باب الغلو في الصـالحين، فكـانت أول أصـــنام عبـــدت على وجه الأرض هي صـــور وتماثيل لرجـــال صالحين أحبهم قومهم وغلَوا فيهم فصوّروهم، ثم تـدرج بهم الحـال حـتى عبـدوهم من دون الله تعـالى! ولما جـاءهم نـوح ينعى عليهم ذلك المسـلك الخـاطىء، ويـدعوهم إلى العـودة إلى الصـراط المستقيم أبوا وعاندوا وتواصوا بالصبر على تلك الآلهة والاسـتمرار على الإشـراك بالله المتمثل في عبادتها من دون الله  **وقـالوا لاتذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولاسواعاً ولا يغـوث ويعـوق ونسراً**  [1].

وهـذه كما هو واضح أسـماء بشر كـانوا صـالحين محبـوبين لـدى قومهم،حملهم ذلك على الغلو فيهم وإنزالهم فوق منزلتهم، وتطور الأمر حتى عبدوهم،كما ورد عن ابن عباس  في تفسـير هـذه الآية أنه قال: (أسماء رجـال صـالحين من قـوم نـوح، فلما هلكـوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسـون أنصاباً، وسـموها بأسـمائهم ففعلـوا فلم تعبـد، حـتى إذا هلك أولئك ونُسِخ العلم عبدت)[2]

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في شرح هـذا الحـديث: (وقصة الصالحين كانت مبتدأ عبـادة قـوم نـوح هـذه الأصـنام ثم تبعهم من بعـدهم على ذلـك) [3] وقد تواطأ المفسـرون عند تفسـير هـذه الآية على ذكر هذا الأثر وأثاراً أخرى كلها تؤدي نفس المعنى. [4]

وقد صرح القرطـبي - رحمه الله تعـالى -:بأنه من أجل أن عبـادة الأوثان ابتدأت بسـبب الغلو في الصـالحين حـذر النـبي  من اتخـاذ

---

[1] نوح ( 23 ) .

[2] البخاري والفتح (2/667)0

[3] الفتح ( 8/669 ) .

[4] انظر: تفسير الطبري ( 29/62 ) للإمـام الطـبري، معـالم التنزيل ( 8/ـ 232-233 ) للإمـام الحسـين بن مسـعود البغـوي تحقيق وتخـريج محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسـليمان مسـلم الحـرش طبع دار طيبة بالريـاض الطبعة الرابعة ( 1417هـ-1997م ) ، زاد المسـير ( 8/373 ) لأبي الفـرج ابن الجـوزي طبع المكتب الإسـلامي بـيروت الطبعة الثالثة (1404هـ-1984م) والكشـاف ( 4/414 ) للشيخ محمود بن عمر الزمخشري طبع دار الكتاب العـربي ببـيروت ( 1407هــ- 1987م ) ،والمحـرر الوجـيز ( 15/122 ) لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي تحقيق الرحـالي الفـاروق وآخـرين ، الطبعة الأولى قطر سـنة ( 1401هـ-1981م ) . وتفسـير القرطـبي ( 18/307-310 ) وتفسـير القـرآن العظيم ( 8/262 ) لابن كثـير . الـدر المنثـور ( 8/293-295 ) لعبد الـرحمن بن أبى بكر السـيوطي ( دار الفكر – بـيروت ط الأولى سـنه 1403هــ- 1983م ) . وفتح القدير ( 5/300 ) للشوكاني 0

القبور مساجد ولعن من فعل ذلك، قال: (قلت:وبهذا المعنى فسِّر ماجاء في صحيح مسلم من حديث عائشة أن أم حبيبة وأم سلمه ذكرتا كنيسة رأتاها بالحبشة- تسمى مارية فيها تصاوير- لرسول الله  فقال رسول : ((**إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة**)) [1].

وقال ابن القيم - رحمه الله تعالى -: (وقال غير واحد من السلف: " كان هؤلاء قوماً صالحين في قوم نوح ، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم" فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين، فتنة القبور وفتنة التماثيل، وهما الفتنتان اللتان أشار إليهما رسول الله  في الحديث المتفق على صحته: عن عائشة - رضي الله عنها – ثم ذكر الحديث السابق في كلام القرطبي – ثم قال: " فجمع في هذا الحديث بين التماثيل والقبور "وهذا كان سبب عبادة اللات، فقد روى ابن جرير بإسناده عن سفيان عن منصور عن مجاهد:  **أفرأيتم اللات والعزى**  [2] قال:(كان يلت السويق فمات فعكفوا على قبره) [3]،وكذلك قال أبو الجوزاء عن ابن عباس رضي الله عنهما: (كان يلت السويق للحاج) [4] فقد رأيت أن سبب عبادة ودّ، ويغوث، ويعوق،ونسر، واللات، إنما كانت من تعظيم قبورهم ثم اتخذوا لها التماثيل وعبدوها، كما أشار إليه النبي  قال شيخنا [5]: وهذه العلة التي لأجلها نهى الشارع عن اتخاذ المساجد على القبور هي التي أوقعت كثيراً من الأمم إما في الشرك الأكبر،أو فيما دونه من الشرك،فإن النفوس قد أشركت بتماثيل القوم الصالحين، وتماثيل يزعمون أنها طلاسم الكواكب ونحو ذلك، فإن الشرك بقبر الرجل الذي يعتقد صلاحه أقرب إلى النفوس من الشرك بخشبةٍ أو حجر، ولهذا نجد أهل الشرك كثيراً يتضرعون عندها، ويخشعون ويخضعون، ويعبدونهم بقلوبهم عبادة لا يفعلونها في بيوت الله ولا وقت السحر، ومنهم من يسجد لها وأكثرهم يرجون من بركة الصلاة عندها والدعاء مالا يرجونه في المساجد فلأجل هذه المفسدة حسَم النبي  مادتها، حتى نهى عن الصلاة في المقبرة مطلقاً، وإن لم يقصد المصلي بركة البقعة بصلاته كما يقصد بصلاته بركة المساجد، كما نهى عن الصلاة وقت

---

1 الجامع لأحكام القرآن ( 18/ 308 ) ، والحديث تقدم تخريجه(ص 18 ).
2 سورة النجم آية ( 19 ).
3 سيأتي تخريج الأثرين لاحقاً .
4 سيأتي تخريجه (ص 64 ) .
5 هو شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله .

طلوع الشمس وغروبها؛ لأنها أوقات يقصد المشركون الصــلاة فيها للشــمس، فنهى أمته عن الصــلاة حينئــذ، وألا يقصد المصــلي ما قصده المشركون سداً للذريعة)[1].

وبهذه الآيات المحكمة والأحاديث الصحيحة الصريحة، وما علق به عليها أهل العلم؛ تعلم أن القبورية هي أســاس الوثنيــة،وأن الوثنية هي الوعاء الذي أحتوى على الشرك بالله عز وجل وجسَّدَه.

1 إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ( 1/184 ) لابن القيم .

## المبحث الثاني
## القبورية عند اليهود والنصارى:
## وفيه مطلبــان:

**<u>المطلب الأول</u>: القبوريـة عند اليهـود:**

لست بحاجة إلى الإطالة في إثبــات قبورية اليهــود، فقد أغنتننا الأحاديث المصـرحة بـذلك عن الصـادق المصـدوق  والمخرجة في الصـحيحين وغيرهمـا،ومنها حـديث أبي هريـرة  أن رسـول الله  قال: ((**قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيـائهم مسـاجد**)) [1] وحديث عائشة رضي الله عنها عن النبي  قال:**في مرضه الـذي مــات فيه** ((**لعن الله اليهــود والنصــارى اتخــذوا قبــور أنبيائهم مساجد**))[2].

فهـذان الحـديثان في الصـحيحين - وسـيأتي غيرهما في المطلب الثاني- قاطعان على قبورية اليهود، وأزيد أن اليهود ليسوا قبـوريين فقط ولكنهم أيضــاً ميــالون إلى عبــادة غــير الله بشــكل أوضح وأصـرح، كما نقل ذلك عنهم القـرآن وذلك في موضـعين من قصة موسى .

**الموضع الأول**: بعد نجاتهم من ملاحقة فرعـون وخـروجهم من البحر وإهلاك الله لعـــدوهم وهي نعم عظيمة تســـتوجب شـــكر مسديها وإفراده بالعبادة وعـدم الالتفـات إلى غـيره، لكن النفـوس الدنيئة لا تكون نظرتها إلا إلى الأسفل دائماً،لذلك عندما مـروا على القــوم المشــركين العــاكفين على أصــنامهم مــالت نفوســهم إلى تقليــدهم ومحاكــاتهم في ذلــك،قــال تعــالى:  **وجاوزنا ببــني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصـنام لهم قـالوا يا موسى اجعل لنا إلهـاً كما لهم آلهة قـال: إنكم قوم تجهلون. إن هؤلاء متـبر ما هم فيه وباطل ما كـانوا**

---

[1] ? أخرجه البخاري ( 1/532 ) مع الفتح كتاب الصلاة باب " حدثنا أبو اليمان " ، ومسلم (5/12) مع النووي كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب النهي عن بناء المساجد على القبور0

[2] تقدم تخريجه (ص 17 )0

**يعملـون. قـال أغـير الله أبغيكم إلهـاً وهو فضـلكم على العالمين** [1]
وهذا في غاية الصراحة فهم طلبوا من موسى أن يجعل لهم إلهـاً آخر كما أن أولئك لهم آلهة فهو طلب الشـرك والاسـتعداد النفسي له.
**الموضع الثـاني:** حينما ذهب موسى لميقـات ربه وتـركهم مع هارون فصنع لهم السامري العجل ودعاهم إلى عبادته، فبادروا إلى ذلك ولما يأبهوا لتحذير هارون من ذلك بل واجهـوه بـالتمرد وكـادوا يقتلونه حينما وقف في طـريقهم قـال تعـالي:  **وما أعجلك عن قومك يا موسى. قـال هم أولاء على أثـري وعجلت إليك ربِّ لترضى. قال فإنا قد فتنا قومك من بعـدك وأضـلهم السـامري. فرجع موسى إلى قومه غضـبان أسـفاً قـال ياقوم ألم يعدكم ربكم وعداً حسـناً أفطـال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فـــــــأخلفتم موعـــدي. قـــالوا ما أخلفنا موعـــدك بملكنا ولكنا حملنا أوزاراً من زينة القوم فقذفناها فكذلك ألقى السـامري. فأخرج لهم عجلاً جسداً له خوار فقـالوا هـذا إلهكم وإله موسى فنسي. أفلا يرون ألا يرجع إليهم قـــولاً ولا يملك لهم ضـراً ولا نفعـاً. ولقد قـال لهم هـارون من قبل يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعـوا أمـري. قـالوا لن نـبرح عليه عـاكفين حـتى يرجع إلينا موسى** [2].
وبهذا العرض اليسير تتضح قبورية اليهود وشركهم واتخاذهم الآلهة من دون الله.

**المطلب الثاني: القبورية عند النصـارى:**

الأمة النصـرانية أمة غالية فيمن تعظمه من الأنبيـاء والصـالحين ولقد حملهم ذلك على تأليه المسـيح وأمه وغيرهما من الأحبـار والرهبان،وهـذا صـريحُ نصِّ القـرآن،حيث يقـول الله تعـالى فيهم:  **اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابـاً من دون الله والمسـيح بن مريم وما أمـروا إلا ليعبـدوا إلهـاً واحـداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون** [3].
وقد أمر الله رسـوله  أن يقيم عليهم الحجة ببطلان ما هم عليه من عبـادة غـير الله فقـال:  **قل أتعبدون من دون الله ما لا**

---
[1] الأعراف ( 138-140 )
[2] طه من ( 83 – 91 ) .
[3] التوبة ( 31 ) .

**يملك لكم ضـراً ولا نفعـاً والله هو السـميع العليم**  [1]، ثم أمره أن ينهاهم عن الغلو في الدين وتقليد سلفهم الغالين فيه؛ لأن الغلو هو سبب عبادتهم لغير الله فقـال:  **قل يا أهل الكتـاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلّوا عن سـواء السـبيل**  [2]، فمن غلـوِّهم أنهم اتخــذوا المســيح وأمه إلهين من دون اللــه،واتخــذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دونه وتلك العلـة- الـتي هي الغلو -هي العلة المشتركة بين جميع المشركين.

ومن الغلو كذلك اتخاذهم قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد كما في حـديث عائشة رضي الله عنها أن أم حبيبة وأم سـلمه ذكرتا كنيسة رأتاها بالحبشة فيها تصاوير فذكرتا ذلك للنبي  فقال: ((**إن أولئك إذا كــان فيهم الرجل الصــالح فمــات بنــوا على قــبره مسـجداً وصـوروا فيه تلك الصـور، فأولئـكِ شـرار الخلق عند الله يوم القيامه**)) [3]

وهــذه الكنيسة الــتي رأتها أم حبيبة وأم ســلمه هي قطعــاً كنيسة نصارى فهذا إثبات قاطع لقبـوريتهم وقد حـذر النـبي  من الاقتـداء بهم في ذلك كما في حديث عائشة وعبدالله بن عباس  قالا: (**لما نُــزِل برســول الله  طفق يطـرح خميصة له على وجهه فإذا اغتم كشفها عن وجهه فقال وهو كذلك:** ((**لعنة الله على اليهود والنصـارى اتخـذوا قبـور أنبيـائهم مسـاجد**)) **يحذر ما صنعوا**) [4].

وقد بيّن ابن كثــير رحمه الله في تاريخــه: أن تلك القبورية عند النصارى 0إنما حدثت فيهم بعد أن حرفـوا دينهم، وقـالوا بـالتثليث، قال رحمه الله تعالى: (ثم بعد المسـيح بثلاثمائة سـنة؛حـدثت فيهم الطامة العظمى، والبليّة الكــبرى، واختلف البتاركة [5] الأربعة وجميع الاســاقفة [6] والقساوسة [7] والشماسة [8] والرَهَــابين [9] في المســيح على أقوال متعـددة لا تنحصر ولا تنضـبط، واجتمعـوا وتحـاكموا إلى

---

[1] المائدة ( 76 ) .

[2] المائدة ( 77 ) .

[3] تقدم تخريجه ( 18 ).

[4] تقدم تخريجه ( 18 ) .

[5] ويقال البطارقة جمع بطريق وهو رئيس رؤساء الأساقفة انظر : المعجم الوسيط ( 1/61 ) .

[6] جمع أسقف وهو رئيس من رؤساء النصارى فوق القسيس ودون المطران ، المصدر السابق ( 1/ 436 ) .

[7] جمع قس وهو رئيس من رؤساء النصارى بين الأسقف والشماس ، المصدر السابق ( 2/734 ) .

الملك قسطنطين باني القسطنطينية، وهو المجمع الأول فصار الملك إلى قول أكثر فرقة اتفقت على قول من تلك المقالات فسموا "الملائكة"، ودحَضَ من عداهم وأبعدهم، وتفردتْ الفرقة التابعة لعبدالله بن أديوس الذي اثبت أن عيسى عبد من عباد الله،ورسول من رسله، فسكنوا البراري، والبوادي، وبنوا الصوامع [1]،والديارات [2]،

والقلايات [3]،وقنعوا بالعيش الزهيد، ولم يخالطوا أولئك الملل والنحل، وبنت الملائكة [4] الكنائس الهائلة، عمدوا إلى ماكان من بناء اليونان فحولوا محاريبها إلى الشرق وقد كانت إلى الشمال إلى الجدي[5]) [6].

ثم قال: رحمه الله تحت عنوان " بناء بيت لحم والقمامة [7] " (وبنى الملك قسطنطين بيت لحم على محل مولد المسيح وبنت أمه هيلانة القمامة يعني على قبر المصلوب وهم يسلّمون لليهود أنه المسيح).[8]

وبما مر من نصوص قرآنية ونبوية وتاريخية تتضح قبورية النصارى وغلوّهم في أنبيائهم وصالحيهم حتى عبدوهم من دون الله تعالى.

---

8 جمع شماس من يقوم بالخدمة الكنيسة ومرتبته دون القسيس ، المصدر السابق ( 1/ 494 ) .

9 جمع راهب المتعبد في صومعة من النصارى يتخلى عن أشغال الدنيا وملاذها زاهداً فيها معتزلاً أهلها. ، المصدر السابق ( 1/ 376 ) .

1 جمع صومعة و صومع وهو بيت العبادة عند النصارى ، المصدر السابق (1/ 523 ) .

2 جمع دير وهو دار الرهبان ، المعجم الوسيط ( 1/ 307 ) .

3 القلايات جمع قلاية وهي الصومعة . المصدر السابق ( 2/757 )

4 أي الفرقة التي سميت الملائكة .

5 الجدي نجم قريب من القطب تعرف به القبلة ، المصدر السابق ( 1/ 112 ) .

6 البداية والنهاية ( 2/101 ) .

7 وهي التي يطلق عليها الناس اليوم كنيسة القيامة 0

8 المصدر السابق ( 2/ 101 ) .

# المبحث الثالث

# قبورية اليونـــان

## وفيه ثلاثة مطالب:

**<u>المطلب الأول:</u> قبورية الأمة اليونانية:**

الأمة اليونانية أمة عظيمة سـادت وظهـرت على مسـرح التـاريخ القديم قروناً من الـزمن، وقد أنشـأت حضـارة متمـيزة وظهر فيها علوم ومعارف وفلسفة وصلت إلى الأمم الأخرى، وتناقلتها الأجيال إلى العصر الحاضر، وهذا لا مراء فيه، ولكن مع كل ذلك فقد كـانت هـــذه الأمة أمة وثنية قبورية تُألِّه كل ما أعجبت به من مظـــاهر الكون، وعباقرة وأبطـال البشـر،بل وجميلات النسـاء!فهنـاك (آلهة السماء) و(آلهة الأرض) و(آلهة الخصـب) و(الآلهة الحيوانيـة) و(آلهة ما تحت الأرض) إلى آخر القائمـــة، وقد ذكر المؤرخـــون كيف تنشأ تلك الآلهة وكيف تعبد [1] وكـــانت كـــذلك أمة قبورية تقـــدس قبـــور موتاها، فقد كـان المـوتى في العصـور المبكـرة من تـاريخ اليونـان يُعْتَـــبرون أرواحـــاً قـــادرة على أن تفعل للنـــاس الخـــير والشر وتسترضى بالقرابين والصلاة [2]. وكـان اليونـان في عصـرهم الزاهر يرهبون هذه الأشباح الغامضة أكثر مما يحبونها، وكانوا يسترضـونها بطقوس ومراسم يقصد بها إبعادها واتقاء شـرها [3]، وكـان الإله في أول الأمر من الأســلاف والأبطــال المــوتى، كما كــان المعبد في

---

[1] انظر : الفكر الإغريقي تـأليف محمد الخطيب ( دمشق ، الطبعة الأولى عـام ( 1999م ) ، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة ص ( 28 – 52 ) .

[2] المصدر السابق ص( 35-36 ) .

[3] المصدر السابق ص ( 35-36 ) .

الأصل قــبراً، ولا تــزال الكنيسة حــتى الآن في معظم البلاد مكانــاً تحفظ فيه آثار الموتى القديسين [1].

هذه هي أمة اليونان وتلك آلهتها كانت في بدايتها أمواتــاً من ذوي التمــيز في جــوانب مختلفة من الحيــاة،تــدرج بهم الشــيطان حــتى صــيروهم آلهة من دون اللــه، وقبــور أولئك المــوتى هي الأصل في المعابد التي تتربع فيها تلك الآلهة.

**<u>المطلب الثاني</u>: قبورية فلاسفة اليونــان:**

في تلك الأمة وذلك الجو نشأ فلاســـفة اليونـــان على الوثنية والقبورية، وبقي ذلك هو اعتقادهم وتفكــيرهم ولم يغنِهم ما وصــلوا إليه في مختلف العلوم- التي أصبحوا فيها أساتذة العالم- لم تغنهم تلك العلوم، ولم ترتفع بتفكيرهم في الجانب الإلهي من حيــاتهم،بل ظلوا يتخبطون في ظلمــات الجهل ومســالك الضــلال، ذلك أن هــذا الجانب ليس بمقدور العقــول تصــوّره التصــوّر الصــحيح، والوصــول إلى حقيقتـــه، وإنما مصـــدره هو الـــوحي الـــذي ينزله الله على رســـله،فيبلغونه للنــاس ويقــودونهم به إلى معرفة ربهم وما يجب عليهم، وما يلتحق بــذلك من أركــان الإيمــان ومقوماتــه، وحيث إن أولئك الفلاســـفة مصـــدرهم في بحثهم عن الحقيقة هو العقـــل، والعقل قاصر عن إدراكها فقد تــاهوا في أودية الضــلال وما وصــلوا إلا إلى نظريات متناقضة، وقضــايا فجّة غــير ناضــجة، وبقي ما تربَّوا عليه من الوثنية والقبورية؛ هو الذي يوجه تفكــيرهم ويســتحوذ على أعمــالهم وطقوســهم، وقد شــهد المتلقفــون لفلســفة اليونــان من علماء المسلمين على قدواتهم من فلاسفة اليونان بالقبورية وأبانوا كيف يتصـــور أولئك الفلاســـفة إمـــداد أرواح المـــوتى لمن دعـــاهم وتشفع بهم.

يقول الفخر الرازي في كتابه المطالب العالية: (إن فلاسفة اليونان كانوا يستمدون الفيوض من القبور وأهلها، إذا اعترتهم مشــكلة من المشــكلات، وكــان الفلاســفة من تلاميذ أرســطو إذا دهمتهم نازلة ذهبوا إلى قبره للحصول على المدد والفيض) [2].

وبما أن القوم فلاسفة وليسوا مقلدين لما كان عليه الآباء والأجداد فقد خرَّجــوا تعلقهم بــالقبور تخريجــاً علميــاً مبنيــاً على نظــريتهم العامة في الإلهيــات، حيث يؤمنـــون بنظرية الفيض أي أن " العقل الفعال " الذي هو موازٍ للإله يفيض على من دونه من المخلوقات.

---

[1] المصدر السابق ص ( 36 ) 0

[2] المطالب العالية ( 7-228 ) بواسطة جهود الحنفية في إبطال عقائد القبورية ( 1-416 ) للدكتور شمس الدين السلفي الأفغاني ، دار الصميعي الرياض ، الطبعة الأولى ( 1416هـ - 1996 م ) .

وبما أن أرواح الموتى القديسين هي كذلك آلهة صغيرة حسب العقيدة اليونانية العامة فإن تلك الأرواح تفيض على من زارها طالباً منها الشفاعة، وذلك بحسب يقين الزائر وفنائه في المزور واستعداد نفسه لتقبل ذلك الفيض، وهي بدورها تتلقى الفيض من الإله الأعظم، وقد مثلوا ذلك بانعكاس شعاع الشمس إذا وقع على جسم صقيل ثم انعكس على غيره، فإن الشمس إذا وقعت على الماء أو مرآة وانعكس شعاعها على حائط أو غيره حصل النور في الموضع الثاني بواسطة الشعاع المنعكس على المرآة، قالوا: فهكذا الرحمة تفيض على النفوس الفاضلة كنفوس الأنبياء والصالحين، ثم تفيض بتوسطهم على نفوس المتعلقين بهم، وكما أن انعكاس الشعاع يحتاج إلى المحاذاة فكذلك الفيض لابدّ فيه من توجه الإنسان إلى النفوس الفاضلة [1].

**<u>المطلب الثالث</u>: اِتِّباع قبورية المسلمين لفلاسفة اليونان في علة زيارة القبور:**

إن معظم ما يأتيه القبورية وما يعتقدونه تجاه القبور وأهلها وإنما هو اتباع للأمم السابقة، تصديقاً لحديث الرسول  في حديث ذات أنواط حيث طلب بعض أصحابه أن يجعل لهم ذات أنواط كما للمشركين ذات أنواط فقال لهم: ((**الله أكبر! إنها السنن،قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى  اجعل لنا إلهاً كما لهم ءالهه قال: إنكم قوم تجهلون  [2] لتركبن سنن من كان قبلكم**)) [3]، وجاء من حديث أبي سعيد رضي الله عنه بلفظ: ((**لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم، قلنا: يارسول الله اليهود والنصارى قال فمن؟**)) [4]، ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه ((**لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي مأخذ القرون قبلها شبراً بشبر**

---

[1] انظر الاستغاثة في الرد على البكر ي (2/410-411 ) لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية ، تحقيق عبد الله بن دجين السهيلي ، دار الوطن ، الطبعة الأولى ( 1417 هـ - 1997م )

[2] ا لأعراف ( 138 ) .

[3] الترمذي في الفتن باب ماجاء لتركبن سنن من كان قبلكم ( 4/475 ) . وأحمد ( 5/218 ) .

[4] تقدم تخريجه ص ( 47 )

**وذراعاً بذراع،قيل: يا رسول الله،كفارس والروم؟ قـال: مَنْ الناس إلا أولئك))** [1].

ويظهر من سـبب ورود الحـديث الأول أن بعضـاً من هـذه الأمة سـتتبع اليهـود فيما انحرفـوا فيه من التفـاتهم إلى التعلق بالمخلوقين،وهذا هو أساس القبورية.

كما يظهر من الحـديث الثـالث أن اتبـاع الأمم السـابقة لا يقتصر على اليهود والنصارى وإنما يتعـداه إلى سـائر فـارس والـروم،ومن الروم اليونان الذين نُقِلت فلسفتهم إلى الأمة الإسـلامية فأفسـدت عقائد قوم من المسلمين.

وممن تلقى عقائد الفلاسفة وألبسها رداء الإسلام ونشرها في الأمة المحمدية قبورية المسلمين من فلاسفة وباطنية شيعية وصوفية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - وهو يتكلم عن الوسائل المشـروعة وغيرهـا: " الوجه الثـاني أن يـدعو له الرسـول  فهـذه أيضاً مما يتوسل به إلى الله تعالى، فإن دعـاءه وشـفاعته عند الله من أعظم الوسـائل فأما إذا لم يتوسل العبد بفعل واجب، ولا مسـتحب، ولا الرسـول دعا لـه، فليس في عظم قـدر الرسـول ما ينفعـه، ولكن بعض النـاس الـذين دخلـوا في دين الصـابئة والمشركين،ظنوا شفاعة الرسول  لأمته لا تحتـاج إلى دعـاء منـه، بل الرحمة التي تفيض على الرسـول  تفيض على المستشـفع من غير شعور من الرسول  ولا دعاء منه، ومثلوا ذلك بانعكاس شـعاع الشـمس إذا وقع على جسم صـقيل ثم انعكس على غـيره، فـإن الشـمس إذا وقعت على المـاء أو مـرآة، وانعكس شـعاعها على حائط أو غـيره؛ حصل النـور في الموضع الثـاني بواسـطة الشـعاع المنعكس على المـرآة،قـالوا: فهكـذا الرحمة تفيض على النفس الفاضـلة كنفـوس الأنبيـاء والصـالحين، ثم تفيض بتوسـطهم على نفوس المتعلقين بهم،وكما أن انعكاس الشعاع يحتاج إلى المحاذاة فكـذلك الفيض لابد فيه من توجه الإنسـان إلى النفـوس الفاضـلة وجعل هؤلاء الفائدة في زيارة قبورهم من هذا الوجه.

وقـالوا أن الأرواح المفارقة تجتمع هي والأرواح الزائـرة فيقـوى تأثيرها وهـذه المعـاني ذكرها طائفة من الفلاسـفة ومن أخذ عنهم كابن سيناء وأبي حامد وغيرهم) [2].

قلت: هـذا فـرع من فـروع نظرية الفيض الـتي يعتقـدها الفلاسـفة،وطـبيعي على هـذا الاعتقـاد أن يكـون هنـاك توجه إلى

---

[1] تقدم تخريجه ص ( 47 ).

[2] الاستغاثة (2/411-412 ) .

النفوس الفاضلة لتكون واسطة بين المستشـفع والخـالق المعطي سـبحانه، تلك الواسـطة هي " الشـافع " وقد قـرر ذلك من أتبـاع الفلاسفة قوم كما ذكره شيخ الإسلام - رحمه الله - منهم أبو حامد الغـــزالي وذلك في كتابه " المظنـــون به على غـــير أهله " والفخر الـرازي في كتابه "المطـالب العليـة" ونقل عن الاثـنين أحد قبورية حضرموت وهو عبد الرحمن بن محمد العيـدروس في كتابه " بـذل المجهود في خدمة ضريح نبي الله هـود "وجعل ذلك هو علة زيـارة القبور، وسيأتي نص كلام الغزالي منقـولاً من كتابـه، وكلام الـرازي عن العيدروس في مطلب علة الزيارة عند القبورية [1]، وبهـذا يتضح أن زيـارات القبورية لم تكن هي الزيـارات الشـرعية الـتي علتها الاعتبار والاتعاض بحال الموتى ورقة القلب وتذكر الآخـرة والـدعاء للأموات والسلام، عليهم وإنما لاسـتمداد من الأمـوات على طريقة الفلاسفة.

وأما تشـبههم بـاليهود والنصـارى في البنـاء على القبـور واتخـاذ المسـاجد عليها فظـاهر، وحـتى لا يقـول قائل إن ذلك من أتبـاع الفلاسفة في علة الزيارة إنما هو مذهب مهجور لدى قبورية اليـوم لا وجود له عندهم 0

أقـول له ولكل من يـدافع عنهم:انظر إلى محمد علـوي مـالكي - بــــاعث القبورية في مكة من جديد ووارث أحمد زيـــــني دحلان ويوسف النبهـاني- انظر إليه وهو يحكي أحـوال الزائـرين للنـبي : (تختلف أحوال الزائـرين في اسـتفادتهم من زيـارتهم واسـتمدادهم من الله بواسـطة نـبيهم المصـطفى وحـبيبهم المجتـبى  وبحسب استعدادهم في تلقي الفيوضات الإلهية والواردات الربانية بواسـطة الحضرة المحمدية،) [2]0

ويقول في موطن آخر: (اللهم صلِّ وسلم على سـيدنا محمد أول متلق لفيضك الأول. صـــلاة نشـــهدك بها من مرآتـــه،ونصل بها إلى حضرتك من حضرة ذاته، قـائمين لك وله بـالأدب الـوافر،مغمـورين منك ومنه بالمدد الباطن والظاهر) [3]0

وأما تشـبههم بـاليهود والنصـارى في البنـاء على القبـور واتخـاذ المساجد عليها فظاهر ليس به خفاء.

---

[2][1] انظر ص ( 324 )

[2] شفاء الفؤاد بزيارة خير العباد (124)السيد محمد بن السـيد علـوي بن السـيد عباس المالكي الحسني،ط الأولى(1411 هـ-1991م ).

[3] المصدر السابق ( 117 ) .

## المبحث الرابع

## القبورية عند العرب قبل الإسلام وصلتها بالوثنية

### وفيه أربعة مطالب:

**المطلب الأول: إثبات أن العرب كانوا على ملة إبراهيم  الحنيفية السمحة:**

كانت العرب وبالأخص عرب الحجاز على ملة أبيهم إبراهيم ، ملة التوحيد الحنيفية السمحة، برآء من الشرك وأهله، كما حكى الله تعالى عن إبراهيم  مثنياً عليه وعلى أتباعه بذلك:  **إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين. شاكرا لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم وآتيناه في الدنيا حسنة وإنه في الآخرة لمن الصالحين. ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين**  [1] وقال تعالى مبرئاً إبراهيم والذين معه من الشرك،ومقدِّمَهم لنا قدوةً، وجاعلاً لنا الأسوة فيهم  **قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنّا برءآؤا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده ** [2]..

وقد ذكّر الله العرب بهذا الإرث العظيم الذي ورثوه من أبيهم إبراهيم فقال:  **ملة أبيكم إبراهيم هو سمّاكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير ** [3]

وقد بقي العرب على تلك الملة قروناً، حتى ظهر عمرو بن لحي الخزاعي فغيرها، ودعا العرب إلى عبادة الأوثان، قال رسول الله : ((**وعرضت عليَّ النار فلما وجدت سفعتها تأخرت عنها، وأكثر من رأيت فيها النساء إنِ ائتمن أفشين،وإن سألن ألحفن، وإذا سئلن بخلن، وإذا أعطين لم يشكرن،ورأيت فيها عمرو بن لحي يجر قُصبه في النار وأشبه من رأيت به معبد بن أكثم الخزاعي، فقال معبد: يا رسول أتخشى عليَّ من شَبَهه فإنه والدي، فقال: لا، أنت مؤمن وهو كافر، وهو أول من حمل العرب على عبادة الأصنام**)) [4]،وهناك ألفاظ أخرى بنفس المعنى في الصحيحين وغيرهما [5].

---

1 النحل ( 120 – 123 ) .
2 الممتحنة ( 4 ) .
3 الحج ( 78 ) .
4 الحاكم في المستدرك ( 4/605 ) وقال :حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي ، طبع دار المعرفةبيروت بإشراف د. يوسف المرعشلي .
5 انظر: السلسة الصحيحة للشيخ الألباني ( 4/ 242-244 ) .

وكـــان ســـبب انحـــرافهم ووقـــوعهم في الشـــرك هو الغلو في الصالحين كما سيأتي في قصة عبـادتهم للّات أو للأمـاكن المقدسة كما في قصة نقلهم حجارة الحرم والطواف بها حيثما حلّوا.

**المطلب الثاني: القبورية هي أصل الوثنية عند العرب:**

كما هو الشأن -بعد كل رسالة من الرسالات السابقة- تأتي بعدها فترة ينقص العلم ويثبت الجهل، ويجد الشيطان سـبيلاً إلى نفـوس النـاس وعقـولهم، فينحـرف بهم عن الصـراط المسـتقيم، وقد مـرّ معنا أن دين إبراهيم ظل قائماً حتى ظهور عمرو بن لحي الخزاعي الذي كـان أول من غيّـره وحـرَف العـرب عنه إلى عبـادة الأصـنام، وكـــان ســـبب وقـــوعهم في الوثنية هو الغلو في الصـــالحين منهم وتعظيم قبـورهم حـتى اتخـذوها أصـناماً،قـال ابن عبـاس في قوله تعالى  **اللات والعزى** [1]: (كان اللات رجلاً يلت السـويق للحـاج) [2].

والذي أمرهم بذلك هو عمرو بن لحي.

قال الحافظ ابن حجر في شرح هذا الحـديث -راداً على من زعم أن اللات هو عمــرو بن لحي: (والصـحيح أن اللات غـير عمــرو بن لحي، فقد أخرج الفاكهي من وجه آخر عن ابن عباس أن اللات لما مــات قــال لهم عمــرو بن لحي: إنه لم يمت ولكنه دخل الصــخرة فعبدوها وبنـوا عليها بيتـاً، وتقـدم في منـاقب قـريش أن عمـرو بن لحي هو الــذي حمل العــرب على عبــادة الأصــنام، وهو يؤيد هــذه الرواية) [3].

**فهـــــذا وجه من أوجه** القبورية المؤدية إلى الوثنية عند العـرب،**وهنـاك وجه آخر** وهو تعظيم آثـار الصـالحين ومنـازلهم وبيوت عباداتهم تعظيماً زائداً على الحد المشروع.

قال ابن هشام في سيرته: قال: ابن إسـحاق: (ويزعمـون أن أول ما كـانت عبـادة الحجـارة في بـني إسـماعيل أنه كـان لا يظعن من مكة ظـاعن منهم -حين ضـاقت عليهم والتمسـوا الفسح في البلاد- إلا حمل معه حجراً من حجارة الحرم تعظيماً للحـرم،فحيثما نزلـوا وضعوه فطـافوا به كطـوافهم بالكعبـة،حـتى سـلخ ذلك بهم إلى أن كــانوا يعبــدون ما استحســنوا من الحجــارة، وأعجبهم،حــتى خلف الخلوف ونسوا ما كانوا عليه، واستبدلوا بـدين إبـراهيم وإسـماعيل

---

1 النجم (19)0
2 البخاري كتاب التفسير باب ( أفرأيتم اللات والعزى ) ( 8/611 ) مع الفتح .
3 الفتح ( 8/ 612 ) .

غـيره فعبـدوا الأوثـان، وصـاروا إلى ما كـانت عليه الأمم قبلهم من الضلالات) [1]
فهذا السبب كما ترى كان ناتجاً عن تعظيم آثار إبراهيم وإسماعيل عليهما السـلام، فـالحرم شـرَّفه الله تعـالى بهما حيث بَنَيَا فيه بيت الله الحرام والكعبة المشرفة، فكان تعظيم المكان ناتج عن تعظيم من اشـتهر به وهو إبـراهيم وإسـماعيل عليهما السـلام، ذلك الغلو فيهما وفي البيت الذي ينسب إليهما كـان سـبباً في ضـلال طوائف من العرب والزج بهم في الوثنية والشرك.

**<u>المطلب الثالث</u>: انتشار الأصنـام في جزيـرة العـرب:**

بعد تلك البدايات البسيطة والبدائية أخذ إبليس يـرقّي العـرب في سلّم الوثنية حتى أصبحت ديناً تـدين بـه، له شـعائره [2] ومشـاعره [3] وطقوسه [4] وعقائده وتنـوعت العبـادات من طـواف وتمسح ودعـاء واستشـفاع واستقسـام [5] بـالأزلام بين يـدي تلك الأصـنام إلى نـذر الأموال ونحر النعم وغير ذلـك، كما انتشـرت الأصـنام في الجزيـرة العربية انتشار النار في الهشـيم بـدءاً بـبيت الله الـذي أنشئ على التوحيد ولأجل التوحيـد،حيث يقـول الله تعـالى عنـه:  **وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شـيئاً وطهر بيـتي للطائفين والقائمين والركع السجود**  [6].
هذا البيت كان فيه أكبر تجمع للأصنام في جزيرة العرب حيث كان عدد الأصنام -الـتي كسـرها رسـول الله  يـوم فتح مكة في جـوف الكعبة وحولها- ثلاثمائة وستين صـنماً [7]،كما كـان في جـوف الكعبة

---

[1] سيرة ابن هشام ( 1/77 )طبع مؤسسة علوم القرآن بدون تاريخ تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبدالحفيظ شلبي
[2] جمع شعيرة مناسك العبادة ومعالمها انظر القاموس المحيط ص ( 535 ) .
[3] جمع مشعر موطن العبادة . المصدر السابق ص ( 535 )
[4] جمع طقس وهو نظام الخدمة الدينية عند النصارى .انظر : المعجم الوسيط ( 2/ 561 ) .
[5] قال ابن جرير(6/49 ) : ( وأن تستقسموا بالأزلام " وأن تطلبوا علم ما قسم لكم أو لم يقسم بالأزلام وهو استفعلت من القسم ، قسم الرزق والحاجات وذلك أن أهل الجاهلية كان أحدهم إذا أراد سفراً أو غزواً أو نحو ذلك أجال القداح وهي الأزلام وكانت قداحاً مكتوباً على بعضها "نهاني ربي" وعلى بعضها "أمرني ربي" فإن خرج القدح الذي هو مكتوب عليه أمرني ربي مضى لذلك لما أراد من سفر أو غزو أو تزويج وغير ذلك  وإن خرج الذي عليه "نهاني ربي" كف عن المعنى لذلك وأمسك ،وأما الأزلام فإن واحدها زلم ويقال زلم وهي القداح التي وصفنا أمرها ) .
[6] الحج ( 26 ) .
[7] البخاري كتاب التفسير سورة الإسراء باب ( وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا ) ( 8 / 400 )        من حديث ابن مسعود  .

أشهر أصنام قريش على الإطلاق (هبـل) [1]،ولم تبق قبيلة من قبائل العرب إلا ولها صـنمها الـذي يعـرف بها وتعـرف به وتعبّد له أبناءها [2]،بل تجاوز الأمر إلى أن أصبح لكل بيت صنمه الخـاص بـه،[3] وحـتى المســافر لا يقيم أثنـــاء ســفره في بقعة إلا تخيّر من أحجارها ما يعجبه فينصبه إلهاً له.[4]

ولم يكتف الشـيطان بـذلك بل دلّهم على أصـنام قـوم نـوح الـتي كانت مطمورة في رمال سـاحل جـدّة فاسـتخرجها مؤسس الوثنية في الجزيرة العربية عمـرو بن لحي الخـزاعي وفرقها على العـرب فعظمت وعبدت فيهم [5].

وبــذلك انطمست ملة إبــراهيم وغــاب التوحيد وحل الشــرك محلــه،حــتى صــارت الــدعوة إلى إخلاص العبــادة لله تعــالى من العجائب لديهم حينما صدع بها النبي  فقالوا -كما حكاه القرآن -:  أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هـذا لشـيء عجـاب، وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد،ما سـمعنا بهـذا في الملة الآخرة إن هذا إلاّ اختلاق  [6].

## المطلب الرابـع: الحنفاء من العـرب:

ذلك هو الجـوّ المظلم الـذي وصـلت إليه الأمة العربية قبل البعثة وهو الغالب عليها، ولكن بقي بصيص ضئيل من النور الخافت الـذي نجا من أطباق الظلمـة، ولكنه لم يهـدِ أصـحابه صـراطاً مسـتقيماً، ولم يسـلك بهم سـبيلاً قويمـاً [7]، وقد تمثّل ذلك في بقـاء مجموعة صغيرة جـداً متفرقة في أنحـاء الجزيـرة العربيـة، وربما كـان بمكة منهم نصيب أوفر، أولئك هم من سُمّوا بالحنفاء نسـبة إلى الحنيفية ملة إبــراهيم، وتمثل تمســكهم بالحنيفية في رفضــهم للوثنية من حيث عبـادة الأوثـان وتقـريب القـرابين لهـا،واعتقـاد نفعها وضـرّها وشفاعتها كما هو شأن الوثنيين، هداهم إلى ذلك فطرتهم التي مَنَّ الله عليهم ببقائها صـافية نقية من كَـدُورات الوثنيــة، غــير أنهم لم يهتدوا إلى مراد الله تعـالى وما يجب له من العبـادة،حـتى لقد نقل أهل السير عن زيد بن عمرو بن نقيل قوله: (اللهم إني لو أعلم أيّ

---

[1] الأصنام لابن الكلبي ص ( 27 ) .

[2] انظر : الأصنام ص( 13 ) و( 16 ) و( 18 ) الدار القومية بالقاهرة نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب سنة(1343هـ-1924م) .

[3] المصدر السابق ص ( 33 ) .

[4] االمصدر السابق ص ( 33 ) .

[5] أصله في البخاري كتاب التفسير سورة نوح باب " ود اً ولا سواعاً ولايغوث ويعوق " وانظر : ابن هشام ( 1/78-80 ).

[6] سورة ص ( 5- 7 ) .

[7] لأن الهداية التامة لا تكون إلا بالوحي لا غير .

الوجوه إليك أحب عبدتك به ولكني لا أعلمه)[1] ولـذلك تفرقـوا في البلاد يبحثـون عن دين إبـراهيم، فمنهم من دخل النصـرانية كورقة بن نوفل، ومنهم من لم يـدخل أيّ دين وبقي على ما هو عليه كزيد بن عمرو بن نفيل.

وقد ذكرت أسـماء بعض هـؤلاء فمنهم: قس بن سـاعدة الأيـادي، وزيد بن عمـرو بن نفيـل، وأمية بن أبي الصـلت، وأبو قيس بن أبى أنس، وخالد بن سـنان، والنابغة الـذبياني، وزهـير بن أبي سُـلمى، وكعب بن لؤي بن غالب أحد أجداد النبي  [2] وقد ذكر غـيرهم أيضـاً

[1] ابن هشام ( 1/225 ) عن ابن إسحاق قال حـدثني : هشـام بن عـروة عن أبيه عن أمه أسماء ، وهذا حديث حسن لمكان ابن إسـحاق وأما بقية أصـحاب السـند فمن أصح الأسانيد .

[2] السـيرة النبوية في ضـوء المصـادر الأصـلية ( دراسة وتحليل ) ص ( 72 ) للدكتور مهدي رزق الله أحمد الأستاذ المشارك بكلية التربية جامعة الملك سـعود الطبعة الأولى ، ( 1412هـــــ - 1992م ) نشر مركز الملك فيصل للبحـــــوث والدراسات الإسلامية الرياض .

[1]، غير أن من هؤلاء الذين ذكروا من تنصــر، وكل هـؤلاء لم يـدركوا الإســلام إلا ورقة بن نوفل حيث أدرك الفــترة الأولى من الــوحي ففرح واستبشر وتمنى أن يعيش ليرى دعوة النبي  وينصره ولكنه مات في فترة الوحي.[2]

## *الفصـل الرابـع*

## نشـأة القبـورية في اليمـن

### **وفيه أربعة مباحث**

### **المبحث الأول:**

### **حال اليمن قبل نشوء القبورية**

**وفيه ثلاثة مطالب:**

**المطلب الأول: إسلام أهل اليمن:**

---

1 نفس المصدر ( 77 ) .

2 انظر خبره في البخاري كتاب بدء الوحي ( 1/ 22 ) مع الفتح .

من مناقب اليمنيين التي سجلها لهم التاريخ بأحرف من نور مبادرتهم إلى اعتناق الإسلام بشكل لم يشابههم فيه أحد من قبائل وأقطار الجزيرة العربية الأخرى، وقد تعددت التأويلات لسبب تلك المسارعة لاعتناق الإسلام من قبل اليمنيين، وأقوى تأويل - والله أعلم - هو ما جعل الله في نفوسهم من الإيمان، وفي قلوبهم من الرقة ومحبة الخير، وما ادَّخره الله لهم بمحض فضله من إنعام وفضل.

ودليل ذلك الأحاديث المستفيضة في فضائل أهل اليمن [1]، كما كان لقرب اليمن من مكة مهبط الوحي على النبي  وموضع بعثته علاقة بذلك، وإن كان هذا لم ينفع بعض القبائل التي كانت أقرب إلى مكة من اليمن، وبحسب طبيعة البشر في الاختلاط والتعايش والتفاعل كان وصول أخبار الرسول  إلى اليمن وتأثر أهلها به في وقت مبكر من حياة الدعوة الإسلامية، وقد كان الوافدون من اليمنيين إلى مكة لأغراض مختلفة هم الرواد الذين رجعوا إلى قومهم مبشرين بهذا الدين ودعاة إليه، بعد أن أسلموا وعرفوا شيئاً من الإسلام على يد الرسول ، ومن أشهر أولئك:

1) ضماد بن ثعلبة الأزدي  [2]

2) الطفيل بن عمرو الدوسي  [3].
3) عمرو بن أمية الدوسي  [4].
4) قيس بن نمط بن قيس بن مالك الهمداني  [5].

---

[1] ? منها حديث عقبة بن عمرو أبي مسعود الأنصاري  قال : ( أشار رسول الله  بيده نحو اليمن فقال : ( الإيمان يمان هاهنا ، ألا إن القسوة وغلو القلوب في الفدادين عند أصول أذناب الإبل حيث يطلع قرن الشيطان في ربيعة ومضر ) رواه البخاري في كتاب بدء الخلق ، باب خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ، ومسلم في كتاب الإيمان ،باب تفاضل أهل الإيمان فيه ورجحان أهل اليمن فيه . وحديث أبي هريرة  عن النبي  قال : ( أتاكم أهل اليمن أضعف قلوباً وأرق أفئدة الفقه يمان والحكمة يمانية ) رواه البخاري في كتاب المغازي ، باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن . ومسلم في كتاب الإيمان ، باب فضائل أهل اليمن ، وغيرها كثير .

[2] الحديث والمحدثون في اليمن في عصر الصحابة ( 3/1751 ) تأليف الدكتور عبدالله الحميري ، طبع مكتبة الرشد الرياض ، الطبعة الأولى ( 1421 هـ – 2000 م )

[3] المصدر السابق ( 3/1752 )

[4] المصدر السابق ( 3/1753 )

[5] المصدر السابق ( 3/1754 )

5)عبد الله بن قيس بن أم غزال الأرحبي  [1].
6)ذباب بن الحارث بن عمرو السعدي [2].
وكان في إسلام هؤلاء ورجـوعهم أثر فـي انتشـار الإسـلام في قومـهم، وتهيئتهم لقبوله.
وممن وفد عليه  وتوطَّن المدينة مهاجراً أبو موسى الأشـعري ورفقته الأشعـريون [3] وأبو هريرة [4] وغيرهم.
وفي عـام الوفـود بشَّـر النـبي  أصـحابه بقـدوم وفـود اليمن، وبالفعل تـوالت تلك الوفـود وكـانت من أفضل الوفـود العربيـة، فسُرَّ بها رسول الله ، ودعا لها، وعادت مؤمنة صادقة، فنشرت الإيمان والإسلام في ربوع اليمن.

المطلب الثاني رسل النبي  إلى اليمن:

ولما ظهر لرسـول الله  ما يتمتع به اليمـنيون من نفـوس طيبة قابلة للإيمـان والإسـلام، وتأكد لديه صـدق توجه اليمنـيين نحو دين الله، وأن الإسلام قد أصبح منتشراً فيهم، أحب  أن يعمق مفـاهيم الإسـلام في نفوسـهم، وينشر تعاليمه بينهم، ويضع لهم من يعلمهم ويرشـدهم ويحكم بينهم بشـرع الله ويسوسـهم بنظامه الخالـد، فأرسل رسله معلمين ودعاة وحكاماً ، فأحسن اليمـنيون وفـادتهم، وأكرموا نزلهم، وأخذوا عنهم دين الله، وعملوا به، وتحاكموا إليه.
وكان من أشهر من أرسلهم رسول الله  إلى اليمن معاذ بن جبل ، اليمن الأعلى بما في ذلك الجند[5]،وأبو موسـى الأشـعري وكـان عاملاً على زبيد وعدن

وساحل اليمن كله [6].
ومهَّد النـبي  لمعـاذ طريقـه، وكشف له حقيقة الجهة الـتي وجهه إليها، وزوّده بأروع التوجيهات والوصـايا فقـال: ((**إنَّك تقدم على قــوم من أهل الكتــاب، فليكن أول ما تــدعوهم إلى أن يوحـدوا الله تعـالى، فـإذ عرفـوا ذلك فـأخبرهم أن الله فـرض عليهم خمس صـلوات في يـومهم وليلتهم، فـإذا صلوا فأخبرهم أن الله افترض عليهم زكاة في أمـوالهم**

---

1 المصدر السابق ( 3/1754 )
2 المصدر السابق ( 3/1756 )
3 المصدر السابق (3/1768-1771 ) .
4 المصدر السابق (3/1763 ) .
5 فتح الباري (8/61).
6 الحديث والمحدثون ( 1/385-386 ) .

**تؤخذ من غنيهم فترد على فقيرهم، فإذا أقروا بذلك فخذ منهم، وتوقَّ كرائم أموال الناس))** [1].

ولعل النبي  خص معاذاً بهذا دون أبي موسى؛ لأن أبا موسى من أهل البلد، ويعرف طبيعتها وطبيعة أهلها، ثم وصى النبي  معاذاً وأبا موسى معاً فقال: ((**بشِّرا،ولا تنفرا، ويسرا ولا تعسرا، وتطاوعا ولا تختلفا**)) [2]، فخرجا مستلهمَين هذه الوصايا، ناصحين مخلصين لمن أُرسِلا إليهم، واتجه كل منهما إلى عمله،وكانا يتزاوران ويتعهد أحدهما الآخر.

فدخل في الإسلام على أيديهما من لم يكن قد أسلم من قبل، وتعلم العلم منهما من كان مسلماً مؤمناً، وعمَّ الإيمان والعلم أرض الفقه والإيمان.

كما أرسل رسلاً آخرين لأغراض مختلفة منهم: علي بن أبي طالب [3]، وخالد بن الوليد [4]، وجرير بن عبدالله البجلي [5]، وخالد بن سعيد بن العاص [6]، وطاهر بن أبي هالة [7]، ويعلى بن أمية [8]، وعمرو بن حزم [9]، وزياد بن لبيد البياضي [10]، وعكاشة بن ثور [11]  أجمعين، وكان لهم أعظم الأثر على اليمنيين، وقد لقوا منهم المحبة والوفاء والتعاون الذي يعزّ مثاله.

<u>المطلب الثالث:</u> مذاهب اليمنيين منذ فجر الإسلام حتى قيام الدولة الصليحية:

وصل الإسلام إلى اليمن نقياً صافياً لم تشُبْه أي شائبة، فلم يدخل على يد مذهب فقهي أو فرقة عقائدية أو طريقة صوفية كما حصل في بعض البلاد الإسلامية، وإنما دخل على أيدي أصحاب رسول الله  سادات أهل السنة وقدوتهم الذين أمرنا رسول الله 

---

[1] البخاري (6/96 – 97) كتاب التوحيد باب ما جاء في دعوة النبي  أمته إلى توحيد الله،ومسلم ( 1/196ـ 197 ) مع شرح النووي باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام.

[2] البخاري (3/1104 ) كتاب الجهاد باب ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب وعقوبة من عصى إمامه ، ومسلم ( 3/1359 ) كتاب الجهاد والسير باب الأمر بالتيسير وترك التنفير .

[3] الحديث والمحدثون (3/1724) .

[4] المصدر السابق ( 3/ 1722) .

[5] ا المصدر السابق (3/1729).

[6] المصدر السابق( 3/1729 )?

[7] المصدر السابق( 3/1729 )

[8] المصدر السابق ( 3/1735 )

[9] المصدر السابق ( 3/1733 )

[10] ?تاريخ حضرموت للحامد ( 1/135 )

[11] ? الحديث والمحدثون ( 3/1732 )

بالرجوع إلى ما كانوا عليه عند الاختلاف [1]، وبقي منهجهم وسبيلهم محفوظاً بحفظ الله في هذا البلد المبارك إلى اليوم، وإن زاحمه غيره من المذاهب والمناهج في بعض الفترات، وإن حاولت السلطات المتنفذة في كثير من الأحيان طمسه وإحلال مذاهبها محله إلا أنها لم تفلح في ذلك.

التشيع:

ومن المذاهب التي وصلت إلى اليمن في وقت مبكر التشيع؛ وذلك أن أهل اليمن قد كان موقفهم مع أمير المؤمنين علي  واضحاً ومعروفاً، فهم أقوى القبائل التي كانت معه وأكثرها عدداً [2]، ولاشك أن ذلك سوف يعكس نفسه على قبائلهم وأهاليهم الباقين في اليمن؛ ولذلك تحدثت مصادر التاريخ اليمنية عن تعسف بسر بن أرطأة [3] والي معاوية على اليمن،وشدته في معاملة بعض القبائل اليمنية، وبالخصوص قبيلة همدان التي كانت من أكثر القبائل مناصرة لأمير المؤمنين علي  حتى نسبوا إليه ذلك البيت الذائع:

**فلو كنت بواباً على باب جنة　　لقلت لهمدان ادخلوا بسلام** [4]

فالتشيع في اليمن لا يستطيع أحد إنكاره، ولكن أي فرق الشيعة كانت في اليمن في ذلك الوقت؟ يتضح مما مرّ في بحث نشأة الشيعة أن الفرق الشيعية لم تتميز عن بعضها إلا في وقت متأخر، ولذا فإنني أرجح أن التشيع الذي كان موجوداً في اليمن قبل وفود الزيدية والإسماعيلية إنما كان التشيع السالم من الغلو كما سبق وصفه.

نعم هناك إشارة إلى وجود شيعة اثني عشرية في اليمن في حوالي النصف الثاني من القرن الثالث، وذلك عندما ذكر المؤرخون علي بن الفضل الجدني، والذي أصبح زعيم القرامطة في اليمن، فقد ذكروا أنه كان شيعياً اثني عشرياً، وأنه حجّ ثم زار

---

[1] وذلك في قوله  : (( وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها ، وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة )) رواه أبو داود ( 2/611 ) ،و الترمذي ( 5/44 ) ،وابن ماجه ( 1/15 ) وقال الترمذي :هذا حديث حسن صحيح ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الترمذي ( 2/241 ).

[2] الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ص ( 17 ) .

[3] بسر بن أرطأة ( ت 86 ) ، انظر ترجمته : تاريخ بغداد ( 1/210 ) ، والسير ( 3/409 ) .

[4] الصليحيون في اليمن ص ( 18 ) .

قبر الحسين بعد الحج، وهناك التقى بميمون القداح[1]، كما قيـل: إن ابن الفضل أخذ ذلك المذهب في عدن من قوم من الاثني عشرية، لقيهم هناك [2].

قلت: إن صح هذا فالاحتمال بوجود فئة صغيرة في عدن وارد ولم تشـتهر، أو يعطها المؤرخـون اهتمامـاً، كما أن هنـاك احتمـالاً آخـرَ، وهو أن أولئك القوم كانوا من التجار الذين يـنزلون عـدن لفـترة ثم يغادرونهـا، وماعـدا ذلك فإنه لم يـرد تفصـيل عن أي فرقة شـيعية واضحة في اليمن في تلك الفترة.

الدعوة الإسماعيلية:

أ- القرامطة:

كان المذهب الإسماعيلي هو أول مذهب واضح متميز من مذاهب الشـــيعة وصل إلى اليمن، حيث وصل الـــداعيان: علي بن الفضل الجدني، والحسن بن فرج بن حوشب [3] إلى ميناء غلافقة سنة (268 هـ) مبعوثَين من قبل داعية الإسماعيلية ميمون القداح، غير أنهما لم يعلنا الدعوة إلاّ سنة (270هـ)، وكانت دعوتهما في غاية السرية والحيطة والحـــذر، ثم أعلن الثـــورة علي بن الفضل وكشف عن وجهه الحقيقي، وفعل ما هو مشهور في تـاريخ اليمن مما ليس هنا محل تفصـــيله إذ لا يتعلق بموضـــوعنا، غـــير أن المهم أن علي بن الفضل قد سـلك طريق القرامطة أصـحاب البحـرين، وكشف عما يعتقـده وفعل ما أمْلته عليه نزواته وأحبه هـواه، وبـذلك كـان أمَـدُ دعوته قصيراً، وإن كان شـرها مسـتطيراً، ولم يقم أحد بدعوته بعد موته والقضاء على دولته [4].

ب _ العبيديون (الفاطميون):

أما الحسن بن حوشب المشـهور بـــ " بمنصـور اليمن " فقد بقي محافظاً على تعليـمات ميمـون القـداح، ملتزماً بالانتمـاء إليه وإلى

[1] كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة ص ( 81 )، وقرة العيـون في أخبـار اليمن الميمـــون،لابن الـــديبع الشـــيباني تحقيق القاضي الأكـــوع الطبعة الثانية ( 1409 هـ ).

[2] انظر: لترجمة علي بن الفضل وتفصيل فتنته: كشف أسرار الباطنية ( 81-82و94- 114 ) ، وقرة العيون ص ( 131-151) ، وقد تحدث عن هذه الفتنة كل مؤرخي اليمن الذين أرّخوا لهذه الفترة .

[3] أبو القاسم الحسن بن حوشب،المشهور بمنصور اليمن توفي سنة( 302هـ)انظر أخباره:افتتاح الدعوة ص (16–37 ) للقاضي النعمان بن محمد بن حيون المغربي دار الأضواء بيروت الطبعة الأولى (1416هـ -1996 م ) ، العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك ص ( 37 ) تأليف شمس الدين علي بن الحسين الخزرجي الأنصاري دار الفكر دمشق ط الثانية مصورة (1401هـ - 1981م ).

[4] الصليحيون في اليمن ص ( 48) .

ذريته الـــتي ملكت المغـــرب العـــربي، وأنشـــأت هنـــاك الدولة الإسـماعيلية الباطنيـة، وكـان على اتصـال مسـتمر معهم [1]، إلا أن دولته لم تـدم طـويلاً إذ قُضي عليها ككيـانٍ سياسي في حيـاة علي بن الفضـــل، واضـــطر منصـــور إلى التخفِّي والبعد عن المعـــترك السياسي حـــتى مـــات ســـنة (302 هـــ) [2]، ثم عـــادت الـــدعوة الإسماعيلية إلى دور السِّـتر والسـرية، وقد رتب لها الـدعاة الـذين يقومون بها، ويبثون تعاليمهـا، ويحـافظون على أتباعهـا، ويواصـلون العلاقة مع أصـــلهم في المغـــرب ثم في مصر بطـــرقهم الذكية المعروفة وذلك من سنة (303-439هـ)، حـتى عـادوا إلى الظهـور حين أمكنـــتهم الظـروف، وتهيـأت لهم الأسـباب على يد علي بن محمد الصليحي كما سيأتي [3].

هـذه هي الفـترة الأولى للـدعوة الإسـماعيلية العلنية في اليمن، وهي لم يكن لها تـأثير ظـاهر في مسـألة القبورية حيث لم تتمكن من التفـرغ لـذلك، ولم يكن لها من النفـوذ والقبـول ما يمكِّنها من ذلك، بل عاش قادتها محارَبين ودعاتها مضـطهدين، فلم يسـتطيعوا عمل شـيء مما يتعلق القبوريـة، كما أن هـذه الفرقة لم يكن لها مذهب ظاهر وشائع بين الناس كأي مذهب من المـذاهب الأخـرى، إلا أنها كـانت أخطر من تلك المـذاهب من حيث تماسك أصـحابها والحفـاظ على كيـانهم رغم المحاربة الشـاملة لهم من كافة فئـات الشعب والحكام على حد سواء، مما كان له الأثر البالغ في تمكنهم من إعلان دولتهم مرة أخـرى في أيـام الصـليحي، ثم العـودة مـرة أخرى إلى الستر منذ زوال دولة الصليحي إلى يوم الناس هذا.

الزيـــدية:

الفرقة الشـيعية الثانية الـتي دخلت اليمن في هـذه الفـترة هي الزيديـــة، وقد ســـبق التعريف بها في المبحث الأول من الفصل الثـالث [4]،وكـان وصـول الزيدية واسـتقرارها في اليمن سـنة أربع وثمانين ومائتـــين

---

[1] الصليحيون ص ( 43 ) .
[2] المصدر السابق ص ( 47 ).
[3] المصدر السابق ص (49- 58 ) .
[4] انظر ص ( 101 ).

هجرية [1]، وذلك بوصول الإمام الهادي إلى الحق يحـيى بن الحسـين إلى صعدة للمرة الثانية وإقامة دولته هناك، ثم العمل على نشـرها ومواصـلة أبنائه وأحفـاده وبعض الأئمة من أهل الـبيت المعتنقين للمـذهب الزيـدي، حيث اسـتقرت دولة الأئمة الزيدية من ذلك التـاريخ إلى أن أطيح بـآخر إمـام من أئمتها محمد البـدر سـنة ( 1382هـ- 1962 م) وذلك بقيام الثورة وتأسيس الجمهورية العربية اليمنية.

وهـذه الفرقة قد سـخَّرت دولتها وسـلطانها لـدعم عقائـدها ومـذاهبها،كما أنها قد طـوَّعت فِقهها وأصـولها لمآربها السياسـية [2]، ولكنها برغم قِدَم دخولها وامتداد فـترة حكمها بما لم تبلغه أي دولة أو فرقة أخـرى، ظلَّت منـزوية في مـواطن نفوذها السياسي يمتد وجودها بامتـداد سـلطانها ظـاهراً ورسـمياً، وأما في البـاطن فـإن الناس يكرهون ما تفرضه عليهم، ويهللون فرحاً عندما ينـزاح عنهم كابوس حكمهم؛ ليعلنوا ما في نفوسهم من عقائد ومبادئ، ويزيلون ما فرض من شعارات خاصة بالزيدية، فرضتها السلطة [3].

يقول القاضي محمد بن علي الأكوع [4] -رحمه الله تعالى -: (وكان مذهب الهادي قابعاً في صعدة، ومنكمشاً عليها وعلى بلادها وبعض ظاهر همدان، ولم يغزُ سـنام نجد اليمن وبلاد حجة ومغـارب حمـير إلا في القرن الحادي عشر الهجري، عنـدما تمت سـيطرة القواسم

---

[1] سيرة الهادي إلى الحق يحـيى بن الحسـين  ، وقيـام الدولة الزيدية في اليمن ص ( 58 ) د. حسن خضيري أحمد ، طبع مكتبة مدبولي بالقاهرة الطبعة الأولى ( 1996 م).

[2] انظر: الإمامة وخطرها على وحدة اليمن ( 16 – 23 )، للأستاذ . محمد محمود الزبيري -رحمه الله - طبع دار الكلمة صنعاء بدون تـاريخ ، وتيـارات معتزلة اليمن في القرن السادس الهجري ( 168-172 )، للدكتور علي محمد زيد ،طبع المركز الفرنسي للدراسات اليمنية صنعاء ، الطبعة الأولى ( 1997م ).

[3] ?والأمثلة في ذلك كثيرة وفي نواحي متعددة وانظر : مؤلفات الإمام عبدالله حمزة ستجد منها ما يؤكد ما نقول ، وانظر: كذلك هجر العلم للأكوع (2/1075-1078 ) .

[4] أشهر مؤرخي اليمن في العصر الحاضر ،ألـّف وحقق الكثير من كتب التاريخ وغيرها من نفائس علوم اليمنيين، كان من جملة الثوار الذي زَجّ بهم الإمام في سجن قاهرة حجة ،وبعد الثورة تقلب في عدد من الوظائف الوزارية وغيرها ، وقد عرفته و استفدت منه و أجازني إجازة أعتز بها ،حثَّ فيها على التمسك بالسنة قولاً وعملاً ،والاعتماد على الدليل ونبذ التقليد مما يبين استقامة منهجه رحمه الله رحمة واسعة وقد توفي عام( 1419 هـ ) انظر: ترجمته: في موسوعة ( هجر العلم ) لأخيه القاضي إسماعيل ( 2/870-83 )و كتاب " القاضي محمد بن علي الأكوع الحوالي" مؤرخ اليمن الذي صدر بعد وفاته مباشرة وطبع في مؤسسة الثورة للطباعة والنشر عام (2000).

على اليمن،وتغلبت الأسرة الزيدية على ناصية الأمـور، وخلت البلاد من التيـارات السياسـية الـتي تجابههـا، كما قحط اليمن من قادته ورؤسائه، وأصبحوا قانعين بالتبعية؛ إذ فقدوا كل مقوِّمـات الطمـوح والشعور بأنهم سادة البلاد) [1].

قلت: وذلك في عهد الإمـــام المتوكل على الله إســـماعيل بن القاسم الـذي وحَّد اليمن الطـبيعي، وفـرض المـذهب الزيـدي على كل من دخل تحت حكمه حــتى في حضــرموت الــتي تعد من أشد البلاد منــافرة لمذهبــه؛ وذلك لســيطرة العلــويين الــذين يتبعــون المذهب الشافعي والعقيدة الأشعرية والمشرب الصـوفي، والـذين يتعصـــبون لـــذلك غاية التعصـــب، ولست بحاجة إلى مزيد بسط وتفصيل عن الزيدية؛ لما سبق من شرح لها في الفصل الثالث من هذا الباب.

وأما قبورية الزيدية فـالحق أن زيدية اليمن لم تكن لـديهم قبورية ظاهرة في هذه الفـترة، ولـذلك فسـوف أرجئ الحـديث عن قبـور يتهم إلى المطلب التالي إن شاء الله.

الخـوارج:

سبق تعريف الخوارج وهم فرق كثيرة، والفرقة التي اشتهرت في اليمن من فــرق الخــوارج هي فرقة الإباضــية أصــحاب عبدالله بن إباض [2]،وهم أخف فرق الخوارج انحرافاً وأقربها إلى السنة [3].

ومعلــوم أن نشـأة الخـوارج كـــانت على أثر حادثة التحكيم، وأن علـــياً  قـــاتلهم في النهـــروان عـــام (37) أو (38 هـ)،وقتل معظمهم،ولكن الفئة الباقية انتشـــرت في البلاد بشـــكل خفي، ثم أصــبح كل من حل بــأرض يــدعو أبناءها إلى رأيه، ولــذلك كــثرت الخوارج مرة أخــرى، وأصبحت قوة لا يستهان بها، وشكلت مصـدر قلق كبـير للدولة الأموية إلى نهايتها، ومطلع الدولة العباسـية. فهل وصل إلى اليمن أحدٌ منهم في بداية أمرهم؟ وهل انتشرت الدعوة الخارجية بين اليمنيين بشكل أو بآخر قبل العقد الثـالث من القـرن الثاني؟.

هذا مالا يمكن الجزم به، ولكن هناك إشارات إلى شيء من ذلك، منه ما حكاه الخزرجي من أن الخوارج هاجموا صنعاء فحاول وهب

[1] اليمن الخضراء مهد الحضارة ص ( 106 ) للقاضي محمد بن علي الأكوع ، طبع مطبعة السعادة بالقاهرة الطبعة الأولى ( 1391 هـ 1971 م )

[2] هو عبدالله بن إباض المقاعسي التميمي ، عاصر معاوية بن أبي سفيان وعاش إلى خلافة عبدالملك بن مروان ، وهو رأس الفرقة الإباضية من الخوارج . انظر : الملل والنحل ( 1/98 ) ، و الأعلام ( 4/61-62 )

[3] انظر: لتفاصيل أقوالهم :الملل والنحل للشهرستاني ( 1/98-99 ) ، والفرق بين الفِرق ص ) 103 –109 ) .

بن منبه قتـالهم بأهل صـنعاء، فلم يسـتطع، فصـالحهم أهل صـنعاء على مائة ألف دينـار، فأخـذوها، ورجعـوا، واسـتعان أهل صـنعاء لسدادها بأهل المخاليف، فأعانوهم [1].

ومنها أن عبدالله بن يحـيى الكنـدي [2] زعيم الخـوارج الأول عنـدما أقـام دولته في حضـرموت، كـاتب إخوانه الإباضـية في صـنعاء، فانضـموا إليه [3]، هاتـان الإشـارتان توحيـان بوجـود ما للخـوارج قبل إعلان دولتهم في شـبام حضـرموت سـنة (128هـ)، وأما البداية الحقيقية المتفق عليها فهي في هذه السنة.

وملخص قصة الخـوارج في اليمن أن عبدالله بن يحـيى الكنـدي - وكان رجلاً من أعيان حضـرموت - حج سـنة (127 هـ)، وفي مكـة التقى ببعض دعـاة الخـوارج الـذين كـانوا يحضـرون المواسم لبث دعوتهم، فكلموه في الأمر، وذكروا له مظالم بني أمية وانحرافهم، وأن الـواجب هو الخـروج عليهم وإزالة دولتهم وإقامة دولة الحق التي تحكم بالعدل وتعيد الأمور إلى نصـابها إلى آخر ما ذكـر، فقال له عبدالله بن يحيى: (إنني رجل مطاع في قومي، ولو دعوتهم إلى ذلك أجابوني إليه). فعاهـده أبو حمـزة على ذلـك، فعـاد عبدالله بن يحـيى ومعه أبو حمـزة الأزدي إلى حضـرموت، وكتب إلى إخوانه أباضية البصرة يشاورهم في الخـروج على الخليفة الأمـوي،فكتبـوا إليـه: (إن اسـتطعت ألا تقيم يومـاً واحـداً فافعـل، فـإن المبـادرة بالعمل الصـالح أفضل ولست تـدري مـتى يـأتي عليك أجلـك...)، فـأعلن عبدالله نفسه أمـيراً وبايعه أبو حمـزة وتبعه النـاس في حضرموت من سـائر القبائل، وقبَضَ على والي بـني أميـة، وحبسه ثم أطلق سراحه، وما إن استقرت له الأمـور في حضـرموت حـتى اتجه صوب مكة، فقـدم ومعه زهـاء تسـعمائة وقيل ألف ومائة من أصحابه يوم عرفة إلى صعيد عرفة، والنـاس بها يـوم الوقـوف فما شعروا إلا بخيل الخـوارج وعليها الرجـال معممين رافعين ألـويتهم، فما كان من أمير مكة إلا أن سـلّم لهم الأمر دون قتـال، وفي يـوم النحر دخلوا مكة كـذلك، وبـذلك صـفت لهم مكة دون أي مقاومـة، ولكن أخبارهم انتشـرت، واسـتعد لهم أهل المدينـة، وبعد اسـتقرار الوضع في مكة خلّفـوا عليها واليـاً من قبلهم، ثم توجهـوا إلى

---

[1] العسجد المسبوك ص ( 22 ) .

[2] عبدالله بن يحيى بن عمر الكندي الحضرمي ، الملقب بطالب الحق ، مؤسس الدولة الإباضية في حضرموت ، توفي سنة ( 130 هـ ) انظر ترجمته : في تاريخ حضرموت للحامد ص ( 262 ) ، وصفحات من التاريخ الحضرمي لسعيد عوض باوزير ، طبع مكتبة الثقافة عدن بدون تاريخ .

[3] تاريخ حضرموت للحامد ص ( 207 )

المدينة، وكان أهل المدينة قد جهزوا جيشاً لمقاومتهم، وكـان أكـثر الجيش من عامة النــاس وليســوا من الجنــود المــدربين أو ذوي الخـبرة بـالحرب، والتقى الجيشـان في منطقة قديـد، وهُـزم جيش المدينة هزيمة منكرة وقتل منه ألفان ومئتان وثلاثون رجلاً [1]
وعلى إثر ذلك دخل جيش الخـوارج المدينـة، واحتلوها ورتبـوا الأمر فيها، وطارت الأخبار إلى دمشق، فجهز الخليفة جيشاً كبيراً وحشد فيه مقاتلين أقوياء مدربين، فسـار الجيش الأمـوي صـوب المدينـة، وتقـدم جيش الخـوارج باتجـاه الشـام، فـالتقى الجيشـان في وادي القـرى، فـانهزم جيش الخـوارج وقتل قائـده أبو حمـزة، ثم واصل الجيش الأموي طريقه إلى المدينة ثم إلى مكـة،ولم يقم له واليهـا، ثم إلى صنعاء وقد خرج عبدالله بن يحيى ومن معه لملاقاة الجيش الأمـوي في الطريـق، وفعلاً التقيا، وهُـزم الجيش الخـارجي، وقُتل عبدالله بن يحـــيى، وهكـــذا واصل الجيش الأمـــوي الطريق إلى عاصــمة دولة الخــوارج (شــبام)، والتقى بأميرها ومن معه وهــزم الخــوارج، وقتل واليهم وفتك قائد الجيش بالحضــارم فتكــاً ذريعــاً، وقتل الرجــال والنســاء وفعل الأفاعيل، وبهــذا انتهى كيــان دولة الخــوارج ولم يبق لهم نفــوذ، غــير أن فكــرهم وعقائــدهم ظلت موجـودة ويـدين بها كثـير من أبنـاء حضـرموت حـتى نهاية القـرن السادس تقريباً، ونشأ لهم كيـان غـير محـدد المعـالم أواخر القـرن الخـامس، قضى عليه الصـليحي عنـدما مد نفـوذه إلى حضـرموت، ولم يكن للخــوارج أي دور في انتشــار القبورية في اليمن حسب علمي [2].

التصــوُّف:

حتى لا تختلط علينا المفاهيم، يجب أن نفرِّق بين الزهد الـذي دعا إليه الإسلام، وحث عليه الرسـول ، وحمـده أئمة المسـلمين، ولم يذمه أحد ممن يعتد بقوله، وبين التصـوف الــمُحدَث المجلـوب من خـارج حـدود الإسـلام، والمضـبوط بضـوابطه المعروفـة، والمحـدّد بحدوده الواضحة، والمبني على فلسـفة خاصـة، فهـذا لـون والزهد الذي جاءت به شريعة الإسـلام لـون آخـر، وإن الخلط بين الأمـرين قد أوقع لبسـاً كبـيراً على عـوام النـاس، واسـتغلّه دعـاة التصـوف

[1] تاريخ حضرموت ص( 209 ) ، وصفحات من التاريخ الحضرمي ص ( 50 ) .
[2] انظر: لأخبار الخوارج وقيام دولتهم وانتهائها كلاً من: تاريخ حضرموت ( 1/206 ـ 213 ) لصالح بن علي الحامد ، و صفحات من التاريخ الحضرمي ص ( 47-55 ) ، و تاريخ حضرموت السياسي ( 1/64/72 ) لصلاح عبد القادر البكري، طبع دار الآفــاق العربية بالقــاهرة ، الطبعة الأولى ( 1421 هــ - 2001 م ) ، و أدوار التـاريخ الحضـرمي ص ( 127-140 ) ، وانظر خـبر دولتهم الأخـيرة في : صفحات من التاريخ الحضرمي ص ( 66-79 ) .

وتزينوا به، بل اتخذوه درعاً واقياً من سهام الطاعنين عليهم وعلى فلسفته الضالة وبدعهم المحدثة الخارجة عما جاء به الإسلام، فإذا تكلّم متكلم عن مخازي التصوف ومثالبه، عارضه المتصوفة بإبراز الشخصيات النظيفة الطاهرة على أنها أئمته ومؤسسوه،فيذكرون أبا ذر  وأبا الدرداء ، ومن التابعين أويس القرني، والحسن البصري ومن شابههما، ثم يذكرون مالك بن دينار، والفضيل بن عياض،ومن أهل اليمن: عمرو بن ميمون الأودي، وطاووس بن كيسان اليماني، ووهب بن منبه، ونحوهم، وهؤلاء لا علاقة لهم ألبتة بما أحدث بعد من تصوف مبتدَع فلسفي محتوٍ على إلحاد أصحاب الحلول والاتحاد، ومكائد المتاجرين بالولاية والكرامات.

فإذا بينا هذه الحقيقة، وعرفنا الفرق الواسع بين الزهد بمفهومه الصحيح، وبين التصوف المنحرف، استطعنا أن نجزم بلا أي تردد أن هذه الفترة التي نتحدث عنها لم يكن فيها باليمن شيء مما يصح أن يطلق عليه تصوف بالمعنى الصحيح الدقيق، وبالتالي فليس للتصوف في هذه الفترة أي دور في نشر القبورية.

المذاهب الفقهية:

(كان المذهب السائد في اليمن إلى انتهاء القرن الثالث الهجري هو العمل بالكتاب العزيز والسنة النبوية، ولم يتقيد أهل اليمن حينئذ بكلام واحد من الأعلام، واعتمدوا في دراسة الفقه النبوي على مثل مسند الإمام الحافظ عبدالرزاق بن همام الصنعاني المتوفى سنة (210هـ)، وعلى مسند أبي قرة موسى بن طارق الجندي، ومسند عبدالملك بن عبدالرحمن الذماري، ومسند الحافظ محمد ابن يحيى بن أبي عمر العدني، ثم غزت المذاهب العقائدية والفقهية) [1].

ويؤكد ذلك الإمام المؤرخ ابن سمرة الجعدي [2] في "طبقات فقهاء اليمن " حيث يقول: (وكان الغالب في اليمن مذهب مالك وأبي حنيفة، ولم يكن علم السنة مأخوذاً في هذا المخلاف إلا من جامع معمر بن راشد البصري، وهو مصنف في صنعاء، وجامع سفيان بن عيينة، وجامع أبي قرة موسى ابن طارق اللحجي الجندي، ومن المرويات عن مالك في الموطأ وغيره مثل كتاب أبي مصعب، أو

---

[1] ? اليمن الخضراء ص ( 106 ) .

[2] عمر بن علي بن سمرة الجعدي ، رائد مؤرخي علماء الشافعية باليمن ، صاحب طبقات فقهاء اليمن الذي خصصه لعلماء الشافعية ، ثم صار من بعده من المؤرخين يبنون على ما أسس ويفرعون على ما أصل ، لم تذكر سنة وفاته . انظر : ترجمته لنفسه في مطلع الطبقات ص ( 13 ) وما بعدها .

عما يُروى عن طاووس وابنه وقدماء فقهاء اليمن الذين ذكرت أطرافاً من فضلهم وشيوخاً من جلهم) [1].
ومن هذين النصين يتبين أن الأصل في أهل اليمن اتباع الكتاب والسنة على مذهب المحدثين، وبعد انتشار المذاهب الإسلامية وصلت تلك المذاهب المالكية والحنفية والشافعية، وأما المذهب الحنبلي في الفروع فلم يسجّل له وجود في اليمن تلك الفترة، وكان المذهب المالكي هو أول تلك المذاهب انتشاراً ثم الحنفي ثم الشافعي، وليس للمذهب المالكي وجود في اليمن الآن، وبقي المذهب الحنفي في زبيد بشكل محدود، بينما انتشر المذهب الشافعي في عموم اليمن بما في ذلك صنعاء وذمار وما والاهما حتى القرن الحادي عشر، حينما فرض المذهب الهادوي الذي يتبناه الأئمة الزيدية على تلك النواحي، وانقسمت اليمن بعد ذلك انقساماً ظاهراً، حيث ساد المذهب الشافعي اليمن الأسفل وتهامة وما والاها من البلاد الجبلية، والجند وماحو لها بما في ذلك معظم مخا ليف، إب والحجرية كاملة، والبيضاء وما يلتحق بها، ومأرب والجوف، هذا فيما كان يعرف باليمن الشمالي، وأما ما كان يعرف باليمن الجنوبي فكله شافعي ولاوجود للمذهب الهادوي فيه، وماعدا ذلك فالسائد فيه المذهب الهادوي، وهو يمتد من صعدة شمالاً إلى يريم وما جاورها جنوباً مقتصراً على المنطقة الجبلية إلى مشارف تهامة غرباً.
هذه صورة مختصرة للمذاهب الفقهية التي سادت اليمن، ولكن يجب ألا نغفل حقيقة مهمة، هي أن اتباع الكتاب والسنة والتجرد لهما، ونبذ التعصب المذهبي بل نبذ التمذهب بشكل تام بقي مستمراً في اليمن، ولم يلغه وجود المذاهب الفقهية وانتشارها، بل ظل حياً حاضراً وإن ضعف في بعض الأحيان وخفَتَ صوته إلا أنه مازال موجوداً خصوصاً في المناطق الزيدية، وقد اشتهر جماعة من المجتهدين النابذين للتقليد الذين كان لهم الأثر الطيب على العلم والعلماء، وكانوا نبراساً مضيئاً في حوالك الظلم التي لبَّدت سماء الأمة الإسلامية قروناً عديدة، وأصبحوا أساتذة الاجتهاد، والتجديد، وحرية الرأي، ورمز الاقتداء بالسلف الصالح ليس في اليمن فقط ولكن في العالم كله، حيث تتداول كتبهم بل وتصبح من المقررات الأساسية في أشهر الجامعات الشرعية والمعاهد الدينية في العالم الإسلامي، من أشهر أولئك:

---

[1] طبقات فقهاء اليمن ص ( 34 ) تأليف عمر بن علي بن سمرة الجعدي تحقيق فؤاد سيد نشر دار القلم بيروت بدون تاريخ.

1) محمد بن إبراهيـم الوزير [2].
2) صالح بن مهدي المقـبلي [2].

3) الحسـن بن أحمد الجلال [3].
4) محمد بن إسماعيل الصنعاني.
5) محمـد بن علي الشوكاني.

وغيرهم الكثير، وإن كانوا أقل شهرة منهم؛تضمنهم " البـدر الطـالع " لشيخ الإسـلام الشـوكاني، "ونشر العـرف لنبلاء اليمن بعد الألف "،وغيرهمـا من كتب التـواريخ والـتراجم، وما تـزال هـذه المدرسة قائمة إلى اليوم، وعميـدها وأشـهر علمائها في هـذا العصر القاضي

[2] هو إمام أهل السنة في زمانه ، بل مجدد الإسلام في اليمن في القرن الثامن محمد بن إبراهيم الوزير مولده سنة ( 775 هـ ) وقد نشأ على طريقة قومه الزيدية المعتزلة ، ثم رغب عنها وتحول إلى الطريقة السلفية ،فبرع في علوم الكتاب والسنة ، واستكمل أدوات الاجتهاد ، واضطهد لذلك ، فصبر ، وصابر ، وألف ، وناظر ، ولو لم يكن له إلا كتابه العظيم العواصم و القواصم لكفى ، كيف وله مؤلفات فائقة كثيرة سواه ، وهو رأس المدرسة السلفية التي مازالت - والحمد لله - قائمة إلى اليوم ، لا يكاد مؤرخ من مؤرخي اليمن إلا وهو يشيد بفضله ، وقد ترجم له من يصعب حصرهم ، وأثنى عليه حتى من يخالفه من الزيدية وغيرهم ، وألفت رسالة علمية بعنوان " ابن الوزير وآراؤه الاعتقادية وجهوده في الدفاع عن السنة النبوية " ، قدمت لجامعة أم القرى بمكة للشيخ علي بن علي جابر الحربي توزيع عالم الكتب ط الأولى (1417). وانظر ترجمته كذلك : البدر الطالع (1/81-93) ، وهجر العلم للقاضي إسماعيل الأكوع ( 3/1367-1376) ، والبحث الضافي الذي بعنوان الإمام محمد بن إبراهيم الوزير وكتابه العواصم و القواصم في مقدمة العواصم والقواصم (1/7-100) ، طبع مؤسسة الرسالة بيروت (1418هـ-1992م ) للقاضي إسماعيل الأكوع .

[2] صالح بن مهدي بن علي المقبلي ، أحد أعلام علماء اليمن والمجتهدين فيه ، تجرد عن التقليد والتزم الأخذ بالكتاب والسنة ، وله مواقف عظيمة مع مقلدي وقته ، اشتد عليه بسببها الأذى فهاجر إلى مكة ،وهناك ألف بعض مؤلفاته ومنها العلم الشامخ في تفضيل الحق على الآباء والمشائخ ، وذيله الأرواح النوافح توفي سنة ( 1108هـ ) . انظر : البدر الطالع ( 1/288 ) ، ومقدمة العلم الشامخ للقاضي عبدالرحمن الإرياني (ص أ – د ) طبع مكتبة دار البيان دمشق بدون تاريخ.

[3] الحسن بن أحمد الجلال من الأئمة المجتهدين في اليمن ، كبير القدر كثير الإنتاج العلمي ، أثنى عليه الشوكاني -رحمه الله – ثناءً كثيراً وهو في الفقه من الأئمة ، وإن كان لم يتخلص مما كان عليه مجتمعه في الجوانب الأخرى من منهجه ، توفي سنة ( 1084 هـ ) . انظر :البدر الطالع 0( 1/191 ) ، وهجر العلم ( 1/342 ) .

العلامة محمد بن إسماعيل العمــراني -حفظه الله - وهو في اليمن أشهر من نار على علم.
هذا وأما الاجتهاد الفقهي في المناطق الشافعية فقليل إن لم يكن معـدوماً، ولعـلّ السـبب في كـثرة المجتهـدين في الجهـات الزيدية طبيعة المذهب الهادوي الذي أبقى باب الاجتهـاد مفتوحـاً، بل حـرَّم التقليد في بعض المواضع من أصله، بعكس أتباع المذاهب الأخـرى الذين أغلقوا باب الاجتهاد من بعد القـرن الرابـع، وصـاحوا بكل من ادعاه بأنه جاهل متعالم، أو مارق منحرف.
هــذا وقد أطلتُ في هــذا الموضع لأنــني رأيت جمع كل ما يتعلق بالمذاهب الفقهية فيه ولن أعود إلى شيء من ذلك فيما بعد لعــدم اقتضاء الموضوع له.

الفرق العقائدية غير ما تقدم:

لقد ذكرنا فيما تقـدم فـرق الشـيعة الإسـماعيلية والزيدية وفرقة الخوارج الإباضـية، وإكمـالاً للبحث ينبغي أن نلمَّ ببقية الفـرق الـتي طــرأت على اليمن وعلى أهله الــذين مــازالوا متمســكين بمنهج الســلف الصــالح في عقيــدتهم إلى اليــوم، نعم إن منهج الســلف الصـــالح منهج الفرقة الناجية والطائفة المنصـــورة هو الأصل في اليمن، والمناهج الأخرى إنما هي طارئة عليه، وكان هــذا المنهج هو منهج الأمة بكاملها حينما كانت الأمة هي الصحابة الكرام وتــابعوهم بإحسان، ثم بدأت الفرق الضـالة تخـرج عن هـذا السـبيل، وتفـارق ذلك المنهج؛ فخــرجت الخــوارج ثم الــروافض ثم القدرية في عهد الصـحابة أنفسـهم، ثم تـوالت تلك الفـرق في الانحـراف ومفارقة المنهج القويم والصراط المستقيم، وقد تفرقت تلك الفـرق نفسـها إلى فـرق فرعية كثـيرة جـداً، وظهـرت فـرق جديـدة ذات أثر في الساحة الإسلامية؛ منها الجهمية ثم المعتزلة ثم الكلّابية والماتريدية والأشاعرة،وهذه الثلاث الفرق الأخيرة في الواقع قد تبيّن لها ضلال الفرق السابقة عليها وخصوصاً الجهمية والمعتزلة اللتين تشـتركان في الانتساب إلى علم الكلام.
وقد حــاول أئمة تلك الفــرق الثلاث العــودة إلى النبع الصــافي والمنهل العذب، ولكن آثار علم الكلام لم تمكن الإمـامين ابن كلاب [1]، والماتريدي [2] من ذلك، فتخلصا من كثير من بدع وعقائد الجهمية والمعتزلـة، وبقي لـديهما بعضـها وأخـذا ببعض أصـول السـلف أهل

[1] هو عبدالله بن سـعيد بن كُلّاب القطـان البصـري رأس المتكلمين بالبصـرة في زمانه وإمـام الطائفة المعروفة بالكلابية ، تـوفي سـنة ( 245 ) . انظر : السـير ( 11/174 ) ، وطبقات الشافعية ( 2/245 ) ، ولسان الميزان (3/360)لابن حجر طبع دار الفكر بيروت ط الأولى (1407هـ - 1987م ) .

السنة، وقصّرا في بعضها، والله تعـالى يتولاهمـا، وهو أعلم بما في نفوســـهما ســـبحانه، أما نحن فنـــدعوه ســـبحانه أن يغفر لهما وللمخلصـــين من أتباعهمـــا، وأن يتجــاوز عمَّا أخطـآ فيــه، ما دام الحامل لهمـا عليه حب التنـــزيه والخشــية من التشبيه، ولكن حبنا لهما ورغبتنا الصـــادقة في أن يتجـــاوز الله عنهما لا يجعلنا نصـــحح مذهبهما ونسكت عن خطئهما.

وأما أبو الحسن الأشعري -رحمه الله - فله ثلاثة أطوار:

الطور الأول: الاعتزال المحض على طريقة أبي علي الجبّائي الذي كان متزوجاً بأمه وكافلاً له.

الطور الثاني: تقرير ما كان عليه ابن كُـلّاب وأصحابه.

الطــور الثـالث: رجوعه الكامل إلى ما كـان عليه السـلف الصـالح وذلك في كتبه: " الإبانة عن أصول الديانة "، " ومقالات الإسلاميين "، " ورســالتي إلى أهل الثغر "، وهنــاك من يخــالف في تـــرتيب الطوْرَين الأخيرين، أو يجعلهما طوراً واحداً [3].

لكن عامة من ينتســبون إليه إنما ينتســبون إلى ما كـان عليه في الطور الوسط، فهم في حقيقتهم كُلّابية أو قريباً منها، وليسوا على السنة المحضة التي كان عليها السلف الصالح، والـتي عـرفت فيما بعد خصوصاً بعد محنة القول بخلق القـرآن عـرفت (بمـذهب أحمد بن حنبل) أو (بالحنابلة)، ولم يكن الإمام أحمد -رحمه الله- متفــرداً بها، بل هي عقيدة سائر أئمة أهل السنة وأصـحاب الحـديث، وعلى رأسهم الإمامـان مالك والشـافعي وكـذلك الإمـام أبو حنيفـة، إلا ما يذكر عنه في مسـألة الإيمـان، هـذا وإن كثـيراً من علمـاء الحـديث وأئمة الفقه والمفســرين وغــيرهم هم في الأصل من أهل الســنة وأتباع السلف الصالح، ولكنهم قد تأثروا ببعض أقـوال الأشـاعرة أو الماتريدية خصوصـــاً في تأويل بعض الصـــفات، وهـــذا لا يجعلهم أشـــــاعرة ولا ماتريدية، لأنهم من أهل الحــــديث والآخـــــذين به والمقـــدمين له على كل الأصـــول، بخلاف الأشـــاعرة المتكلمين وكذلك الماتريدية المتكلمين فإنهم يقدِّمون العقل، ويتحاكمون إلى قواعد المنطق وعلم الكلام مقـــدمين ذلك على الكتـــاب والســـنة،

---

[2] هو أبو منصـور محمد بن محمد بن محمـود السـمرقندي ، يلقب بإمـام الهـدى وإمـام المتكلمين ، تـوفي سـنة ( 333 هــ ) ، وهو مؤسس المدرسة المشـهورة بالماتريدية نســـبة إليه ، وله عند أتباعه منزلة عظيمة . انظر : مقدمة كتـــاب الماتريدية ص ( 93 – 99 ) للشـيخ أحمد بن عـوض الله بن داخل اللهيـبي الحربي ، طبع دار العاصمة بالرياض ، والأعلام ( 7/19 ).

[3] انظر لتحقيق تلك الأقـــوال والـــترجيح فيها : كتـــاب موقف ابن تيميه من الأشاعرة ، للدكتور عبدالرحمن بن صالح ابن المحمـود ، طبع مكتبة الرشد بالرياض ، الطبعة الأولى ( 1415هـ-1995هـ )

وهذا فارق كبير بينهم وبين المتمسكين بالآثار، والمقدمين للأخبــار، والتابعين للسـلف الأخيـار، الـذين وقعـوا في تقليد أولئك في بعض المسائل[1].

بعد هـذه المقدمة المهمة في نظـري أعـود فـأقول: إنه لم يثبت بشـكل جلي وجـود للماتريدية أو الأشـعرية في اليمن في هـذه الفترة.

وأما المعتزلة فالصحيح أن الذي أتى بها إلى اليمن هو الهادي إلى الحق يحـيى بن الحسـين سـنة (285هـ)، فالزيدية في العقيـدة معتزلـة، وإن خـالفوا المعتزلة في المنزلة بين المنزلـتين، فجعلـوا مكانها الإمامة، ويقـول بعض البـاحثين: إن اعـتزال زيدية اليمن في بداية أمـرهم كـان على طـريقتهم الخاصة بهم، وليس هو الاعـتزال المعروف المنسوب إلى واصل بن عطاء وأتباعه.

وقد ظلت الزيدية على ذلك إلى أن ظهـــرت المطرفيَّة [2]، وانتشرت، وفشت بين الناس، وأصبحت تشكل قوة علمية وبشرية يحسب لها ألف حسـاب، وخصوصـاً أنهم قد خـالفوا السـائد من عقائد الاعـتزال وعقائد الزيدية في أمـور أهمها: مسـألة الإمامة وأنهم لا يحصـرونها في أبنـاء علي ، وإنما من جمع صـفاتها من المسلمين، فهو أهل لها، وكذلك التفضيل بمجـرد النسب لا يقرونه، فتدخلت الغيرة على العقيدة مع الغيرة على المـيزة الـتي اكتسـبها بعض النـــاس في مســـألتي الإمامة والنسب، وعند ذلك رغب القائمون على المذهب الزيدي وعقيدته الموروثة في التصدي لهذه الفرقة، وهزيمتها فكريـاً عن طريق المنـاظرة،ولما كـان رجـال المطرفية أكثر علمـاً وأنضج فكـراً؛ وشـعر الطـرف الثـاني بـذلك؛ رغب في تسـليح فريقه برجـال على نفس المسـتوى، بل أقـوى ليحملوا فكره، ويدافعوا عن أصـوله ومبادئه بالطريقة الـتي يريـدها هو، وعنـدما علم الإمـام المتوكل أحمد بن سـليمان أن أحد علمـاء المعتزلة وصل إلى مكة لأداء الحج عام (540 هـ) سارع باستدعائه إلى اليمن، فأجـاب إلى ذلك، ووافى الإمـام في محل إقامته حينها هجـرة محنكة من خـولان صـعدة في مطلع عـام (541هـ)، ومعه كتب الاعتزال، وبقي في اليمن سنتين ونصف لنشر الاعـتزال على

---

[1] انظر : منهج الأشاعرة في العقيدة ص (15 -17)، للدكتورسفر بن عبد الرحمن الحوالي ،طبع مكتبة العلم بالقاهرة ( 1415هـ-1995م ).

[2] الـمُطَـرِّفِيَّـة :هي فرقة من فرق الزيدية منسوبة إلى مطرف بن شهاب من أعلام أواخر المائة الرابعة وأوائل المائة الخامسة ، وكانوا على جانب عظيم من الإقبال على العلم والاشتغال به والإخلاص في الطاعة والعبادة ، حصل بينهم وبين الإمام عبدالله بن حمزة شقاق فقضى عليهم قضاء مبرماً .انظر : الزيدية للأكوع ص ( 76 – 77 ) وتيارات معتزلة اليمن ص ( 187 ، 192 ) .

طريقة معتزلة البصرة، وهي تخالف الاعتزال الـذي كـان في اليمن من قبل والذي كـان أقـرب إلى معتزلة بغـداد، وقد التقى في هـذه الفترة القاضي جعفر بن عبد السلام الأبناوي بـالبيهقي [1]، وأخذ عنه علـوم الاعـتزال وأسـلوب المحاجة والمنـاظرة اسـتعداداً لمنـاظرة المطرفية، ثم لما عزم البيهقي على العودة إلى العـراق عـزم معه جعفر بن عبد السـلام ليـتزود من المنبع الأصـلي للاعـتزال،غـير أن البيهقي مات في تهامة في طريق العودة، فلم يثنِ ذلك عزيمة ابن عبد السلام، بل واصل المسـير إلى العـراق وفـارس، وأخذ في كل بلد حلّه عن علمـــاء المعتزلة فيه [2]، ثم عـــاد يحمل كتب المعتزلة معـه، وبهـذا تكامل وجـود المعتزلة في اليمن، بل إن من البـاحثين من يرى أن المعتزلة لم تدخل اليمن إلا من ذلك التاريخ.

ولكن الحق أن الذي دخل في ذلك التاريخ هو فكر وعقيدة معتزلة البصـرة الـتي تخـالف الاعـتزال الـذي ظل قائمـاً في المجتمع منذ دخل الهـادي إلى أن ظهر جعفر بن عبدالسـلام في أيـام المتوكل على الله أحمد ابن سليمان المتوفى سنة (566 هـ) [3].

<u>المطلب الرابع</u>:اسـتمرار منهج السـلف الصـالح رغم مزاحمة المناهج المختلفة له:

لقد تكفل الله بحفظ دينه وكتابه الكريم، فقال جلّ من قائل: ] **إنا نحن نزلنا الـذكر وإنا له لحـافظون**[ [4]، ومقتضى حفظه أن يبقى ظـاهراً قائمـاً، وأن تقـوم به طائفة تمثله بحق، وتعمل به بصـدق، وتـدعو إليه بـإخلاص، على وفق ما نـزل الكتـاب وما بلغ الرسول  ووفق ما فهمه الصحابة الكرام من الكتاب والسنة دون زيادة أو نقصـان أو انحـراف، وقد أكد هـذا المعـنى الرسـول  في قولـه: ((**لا تـزال طائفة من أمـتي على الحق ظـاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خـالفهم حـتى يـأتي أمر الله وهم على ذلك))** [5].

---

[1] هو زيد بن علي بن الحسن البيهقي المعتزلي ، حج سنة ( 540 هـ ) فاستدعاه الإمام أحمد بن سليمان إلى اليمن فوصل صعدة سنة ( 541 هـ ) ومكث يدرس كيب الاعتزال في مسجد الهادي بصعدة سنتين ونصف ثم رحل إلى بلاده فمات في تهامة . انظر : تيارات معتزلة اليمن ص ( 132 – 134 ) .

[2] ملخص من تيارات معتزلة اليمن ص ( 132-135 ) .

[3] انظر الصلة بين الزيدية والمعتزلة ص ( 71 ) ، للدكتور أحمد عبدالله عارف ، طبع المكتبة اليمنية صنعاء ودار أزال بـيروت ، الطبعة الأولى ( 1407هـ –1987 م ).

[4] سورة الحجر آية ( 9 ) .

[5] تقدم تخريجه ص ( 73 )

وإذا كان هذا الوعد يشمل جميع بلاد الله التي يظللها الإسلام، فإنَّ يمن الإيمــان والحكمة من أحق البلاد بتحقيق هــذا الوعــد، وبالفعل فإن تاريخ اليمن لمليء بالأدلة على هذه الدعوى، فلم يخــلُ جــانب من جوانب منهج أهل الســنة والجماعة ممن يقــوم بــه،ويــدافع عنه طوال التــاريخ اليمــني، أو على ســبيل الاحتيــاط في معظم مراحل التاريخ.

وإذا كان قد مرَّ بنا أن غالب القرون الثلاثة كان الظاهر فيه مذهب أهل الســنة والجماعة في اليمن، فــإن الفــترات اللاحقة لم تشــهد غيابــاً كــاملاً لهــذا المــذهب، وإنما قد يضــعف، ويضــايق، ويضــطهد دعاته في بعض الأحيان، ثم لا يلبث أن يظهر، وما إن تُرفع الحجب، وتزال العقبات من أمامه حتى يهــرع النــاسُ إليه، يتســابقون عليــه، ويسيرون تحت لوائه، وذلك أنه الوحيد المنسجم مع الفطرة والذي تميل إليه الأنفس والقلوب الــتي لم تعمَ بظلمــات البــدع، ولم يعكر عليها غبــار الشــبهات، ومن الأدلة الناصــعة على أن منهج الســلف الصالح هو المنهج المنسجم مع الفطرة السليمة أن جميع المذاهب الوافــدة على اليمن لم تظهــر، وتنتشر بين النــاس إلا في ظل دول قوية وسلطات قاهرة، ماعدا منهج أهل السنة والجماعة فإنه يقوم بنفســــه، وينتشر بما جعل الله فيه من عوامل البقــــاء والخلــــود والانتشــار، وســيظهر ذلك مما ســنورده في المبــاحث القادمة عند الكلام على تلك المناهج.

وإذا علمنا أن الأصل الــذي كــان عليه أهل اليمن هو مــذهب أهل الســنة والجماعة وأن المــذاهب الأخــرى إنما طــرأت عليه، فــإن المعروف المقــرر هو بقــاء ما كــان على ما كــان حــتى يثبت خلافه، ولم يثبت أن مـــذهباً من تلك المـــذاهب الوافـــدة قد طبق اليمن قاطبة، ولم يدّعِ أحد من أهل تلك المذاهب ذلك، وهذا وحــده يكفي دليلاً على اســتمرار مــذهب الســلف الصــالح وعــدم انقطاعه إلى يومنا هذا.

وهذا ما نلمحه جلياً في كلام المؤرخين، والشــهادة الأولى لمــؤرخ زيدي هو يحــيى بن الحســين ابن القاسم في طبقــات الزيدية حيث يقول: (قلت: وكان اليمن في هذا التاريخ – وهو ســنة أربعمائة إلى خمســمائة - فيه اختلاف شــديد في المــذاهب، واضــطراب وفتن وشـــبه يوردها كل فريـــق، فكـــان فيه الزيدية فـــريقين: مخترعة ومطرفيــة، وفي اليمن الأســفل حنبلية وشــافعية، ولما كــان رأس خمسمائة فما بعدها غلب على اليمن الأسفل مذهب الأشــعري لما خــرج من الشــام مع بــني أيــوب، فــإنهم أخرجــوا معهم " المقالة القدسية " أول إحياء علوم الــدين في عقيــدة الأشــعري فمــال إليه

أكـثر الشـافعية في ذلك الـوقت؛ لأن الأشـعري في ثلاثمائة سـنة وكانت وفاته أربع وعشرين وثلاثمائة... ثم اختلفت الشافعية باليمن فمنهم من قال بمقالة أحمد بن حنبل بأن المتشابهات تمر من غـير تأويل مع اعتقاد أن الله ليس كمثله شيء، واحتجوا بقـراءة الوقف على قولـه: ]**وما يعلم تأويله إلا الله** [[1]، ومنهم من تـأول ذلك كما يقول الأشعري، وجرت بينهم مناظرات في ذلك الزمن لاسـيما العمراني الشافعي صـاحب " البيـان " على مـذهب الشـافعي فإنه بنى على أصـول أحمـد) انتهى محل الغـرض منه [2]، وقد عقَّب القاضي الأكـوع على هـذا الكلام بقولـه: (ورغم هـذه التيـارات المتعاكسة المتضـاربة فقد ظل اليمن صـامداً أمـامهم لم تـتزعزع عقائده أو يهدم بنيانه المتراص إلا بعد فـترة متراخية، ثم ذكر نحـواً مما ذكره في كتابه اليمن الخضراء ونقلناه سـابقاً [3]،ثم قـال: (هـذا هو العمل السـائد في العقائد والمقامـات في عمـوم اليمن ماعـدا حضرموت فالغالب عليها مذهب الخوارج.

ولما تغلغلت هذه المذاهب في النفوس بطبيعة التفاعل والامتزاج انبثق عنها في القـرن الرابع الهجـري مـذاهب متشـعبة فمن حنفية إلى مالكية إلى شـافعية إلى هادوية في صـعدة، والمـذهب السـائد هو مذهب السلف الذين لا ينتمون إلى أي إمام من أئمة المذاهب) [4].

ويقول شيخ الإسـلام الشـوكاني -رحمه الله تعـالى-: (ولا ريب أن علماء الطوائف لا يكـثرون العناية بأهل هـذه الـديار لاعتقـادهم في الزيدية مـــالا مقتضى له إلا مجـــرد التقليد لمن لم يطلع على الأحوال، فإن في ديار الزيدية من أئمة الكتاب والسنة عدداً يجـاوز الوصـف، يتقيـدون بالعمل بنصـوص الأدلة، ويعتمـدون على ما صح في الأمهات الحديثية، وما يلحق بها من دواوين الإسـلام المشـتملة على سنة خـير الأنـام، ولا يرفعـون إلى التقليد رأسـاً، ولا يشـوبون دينهم بشيء من البدع الـتي لا يخلو أهل مـذهب من المـذاهب من شـيء منها، بل هم على نمط السـلف الصـالح في العمل بما يـدل عليه كتاب الله وما صح من سنة رسول الله ﷺ مع كـثرة انشـغالهم بالعلوم التي هي آلات علم الكتاب والسـنة من نحو وصـرف وبيـان

---

[1] آل عمران(7) .

[2] طبقـات الزيدية مخطوطة ، بواسـطة مقدمة السـلوك في طبقـات العلمـاء والملـوك ص ( 34 ) للقاضي بهـاء الـدين الجنـدي ، الطبعة الثانية (1416هـ - 1995م ) مكتبة الإرشاد صنعاء ، والمقدمة للقاضي الأكوع.

[3] انظر : ص ( 183 )

[4] المصدر السابق (1/ 33 ) .

وأصول ولغة مع عدم إخلالهم بما عدا ذلك من العلوم العقليـة، ولو لم يكن لهم من المزية إلا التقيَّد بنصـوص الكتـاب والسـنة وطـرح التقليـد،فـإن هـذه خصيصة خص الله بها أهل هـذه الـديار في هـذه الأزمنة الأخيرة، ولا توجد في غيرهم إلا نادراً) [1]..

وفي القــرن الرابع نــرى من يحمل منهج أهل الســنة والجماعة ومــذهبهم، ويــرد على من خــالفهم، فهــذا الحســين بن عبدالله المراغي له كتـاب يـردّ به على المعتزلة باسم " الحـروف السـبعة في الــرد على المعتزلة وغــيرهم من أهل الضــلال والبدعة " وقد عـاش آخر القـرن الثـالث وبداية القـرن الرابع حيث تـوفي سن ( 324هـ) [2]، وهو وافد على اليمن وليس من أهلها، ولكنه استقر بها، وصــار له أتبــاع أخــذوا عنه ذلك المــذهب الــذي كـان في الأصل موجوداً قبل وروده [3].

وفي القرن الخامس يمر بنا الفقيه عبدالله بن يزيد العَفي، قـال الجندي: (له تصانيف على معتقد السلف)، وكـان يعيش في القـرن الخامس ووفاته (بعد خمسمائة بيسير) [4].

وفي القرن الخـامس أيضـاً كـانت مدرسة الإمـام زيد بن عبدالله اليفاعي [5]، وهي مدرسة عظيمة جليلة، يدرس فيها فنـون مختلفـة، ومن أعظمها علـوم العقيـدة على مـذهب السـلف الصـالح والفقه على مـذهب الإمـام الشـافعي -رحمه اللـه-، وكـان أصـحابه فـوق ثلاثمائة متفقه في غــالب الأيــام، حــتى لقد خشي منه ومن أتباعه وأتبــاع شــيخه أبي بكر بن جعفر المحــابي أمــير الجند من قبل الصليحي، فعمل الحيلة للإيقاع بين الشيخين وأتباعهما؛ مما اضـطر الشيخ زيد للرحيل إلى مكة تجنباً للفتنة [6].

وعاصره وكان على نفس المنهج الإمام زيد بن الحسن الفايشي [7]، غير أن الأول كان بالجند والثاني بالجعامي من أعمـال إب، وتـوفي

[1] البدر الطالع ( 2/83 ) .

[2] طبقات فقهاء اليمن ص ( 83 ) .

[3] انظر: السلوك ( 1/232 ) .

[4] المصدر السابق (1 /251 ) .

[5] زيد بن عبدالله اليفاعي ، من فقهاء الجند السائرين على منهج السلف الصالح في الأسماء والصفات ، صاحب مــدرسة متميزة في الفقه وله أتباع وتلاميذ كثيرون توفي ( 514هـ)،طبقات فقهاء اليمن ص ( 119) ، هجر العلم ( 4/2377 ) .

[6] انظر: طبقات الفقهاء ص ( 120 ) ، والسلوك (1/263 ) .

[7] هو زيد بن الحسن الفايشي ، من فقهاء الشافعية المنتمين لمذهب السلف الصالح في الأسماء والصفات ، كبير القدر عظيم الأثر في منطقة الجعامي بإب توفي سنة ( 528 هـ ) انظر ترجمته : طبقات فقهاء اليمن ص ( 155 )،وهجر العلم ( 1/389 ).

سنة (528هـ) وقيل (527هـ) [1] -رحمه الله- وفي مدرستيهما كـان يــدرس علم التوحيد على مــذهب الســلف الصــالح - رضــوان الله عليهم - وعنهما وعن غيرهما من العلماء أخذ الإمــام يحــيى بن أبي الخير [2] ذلك المذهب [3]، والإمام ابن أبي الخير هو رأس أهل الســنة في اليمن في القـرن السـادس، فقد تبنـاه ودافع عنه وكـافح وألّف ونــاظر وخــرّج الطلاب عليــه،وقد عــني بــالرد على المعتزلة حين وفودهم إلى اليمن يمثلهم القاضي جعفر بن عبد السلام المعـتزلي فألّف كتابه " الانتصار في الرد على القدرية الأشــرار "، ثم ظهرت الأشــاعرة فأضــاف - رحمه الله - إلى ما ذكــره في الانتصــار من مسـائل القدرية مـذهب الأشـعرية والـرد عليهم، قـال ابن سَـمُرة: (فــأجحف فيه على الأشــعرية وقطع حلــوقهم وأفحمهم خصوصــاً بذلك من يقول]: **مــــا أنزل الله عـــلى بشــــــر من شيء** {[4].

ففرح الفقهاء بكتابه " الانتصار " وانتسخوه ودانوا به واعتقدوه) [5].

وقــال ابن ســمرة قبل ذلــك: (وكــان الإمــام يحــيى قد ســمع في مدرستي الشيخين الإمامين زيد بن حسن الفايشي وزيد اليفاعي " كتاب التبصرة " في علم الكلام وأصول الدين تصنيف أبي الفتوح [6] على مـذهب السـلف الصـالح، وهما ينقلانه جميعـاً عن الشـيخ أبي نصر البنـــدنيجي مصـــنف " المعتمد " في الخلاف، فإنهما صـــحباه جميعاً في مكة، وعن الإمـام يحـيى أخذ مشـايخنا " التبصـرة " في أصـــول الـــدين ورويناها عنهم وكـــان -رحمه الله - يُســـمعها في مدرســـته، ويعلمها من طلبهـــا، فنـــاظر الشـــريف العثمـــاني وهو أشعري، ونصر مذهب الحنابلة أهل السنة) [7].

---

[1] انظر: السلوك ( 1/285 – 287 ) وهجر العلم ( 1/391 – 392 ) .

[2] هو يحيى بن أبي الخير العمراني ، إمام شهير من أئمة علماء اليمن ، إمام في الفقه وهو صاحب كتاب " البيان" الشهيرالذي اعتنى بطبعه قاسم محمد النوري وطبع الطبعة الأولى بدار المنهاج بيروت سنة (1421هـ -2000م ) ، وإمام في السنة على منهج السلف الصالح ، رأس علماء الحنابلة في اليمن وصاحب كتاب" الإنتصار في الرد على القدرية الأشرار " الذي حققه سعود بن عبد العزيز الخلف وطبع بدار أضواء السلف بالرياض الطبعة الأولى سنة (1419هـ -1999م ) .

[3] انظر: طبقات الفقهاء ص ( 175 – 177 ) .

[4] الأنعام(91).

[5] طبقات الفقهاء ص ( 181 ) وقد أخرج كتاب الانتصار وطبع بعد أن حقق وقدم رسالة جامعية للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

[6] انظر ترجمته : طبقات الفقهاء ص ( 91 ) والسلوك ( 1/230 )

[7] طبقات الفقهاء ص ( 177 ) .

وقد ملأ أطراف اليمن أصحاب وتلاميذ الإمام يحيى بن أبي الخير، ونشروا ما أخذوا عنه في كل مكان حلّوا فيه، ومن أشهر من خلفه في ذلك الطريق الفقيه مسعود بن علي بن مسعود العنسي [1]،وقد كان شديد الغيرة على ذلك المذهب، حـتى أنه عنـدما أظهر طـاهر بن يحيى بن أبي الخـير القـول بمـذهب الأشـاعرة بعد مـوت أبيـه، غضب لـذلك، وقـام فيه قيامـاً حسـناً، وألّف في الـرد عليـه، قـال الجندي وهو يتكلم على انحراف طاهر ونقض توبته الـتي أعلنها في حيــاة أبيه أثنــاء ترجمته لســيف الســنة الــبر يهي: (ولــذلك أجمع الفقهاء على هجره والإنكار عليه مشافهةً ومراسلة ومكاتبةً، وكــان من أعظمهم في ذلك القاضي مسعود، ولهـذا في الـرد عليه كتـاب كبير وأخباره يطول ذكرها) [2]، وبهـذا تعـرف غـيرة هـذا الفقيه على مـــذهب أهل الســـنة، وليس وحـــده ولكن أجمع جميع الفقهـــاء الحضارين في ذلك الـوقت على ما أبـدى على طـاهر بن يحـيى بن أبي الخير من الإنكار والهجر، ثم تسلمت الراية مدرسة أخــرى هي مدرسة الإمام سيف السنة أبي الحسن أحمد بن محمد بن عبدالله البر يهي السكسكي.

قال الجندي: (وله كتب عـدة في الأصـول، يـرد بها على المعتزلة والأشعرية، وكان كبير القدر، شهير الذكر، صاحب كرامات عديــدة، وكتب مفيــدة) [3]، وقد حذا طلابه حــذوه في الــرد على الأشــاعرة وغيرهم [4]، وبأصحاب الإمام الـبر يهي نقطع أن مـذهب أهل السـنة كـان ظـاهراً قويـاً إلى ما بعد منتصف القـرن السـابع، أي إلى بعد دخول الأيوبيين إلى اليمن بنحو مائة سنة حيث كان دخولهم سـنة ( 569هـ) [5].

وبعد منتصف القــرن الســابع بــدأت تقل المعلومــات عن وجــود قائمين بمذهب السلف، ولكن مذهب السلف الصالح ما كاد ينحسر عن المناطق الشافعية حتى لمع نجمه زاهـراً مضـيئاً في المنـاطق الزيدية على يد مفخـــرة اليمن الإمـــام العظيم محمد بن إبـــراهيم

---

[1] مسعود بن علي العنسي أحد كبار أصحاب الإمام يحيى بن أبي الخير والسائرين على منهاجه منهاج أهل السنة ، وله في ذلك مواقف مشهورة ومؤلفات في الرد على من خالف مذهب السلف الصالح في الأسماء والصفات ، توفي سنة ( 604 هـ ) .انظر ترجمته : طبقات فقهاء اليمن ص ( 216 ) ، وهجر العلم ( 2/731 ) .

[2] السلوك ( 1/322 ) .

[3] انظر ترجمته : طبقات فقهاء اليمن ص (190 ) والسلوك ( 1/318 ).

[4] انظر:ترجمة صاحبه وتلميذه محمد بن مضمون بن عمر بن أبي عمران في هجر العلم ( 3/2134 )،وقد توفي سنة ( 663 )

[5] انظر: قرة العيون ص ( 265 ) .

الوزير الذي عاش في أواخر القرن الثامن وأوائل القرن التاسع، فقد جدد هذا الإمام العظيم مذهب السلف الصالح في تلك المناطق، وأشاد أركانه، وأوضح معالمه؛ مما جعل كتبه مرجعاً لأهل السنة وعلماء السلفية في مختلف بلاد العالم الإسلامي، رغم ما لاقى في سبيل ذلك من محن وأذى، قابلها بالصبر والاحتساب وسعة الصدر والإصرار على التمسك بالحق الذي آمن به.

وقد كتب الله له النجاح في دعوته، وأثمرت جهوده بإنشاء مدرسة علمية سلفية، راسخة القواعد طيبة الثمار، مازال سبيلها معموراً إلى الآن، وقد سقنا الحديث عنها في هذا المبحث، والغرض هو تقرير أن منهج السلف الصالح في العقيدة مازال موجوداً حاضراً فاعلاً في اليمن منذ أن دخلها على يد معاذ وأبي موسى - رضي الله عنهما - إلى اليوم، وذلك تصديقاً لقول النبي ﷺ: ((**لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك**))0[1]

## المبحث الثاني

## الإسماعيلية ودورها في نشر القبورية في ال

المبحث الثاني

الإسماعيلية ودورها في نشر القبورية في اليمن

### وفيه أربعة مطالب:

**المطلب الأول: طوائف الإسماعيلية التي دخلت اليمن:**

سبق في المبحث الأول أن الإسماعيلية التي دخلت اليمن فصيلان: أما الفصيل الأول فهم القرامطة، ويمثلهم علي بن

[1] تقدم تخريجه ص ( 73 ) .

الفضل الجـــدني، وقد انتهى هـــذا الفصـــيل بانتها ء دولة علي بن الفضل وابنه الفأفاء ســـنة (304هـــ) كما ســـبق على يد آل يعفر الحواليين السُنيين.
وأما الفصـيل الثـاني فهو المنتمي إلى العبيـديين أصـحاب الدولة الفاطمية بمصر، وكان يمثل هذا الفصيل منصور اليمن.
وحينما قضى أهل السنة على الدولة الإسماعيلية ككيان سياسي، وانتهى بذلك أثر علي بن الفضل، لم ينتهِ أثر ابن حوشب أو منصور اليمن، بل إنه عهدَ بالدعوة من بعده إلى من يقـوم بها كما سـيأتي في المطلب الثالث، ولكن الذي يهمنا هنا أن الإسماعيلية في مصر في آخر عهد الدولة العبيدية انقســـمت إلى قســـمين: مســـتعلية، ونزارية، تبعاً للإمام الذي تبعته كل فرقة منهـا، وذلك أنه بعد مـوت الخليفة " المستنصر " اختلف على من يخلفه في الإمامـــة، فبـــايع قوم ابنه الأكبر "نزار " وهم النزارية، وبايع قوم آخرون ابنه الأصغر " أحمد " وسموه " المسـتعلي " وهم المسـتعلية، والـذي يهمنا أن الذين في اليمن من الإسماعيلية ومنهم الصليحيون هم من فرقة " المستعلية "[1].
ثم انقسمت المستعلية باليمن إلى قسمين هما: " الداودية " أتباع الداعي " داهود قطب شاه " والسليمانية أتباع " سليمان بن حسن "، فالداودية هم البـُهرة، والــــذين ولاؤهم للزعامة الإســـــماعيلية بالهنـد، وهم الظـاهرون والـذين ينصـبُّ الكلام عنهم كلما ذكـرت الحركة الإسماعيلية المعاصرة، وهم أشد تطرفاً وأكثر قبورية، وأما السـليمانية فهم الـذين يطلق عليهم المكارمة وولاؤهم لـزعيمهم المتواجد بنجران، وهم أقل عدداً وأثراً من البهرة[2].

## المطلب الثـــاني: لمحة عن الدولة الصـــليحية مؤسسة القبورية في اليمن:

بعد مـوت ابن حوشب أو منصـور اليمن، ظل التواصل جاريـاً بين خليفته في اليمن عبد الله ابن عبـاس الشـاوري وبين المهـدي " المزعـوم " القـائم بـالمغرب، وكـان قد وصل تكليف رسـمي من

---

1 الإسماعيلية لإحسان الهي ظهير ص ( 735-736 ) .

2 الفرقة الباطنية الإســماعيلية ( رؤية من الـداخل ) قـراءة جديـدة وحقـائق معاصـرة وهـذا الكتـاب مصـفوف بـالكمبيوتر ولم يطبع بعد ،وفيه حقـائق عظيمة جديرة بالاطلاع و الاعتبار بما فيها قبل أن تفوت الفرصة ويقع الفأس في الـرأس ، ومؤلفه يبدو أنه انتحل اسـماً مسـتعاراً هو ( علـوي طه الجبل ) ويحق له ذلك ؛ لما يخشى عليه من شر وكيد تلك الطائفة ، وكـان من المفيد أن يعجل بنشـره بين الناس .

المهـدي للشـاوري بالقيـام بـأمر الـدعوة، وفعلاً قـام بهـا، ولكن الحسن بن منصـور اليمن لم يسـلِّم لـه، وأحب أن يكـون هو قائمـاً مقـام أبيـه، وتـربص بالشـاوري حـتى أمكنته الفرصة فـوثب عليه فقتله، ثم أعلن نفسه قائماً مقام أبيه، وتتبع من كان مع الشـاوري فقضى عليهم.

ثم أعلن تخليه عن مـذهب أبيه ورجوعه إلى مـذهب أهل السـنة، وكان قد قضى على معظم الرجـال البـارزين من أعـوان أبيـه، ولم يبق إلا من أمكنه الاستتار، وكان من هــؤلاء: يوسف بن موسى ابن أبي الطفيل فقـام بـأمر الـدعوة، ثم قـام بعـده جعفر بن أحمد بن عبـاس ثم عبدالله بن محمد بن بشر ثم محمد بن أحمد الشـاوري ثم هـــــارون بن محمد بن رحيم ثم يوسف بن أحمد بن الأشج ثم سـليمان ابن عبدالله بن عـامر الـزواحي، وكـان هـذا الرجل عظيم الجاه كثـير المـال، فكلما همَّ به أحد من النـاس رد عليه قـائلاً: (أنا رجل مسلم، أقول: لاإله إلا الله محمد رسول الله، فكيف يحل لكم دمي ومـــالي؟ فيمســـكون عنـــه)،وهو الـــذي ســـلم الأمر إلى الصليحي.[1].

وكان أبو الصليحي محمد بن علي الصليحي قاضياً سنياً فاضلاً ذا مكانة في قومه، وكان الشاوري يزور هذا القاضي الفاضـل، فلحظ ابنه وما عليه من مخايل النجابة والـــذكاء والشـــجاعة وغيرها من مؤهلات القيـام بالـدعوة بل بالإمـارة، فكـان يجالسـه، ويفضي إليه بالدعوة، ويرغبه فيها حتى أقنعه.

ولم يتعجل الشاب علي بن محمد الصليحي الأمر، ولكنه بدأ يمهد لنفسه بخطوات وئيدة ثابتة، فأخذ يحج بالنـاس عن طريق السـراة والطـائف لمـدة خمسة عشر عامـاً حـتى شـاع ذكـره، وظهـرت شخصيته، وعرف مكانه، وكان قد تردد على ألسـنة النـاس أن ذلك الشاب سوف يملك اليمن، فكان يسمعه من كثير من الناس ولكن يجيب باسـتبعاد ذلـك، وإن كـان في قـرارة نفسه يتـوْقُ إليه ويزيد تصميماً على بلوغه،وعندما حضرت الوفاة سليمان الزواحي أوصى بكتبه وأمواله، وكانت كثيرة لعلي ابن محمد الصليحي، فانكب على تلك الكتب، فقرأها، وفهمهـا، وصـار من العلمـاء بما فيهـا، وبعد أن بث دعوتـه، واسـتجاب له أعـداد كبـيرة من النـاس، أعلن ثورته وتبعيته للخليفة الفـــــاطمي " المستنصر بالله "، وذلك من جبل مسار سنة (439هـ) [2].

---

[1] الصليحيون ص ( 49- 58 )

[2] المفيد من أخبار صنعاء وزبيد ص ( 95ـ- 100) تـأليف عمـارة بن علي اليمـني ،طبع دار السعادة بالقاهرة ،الطبعة الثانية ( 1396هـ - 1976م ) .

وهكذا تأسست الدولة الصليحية، ومازال الصليحي يتوسع حتى ملك اليمن كله، ولم يكتف بذلك، بل أدخل الحجاز ضمن دولته، وملك مكة وما والاها باسم الفاطميين، وبعد مكاتبات مع خليفته في مصر ولّى العهد لابنه محمد، ولكنه ما لبث أن مات مبكراً في حياة أبيه، فأخبر الخليفة بذلك وطلب أن يقوم بولاية العهد ابنه الآخر المكرم أحمد، فوافق الخليفة على ذلك [1].

وفي سنة (459هـ) عزم على الحج، وأخذ معه من الأموال والنفائس مالا يقدّر بثمن، كما حمل معه جميع الملوك والأمراء الذين أجلاهم عن الملك، وحبسهم لديه؛ خوفاً من تمردهم، أخذهم جميعاً معه إلى الحج، وعددهم خمسون ملكاً، وترك ابنه ولي العهد بصنعاء، وسار من طريق تهامة في مرافقين آخرين، وكان في موكبه ألفا فارس، غير أن أولئك الفرسان لم يكونوا مرافقين له، وإنما كان قد قدّمهم أمامه، وسار هو في مجموعة صغيرة من آل الصليحي وبعض المقربين [2].

وكان من جملة الموتورين منه آل نجاح حكام زبيد الذين أزالهم عنها، وسلبهم دولتهم؛ فكانوا يتربصون به الدوائر، فلما علموا بسفره رصدوه، ثم تجهزوا في جهاز غير طائل، ولكنّ توفيق الله صحبهم، ونصره تنزل عليهم ففاجأوه بمنطقة يقال لها "المهجم" من تهامة، فأعملوا في معسكره سلاحهم البسيط، فقتلوه، وقتلوا أخاه، وغنموا جميع ما في المخيم من أموال ومجوهرات ونفائس وسلاح وخيل وغير ذلك، ثم احتزوا رأسه ورأس أخيه، وحملوهما مع النساء اللاتي أسروهن، ومنهن أسماء بنت شهاب زوجة الملك علي بن محمد الصليحي وأم أولاده، وقد نصبوا رأس الصليحي وأخيه على رمحين، ووضعوهما أمام أسماء على الراحلة، ثم بعد ذلك نصبوهما أمام الطاق الذي تسكنه بحيث كلما نظرت من الطاقة رأتهما أمامها، وتم لسعيد الأحول النجاحي وإخوانه الاستيلاء على زبيد وإقامة الدولة النجاحية السنية هناك، وكان قتله يوم السبت الحادي عشر من ذي القعدة سنة (459هـ)[3] ودام الأمر لبني نجاح سنة واحدة، وقيل أقل من ذلك [4].

في أثناء ذلك كانت أم الملك المكرم قد هرَّبت إليه رسالة،تحثه فيها على العمل على فك أسارها، وبالغت في ذلك حتى قالت في الرسالة: (أنها حبلى من العبد سعيد الأحول)، ولم يكن شيء من

---

[1] الصليحيون ص ( 95- 98 ) .
[2] المصدر السابق ص ( 99 ) .
[3] المفيد من أخبار صنعاء وزبيد ص ( 126-127 ) .
[4] المصدر السابق ص ( 128 ) ، وانظر : التعليق رقم ( 1 ) على نفس الصفحة

ذلك، وإنما قصدها حثه على الإسراع حيث قالت: إن تأخرت عن إطلاقي تمت الفضيحة حين ألد بولد لذلك العبد، واستغلَّ المكرم تلك الرسالة أحسن استغلال، فكان يقرأها على الناس في المساجد والمجامع، ويثير بها نخوتهم، فألّب الناس، وجهز لاستعادة زبيد، وفك أسر أمه، وسار في عشرة آلاف شخص حتى داهموا زبيد، واقتحموها، وهزموا بني نجاح ومن معهم، ويمم المكرم تحت الطاق الذي فيه أمه، فأطلقها، وأنزل الرأسين المنصوبين أمام ذلك الطاق، فغسلهما، ودفنهما في زبيد، وبنى عليهما مشهداً، هو ثاني مشهد يثبته التاريخ في اليمن [1]، وعند عودته مرّ بالمكان الذي قتل فيه أبوه وعمه، فأخذ جثتيهما معه إلى صنعاء [2]،وبنى عليهما مشهداً في صنعاء، ثم حاول استعادة ملك أبيه، فأفلح في البعض، وأخفق في البعض الآخر.

وكان قد أصابه الريح حين كشف عن وجهه أمام أمه[3] في زبيد، وبقي مريضاً بذلك، ولكنه بقي ماسكاً بزمام الملك حتى ماتت أمه أسماء سنة (479 هـ)، بعد ذلك فوّض الأمر إلى الملكة السيدة بنت أحمد الصليحية، وهي التي يسميها العامة وأشباههم " الملكة أروى "، ثم انتقلا إلى ذي جبلة من مخلاف جعفر، وهو الذي يسمى اليوم " إب ".

وفي عام (484 هـ) مات المكرم، فأسند أمر الدعوة إلى الأمير أبي حمير سبأ بن أحمد بن المظفر الصليحي، وبقي الملك بيد السيدة بنت أحمد حتى ماتت سنة (532 هـ)، ودفنت في جامع جبلة يسار القبلة،وقيل أن قبرها كان في موضع خاص قد استثنته من الوقف حين أوقفت أرض المسجد على العموم،فهو يعتبر ضمن المسجد.

وبعد موت الملكة بدأ التحلل في الدولة الصليحية وبدأت النواحي تستقل، فبعد استقلال النجاحيين بتهامة وعاصمتها زبيد في حياة الملكة استقل بعد موتها الزريعيون بعدن والجند وما بينهما والياميون بصنعاء ومخا ليفها ومعظم اليمن الأعلى، وهكذا تساقطت مدنهم وحصونهم حتى كانت نهايتهم سنة (532هـ).

---

[1] المصدر السابق ص (134) .

[2] االصليحيون ص (134) . وانظر: الأضرحة في اليمن من القرن الرابع الهجري " العاشر الميلادي "وحتى نهاية القرن العاشر العاشر الهجري "السادس عشر الميلادي " "دراسة أثرية معمارية "ص (39) ، وهي رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراة في الآثار الإسلامية من قسم الآثار كلية الآداب جامعة صنعاء د.علي سعيد سيف ، كتاب مصفوف بالكمبيوتر (1419 هـ -1998 م ) .

[3] ? المفيد ص (133)

**سياسة الدولة الصليحية في تبني ونشر الإسماعيلية:**

مرَّ بنا أن الدعاة الإسماعيليين توارثـوا الـدعوة بعد منصـور اليمن على نفس المنهج، وكـان آخـرهم سـليمان الـزواحي، الـذي سـلّم الراية لعلي بن محمد الصـليحي، ودرّس علي بن محمد الصـليحي الإرث الإسماعيلي، وفهمه حتى صار من دعاته، ولكنه بعد أن أقـام دولته انشـغل بالسياسة عن الـدعوة، وهكـذا خلفـاؤه: ابنه المكـرم وسبأ بن أحمد لم يعرف عنهما الانشغال بالـدعوة بأنفسـهما، ولكن هناك دعـاة عاصـروهما، قـاموا بما يجب نحوهـا، ومع ذلك لم يظهر من الصـليحيين إجبـار لأهل السـنة أو الزيدية الـذين دخلـوا تحت حكمهم على اتباع مذهبهم، والذي يبدو أن الشعار الظاهر هو تـرك أهل كل مذهب يعملون بمـذهبهم في خاصة أنفسـهم، ولكن ولاتهم ودعاتهم كانوا يعملون في الخفاء؛ للإيقاع بخصومهم الذين يعلمـون بغضهم لهم وتكفيرهم إياهم، ويعملـون المكائد لتفـريقهم وإشـغال بعضهم ببعض، ومن الأمثلة الناصعة على ذلك ما ذكره الجنـدي في ترجمة الفقيه زيد بن عبدالله اليفـاعي بعد أن ذكر فضل الشـيخ وسـعة علمه وكـثرة طلابه حـتى لقد أصـبح طلابه أكـثر عـدداً من طلاب شـيخه أبي بكر ابن جعفر بن عبـدالرحيم المحـابي، وقد كانا يدرّسان في مسجد الجند جنباً إلى جنب، ولم يكن بينهما شيء من المنافسـة، قـال: (ولم يـزل ذلك من شـأنهم حـتى تمت الحيلة من المفضل في التفريق بينهم، وذلك أنه مـات ميت من أهل الجنـد، فخرج الإمام زيد والإمـام أبو بكر بن جعفر في أصـحابهما، يقـبرون وعليهم الثيـاب الـبيض لبس الحـواريين، والمفضل يومئذ بقصر الجند، فحـانت منه نظـرة إلى المقـبرة، فـرأى فيها جمعـاً عظيمـاً مبيضـين، فسـأل عن ذلك فقيـل: قـبر ميت غـالب من حضـره من الفقهـاء، فعـرَض بذهنه ما فعله ابن المصـوع مع أخيه حيث قتلـه،وقـال: " هـؤلاء يكفروننا ولا نـأمن خـروجهم علينا مع القلـة، فكيف مع الكثرة؟ ثم قال لحاضري مجلسه: انظـروا كيف تفرقـون بينهم، وتـدخلون البغضـاء عليهم بالوجه اللطيف "، فجعلـوا يولّـون القضاء بعض أصحاب الإمام زيد أياماً، ويعزلونه، ويولـون مكانه من أصحاب الإمام أبي بكر بن جعفر، ثم يولون إمامة الجامع كذلك، ثم النظر في أمر المسـجد كـذلك، حـتى ظهر السـباب بين الحـزبَين، وكادَ يكون بين الإمامين، فعلم الإمام زيد ذلك فارتحل مهـاجراً إلى مكـة) [1]، فالكيد والـدس ثـابت عليهم، ولعـلّ الجو لم يسـاعدهم

[1] السلوك ( 1/263 ) ، ملاحظة : على العلماء وطلاب العلم والـدعاة إلى الله الاعتبار بهذه الحادثة و الانتباه لمكائد الخصوم الـذين يعملـون على تفريق الكلمة

بشــكل كبــير وواضح على دعــوة عامة النــاس إلى مــذهبهم، أما الدعوة السرية والفردية فهي قائمة لاشك، وقد كســبوا لهم أتباعــاً مازالوا يسيرون على منهجهم إلى اليوم.

ما ينسب إلى الصليحيين من إباحة المحرمات وحط الواجبات:

ذكر الحمادي اليماني -رحمه الله- أنه كان يسمع ما يقوله الناس عن هذه الفئة " الصليحية الباطنية "، وأنه كلما سأل أحداً ممن أشاع تلك الأخبار: أتشهد بذلك؟ قال: لا، إنما سمعت الناس يقولون ذلك فقلته، قال: (فرأيت أن أدخل في مذهبه؛ لأتيقن صدق ما قيل من كذبه؛ ولأطلع على سرائره وكتبه) [1]، ثم بدأ بذكر كيفية الدعوة إلى أن ذكر كيف يحطون عنه الصلاة ثم الصوم، وكيف يحلون له الخمر، وهم في كل ذلك يستدلون بالآيات بعد أن يحرفونها عن مواضعها، ثم بعد اجتياز تلك المراحل، يترقون به إلى ذلك الفعل الشنيع الذي أشيع عنهم، فقال: (فإذا صح عندك حاله، فاذهب به إلى زوجتك، فاجمع بينه وبينها، فيقول: سمعاً وطاعة لله ولمولانا، فيمضي به إلى بيته، ويبيت مع زوجته حتى إذا كان الصباح قرع عليهما الباب، وقال: " قوما قبل أن يعلم بنا هذا الخلق المنكوس، فيشكر ذلك المخدوع له فيقول: " ليس هذا من فضلي. هذا فضل مولانا "، فإذا خرج من عنده تسمع به أهل هذه الدعوة الملعونة، فلا يبقى منهم أحد إلا بات مع زوجته كما فعل ذلك الداعي الملعون، ثم يقول: " لابد لك أن تشهد المشهد الأعظم عند مولانا، فادفع قربانك "، فيدفع اثني عشر ديناراً، ويصل به ويقول: يا مولانا إن عبدك فلان يريد أن يشهد المشهد الأعظم وهذا قربانه حتى إذا جن الليل ودارت الكؤوس وحميت الرؤوس، وطابت النفوس أحضر جميع أهل هذه الدعوة الملعونة حريمهم، فيدخلن عليهم من كل باب، وأطفئت السرج والشموع، وأخذ كل واحد منهم ما وقع عليه يده، ثم أمر المقتدي زوجته أن تفعل كفعل الداعي الملعون وجميع المستجيبين، فيشكره ذلك المخدوع على ما فعل له، فيقول له: " ليس هذا من فضلي، هذا من فضل مولانا أمير المؤمنين فاشكره ولا تكفره على ما أطلق من وثاقكم، ووضع عنكم أوزاركم، وحط عنكم آصاركم، ووضع عنكم أثقالكم، وأحل لكم بعض الذي حرم عليكم جهالكم: ﴿ **وما يلقاها إلاّ الذين صبروا وما يلقاها إلاّ ذو حظ عظيم** ﴾ ") [2].

وتشتيت صف أهل العلم والدعوة إلى الله .

[1] كشف أسرار الباطنية ( 63 ) .

[2] فصلت الآية(35) .

قال محمد بن مالك -رحمه الله تعالى-: (هـذا ما اطلعت عليه من كفـرهم وضـلالتهم، والله تعـالى لهم بالمرصـاد، والله تعـالى عليَّ شـــــهيد بجميع ما ذكرته مما اطلعت عليه من فعلهم وكفــــــرهم وجهلهم، والله يشـــهد عليّ بجميع ما ذكرته عـــالم بـــه، ومن تكلم عليهم بباطل فعليه لعنة الله تعـــــالى ولعنة اللاعـــــنين والملائكة والنـــاس أجمعين، وأخـــزى الله من كـــذب عليهم، وأعد له جهنم، وسـاءت مصـيراً، ومن حكى عنهم بغـير ما هم عليه فهو يخـرج من حول الله وقوته إلى حول الشيطان وقوته) [1]

هـذا ما ذكـره الحمـادي عن علم وخـبرة، فهل يسـلّم له ذلك ويتابع عليه؟

أقول: أما الحمادي فلم تُـروَ له ترجمة مفصـلة في أي كتـاب من كتب تواريخ اليمن التي يتداولها الناس، حــتى إن القاضي محمد بن علي الأكـــــوع عند تحقيق كتابه ذلك لم يعــــثر له على ذكر إلا في طبقات فقهـاء اليمن للجعـدي، حيث قـال: (وفي رسـالة محمد بن مالك الحمادي)، وكذلك في كتاب السلوك للجندي، قال في سـياق كلامه عن علي بن الفضل: (على ما ذكره الفقيه أبو عبدالله محمد بن مالك ابن أبي القبائل أحد فقهـاء اليمن وعلمـاء السـنة، وكـان ممن دخل في مـذهبهما " منصـور و"ابن الفضل " أيـام الصـليحي وتحقق أصل مــذهبهما، فلما تحقق فســاد ذلــك، رجع عنــه، وعمل رسـالة مشـهورة يخـبر بأصل مـذهبهم، ويـبيْن عـوارهم ويحـذر من الاغترار بهم) [2]، ولذلك فإن الجزم بصدق ما يقـول لا يليق بالبـاحث المنصف، غير أن بعض ما ذكـره قد توبع عليه ممن لا يظن أنه نقل عنه، فـترتيب الـدعوة عند الفاطمية الإسـماعيلية بمصر تشـبه إلى حد بعيد ما ذكره الحمادي، وقد ذكر ذلك المقريزي، وهو غـير متهم عليهم؛ لأن نقله عنهم وحكايته لتـاريخهم لا يفهم منه إلا احــترامهم واعتبارهم من خيار الخلفاء، كما أن له كتاباً خاصاً بتاريخهم أسماه " اتعاظ الحنفاء بأخبـار الأئمة الفـاطميين الخلفـاء" [3]، وهو من بين العلماء القلائل الذين أثبتـوا انتسـاب الفـاطميين إلى علي ، فـأرى أن شهادته عليهم مقبولة قطعاً.

وقد وصف المقريزي في خططه تـرتيب الـدعوة، وقد جعلها تسع مــراتب، وفي المرتبة التاســعة قــال: (هي النتيجة الــتي يحــاول الداعي بتقرير جميع ما تقـدم رسـوخها في نفس من يـدعوه، فـإذا تيقن أن المــدعو تأهل لكشف السر والإفصــاح عن الرمــوز أحاله

[1] كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة ص ( 63-70 )
[2] مقدمة كشف أسرار الباطنية ص ( 45-46 ) .
[3] طبع في القاهرة سنة (1387هـ ) .

على ما تقـــرر في كتب الفلاســـفة من علم الطبيعيـــات وما بعد الطبيعـة، والعلم الإلهي وغـير ذلك من أقسـام العلـوم الفلسـفية، حتى إذا تمكن المدعو من معرفة ذلك كشف الداعي قناعه، وقال: ما ذكر من الحـدوث والأصـول رمـوز إلى معـاني المبـادئ وتقلب الجواهر، وأن الـوحي إنما هو صـفاء النفس؛ فيجد النـبي في فهمه ما يلقى إليه، ويتنزل عليه؛ فيبرزه إلى الناس، ويعبر عنه بكلام الله الـذي ينظم به النـبي شـريعته بحسب ما يـراه من المصـلحة في سياسة الكافـــة، ولا يجب حينئذ العمل إلا بحسب الحاجة من رعاية مصـالح الـدهماء، بخلاف العـارف فإنه لا يلزمه العمل بهـا، ويكفيه معرفته؛ فإنها اليقين الذي يجب المصير إليـه، وماعـدا المعرفة من سـائر المشـروعات فإنما هي أثقـال وآصـار حملها الكفـار أهل الجهالـة، لمعرفة الأعـراض والأسـباب، ومن جملة المعرفة عنـدهم أن الأنبياء النطقاء أصـحاب الشـرائع إنما هم لسياسة العامـة، وأن الفلاسفة أنبياء حكمة الخاصـة، وأن الإمـام إنما وجـوده في العـالم الروحاني إذا صرنا بالرياضة في المعـارف إليـه، وظهـوره الآن إنما هو ظهور أمره ونهيه على لسان أوليائه ونحو ذلك مما هو مبسـوط في كتبهم، وهذا حاصل علم الداعي، ولهم في ذلك مصنفات كثيرة منها، اختصرت ما تقدم ذكره) [1].

وفيما أورده المقريزي شاهد لمراتب الدعوة، وإن كـان الحمـادي قصر بها عن عـــدد تلك المـــراتب، كما فيها شـــاهد على إســـقاط الواجبـات والتكـاليف، كما ذكر الباحثـان إحسـان إلهي ظهـير في " الإسـماعيلية " والـدكتور سـليمان عبدالله السـلومي في " أصـول الإســماعيلية " أن للإســماعيلية كتبــاً في تأويل أركــان الإســلام وعباداته من أشـهرها كتـاب " دعـائم الإسـلام " و" تأويل دعـائم الإسـلام " للقاضي النعمـان بن حيـون المغـربي،، ونقلا عنهما وعن غيرهما من التأويل لتلك الأركـــان والعبـــادات ما يلغيها فعلاً، وأن بعض من وصل إلى درجة المعرفة لديهم معفوون عنها [2].

كما اعــترف بأصل ذلك أحد بــاحثيهم المعاصــرين وهو الــدكتور مصطفى غالب في "تاريخ الإسماعيلية"، حيث قـال: (وما ظهر من أمـور الـدين من العبـادة العملية وما جـاء في القـرآن هي معـان يعرفها العامة، ولكن لكل فريضة من فرائض الدين تـأويلاً باطنـاً لا يعلمه إلا الأئمة وكبار حججهم ودعاتهم وحدودهم) [3].

---

[1] الخطط المقريزية ( 2 /133 ) .

[2] الإسماعيلية تاريخ وعقائد من ص ( 499 – 522 )، وأصول الإسماعيلية ( 2/ 649-662 ) .

[3] تاريخ الإسماعيلية ص ( 42 ) .

وتبقى قضية إباحة الفاحشة سـواءً إحلال النسـاء بـالانفراد أو في المشهد الأعظم- كما عبر عنه الحمادي - فهذا الجزء من التهمة لم أجد له من كتبهم ما يشـــهد لـــه، وإن كـــان مبـــدأ التأويل ونسخ الشريعة يسعه ويتضمنه، ولكنهم أنفسهم ينكرون ذلك غاية الإنكار، كما صرَّح بذلك الغزالي في رده عليهم [1]، ولـذا فأنا عـاجز عن نفيه أو إثباته على سـبيل القطـع، ولا أحب أن أقـذف أحـداً بما لم يثبت لديّ بيقين، خصوصاً في مثل هذه التهم القبيحة التي تنكرها الفطر السليمة، والشيم الأصيلة، فضلاً عن الدين القويم.

المطلب الثالث: دور الدولة الصـليحية في نشر القبورية في اليمن:

لم يثبت في تاريخ اليمن وجود قبر معظّم عليه مشـهد أو مسـجد قبل العقد الثاني من القرن الخامس إلا ما ذكر مما يسمى مسـجد الشهيدين بصنعاء الذي قيل أنه على قبَري قثم وعبـدالرحمن ابـني عبيدالله بن العباس ، والذَين قتلهما بسر بن أرطأة والي معاوية  على اليمن الذي أرسله أثناء الفتنة بينه وبين علي ، فقد قيـل: إنه بُـنى على قبريهما مسـجد، وهـذا الـذي قيل ذكـره المتـأخرون من مـؤرخي اليمن مثل الجنـدي حيث قـال: (وقـبر الطفلين مشـهور بصـنعاء في مسـجد يعـرف بمسـجد الشـهيدين) [2]والخـزرجي حيث قال: (فدفن الولدان حيث قتلا وبـني عليهما مسـجد هو معـروف [3]، وقال مثله ابن الديبع [4]، وقال العرشي: فقـبرا بصـنعاء بالشـهيدين،

---

[1] فضائح الباطنية ص (30) لأبي حامد الغزالي طبع دار البشير عمان ط الأولى ( 1413هـ -1993م ).

[2] السلوك ( 1/173 )

[3] العسـجد المسـبوك فيمن ولي اليمن من الملـوك – مخطـوط مصـور صـورته وزارة الإعلام والثقافة ضـمن مشـروع الكتـاب 6/1 (70 ) الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد ص ( 39 ) تحقيق الدكتور يوسف شلحد ، طبع مركز الدراسات والبحوث اليمني سنة ( 1983م ).وفي قرة العيون مصدر سابق ( 70 ) .

[4] عبدالرحمن بن علي الشيباني المعروف بابن الديبع عالم محدث مؤرخ ، من علماء زبيد ، و إليه ينسب المولد المشهور بمولد " الديبعي " ، لديه تناقض كبير ، فبينما هو من أهل الحديث والفقه إذ به يأتي في ذلك المولد بالطامات ، وهذا شأن من سلم لأهل التصوف ، فإنه لا يكاد ينفعه ما لديه من العلم ، وخير مثال على ما أقول هذا الرجل والشرجي الزبيدي صاحب التجريد الصريح في الحديث وطبقات الخواص المليء بالدجل والخرافة . توفي ( 944 هـ ) . انظر ترجمته : النور السافر ص ( 191 ) ، والبدر الطالع ( 1/335 ) .

وبهما سـمي [5]، فهـذه المراجع كلها كما تـرى تثبت وجـود المسـجد على القبر، ولكن متى بني ذلك المسجد؟ ومن الذي بناه؟.
عبارتهم بلفظ المبني للمجهول وهي لا تفيد تحديد من بنى أو متى بُني، كما أن العرشي يثبت أن القبر بـذلك المسـجد، وهو أيضـاً لم يحدد تـاريخ بنـاء المسـجد، فالـذي نفهم من هـذه العبـارات أنه في أيــام أولئك المــؤرخين يوجد مســجد، يقــال: إنه على قــبر ذينك الطفلين، لم يحـدد أحد منهم ولا من غـيرهم مـتى بـني، ومما يؤكد أنه لم يكن موجوداً في الزمن الأول أن المـؤرخ إسـحاق بن يحـيى بن جرير الطـبري الصـنعاني المتـوفى سـنة (450هــ)ذكر الحادثة وقتل الطفلين في باب المصرع، ولم يذكر بنـاء المسـجد عليهما [1]، وكذلك الرازي المتوفى سنة (560هـ) ذكر المصرع، وصرح بقولـه: (الموضع الــذي يبــاع فيه الســليط وموضع الحــدادين إذا أردت أن تنزل سوق العراقيين موضع مسجد ابن زيد، وكانت مقبرة غمــدان حيث يحدد الحدادون اليوم بصنعاء، والله سـبحانه وتعـالى أعلم) [2]، فلو كان هناك مسجد أو مشهد على القبرين لذكرَه، وبهـذا نعلم أن المســجد أو المشــهد المشــار إليه إنما بــني بعد ذلك على عــادة القبورية الذين يتتبعـون المناسـبات، وعلى أثرها يبنـون على البقعة التي يتوهمـون أنها موضع القـبر، فتصـبح بـذلك مـزاراً، ولهـذا فـإن الـدكتور "علي سـعيد سـيف" في رسـالته الأضـرحة في اليمن لم يثبت هـذا المسـجد ضـمن الأضـرحة الـتي تناولها بالدراسـة، وإنما ذكرها في التمهيد فقـــــط، وقــــــال: (ولكن يستشف من بعض الروايات) [3].
وقد اجتهـدت في توضـيح هـذه المسـألة حـتى لا يقـال أن هنـاك مشهداً من أيام الصـحابة؛ فيتخذ حجة للقبـوريين، ومثل ذلك يقـال في المسـجد المبـني على قـبر الشـريف العـراقي، وهو الطـبيب العــراقي الــذي كــان يعمل في اليمن في صــنعاء، فلما ســمع بما يفعله علي بن الفضل بالإســلام والمســلمين نــذر على نفسه أن يقتلــه، فــذهب إلى عاصــمة ابن الفضل "المــذيخرة" وعمل فيها وأظهر براعة في الطب فطلبه علي بن الفضل ليكون طبيبـاً له ثم احتـاج ابن الفضل إلى الفصد ففصـده بمبضع مسـموم فمـات ابن

[5] بلوغ المرام ص .( 9 )
[1] تـاريخ صـنعاء للطـبري المـذكور ص ( 25 ) تحقيق عبدالله الحبشي ، وطبع مكتبة السنحاني بصنعاء بدون تاريخ.
[2] تـاريخ مدينة صـنعاء للـرازي ص ( 85 ) تحقيق حسـين عبدالله العمـري ، طبع مكتبة الفكر المعاصر ببـيروت ، ودار الفكر دمشق ، الطبعة الثالثة ( 1409هــ - 1989 هـ ).
[3] الأضرحة في اليمن ص ( 28 ) .

الفضل وهرب الطبيب إلى موضع يسمى " قينان " بوادي السحول فقتل هناك،قال الجندي: (وقبره هنالك، وهو مسجد جامع له منـارة يــزار ويتــبرك، به دخلته في المحــرم أول ســنة ست وتســعين وستمائة) [1].

وقد علق على ذلك القاضي الأكوع فقال: (والقبر لايزال موجـوداً وهذه القصة ظـاهرة عليها الصـنعة والوضع ومحتاجة إلى مناقشـة) [2].

أما ابن الديبع فقال: (فأُدرك في السحول عند المسجد المعروف بقينان، فأرادوا إمساكه، فـامتنع وقـاتلهم حـتى قتـل، وقـبره هنـاك رحمه الله) [3].وهذا - كما تـرى - ليس فيه ذكر المسـجد الـذي على القبر وعلى كل حـال فليس في النقلين ولا في غيرهما ذكر لتـاريخ بناء المسجد الذي على القبر ولا من بناه، فليس فيه أي حجة على وجود مسجد على القبر قبل التاريخ الـذي ذكرته سـابقاً، وهو العقد الثاني من القـرن الخـامس؛ لأن هـذا المسـجد لو صح أنه بـني عند مقتل ذلك الرجل لكـان في القـرن الرابـع، حيث أنه قتل بعد مقتل علي بن الفضل بأيام، ولكن ذلك لم يصح، وبهذا يثبت أن المشــاهد الثابت بناؤها هي التي أسستها الدولة الصـليحية الإسـماعيلية، غـير أنه - ومن باب الأمانة ومعرفة الحقيقة - قد ثبت أن هنـاك مشـهداً واحداً، سبق الدولة الصليحية بسنوات، وهو لا يمت للقبورية بصـلة؛ لأنه من مشاهد السلاطين لا من مشـاهد الأوليـاء والصـالحين، ذلك المشهد هو مشهد آخر أمير من أمراء بني زياد وعمتــه، إذ إن وزير ذلك الأمـير الطفل - ويسـمى نفيسـاً - كـان قد قتل الطفل وعمته بتهمة أن المـرأة كـانت تكـاتب خصـمه ومنافسه " نجاحـاً "، وكـان وقتها فاراً من زبيد بسبب تسلط" نفيس "، فقتلهـا، وقتل الطفـل، ثم بنى عليهما جداراً، فلما علم نجاح بذلك اتخذه ذريعة للانقضـاض على خصمه، وجمع الجموع، ثم هجم بهم على زبيد في عدة وقائع، آخرها سنة (412هـ) حيث قتل نفيس، فلما دخل نجـاح زبيد سـأل مولاه " مرجان ":(ما فعل مواليك ومسوالينا؟ قال: في ذلك الجــدار، فأخرجهما نجاح، وصلى عليهما، وبـنى لهما مشـهداً، وأعـاد مرجانـاً في موضعهما، فبنى عليه حياً وعلى جثة نفيس) [4].

---

[1] السلوك ( 1/212 )
[2] المصدر السابق الموضع نفسه.
[3] قرة العيون ص ( 150 ) .
[4] المفيد ص ( 85-86 ) .

وقد ذكر مثل ذلك ابن الــديبع في الفضل المزيد [1]، وقريبــاً منه الخزرجي في العسجد المسبوك [2]، وهذا أول مشهد بـني على قـبر في اليمن حسبما اطلعت عليه في كتب التـاريخ اليمـني، وليس هو مما يخشى منه؛ لأنه ليس له فضل من جهة دينية، وإن كان هو من الأمور المحرمة، ومن نتائج الجهل وتوسـيد الأمـور إلى غـير أهلهـا، مع أن النجاحيين من السُنة، وليسـوا من الشـيعة رواد القبورية في العالم، ولكنّ السببَ - والله أعلم - هو النزعة السـلطانية والكسب السياسي بإظهـار وتعظيم ذلك الـوزير لأسـياده ووفائه لهم بعد أن أصبح هو الوريث لدولتهم، وما أظن أن هـذا سـوف يحصل لـولا أن ظــاهرة تقــديس القبــور وتعظيمها قد فشت في البلاد الإســلامية المجاورة من جهة الدولة الفاطمية الإسماعيلية.

**(2) مشاهد آل الصليحي:**

الدولة الصليحية إسـماعيلية العقيـدة، فاطمية الـولاء، متـأثرة كل التأثر بأسـيادها العبيـديين في مصـر، وقد مر بنا دور العبيـديين في نشر القبوريـة، فلا غرابة أن يكـون الصـليحيون على منـوالهم، وأن يسيروا على طريقهم، ولامانع أن نجزم بأنهم مؤسسو القبورية في اليمن.

**(3) مشهد الرأسين:**

مر بنا أن بني نجاح عنـدما قتلـوا على بن محمد الصـليحي وأخـاه أخذوا رأسيهما، فنصبوهما بزبيد أمام طاق زوجة الصليحي " أسماء بنت شهاب "، وعندما هاجم الملك المكرم أحمد بن علي الصليحي زبيد لاستنقاذ أمه من الأسر، واسترجاع ملك أبيـه، أنـزل الرأسـين، ودفنهما في زبيد، وبـنى عليهما مشـهداً. قـال عمـارة: (وأنا أدركت مشهد الرأسين) [3]، وكان ذلك سنة (460 هـ).

**(1) مشهد الصليحي بصنعاء:**

وعند عودة الملك المكرم إلى صـنعاء نبش قـبري أبيه وعمـه، ثم حمل جثتيهما في تــابوتين، ودفنهما في صــنعاء وأمر ببنــاء مشــهد جامع لهما [4]، وهو بذلك أخذ بسُنّة المعز الفاطمي الـذي أحضر معه

---

[1] الفضل المزيد ص ( 55 ) .

[2] المسجد المسبوك ص ( 104 ) .

[3] المفيد ص ( 134 ) .

[4] الصليحيون ص ( 134 ) وفي الهامش يقول: ( نقل صاحب العيون " 7/116 " ومشهد الصليحي اليوم قد عفى المتغلبون الظالمون آثاره ،وهدموا مناره ، فإن عنايتهم في ذلك كثيرة ، وفي هدم القبور أفعال نكيرة ، وذلك شيء يتحاماه الكفار والمسلمون ويأنفون عنه وهؤلاء يقدمون ) ، قلت : وهذه هي حجج القبورية في كل زمان ومكان ، يتباكون على هدم المشاهد وتسوية القبور المشرفة التي أمر النبي  بتسويتها . انظر للمزيد عن مشهد الصليحي بصنعاء :

رفات آبائه عندما انتقل من المغرب إلى مصر، وبـنى عليهما التربة الشهيرة التي تسمى " تربة الزعفران " وقد سبق الحديث عنها.

قبر السيدة بنت أحمد في جامع ذي جبلة:

قال الهمداني: (وفي غـرة شـهر شـعبان من سـنة اثنـتين وثلاثين وخمس مائة تـوفيت الملكة الحـرة عن اثنـتين وتسـعين سـنة من العمــر، ودفنت في جــامع ذي جبلة أيسر القبلة في مــنزل متصل بالجامع، وكانت هي التي تولت عمـارة هـذا الجـامع، وهيـأت موضع قبرها فيــه. وذكر إدريس: " أن بعض ملــوك اليمن أراد أن يخـــرج جثتها من قبرها حين ظن بعض الفقهـاء كونها في الجـامع، ففتحـوا عن قبرها حــتى انتهــوا إلى تــابوت، فوجــدوا فيه قفصــاً مقفلاً، ففتحـوه، فأصـابوا فيه كتبـاً وأحكامـاً، تشـهد أنها اسـتثنت فيه ذلك المـنزل الـذي دفنت فيه عن المسـجد لقبرها فيـه، ووجـدوا بـذلك علامات القضاة وشـهادة الشـهود الثابتة عند الحكـام، فـردوا قبرها على ما كــان عليــه، وردوا تربته وحجارته إليه "، ويقــول إدريس:" وقبرها إلى اليــوم،يــزوره جميع فــرق الإســلام، ويعـترف بفضــلها الخاص والعام، ويأتي إلى قبرها من أصيب بظلم، أو حاجـة، أو علة في بدنــه،أو بليـّــة، فيتشــفعون بها إلى الله تعــالى في كشف ما انتابهم بفضلها ") [1].

وفيها وفي قبرها يقول القاضي حسين بن أبي عمـران بن الفضل اليامي:

**وقفت على قبر الوحيدة وقفة وقد زِين منها مسجدٌ وستورُ**

**فقبلته واستفتُ رَيَّاً ترابــه وعاود قلبي رنة وزفـــير**

**و سالت دموع العين مني كأنها بشطِّ مجاري المقلتين سطـور**

**ولله منها روحُ قُدْس تميزت فصارت بأعلى الدائرات تطير[2]**

مشهد العباس:

هذا المشهد كما يقول - الدكتور علي سعيد سيف - يقع في منطقة أسـناف خـولان إلى الشـرق من مدينة صـنعاء على يمين الطريق المــار بين صــنعاء وخــولان الطيــال، ويبعد عن صــنعاء بحــوالي (

الأضرحة في اليمن ( 39 ) .

[1] الصليحيون ص ( 207-208 ) وانظر : الأضرحة ص ( 240 ) وما بعدها .

[2] الصليحيون ص (208)،وهذا القاضي هو من الإسماعيلية فلا غرابة أن يقبل قبر الملكة ، و أن يستف ترابه فهذه ديانتهم .

20)كم، ويحتل المسـجد الضـريح ربـوة مرتفعة تقع جنـوب قرية أسـناف، وتتبع إدارياً مديرية خـولان التابعة لمحافظة صـنعاء، [1]، وذكر الدكتور أن العباس صاحب الضريح غـير معـروف، ولكن بنـاء الضريح كان بتاريخ (شهر ذي الحجة سنة تسع عشـرة وخمسـمائة) [2]، وهذا التاريخ يأتي أثناء حكم الملكة السـيدة بنت أحمد الصـليحية غير أن الدكتور يـرجح أن يكـون بـاني الضـريح واسـمه "موسى بن محمد القطبي " [3] كـان من السلاطين السُنيين الـذين عاشـوا في تلك الفـترة، وربما يكـون أمـيراً أو شـيخ قبيلـة، أطلق عليه لقب سـلطان، ولست أوافق الـدكتور على ذلك الاسـتنباط، فما دام العصر عصر الصـليحيين، وهم في عصر قـوتهم فلن يكـون هنـاك مجـال لسـلاطين سـنّيين، فلم لا يكـون ذلك الرجل والٍ من ولاة الصليحيين؟ خصوصاً والـدكتور يقـول فيما بعـد: (ومن المحتمل أن معمار هذا الضريح قد نـهَج نـهْج معمار الدولة الصـليحية في جـامع جبلة والذي يتشابه في كثـير من الأوجه مع عمـائر الدولة الفاطمية بمصر؛ لما كـانت بينهما علاقـات) [4]، أليس نسـبة هـذا الضـريح إلى الصـليحيين أحق من أن ينسب إلى أهل السـنة؟ بلى، والـدلائل قائمـة، فهم الحـاكمون، وهم الـذين ابتـدأوا بإنشـاء المشـاهد في اليمن، وطريقة بنـاء الضـريح كطـريقتهم، وعليه فـالمرجح أن هـذا الضريح من عمل الصليحين والله أعلم.

**المطلب الرابع: استمرار قبورية الإسماعيلية:**

بانتهاء الدولة الصليحية انتهى دور الظهور الثاني للإسماعيلية في اليمن، ودخلوا دور السِّتر الثاني، ولكن دهاتهم ودعاتهم قد أحسوا بذلك قبيل انتهاء الدولة وبالتحديد في أيام الملكة السيدة بنت أحمد، ولذلك فقد كلف (القاضي لمك بن مالك الجمادي عند عودته إلى اليمن من قبل الإمام الخليفة المستنصر وباب أبوابه المؤيد بتنفيذ سياسة معينة بالنسبة إلى إقامة الدعوة ونقل آدابها وعلومها إلى اليمن، وأنه لُقِّب بلقب داعي القلم في عهد الملك المكرم أحمد الصليحي، ولقب داعي البلاغ في عهد الملكة الحرة، وقد اختار هذا الداعي نخبة من التلامذة الأفذاذ البعيدين عن الملك أمثال ابنه يحيى بن لمك والذؤيب ابن موسى الوادعي وإبراهيم بن الحسين الحامدي، وسلم إليهم كل ما كان أخذه من علوم الدعوة

---

1 الأضرحة ص ( 49) .
2 المصدر السابق نفس الموضع .
3 المصدر السابق ص ( 49 – 58 ) .
4 المصدر السابق ص ( 51 ) .

أيام إقامته بمصر) [1]، وبهذا كوّنوا الأساس المتين لصرح دعوتهم الذي يعول عليه في بقائها واستمرارها حتى إن ذهبت الدولة، بقيت الدعوة محافظة على كيانها، بل ازدهر علمها في تلك الفترة أكثر فأكثر.

يقول الهمداني: (نرى أن دعوة اليمن مضت من يوم وفاة السيدة الحرة الملكة الصليحية إلى انتهاء الدولة الأيوبية في اليمن في مرحلة تمتاز بنشاط علمي، وجمع شتات التراث الفكري، وتسجيلها في كتب ومؤلفات وحفظ ما تركه المؤلفون الدعاة في عهد الخلفاء الفاطميين، وقد بدأت هذه الحركة العلمية في حياة الملك المكرم والملكة الحرة بعد عودة قاضي قضاة اليمن لمك بن مالك الحمادي من الديار المصرية إلى مقر الدولة الصليحية، وقد سبق أن ذكرنا أن داعي الدعاة المؤيد في الدين الشيرازي قرر في أواخر عهد الخليفة المستنصر بالله الفاطمي خطوط برنامج الدعوة العلمي، وكلف القاضي لمك تنفيذ هذا البرنامج، ونقل القاضي كتب الدعوة وما احتوته من العلوم إلى اليمن.ثم قررت السيدة الملكة الحرة بعد وصول القاضي إلى اليمن فصل الدعوة عن شؤون الملك، وعينت الملكة يحيى بن لمك والداعي الذؤيب بن موسى الوادعي للإشراف على تنفيذ هذا المشروع العلمي البعيد عن التيارات السياسية، فابتدأت الدعوة تعمل لهذا الغرض في عهد الداعي الذؤيب بن موسى الوادعي، ومأذونه السلطان الخطاب بن الحسن الحجوري، ثم أظهر الداعي إبراهيم بن الحسين الحامدي، ومأذونه الشيخ علي بن الحسين بن جعفر بن الوليد القرشي، والشيخ محمد بن طاهر الحارثي نشاطاً بليغاً في هذا الصدد، وبلغ الداعي حاتم بن إبراهيم الحامدي، والداعي علي بن محمد بن الوليد من إنتاجهما الأدبي مبلغاً لا يستهان به. وأثبت الداعي علي بن حنظلة خلاصة بعض علوم الدعوة في رسالته وأرجوزته. وقد واصل علماء اليمن هذا النشاط العلمي في القرون التالية إلى عهد الداعي إدريس عماد الدين الأنف القرشي المتوفى سنة اثنتين وسبعين وثمان مائة، بل إلى أيامنا هذه. ومن هذا العرض السريع نأخذ فكرةعما يوجد من الثروة الأدبية والعلمية في خزائن كتب الدعوة اليمنية) [2]. وكانت هذه الجهود في أكثر الأحيان محاطة بالسرية التامة؛ وذلك لمحاربة اليمنيين لها سواء في ذلك أئمة الزيدية أو سلاطين الشافعية، ولكن كل ذلك لم يفتَّ في أعضادهم، أو يوهن عزائمهم، فاستمروا، وعندما جاءت التعددية

---

[1] الصليحيون ص( 268 ) .

[2] المصدر السابق ص (298) .

الحزبية وحرية الرأي التي تجاوزت الحدود لإعطاء الحرية لأصحاب العقائد الضالة والمبادئ الهدامة والدعوات المشبوهة، عندما جاء هذا العهد، استغلت الإسماعيلية الفرصة، وبدأت تزاول نشاطها بجرأة عجيبة وجهود جبارة وتركيز ينذر بالخطر على البلاد اليمنية، وتداعوا إلى اليمن من كل حدب وصوب، وصار اليمن من أماكن حج البهرة الإسماعيلية، بحيث يحج إلى اليمن حسب تعبيرهم عشرات الآلاف كل عام، والعمل الظاهر الذي يمارسونه هو تتبع الأضرحة والقبور المنسوبة إلى أئمتهم ودعاتهم، وإليك قائمة بأهم المشاهد والقبور والمزارات التي يقصدونها:

1) قبر الـداعي إبـراهيم بن حـاتم الحامـدي الهمـداني الحاشـدي اليامي في قرية "الحطيب" عزلة شرقي حراز – قضاء حــراز - ويعتبر أهم مزار للإسماعيلية الداودية البهــرة، ومتوسط من يزوره سنوياً من غـير باطنية اليمن خمسة عشر ألف نسـمة، خاصة من الهند وباكستان، والـداعي المـذكور مؤلف كتـاب " كنز الولد ".
2) قــبر الملكة السـيدة بنت أحمد الصـليحي في الجـامع الكبـير بمدينة جبلة محافظة إب.
3) قبر إدريس عماد الدين صاحب كتاب "زهر المعاني " المقبور تحت قمة جبل شبام حراز (2920 مـتر فـوق سـطح البحـر)، وتجري الآن محاولة حثيثة من قبل الإسماعيلية لإقامة مسـجد على قــــبره؛ رغم عـــدم وجــــود ســـكان في هـــذا الجبل الإســـتراتيجي، والـــذي يعد من أهم المواقع العســـكرية في المنطقة متحكم في طريق صــنعاء الحديــدة، ويطل على كل قضاء حراز.
4) قبر في جبل الصـميع في عزلة هـوزان قضـاء حـراز محافظة صنعاء،لم يُعرف اسم صاحبه
5) قـــبر الـــداعي لمك بن مالك في حصن زبـــارة قسم الملاحي عزلة لهاب قضاء حراز محافظة صنعاء.
6) قبرا الحسين والحسن ابني إدريس عماد الـدين في قمة جبل مسـار، من عزلة مسـار،قضـاء حـراز، ونشك في أصل وجـود هذين القبرين المندثرين بعد أن كُشف عنهما بـزعم الباطنيـة، وهذا الجبل المركز الأول لانطلاق الدولة الصليحية في اليمن، وهو موقع هام واسـتراتيجي مرتفع عن سـطح البحر (2760) مــتراً،ولازال أهله صــامدين أمــام هــذه الطائفة رغم كــثرة الإغراءات والضغوط.

7)قـــــــــبر الملا محمد في مدينة زبيد من بلاد تهامة محافظة الحديدة.
8)قــبرٌ في غيل بــني حامد عزلة بــني مــونس، قضــاء همــدان محافظة صنعاء.
9)قبرٌ في حصن طيبة المطل على وادي ظهر من قضاء همدان محافظة صنعاء.
10) قبر أويس القرني من قرية الحمى من ضواحي زبيد.

وهنـاك مسـاجد يخصـونها بالزيـارة وليس هنـاك سـبب ظاهر لزيارتها:
1) الجامع لكبير بصنعاء [1].
2) مسجد معاذ بن جبل بالجند.
3) مسجد في حرف سفيان.
4) حصن ذمرمر من بلاد حضور، وهذا الحصن قد كان يوماً مقراً لآل حاتم اليامبين، وقد قيل:إنهم كانوا إسماعيلية باطنيــة، وممن ذكر من أهلها "محمد بن أحمد اليـــــامي"، ووصف بأنه عـــــالم الإسماعيلية وشاعرها [2].

[1] قـــال زبـــارة في نشر العـــرف لنبلاء اليمن بعد الألف طبع مركز الدراســات والبحوث اليمني صنعاء ط الثانية (1405هـ-1985م ) (3/312):( قـال صـاحب مطلع الأقمار , ونقلت من خطه أن القبر الذي غـربي الصـومعة الشـرقية بجـامع صــنعاء هو قــبر الحسن بن عبدالله بن الحسن بن جعفر بن محمد بن عبدالله بن العبــاس بن عبدالله بن العبــاس بن علي بن أبى طــالب انتهى ) . قلت : فلعلهم يزورون هذا القبر المزعوم .
[2] انظر هجر العلم (2/796-797)

# المبحث الثالث
# السلاطين ودورهـم في نشر القبورية في اليمن

وفيه ثلاثة مطالب:

## المطلب الأول: السـلاطين هم وراء مظـاهر القبورية في اليمن قبل الصوفية:

لعل أعظم نزعة لدى السـلاطين دفعت بهم إلى إنشـاء المشـاهد ومظــاهر العظمة على القبــور: هي أبهة الملــك،ومحبة اســتمرار نــاموس الملك بعد الوفــاة كما كــان حــال الحيــاة،كما صــرح به المقريــزي وهو يتحــدث عن تربة أســرة آل قلاوون بالقــاهرة [1]،مع بواعث أخرى تقدم الحديث عنها في الفصل الثالث،[2].

ومن أجل الباعث الأول المشار إليه أصبح السـلاطين وراء معظم مظـاهر القبورية في اليمن، فـأول مشـهد عـرف وثبت وجـوده في اليمن على الإطلاق هو مشهد الزيـاديَيْن، الـذي بنـاه مولاهما نجـاح على جثتيهما عنــــدما أنزلهما عن الجــــدار، وقد تقــــدم [3]،كما أن الســلطان أســعد بن وائل من أوائل من دفُنــوا في المســاجد في الديار الشافعية إن لم يكن أولهم [4].

وأول قبة بــنيت في حضــرموت على الإطلاق هي قبة الســلطان مسعود بن يماني المتوفىَّ سنة (648هـ) [5]، وهـذه المشـاهد كلها قبل رسوخ التصوف في اليمن، وحتى أول مشاهد الدولة الصليحية التي سبق الكلام عنها والتي هي أول المشاهد المنظمة والمتوالية- والتي بقي أثرها إلى اليوم- هي كذلك في بدايتها كان لدافع عظمة السـلطان دخل كبـير فيهـا، ثم جـاءت الدولة الأيوبية وكـان معظم سلاطينها يدفنون إما في قباب خاصة، كما دفن المعز إسماعيل بن طغتكين في قبة خاصة به في زبيد تعـــــرف بقبة الخليفة [6]، أو في مــدارس أو نحوهــا، ولإعطــاء صــورة لما علية ســلاطين اليمن من اهتمام بالمشاهد والقباب لأهداف مختلفة أضـرب مثـالين، أحـدهما لإئمة الزيديـــــة، والآخر لســـــلاطين الدولة الرســــولية، وذلك في المطلبين التاليين.

---

[1] الخطط المقريزية ( 3/480 ).

[2] انظر ص (163) .

[3] انظر المفيد في أخبار صنعاء وزبيد ص ( 86 ) .

[4] السلوك ( 2/485 )

[5] الفرائد في قيد الأوابد للعلامة المــؤرخ عبد الله بن حسن بلفقية ، مخطــوط بمكتبة الأحقاف بتريم ، لديَّ صورة منه .

[6] العسجد المسبوك ص ( 74 ) .

المطلب الثـــــاني: أئمــة الزيديــة ودورهم في نشر القبورية في اليمن:

**رغم أن الغلو لــدى الزيدية الأولى لم يكن خارجــاً عن الحــدّ، ورغم أن اتجاهها هو اتجــاه المعتزلة المعتمــدين على العقل النافين للخوارق والكرامـات كما هو معلـوم، إلا أننا نجد أئمة الزيدية في اليمن - وبعد قـــــرون من إنشــاء دولتهم وتتــابع العشــرات من أئمتهم- نجــدهم ينحرفون انحرافاً شديداً في هذه المسألة، والـذي يظهر - والله اعلم- أن بـاعث الأئمة لـذلك كـان باعثـاً سياسـياً أكـثر منه باعثـاً عقـديا، ولكن وجـود المشـاهد والقبـاب ووجود سدنةٍ يتأكلون منها ويبنون بها مجداً وجاهــاً على أنقــاض عقائد الأمة حوّلها إلى مــزارات مقدسة يعتقد فيها العـوام وأشـباههم مـالا يجـوز اعتقـاده إلا في الله تعالى، ومن أجل السياسة أيضــاً يتغاضى الأئمة عن ذلك ويتركون العامة يغرقون في بحر الخرافة والشــرك وهم ينظرون.**

وأئمة الزيدية يبنون المشاهد للسياسة ويهدمونها للسياسة كذلك؛ فالــدليل على أنهم يبنونها للسياسة ما بــدر من الإمــام عبدالله بن حمزة وذلك أنه عاش في آخر القرن السادس وبداية القرن السابع [1]، وهو أول من سن لأئمة الزيدية سـنة البنـاء على المشـاهد حيث لم يُسجَّل لأحد من الأئمة قبل عصره شئ من ذلك.

والذي يظهر لي- والله أعلم- أنه إنما فعل ذلك مضاهاة لمعاصريه من الأيوبيين الـذين عُـرِف عنهم أنهم يبنـون على قبـور سـلاطينهم البنايات الضخمة في مصر والشام [2] وفي اليمن كذلك [3]،فلعله أراد أن يُظْهِر بذلك شيئاً من أبهة الملك للأئمة وهم أموات كما هي لهم وهم أحيــاء، وقد لاحظ ذلك الأســتاذ محمد محمــود الزيــيري في كتيِّبه"الإمامة وخطرها على وحدة اليمن" حيث قال: (بهذه النفسية يمارس الإمام أعباء منصبه،وتكاد هذه الأعباء تنحصر في استصــفاء ثروة الشعب باسم الزكاة وقمع الانتفاضات الشــعبية باسم الجهـاد

---

[1] تاريخ اليمن المسمى فرجة الهمـوم والحـزن في حـوادث وتـاريخ اليمن تـأليف العلامة عبد الواسع بن يحيى الواسـعي ،طبع مكتبة اليمن الكـبرى صـنعاء الطبعة الثانية سنة (1990م) ص ( 197).

[2] سبق الحديث عن مساهمة الأيوبيين في نشر القبورية في الفصل الثالث .

[3] انظر تراجم سلاطينهم في اليمن في الفصل المزيد من تـاريخ زبيد وغـيره من تواريخ اليمن، وفيها يذكرون كيف يُقْبر سلاطين الأيوبيين.

وقتال البغاة، ثم بناء مسجد باسم الأمـام تضـاف إلى جـواره غالبـاً قبة الضريح لهذا الإمام تمدّ نفوذه الروحي حتى وهو في القبر) [4].

وهذا الذي نسـبه الزبـيري إلى الإئمة يجب أن يحـدَّد بأئمة القـرن السابع فَمَنْ بعـدهم، وأن أولئك الأئمة قد عمَّروا على معظم قبـور الأئمة السابقين مشاهد وقباباً.

وقد خَطَا هذا الإمـام بالقبورية في الـديار الزيدية خطـوات كبـيرة جداً، إذ لم يكتف بـأن يبـني لنفسه مشـهداً في حياته أو يوصِـي أن يبُنى له ذلك بعد وفاته، وإنما سن ذلك عملياً في حياته بأمر إمامي وتهديد شـديد اللهجة لأهل قرية "لصف " حيث قتِل عنـدهم أخـوه إبـراهيم بن حمـزة وهو يقاتل الأيوبـيين، فلما حصل ذلك كتب لهم الأمام عبدالله بن حمزة هذه الرسالة يهدِّدهم فيها إذا لم يبنوا عليه مشهداً أنه سينقل جثمانه عنهم،وهذا نص الرسالة:

(بسم الله الـــرحمن الـــرحيم من عبد الله المنصـــور بالله أمـــير المؤمـنين إلى كافة السـاكنين بلصف من المؤمـنين والمسـلمين، سـلام عليكم، فإنا نحمد الله إليكم الـذي لا إله إلا هـو، ونسـأله لنا ولكم التوفيق لما يحب ويرضى0

أما بعد: فقد بلغنا جفوتكم للشهيد الذي توفي بين أظهركم، وحطَّ رحله بين أفنيتكم، وجاد بنفسه دون بلادكم،واسـتقبل بوجهه العـدوّ صبراً واحتساباً حين زاغت الأبصار فشـلاً، وبلغت القلـوب الحنـاجر وجلاً، وظن قـــوم بالله الظنونا جزعـــاً، وابتلي المؤمنـــون بالهزيمة امتحاناً، وزلزلوا بالحادثة اختبـاراً، فـرخص عنـده من المـوت ما غلا عند غيره، وغلا عنده من الفـرار ما رخص عند سـواه, وعلم القصد فتم العــزم، ومضى على البصــيرة على منــاهج السـلف الصــالح مسـتقبلاً لكـثرة العـدو وعزمـه، ومستصـغراً لعظيمة نجـده، فبلغنا أنكم هاجرون لقبره، قالون لمصرعه، قد صـغّرتم منه ما عظّم الله سـبحانه جهلاً، وجهلتم ما علم الصـالحون حـيرة وشـكاً، كـأنكم لم تسمعوا أقوال محمد صلى الله عليه وآله فينا – أهل البيت خاصة – **((أقـرب النـاس مـني موقفـاً يـوم القيامة بعد حمـزة وجعفر رجـلٌ منا أهل الـبيت خـرج بسـيفه فقاتل إمامـاً ظالماً فقُتِل))،** فهلا – رحمكم الله – استشفيتم بـتراب مصـرعه من الأدواء، وسألتم بتربة مضجعه رفع الأسواء، واسـتمطرتم ببركة قبره من رحمة ربكم طوالع الأنواء, وعظّمتم حاله كما يُعَظّّم حـال الشـهداء، وأوجبتم من حقه ما ضّـيع الأعـداء، وعمَّرتم على قـبره مشهداً، وجعلتموه للاستغفار مثابة ومقصداً، ونذرتم له النذر تقربـاً،

---

[4] الإمامة وخطرها على وحدة اليمن ص (13-14) للأستاذ محمد محمود الزبيري طبع دار الكلمة صنعاء بدون تاريخ .

وزرتموه توددا إلى الله سبحانه وإلى رسوله صلى الله عليه وآله وإلينا تحبُّباً، فقد رُوِّينا عن أبينا صلى الله عليه في حديث فيه بعض الطول أنه نظر إلى الحسن والحسين عليهما السلام وهما يلعبان بين يديه فبكى فهابه أهل المنزل أن يسألوه، فوثب عليه الحسين عليه السلام فقال: ما يبكيك ياأبتي؟ فقال: إني سررت بكما اليوم سروراً لم أسرّ به قبله مثله، فجاءني جبريل فأخبرني أنكم قتلى، وأن مصارعكم شتى، قال: يا أبتي فمن يزورنا على تباين قبورنا؟ قال: **((قوم من أمتي يريدون بذلك برّي وصلتي إذا كان يوم القيامة أتيت حتى آخذ بأعضادهم فأنجيهم من أهوالها وشدائدها)).**

ألا فاعلموا بعد الذي بلغنا عنكم أنا قد قَلَيْنا له جواركم، ورغبنا به عن داركم، وعزمنا بعد الخيرة لله سبحانه وتعالى على نقله من أوطانكم إلى من يعرف حقه، ويتيقن فضله وسبقه، فلو رعيتم له حرمه القرابة وفضل وراثة النبوة)تأمل(! لعلمتم حرمة ذلك الدم الزكي، وكثر عليه منكم الباكون، والبواكي، فإن كان ذلك من غرضكم فإنا نفعله إن شاء الله تعالى، وإن لم يكن من إرادتكم فلسنا بتاركيه بتوفيق الله سبحانه،والسلام)[1].

والرسالة لم تقتصر على بناء المشهد عليه بل تعدت إلى طلب الاستشفاء بتراب مصرعه، والسؤال بتربته، والاستمطار بقبره، فهل كان الإمام فعلاً- وهو من هو في العلم والعقل والدهاء - هل كان يعتقد ذلك؟! أظنه لم يكن كذلك وإنما كما قلت سابقاً يريد إسباغ الهيبة وإضفاء المكانة على مشهد وقبر أخيه، ولذلك فإنه حينما لم يتم الإصغاء إليه فأنه نقل جثمانه إلى قرية الزاهر بالجوف حيث قُبِر هناك [2].

والإمام الثاني الذي كرر نفس الأسلوب هو الإمام يحيى بن محمد حميد الدين الذي أمر في رسالة أخرى قبيلة أرحب ببناء تابوت وقبة على قبر الإمام أحمد بن هاشم الويسي المتوفي سنة ( 1269هـ)والمدفون في "دار أعلا" من أرحب للتبرك به،وهدَّدهم إن لم يفعلوا ذلك بأنه سينقل رفاته إلى مكان آخر، فما كان من أهل أرحب إلا أن بنوا له قبة ووضعوا على قبره تابوتاً [3]، والذي جعلني أدَّعي أن الباعث على ذلك هو السياسة أن الإمام يحيى كذلك كان عالماً وعاقلاً ولم يكن من السذاجة بحيث يعتقد أن ذلك مما يحبه الله ويرضاه،ثم إنه في نفس الوقت أو بعده بقليل كان

---

[1] هجر العلم (1/223-225)
[2] المصدر السابق (1/224).
[3] المصدر السابق (1/255).

ابنه وولي عهده الإمام أحمد بن يحيى يهـدم قبـور أوليـاء الصـوفية في الديار الشافعية كما سيأتي بعد قليل.

تلك هي الحـوادث والتصـرفات الـتي تـدل على أن أئمة الزيدية يبنـون المشـاهد لأجل السياسة وإن كـان قد تـرتب على ذلك خلل كبير في عقيدة الكثير من العوام وأشباههم، كما صـور ذلك الإمـام الشوكاني رحمه الله حين ذكر ما يجري عند مشهد الإمام أحمد بن الحسين صاحب ذيبين [1]، وبعد أن أَلِفَ علماءُ تلك البلاد هذه -وكـان القـائمون وراءها أئمة مجتهـدين - ركنـوا إلى ذلك الواقـع، وأحسنوا الظن بمن سن تلك السـنة وتـابعوهم عليهـا، ليس بالفعل فقط ولكن بالإفتاء أيضاً، وهذه نقلة خطيرة جداً، وتحـول كبـير في هذا المسار عند الزيدية، والذي أفتى بذلك هو الإمـام الجليل يحـيى بن حمـزة الـذي أثـنى عليه الإمـام الشـوكاني رحمه الله في البـدر الطـالع ثنـاءً عـاطراً [2]، رغم رده عليه في هـذه الفتـوى، والفتـوى المقصـودة هي مانقلها عنه الإمـام المهـدي في البحر الزخـار حيث قـال: (مسـألة (ي) ولابـأس بالقبـاب والمشـاهد على الفضـلاء لاستعمال المسلمين ولم ينكر) [3].

ثم تبع الإمام المهدي على ذلك الإمام يحيى فقال في الأزهار وهو يتكلم عما ينـدب في القـبر ومنه رفعه قـدر شـبر (وكـره ضد ذلك والإنافة بقبر غير فاضل)[4]

**ومن المعلوم أن الإمام الشوكاني قد ردّ على هذه الفتوى بكتابه المشهور "شرح الصدور في تحريم رفع القبور ".**

**هذا ما يتعلق ببناء المشاهد والقباب وأما هدم تلك المشاهد وكونه للسياسة كذلك فهو أظهر، وإليك هاتين الواقعتين:**

أما **الواقعة الأولى** فهي ما حـدث من هـدم للقبـور المشـرفة والمشـاهد المقامة عليها أيـام الإمـام المتوكل على الله المعاصر للشـوكاني،حيث إنه أجـاب أئمة الـدعوة النجدية إلى هـدم بعض

---

[1] 4 انظر : الدر النضيد ص(48)0

[2] البدر الطالع (2/ 332-332 )

[3] البحر الزخـار الجـامع لمـذاهب علمـاء الأمصـار تـأليف الإمـام أحمد بن يحـيى المرتضى (2/132)، طبع دار الحكمة اليمانية صـنعاء تصـوير عـام (1409هـ-1988م) عن الطبعة الأولى (1366هـ-1947م)(2/132)0

[4] الأزهار في فقه الأئمة الأطهار(1/361) للإمام المهدي صاحب البحر الزخـار مع شرحه السيل الجـرار تحقيق محمد إبـراهيم زايد طبع دار الكتب العلمية ببـيروت الطبعة الأولى الكاملة (1405هـ-1985م) .

المشاهد في صنعاء وما حولها،وكتب بذلك إلى سائر الجهـات، ذكر ذلك الإمام الشوكاني في "البدر الطالع" وصـاحب كتـاب "حوليـات يمانية " وسيأتي نص كلامهما في الباب الثالث إن شـاء الله [1]، وقد جـزْمتٌ بـأن الأمر كـان سياسة لا تـديناً؛ لأن ذلك الإمـام بينما كـان يرضخ للنجديين ويداهنهم كما عبر بذلك صاحب الحوليـات كـان في نفس الـوقت يكـاتب الأتـراك والمصـريين للقـدوم إلى الجزيـرة والقضاء على الدولة النجدية [2].

**والواقعة الثانية** الـتي تـدل على أن من أئمة الزيدية من يهـدم القبـور لأجل السياسة هي حادثة هـدم بعض القبـور في الـديار الشـافعية من اليمن، والـتي قـام بها الإمـام أحمد بن يحـيى حميد الـدين حيث أزال القبة الـتي على قـبر الفقيه أحمد بن موسى بن عجيل عـام (1348هــ)، حينما كـان واليـاً للعهد بعد أن تغلب على معارضة قبيلة الزرانيق – الـتي كـانت تعـرف من قبل بالمعازبـة- لامتداد نفوذ الإمام يحيى إلى بلادها ودخولها تحت حكمـه، كما أزال الإمام أحمد كذلك التابوت من على قبر أحمد بن علوان في يفرس من ناحية جبل حبشى عام(1362هــ) [3]،قد يقـول قائل لم لا تحمل هذا العمل على المحمل الحسن وتجريه على أفضل تقـدير وتجعله من باب إزالة المنكر؟

فأقول: إن الـذي يمنع من حمله على ذلك هو عـدم إقـدام الإمـام أحمد عندما كان ولياً للعهد، أو بعد أن أصـبح إمامـاً على إزالة شئ من مشـاهد البلاد الزيديـة، فلو كـان الأمر لوجه الله لما فعله في ناحية وتركه في ناحية أخـرى، قد يكـون بعض مشـاهدها أشد من تلك التي هـدمها،كما قـال القاضي إسـماعيل الأكـوع حفظه الله [4]، ومما يؤكد صـلة المشـاهد الزيدية بالسياسة أن معظم المشـاهد المعظمة في الـديار الزيدية هي للأئمة وحواشـيهم، وقـلّ أن تجد مشهداً لرجل فقـير أوضـعيف، وإليك قائمة بـأهم المشـاهد الزيدية وستكون إن شاء الله على حسب التسلسل الزمني لإنشائها:

---

[1] الباب الثالث(ص 547 ).

[2] انظر ذكريات الشوكاني ص (113- إلى آخر الكتـاب ) تحقيق د.صـالح رمضـان محمـود طبع دار العـودة (1983م) وحوليـات يمانية ص (22-23) تحقيق عبدالله محمد الحبشي لم يسم المؤلف طبع دار الحكمة اليمانية صـــــنعاء ط الأولى ( 1411هـ-1991م )

[3] هجر العلم (1/222-223).

[4] نفس المصدر نفس الموضع.

**1) مشهد الإمـام المنصـور بالله عبدالله بن حمـزة من منطقة ظفار ذيبين.**

2) مشـهد الأمـير عمـاد الـدين يحي بن حمـزة (أخو عبدالله بن حمزة) بمدينة كحلان.

**3) مشهد الإمام أحمد بن الحسين المعروف بأبي طير في مدينة ذيبين.**

4) مشهد الإمام يحيى بن حمزة (وليس أخا عبدالله بن حمزة بل هو من ذرية الحســـين وليس من ذرية الحسن [1])ومشـــهده بمدينة ذمار.

5) مشهد الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بصعدة[2]ومعه عدد من أبنائه وأحفاده ومشهد الإمام المهدي باني تلك المشاهد.

6) مشهد الإمام صلاح الدين بصنعاء.

7) مشـهد الإمـام المهـدي لـدين الله أحمد بن المرتضى حصن الظفير حجة.

8) مشهد الإمام المهدي صـلاح بن علي بن محمد بن أبي القاسم بصعدة.

9) مشهد الإمـام الناصر محمد بن يوسف بن صـلاح بن المرتضى بمدينة ثلا.

10) مشهد الإمام شـرف الـدين يحـيى بن شـمس الـدين أحمد بن يحيى المرتضى بظفير حجة.

11) مشـهد مدرسة الإمـام شـرف الـدين بثلا، وفيه عـدد من أبنائه وبناته وذويه.

12) مشهد الأمير صلاح الدين بن شـمس الـدين بن الإمـام شـرف الدين بمدينة ثلا.

هذه بعض المشاهد وقد تركت الكثـير سـواها وهي كلها موجـودة مشـاهدة للعيـان، وقد كتب عنها كتابة تاريخية أثرية الـدكتور علي سعيد سيف في رسالته المقدمة للدكتوراه من جامعة صنعاء باسم "الأضرحة في اليمن من القرن الرابع إلى القرن العاشـر"، فيمكن لمن أراد معرفتها بدقة أن يرجع إلى هناك.

---

1 انظر البدر الطابع ( 2/332-333 ).

2 وهو مؤسس الدولة الزيدية باليمن توفي سنة (298هـ) ولكن المشـهد لم يعمر إلا مابين سنة (733) و(750هـ) وهي فـترة حكم الإمـام المهـدي لـدين الله علي بن محمد الذي كان أول من بنى مشاهد مقبرة صعدة على قبـور الإمـام الهـادي وبنيه ، انظر : الأضرحة ص (161)

مع العلم أن أكـثر هـذه المشـاهد تضم إلى جـوار من هي باسـمه عـدداً من أبنائه وأحفـاده وزوجاتـه، وهـذا يثبت أن أئمة الزيدية قد ساهموا في نشر مظاهر القبورية في جهاتهم كسائر حكام اليمن.

**المطلب الثـــالث: الدولة الرســولية ودورها في نشر القبورية في اليمن:**

لمحة عن الدولة الرسولية:

الدولة الرسولية منسوبة إلى مؤسسها " نور الـدين عمر بن علي بن رســـول" (ت 647هـــ)، وقد قـــامت على أنقـــاض الدولة الأيوبيــة،حيث كـان عمر بن علي من قــواد هــذه الدولة أيـام آخر ملوكها الملك المسـعود، وحين عـزم الملك المسـعود على السـفر إلى مكة حيث مـات بهـا، اسـتبد بـالأمر ودعا إلى نفسه وخطب له بـذلك، ثم تـوالى أبنـاؤه وأحفـاده في الملك والسـلطنة، وامتـدت دولتهم من حضرموت إلى مكة بل في بعض الأحيان من ظفار إلى مكة، وعاشوا في صراع مع أئمة الزيديه حيناً يأخذون صنعاء وذمار وحجة، وحينـاً يصل أئمة الزيدية إلى زبيد أو إلى تعز أو إب وهكـذا، وامتـدَّ حكمهم من سـنة (625هــ) إلى سـنة (958هــ) وهي مـدة طويلة زادت على ثلاثة قـــرون وقد تمـــيزت هـــذه الدولة بـــالقوة والعظمة والإنجازات الضخمة في شتى الميادين.

ففي العمران فعلت ما لم تفعله دولة أخرى في اليمن،وكان أكثر ملوكها مشاركين في العلم والأدب فبنوا المدارس وجلبـوا العلمـاء والمدرسـين ووقفـوا الأوقـاف العظيمة عليهـا،كما جمعـوا نفـائس الكتب بل ألفوا الكثير منها في فنون مختلفة، وفي عصـرهم ازدهر التصوف وشجع بعضهم أتباع ابن عربي أصحاب وحدة الوجود.

وبالجملة فقد كـانت هــذه الدولة مفخــرة من مفــاخر اليمن في جوانب كثيرة، كما كـانت فاتحة شر كبـير في جـوانب أخـرى، ومن أهمها فتح الباب أمام التصوف المنحرف الفلسفي تصوف أصـحاب وحدة الوجود الذي ما تزال آثاره ظـاهرة إلى هـذا التـاريخ وإن أفل نجمه وذهبت دولته، كما أنهم رســخوا القبورية في اليمن من خلال قبور سلاطينهم وتبـنيهم لبنـاء بعض المشـاهد على قبـور بعض من يعتقدون فيه الصلاح، هذه هي الدولة الرسولية.

وإليك لمحة عن بعض قبور الدولة الرسولية:

**قبور الدولة الرسولية:**

1) الملك نور الدين عمر بن علي بن رسول المتوفى(647هـ) [1] دفن في المدرسة الأتابكية في ذي هـــزيم في مدينة تعز بعد أن نقلوه إليها من الجند [2].

2) الملك الأشـرف عمر بن المظفر المتـوفى (696هـ) [3] ودفن في المدرسة الأشرفية بمدينة تعز [4].

3) الناصر بن الأشرف المتوفى (725 هـ) [5] ودفن في المدرسة الأشرفية مدرسة والده [6].

4) الملك المجاهد المتـــوفى (764هـــ) [7] ودفن في مدرســـته المجاهدية بتعز [8].

5) الملك الأفضل بن المجاهد المتـــوفى (778هـــ) [9] وحمل من زبيد إلى تعز ودفن في مدرسته الأفضلية [10].

6) الملك الأشـــرف بن الأفضل المتـــوفى (783 هــــ) [11] ودفن بمدرسته الأشرفية بتعز [12].

7) الملك الناصر بن الأشـرف المتـوفى (878هــ) [13] ودفن في مدرسة والده الأشرفية [14].

8) الملك المنصور بن الناصر بن الأشرف المتوفى (830 هـ) [15] ودفن بمدرسة جده الأشـرفية،وقد كـان موته بمدينة زبيد فُحمل إلى تعز [16].

---

[1] ?ا نظر ترجمته في العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية(1/51) تأليف علي بن الحسن الخزرجي تحقيق محمد بن علي الأكوع طبع مركز الدراسات والبحوث اليمني الطبعة الثانية (1403هـ-1983م) وقرة العيون ص(299) .

[2] 2العقود اللؤلؤية (1/82 ).

[3] انظر ترجمته في: العقود اللؤلؤية (1/239) وقرة العيون ص(337).

[4] المفضل المزيد ص ( 94 )

[5] ? انظر ترجمته في: العقود اللؤلؤية (2/13) وقرة العيون ص (349) .

[6] ?الفضل المزيد ص (96 ).

[7] 7
انظر ترجمته في العقـــــود اللؤلؤية (2/113) وقــــرة العيون ص(349 ).

[8] 8 الفضل المزيد ص(98).

[9] انظر ترجمته في: العقود اللؤلؤية(2/111) وقرة العيون ص (368). .

[10] الفضل المزيد ص(102).

[11] انظر ترجمته في العقود اللؤلؤية (2/141) وقرة العيون ص(376).

[12] الفضل المزيد ص (104).

[13] المصدر السابق ص(104) .

[14] المصدر السابق ص (108).

[15] المصدر السابق ص (108).

[16] المصدر السابق ص (109).

9) الملك الظاهر يحيى بن إسـماعيل المتـوفى (842 هـ)[1]ودفن في مدرسته الظاهرية [2] بمدينة تعز.

10) الملك الأشرف إسماعيل بن الظـاهر يحـيى المتـوفى (845 هـ)[3]ودفن عند والده بالمدرسة الظاهرية بمدينة تعز[4].

هؤلاء الملوك الذين وقفت على التصريح بدفنهم في المـدارس الـتي بنوهـا، ولا يبعد أن يكـون غـيرهم من الأمـراء ومن الملـوك الذين ولّوا ولايات قصيرة أو خرجـوا على الملـوك الرسـميين أن يكونـوا كـذلك قد دفنـوا في مـدارس أو مشـاهد، بل لا يبعد أن تكون نساؤهم كذلك وقد وقفت على تصريح بواحدة منهن.

11) قال ابن الديبع: وفي السنة المـذكورة (836هــ) تـوفيت أم السـلطان الحـرة الطـاهرة، أم الملـوك جهة الطواشـي، جمـال الــدين فرحــان بمدينة زبيد في الثــاني عشر من صــفر، ودفنت قريبــاً من تربة الشــيخ طلحة بن عيسى الهتــار، وأمر ولــدها السـلطان الملك الظـاهر بإنشـاء مدرسة عظيمة على ضـريحها ورتب فيها إمامـاً وخطيبـاً وأيتامـاً ومعلمـاً لهم وعشـرين قارئـاً يقرؤون القرآن عند ضريحها عقب كل صلاة، ورتب لهم ما يقوم بكفايتهم. [5]

12) كما أشار الجندي إلى أن هناك تربية خاصة بخواص وأقارب بني رسول حيث قال في ترجمة محمد بن القاضي عمر الهـزاز: (وكان المظفر يجله ويعتقد صلاحه وربما زاره سـراً إلى منزله -إلى أن قـــال- وحين بلغت وفاته الملك المظفر كتب إلى أولاده سألهم أن يدفنوه في التربة التي هي قبلي جامع عدينه، ففعلــوا ذلك إذ خواص بني رسول من القرابة والسراري مقبورون فيها) .[6]

وهــذه التربة ربما كــانت على غــرار تــرب الفــاطميين والمماليك التي سبق ذكرها.

**مساهمة سلاطين الدولة الرسولية في بناء المشاهد على قبور من يعتقدون فيهم الصلاح:**

بنى سلاطين الدولة الرسـولية المشـاهد والقبـاب على قبـور من يعتقـدون صـلاحهم، ولكن للأسف لم نجد النص الصـريح على شئ

---

[1] الفضل المزيد ص(109)0
[2] المصدر السابق ص(113)0
[3] المصدر السابق ص (113-114)0
[4] المصدر السابق ص (115)0
[5] المصدر السابق ص (111).
[6] السلوك ( 2/ 117 ) .

من ذلك إلا على قــبر الشــيخ أحمد بن علــوان، ومشــهد أحمد بن علــوان يوجد بمنطقة يفــرُس محافظة تعــز، وهو معاصر للملكَيْن عمر بن علي بن رســول وابنه المظفــر، ويعد من أكــابر أقطــاب الصــوفية في اليمن، عُمّر مشــهده وأول من عمّــره الملك المظفر ذكر ذلك صــاحب الأضــرحة، ولم يحــدد التــاريخ الــذي جــرى فيه البنــاء،كما أن المشــهد والمســجد المجــاور له قد شــهد توســعة وترميماً كثيراً في فـترات مختلفـة، أهمها على يد السـلطان عـامر بن عبــدالوهاب الطــاهري كما هو مكتــوب هنــاك[1]،وآخرها على يد بعض ولاة الأتراك.

[1] الأضرحة ص ( 123 ) وما بعدها .

# المبحث الرابع

# نشأة الصوفية ودورها في نشر القبورية في اليمن

وفيه ثلاثة مطالب:

## المطلب الأول: نشأة الصوفية في اليمن:

**سبق تعريف الصوفية والتفريق بين الزهد الذي دعا إليه الإسلام وبين التصوف المنحرف، والإيضاح بأن كلامنا إنما هو منصب على التصوف الفلسفي المنحرف، سواء شَعَرَ المتصوفة القائمون به بأصل ذلك التصوف وعرفوا مصادره أم أخذوه تقليداً وثقة بمن قبلهم، فالانحراف هو الانحراف إن أتى على يد خبيث ماكر أو على يد صالح مغفل، وأما الأشخاص أنفسهم وما هي مقاصدهم ونواياهم فذاك شيء مرده إلى الله تبارك وتعالى وليس إلينا، إذا عرفنا هذا التذكير حق لنا أن نشرع في رصد مبدأ هذا التصوف المنحرف ونشأته.**

روّاد التصوف في اليمن:

لعل حضرموت كانت هي الرائدة في جلب واستيراد التصوف، فقد ذكر مؤرخو حضرموت أن أول من عرف بالتصوف فيها هو " عبدالله بن أحمد بن عيسى المهاجر إلى الله " حيث ذكر الشاطري في " أدوار التاريخ الحضرمي " أن من شيوخه أبا طالب المكي، فقد تلقى عنه علم التصوف، وقرأ عليه كتابه "قوت القلوب " ذلك الكتاب الشهير في فن التصوف.وذلك لما حج سنة ( 377 هـ) [1] غير أن هذا الرجل لم يكن له أثر يذكر في نشر التصوف في حضرموت، كما سيأتي عند حديثنا عن الفقيه المقدم، وهذا كما نرى من رجال القرن الرابع.

**وفي القرن الخامس**:يطالعنا اسم الصوفي "سود بن الكميت" المتوفى (436 هـ) حيث ترجمه الشرجي في "طبقات الخواص "،وذكر قصة تحوله إلى التصوف، وأنه كان له أصحاب ومريدون، وأنه كان يجلس معهم في المسجد ويأكل وينام معهم فيه [2]،وهو أشهر من عرف بالتصوف أو من أشهرهم في هذا القرن،مع وجود

---

[1] أدوار التاريخ الحضرمي ص( 162- 163 ) .

[2] طبقات الخواص ص( 150-151 ) .

آخرين أشار إليهم السيد عبدالله الحبشي ولم يبين أسماءهم وذكر أنهم من المناطق المحاذية لتهامة ومن مدينة تعز[1].

**وفي القرن السادس:** اشتهر الصوفي أحمد بن أبي الخير الصياد المتوفى سنة (579 هـ) وقد كان رجلاً عادياً من عوام مدينة زبيد، وعلى أثر رؤيا رآها تحول إلى التصوف، وصحب الشيخ إبراهيم الفشلي الآتي ذكره في القرن السابع، قال الشرجي بعد ذكر الرؤيا:(ومنذ ذلك الوقت أخذ يترقى في درجات التصوف) [2].

قلت: ثم اشتهر أمره، وتجمع حوله المريدون وسجلت له الكرامات،ونقلت عنه أقوال ذات قيمة عند أهل التصوف [3]. والملاحظ أنه في هذا القرن بدأت تتكون جماعات التصوف ويلتفّ المريدون حول شيوخهم لا لطلب العلم ولكن لأخذ الفيوضات والبركات وسلوك ذلك الطريق المبتدع، وليس هذا خاصاً بالصياد وحده بل قبله كان لشيخه إبراهيم الفشلي، الذي سيأتي الحديث عنه في القرن السابع.

**القرن السابع**: هذا القرن هو في الحقيقة قرن التصوف ففيه نبتت وترعرعت البذور التي بذرت في القرون الماضية وشهد تحولات كبيرة منها:

1)دخول مدرسة ابن عربي - مدرسة وحدة الوجود - إلى اليمن وكان ذلك على يد رجل غامض مشبوه يقال له "المقدسي"، لا يعرف اسمه الحقيقي ولا شيء من ترجمته [4]؛ وذلك لشدة حنق الفقهاء وأهل العلم عليه وهجره، بل ومحاولة قتله في قصة طويلة عجيبة تدخّل على إثرها السلطان وزجر الفقهاء وتوعدهم أشد الوعيد إن هم تعرضوا له ولأصحابه [5]، ولكن هذا الرجل لم يمت إلا وقد غرس تلك النبتة الخبيثة في اليمن، وقد قرر العلامة الأهدل أنه أول من قدم بكتب ابن عربي إلى اليمن. [6]

---

[1] الصوفية والفقهاء في اليمن ص( 12 ) تأليف عبدالله بن محمد الحبشي توزيع مكتبة الجيل الجديد صنعاء (1396-1976).

[2] طبقات الخواص ص ( 64-69 ) .

[3] المصدر السابق .

[4] قال القاضي إسماعيل الأكوع في كتابه المدارس الإسلامية في اليمن طبع مؤسسة الرسالة بيروت مكتبة الجيل الجديد صنعاء ط الثانية (1406هـ-1986م ) ص( 83-ـ 84 ): ( لم نعرف اسم المقدسي كاملاً ولا تاريخ قدومه إلى اليمن ولا تاريخ ولادته ووفاته ومكانهما فيما بين أيدينا من المراجع ، ولعل ذلك الإهمال كان مقصوداً من المؤرخين نكاية به وتجاهلاً لعلمه ومعرفته لعلم المنطق ) ،قلت: ليس علمه علم منطق ولكنه الفلسفة الإلحادية .

[5] السلوك ( 2/111- 113 ) .

[6] كشف الغطاء عن حقائق التوحيد وعقائد الموحدين وذكر الأئمة الأشعريين ومن خالفهم من المبتدعة وبيان حال ابن عربي وأتباعه المارقين ص(217)

كما ظهر هـذا القـول كـذلك في هـذا القـرن لـدى أبي الغيث بن جميل الملقب شمس الشموس المتوفى سنة (651هـ) وألَّف في ذلك كتاباً [1]، ولدى معاصره أحمد بن علوان وله في ذلك عـدة كتب منهـا:" البحر المشـكل الغـريب " و" الفتـوح المصـونة والأسـرار المخزونة " و" التوحيد الأعظم [2]".

وقد ذكر مـترجمو الـرجلين أن لهما مكاتبة تشـهد بمـدى ما وصلا إليه من التبجح والـدعوى الـتي عـرف بها أهل تلك النحلـة، قـال الشرحبي في ترجمة أبي الغيث:(وكتب إليه الشـيخ أحمد المـذكور " ابن علوان " مرة من بلده كتاباً يقول فيه: أما بعـد. فإني أخـبرك أني:

جزت الصفوف إلى الحروف إلى الهجا حتى انتهيت مراتب الإبداع

**لا باسـم ليلى أستـعين على السـرى كـلا ولا لبُنى تقل شراعي**

فأجابه الشـيخ أبو الغيث بكتـاب يقـول فيـه: من الفقـير إلى الله تعـــالى أبي الغيث بن جميل غَـــذِيِّ نعمة الله تعـــالى في محل الحضرة، أما بعد فإني أخبرك أني:

**(3) تجلَّى ليَ الاسم القديم باسمه فاشتُقَّــتِ الأسماء من أسمائي**

**وحبانيَ الملك المهيمن وارتضى فالأرض أرضي والسماء سمائي.** [3]

قال الحبشي:(وبهذين الرجلين – أبي الغيث وابن علوان – قـامت مدرسة الفلســفة الصــوفية في اليمن، إلا أن قربهما المباشر من عصر ابن عــربي لم يجعلهما يسـتفيدان من كتاباته الخاصـة، وإنما كان ذلك من خلال المشرب الـذوقي الـذي عُـرِفتْ به تعـاليم هـذه المدرسة، وهم ينهلون جميعاً من الاتجاه الذي سـار عليه أسـلافهم من دعواهم في الحب والقرب وغيره من إشارات الصوفية)[4].

2)في هذا القرن دخلت الطـرق الصـوفية من الخـارج، ونشـأت الطـــرق الصــوفية المحليـــة،وإليك لمحة عن أهم الطـــرق

---

للعلامة الحسين بن عبدالرحمن الأهدل طبع تونس .( 1964م ) .

[1] أنكر العلامة الأهدل أن يكون هـذا الكتـاب للشـيخ أبي الغيث وذلك لأنه أمي ، ولكن الســيد عبدالله الحبشي رد عليه في ذلك وأثبت أن الكتـــاب تـــأليف ابن جميل. انظر : الصوفية والفقهاء ( ص71 – 72 ) .

[2] الصوفية والفقهاء ص( 72 ).

[3] طبقات الخواص ص ( 409 _ 410 ) .

[4] الصوفية والفقهاء ص (73)

الصــوفية الــتي عرفتها اليمن في هــذا القــرن في المطلب التالي.

**المطلب الثــاني: أهم الطــرق الصــوفية الــتي عرفتها اليمن:**

**الطرق الوافدة:**

**1) الطريقة القادرية**: وهي أول وأشــهر الطــرق الصــوفية في اليمن، وقد أعاد الحبشي أول لقاء لليمنـيين بهـذه الطريقة وشيخها إلى سنة (561 هـ)، وهي سنة وفاة الشــيخ الجيلاني - رحمه الله - حيث لقيه اثنـــان من اليمنـــيين في موسم الحج، وهما الشيخ " علي بن عبـدالرحمن الحـداد " والشـيخ "عبدالله الأسدي "، أما الأول فالتقى به صدفة عند الكعبــة، وأما الثـاني فقد سافر خصيصاً للقاء الشيخ عبـدالقادر عنـدما علم بأنه نـاوٍ على الحج تلك السنة، فالتقى به في عرفات. ولم يوضّح ما هو دور الـــرجلين في نشر الطريقة القادرية في اليمن؟ولكن من بين من ذكر أنهم أخـــذوا الطريقة القادرية من صـــوفية اليمن "أحمد بن أبي الجعد "ووفاته ببضع وسـبعين وسـبعمائة [1]،(وأبو بكر بن محمد بن أبي حربـه) وفاته (794هــ) [2] وبهـذا نقطع أن هذه الطريقة دخلت اليمن في القرن السابع وربما قبله بقليل.

2) **الطريقة المَدْيَنِيَّة**:المنسـوبة إلى الصـوفي المغـربي الشهير "شـعيب أبي مـدين التلمسـاني"، وهـذا الصـوفي قد صـــدّر طريقته إلى اليمن عن طريق مكة عـــبر تلميـــذه عبـدالرحمن المقعـد، ولكن المقعد مـات في الطريق فوكل إيصالها إلى رجـلٍ آخر هو "عبدالله الصـالح المغـربي" الـذي وصل إلى تـريم،وإلى من ســماه أبو مــدين ووصــفه الفقيه المقدم- محمد بن علي بـاعلوي- المتـوفى سـنة (653 هــ)، فـــدخل خلسة إليه وهو في حلقة شـــيخه الفقيه "علي بن محمد بـامروان "فغمـزه وأخـذه من بين يـدي شـيخه فأبلغه الرسالة وحكّمه وألبسه لباس الصوفية، فعاد إلى شيخه وهو كذلك فغضب عليه شيخه وزجره وظل مقاطعاً له حتى مات "رحمه الله "، ثم ذهب إلى قيـدون فلقي الشـيخ "سـعيد بن عيسى العمـودي" المتـوفى سـنة (671 هــ) فحكّمه كـذلك وأدخله في عداد الصوفية،ولقي في دوعن كـذلك " بـاعمر " صـاحب عُــورَة وألحقه بالجماعــة، ثم توجه إلى ميفعة ولقي الشيخ عبدالله بـاحمران فحكّمه كـذلك وألحقه بهم، واسـتقر

---

[1] طبقات الخواص ص ( 72 – 74 ) .
[2] الطبقات الخواص ص ( 380 – 381 ) .

في ميفعة حــتى مــات، وعند موته قسم تركته بين تلاميــذه وأشار إليهم بأن هناك علامة على من يكون شــيخهم وهو أن يقع من نصــيبه السـبحة فـوقعت من نصـيب الفقيه المقـدم، وبذلك أصبح شيخ صوفية حضرموت وشـيخ الطريقة المدينية بها، وعند وفاته نصّب زوجته أم المســاكين في منصب شــيخ الصوفية بحضرموت [1].

3) **الطريقة الرفاعية:** المنســوبة إلى أحمد بن علي الرفـاعي المتوفى (578هــ)، وقد دخلت اليمن على يد عمر بن عبـدالرحمن

---

[1] انظر : قصة إرسال أبي مدين إلى حضرموت في( الجـوهر الشـفاف في ذكر فضـائل ومنــاقب وكرامــات الســادة الأشــراف) تــأليف عبد الــرحمن الخطيب الأنصاري وهو مخطـوط ، ولـدي نسخة مصـورة منه ( 1/81ـ 82 ) في الحكاية السابعة والعشرين وفي المشـرع الـروي ( 2/ـ 4-5 ) ،وحـتى لا يظن أحـدٌ أنـني بالغت في تعبيري أو طعنت في ( عبد الله الصالح المغربي – ومرسله أبي مــدين – أو في الفقيه المقــدم ) ، أســوق قصـــتهم بحروفها من الجـــوهر الشـــفاف لعبدالرحمن الخطيب حيث قال : ( الحكاية السابعة والعشـرون: روى المشـايخ  أنه قيل لشــيخ شــيوخنا الشــيخ الفقيه محمد بن علي  :إنه لا يفك قفل قلبك إلا الشــيخ عبــدالرحمن المقعد ،وكـان الشــيخ عبــدالرحمن المقعد  إذ ذاك بمكة -حرسها الله تعالى- فسـار الفقيه شـيخ شـيوخنا = = قاصـداً نحـوه ، فلما بلغ أثناء الطريق أخبر بوفاته فرجع إلى بلده ،وكان الشيخ عبدالرحمن المـذكور  من كبار تلامذة الشيخ الكبير خاص الخواص أبي مدين  ، وكان شيخه أبو مــدين  قد أمره بالسفر إلى حضرموت ، وقال له: إن لنا فيها أصـحاب سر إليهم وخذ عليهم عقد الحكم ولبس الخرقة أو كما قال ، و قـال له : ولكنك لاتصل إليهم بل تمـوت في أثنـاء الطريق ونرسل إليهم من يأخذ عليهم ذاك ، فسـار الشـيخ عبـدالرحمن طالباً حضرموت ، فلما بلغ في أثناء الطريق حضرته الوفاة فأحضر تلميذه الشيخ الكبــير العــارف بالله تعــالى عبدالله الصــالح المغــربي - و كــان من أولاد ملــوك المغرب فآثر سلوك هذه الطريقة ففتح له وكان من كبار تلامذته ولهما الكرامات الخارقة والإشارات المفيدة الفائقة - وأمره بالمسير إلى حضـرموت وقـال له ما قال له الشـيخ أبو مـدين  ، وفي رواية أنه قـال له أيضـاً : اذهب إلى حضـرموت تجد فيها الفقيه محمد بن علي أبو علــوي عند الفقيه علي بن أحمد أبي مــروان يستقي يعني يأخذ منه العلم ، طارح سلاحه فوق رجليه ، فــاغمزْه من عند الفقيه وحكّمْه، واذهبْ إلى قيدون تجدْ فيها الشيخ سعيد بن عيسى فحكّمْه ، قال الشيخ عبدالله : فلما وصـلت إلى تـريم وجـدت الفقيه محمد بن علي كما قــال الشــيخ عبــدالرحمن فغمزته وحكّمته - و ما شــاور أبا مــروان - فلما رجع إليه وفي رأسه الخرقة اغتــاظ عليه وقـال له : رجونـاك إمامــاً مثل ابن فـورك فـتركت صـحبتنا ورجعت إلى زي الصــوفية أو كما قــال ، فقــال له الفقيه محمد بن علي  : الفقر خـير 0وهجـره أبو مـروان إلى أن تـوفي وسـتأتي حكايتهما في ذلك إن شـاء الله تعــالى ، فســار الشــيخ عبدالله فلما وصل إلى حضـرموت اجتمع بشـيخ شـيوخنا الفقيه محمد بن علي  وقــال له الشــيخ عبدالله : أي لؤلــؤة عجمــاء لو ثقبت ، فقال الشيخ محمد ، وما الثقب قال :التحكيم ، فانخلع الشــيخ محمد عما هو عليه من زي الفقهاء وترك صحبتهم ،وتحكم للشــيخ عبدالله ولبس منه الخرقة ، وأقبل على الله تعالى في السر والعلانية ورغب في صحبة الصوفية ، قــالوا ودعا لذريته

بن حسان القدسي المتوفى سنة (688هـ) وكـان الشـيخ قد أدرك أحد أحفاد الشيخ أحمد الرفاعي وهو نجم الـدين الأخضـر،فأخذ عنه الخرقة الرفاعيـة، وتـربى بين يديه تربية صـوفية، فلما اسـتكمل الشيخ تعليمه أمره أن يدخل اليمن وينشر الخرقة الرفاعية هنالـك، وفي اليمن اجتمع القدسي ببعض من صـوفيتها أمثـال الشـيخ عمر بن سعيد الهمداني وغيره، ويقول الشرجي: أنه (تنقل بعد ذلك إلى عـدة أمـاكن في اليمن وابتـنى عـدة ربط بعد أن شـهر الخرقة الرفاعية، وانتشرت عنه انتشاراً كلياً لاسيما في مخلاف جعفر) [1].

4) **الطريقة الشاذلية**: نسـبة إلى الشـيخ أبي الحسن علي بن عبد الله الشـاذلي المتـوفى سـنة (656هـ)، وقد انتقلتْ هـذه الطريقة إلى اليمن على يد الشـيخ علي بن عمر بن دعسـين الشاذلي الذي كان من أوائل المؤسسين في اليمن [2].

5) **الطريقة السهروردية**: نسـبة إلى الشـيخ عمر بن محمد السهروردي المتوفى سـنة (631هـ) ذكرها العيـدروس في الجـزء

---

عند ذلك بثلاث دعـوات ( الأولى ) بـذل النفـوس ولا يعـودون إلى العمومية أي لا يزالـون على زي الفقـراء ( الثانية ) أن لا يسـلط الله تعـالى عليهم ظالمـاً يؤذيهم ( الثالثة ) أن لا يموت أحد منهم إلا وهو مستور في دنياه - أي لا تكـون به حاجة تضر بدينه - قـالوا : فقبلهن الله تعـالى ، فما يمـوت أحد منهم إلا وهو بتلك الصفة ، ولم يسلط الله تعالى عليهم بعد ذلك ظالماً أبداً ببركة دعوة الشـيخ لهم  ) . الجوهر الشفاف (1/81-83 ).

وكذلك قال الشلي في المشرع : ( فلما رآه شيخه علي بامروان تغير عما كـان قال له: أذهبْتَ نورك وقد رجونا أن تكون كـابن فـورك واخـترتَ طريق التصـوف والفقر وقد كنت على المقدار والقدر ، فقـال الأسـتاذ : الفقر فخـري وبه أفتخر ، وبه على النفس والشـيطان أنتصر ، ولا أتباعد عنكم إعراضـاً ، ولا تبـدلت بكم معتاضـاً 0 وهجـره الفقيه وظن أن يفيد فيه الهجر ، ورأى أنه أعظم من الزجر ، واستمر مهاجراً له إلى أن مـات0 ) المشـرع الـروي ( 1 /2-ـ 5 )ـ ، وفي هجر الإمـام بـامروان للفقيه المقـدم دليل على أن أهل حضـرموت كـانوا على منهج الكتـاب والسـنة ، وأنهم لم يعرفـوا ذلك الانحـراف الصـوفي إلى أن قـدم ذلك المغربي بالتصـوف وأخـذه عنه الفقيه المقـدم ، ولكن منذ ذلك التـاريخ اسـتفحل الشر وانحـرف الأكـثر بتـأثير ذلك الفقيه وأتباعه من أبنائه وفقرائه واللائـذين بهم ممن ينسـبون إلى الفقه والعلم ، بعد أن ضـعف الفقه وقل العلم ، ومـازال التصـوف يفشو والعلم ينقص حـتى أظلم الكـون ، وعم الانحـراف ، وظهـرت الدعاوى والرسوم ، وزالت الحقائق ، وأصبح من النادر وجود فقيه متضلع مـدرك للأدلة ومذاهب العلماء قادر على الترجيح والاختيـار ، أما علم التفسـير والحـديث فلم يبق لهما أثر ، وسيأتي في الباب الثاني مزيد بيان لهذه القضية .

[1] طبقات الخواص ص ( 245 ) والصوفية والفقهاء ص ( 36 ) 0

[2] انظر الصوفية والفقهاء ص ( 35 )

اللطيف وذكر أن من أتباعها في اليمن إسماعيل الجبرتي والعلـوي .[1]

**<u>الطرق المحلية</u>**: أهم الطرق المحلية التي نشأت في هذا القرن:

1) **الطريقة العلويــة:** المنســوبة إلى الفقيه محمد بن علي باعلوي المشهور بالفقيه المقدم الذي سبق ذكره آنفاً في الطريقة المدينية.

2) **الطريقة الأهدلية**: نسـبة إلى الشـيخ علي بن عمر الأهـدل المتـوفى سـنة نيف وسـتمائة، وهو أخـذها في الأصل عن رجل من أصـحاب الشـيخ عبـدالقادر الجيلاني يسـمى الأحـوري وقد (كـثر أصحابه وأتباعه وتخرج به جماعة ممن شهر، وذكر منهم الشـيخ أبو الغيث بن جميل وأحمد بن أبي الجعد) [2].

3) **الطريقة العلوانية**: نسبة إلى الشيخ أحمد بن علوان صاحب يَفْرس [3].

<u>السماع الصوفي</u>**:**

وفي هذا القـرن " السـابع " فشى وانتشر السـماع الصـوفي، وهو إنشاد الأشـعار في المسـاجد ومـواطن العبـادة بقصد التقـرب إلى الله تعالى، واعتبار ذلك من ضمن الوسائل التي تقرب إليه وتـزكّي النفس وتسمو بالروح، سواء حصل معها عزف بالمعازف المعروفة كالــدفّ والشــبَّابة ونحوها أو لم يحصــل، وفي كثــير من الأحيــان يصـحب ذلك رقص وتمايل وطـرب زائـد، وربما وصل إلى السـكر والإغماء وفقدان الشعور، وكل ذلك تُعطى له المســوّغات، ويُؤصل له بما يظهره وكأنه من أعظم القرب وأفضل الشـعائر في العـرف الصـوفي، وكـان من روّاده في هـذا القـرن، الشـيخ أبو الغيث بن جميـــل، والشـــيخ أحمد ابن علـــوان،والشـــيخ محمد بن أبي بكر العـواجي، والشـيخ محمد بن عيسى الـزيلعي [4]، والشـيخ سـفيان الأبيني وغيرهم [5] وسيأتي مزيد من الحديث عن السماع في البــاب الثاني إن شاء الله.

---

[1] انظر الجزء اللطيف ص ( 23 ) ضمن المجموعة العيدروسية .

[2] طبقات الخواص ص( 195 – 198 ) .

[3] مقدمة كتاب الفتوح للشيخ أحمد بن علوان تحقيق عبد العزيز سلطان طاهر المنصوب طبع دار الفكر المعاصر ط الأولى (1416هـ - 1995م ) بيروت لبنان .

[4] الصوفية والفقهاء ص (32) .

[5] طبقات الخواص ص( 147 ) .

الشطح الصوفي:

تعريف الشطح:

عرَّفه المناوي بقوله: (كلام يعبِّر عنه اللسان مقرون بالدعوى، ولا يرتضـــيه أهل الطريق من قائله وإن كـــان محقــاً) [1]، وفي قوله لا يرتضـــيه أهل الطريق نظـــر؛ لأن الواقع أن أعظم من يعتـــبرهم الصــــوفية أهل الطريقة أو أهل الحقيقة هم أهل الشـــطح بل المبــالغون فيــه، بل في كثــير من الأحيــان نجد أعظمهم شــطحاً أرفعهم رتبــــة، ثم كيف لا يرتضـــونه وهم ينقلونه عن أولئك الشــاطحين باعتبــاره من جــواهر كلامهم ودرر ألفــاظهم وخــوارق كراماتهم، بل ربما أثبتوا به بعض ما يقررون من القضايا 0

لاشكَّ أنهم يرتضونه وإنما يتظاهرون أمام الآخرين بعـدم ارتضـائه أو بتأويله.

وكذلك قوله (وإن كـان محقـاً) الغـالب في الـدعاوى والشـطح ألا يكون محقاً، ومن تتبع تلك الشطحات عرف ذلـك، والحق في هـذه القضـية أن أقصى ما يمكن فعله هو التمــاس العــذر للشــاطح بأنه قال ذلك في حال سُكْر وغيبـوبة، ومن كان هذا شأنه فإنه جدير أن يدرج في طبقات المجانين لا في طبقات الأولياء.

وقد نُقِل شطح كثير عن صوفية هذا القرن كان كالمدخل لأصحاب الـــدعاوى والبـــاحثين عن الشـــهرة والمنزلة عند عـــوام النـــاس، يتوســعون فيه ما شاء لهم هــواهم واســتخفافهم بحــدود الشــرع وعظمة الحق وعقول الخلق.

ومن الصــوفية الــذين ســجّلوا الســبق في الشــطح من أهل هــذا القرن أحمد بن علوان، وأبو الغيث بن جميل في قصتهما الشــهيرة ومفاخرتهما التي ساقها معظم من تــرجمَ لهما وقد ســبق ذكرهــا.[2] والفقيه المقــدم محمد بن علي بــاعلوي وهو من أعظمهم في ذلك [3]. والشيخ أحمد بن أبي الجعد الأبيني.[4]

انتشار التصوف في عموم اليمـن:

وفي هذا القرن انتشر التصـوف في عمـوم منـاطق اليمن، وظهر في كل منطقة قطب من أقطــابهم الــذين لا يــزال تــأثيرهم وتعلق الناس بهم قائماً إلى اليوم، وأكثر المناطق قبولاً للتصوف في هذه

---

[1] التوقيف على مهمات التعاريف ص ( 429 _ 430 )

[2] انظر (ص 222 ).

[3] انظر بعضاً من شطحه في : الجوهر الشفاف ( 1/ 35 ) وما بعدها والغرر ص ( 147 ) والمشرع (2/9 ) .

[4] مرآة الجنان (4/ 349 – 350 ) .

الفترة تهامة، فقد ظهر في شمالها صاحبا عواجه محمد بن حسين البجلي (621 هـ) [1]، ومحمد بن أبي بكر الحكمي (617هـ) [2] وفي المراوعة ظهر علي بن عمر الأهدل (نيف وستمائة) [3] وفي بيت عطاء أبو الغيث بن جميل (651 هـ) [4]، وفي بيت الفقيه أحمد بن موسى بن عجيل (696) [5]، وفي التريبة قرب زبيد عيسى بن إقبال الهتار (606هـ) [6]، فهؤلاء ستة من كبار الصوفية كلهم من تهامة، وفي محافظة تعز أحمد بن علوان (655 هـ) [7]، وفي لحج سفيان بن عبدالله الأبيني (وفاته القرن السابع) [8]، وفي أبين أحمد بن أبي الجعد الأبيني (690 هـ) [9]، وفي عدن جوهر بن عبدالله الصوفي سنة (616هـ) [10]، وفي محافظة شبوة محمد بن عبدالله بامعبد كان حياً سنة (680هـ) [11]، وفي حضرموت –دوعن- سعيد بن عيسى العمودي (671) [12] وفي تريم الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي (653هـ) [13]، ورغم عدم الاستقصاء فإنك ترى أن معظم ديار الشافعية في اليمن قد عمَّها التصوف في هذا القرن.

<u>أثر الدولة الرسوليَّة في ترسيخ التصوف وتقويته في اليمن:</u>

في هذا القرن كانت الدولة الرسولية في أوج قوتها وعنفوان شبابها، وكان سلاطينها يدينون بالولاء التام للصوفية؛لأن الصوفية قد اتخذوا عندهم أيادي جليلة، من أهمها بشاراتهم بالملك واستمراره في أعقابهم،فجدهم عمر بن علي بن رسول بشَّرَه جماعة من الصوفية بالملك وقوَّوا عزمه عليه [14]. وكذلك بشَّرَ إبراهيمُ الفشلي الملكَ المظفر باستمرار الملك في ذريته حينما

---

[1] انظر ترجمته في طبقات الخواص ص ( 267 ) .

[2] انظر ترجمته في المصدر السابق ص ( 264 ) .

[3] انظر ترجمته في المصدر السابق ص ( 195 ) .

[4] انظر ترجمته في المصدر السابق ص ( 406 ) .

[5] انظر ترجمته في المصدر السابق ص ( 75 ) ، ومرآة الجنان ( 4/395 ) .

[6] انظر ترجمته في المصدر السابق ص ( 249 ) ، و ومرآة الجنان ( 4/458 )

[7] انظر ترجمته في المصدر السابق ص (69 ) ، ومرآة الجنان ( 4/357 )

[8] انظر ترجمته في المصدر السابق ص (146 ) ، ومرآة الجنان ( 4/348 ) .

[9] انظر ترجمته في المصدر السابق ص ( 72 ) ، ومرآة الجنان ( 4/371 ) .

[10] انظر ترجمته في المصدر السابق ص ( 120 ) ومرآة الجنان ( 4/347 ) .

[11] إدام القوت أو معجم بلدان حضرموت للسيد عبدا لرحمن بن عبيد الله السقاف منشور في مجلة العرب العدد (15) .

[12] القول المختار فيما لآل العمودي من الأخبار جمعَه عبدالله أحمد الناخبي مخطوط مصور لديَّ .

[13] الغرر ص ( 145 ) وما بعدها والمشرع ( 2/2 ) وما بعدها .

[14] انظر العقود اللؤلؤية ( 1/ 52 ) .

نازعه إخوانه على ذلك [1]. وبهذا حصل الاعتقـاد التـام في الصـوفية لدى ملوك وأمراء بل وساء قصور بني رسول، وبذلك مكّنَتْ الدولة الرسولية للصوفية تمكيناً تاماً ، فما من اعـتراض من الفقهـاء على الصـوفية إلاَّ ويقمعه ملـوك بـني رسـول، وما من انحـراف يحدثه الصـوفية إلا ويتأوّلونه لهم، وانظر على سـبيل المثـال قصة الـنزاع بين الفقهاء وبين أصحاب وحدة الوجود،والتي شرحَها وبيَّنَ مراحلها وأحداثها الأستاذ عبدالله الحبشي في كتابه " الصوفية والفقهاء في اليمن " [2].

هكذا تكامل نشر الصـوفية ورسـخت جـذورها بل وبسـقتْ وتمتْ فروعهاوآتتْ ثمارها في هذا القرن، وواصـلت التطـور والتوسع في القرون اللاحقة [3].

قبورية الصوفية:

سبق الحديث عن نشأة المشاهد وبناء المسـاجد على القبـور في اليمن، وأنها كـانت على يد الدولة الصـليحية الباطنيـة، وعلى أيـدي السلاطين وبـالأخص الأيوبـيين والرسـوليين ومن جـاء بعـدهم ومن عاصـرهم من أئمة الزيديـة، ولم يسـجل في ذلك الـوقت مشـاهد خاصة بالصـوفية، ومما يؤكد أنه لم يكن للصـوفية مشـاهد وقبـور شـهيرة - يقصـدها النـاس للتـبرك بها وعَمَـلِ ما يعمله الصـوفية المتأخرون عند قبور أوليائهم - خلـوُّ طبقـاتِ فقهـاء اليمن للجعـدي من ذلك تقريباً، وقد كـان فراغه منه في آخر القـرن السـادس في عام (586هـ) [4]، بينما نجد البهـاء الجنـدي قد شـحن كتابه السـلوك بذلك، وأكثَرَ من ذكر القبور الـتي تـزار ويتـبرك بها [5]، وإن لم يـذكر أن عليها مشـاهد إلا نـادراً [6]، حـتى أن القاضي الأكـوع في مقدمته للسلوك تبرَّم من ذلـك، وأنكـرَه وسـجَّل كلمة قيمة وملاحظة طيبة عليه.

---

[1] الصوفية والفقهاء ص ( 47 ) .

[2] المصدر السابق من ص ( 85 ) إلى آخر الكتاب .

[3] انظر الفصل الرابع عشر من كتـاب " التصـوف في تهامة " ص ( 117 ) وما بعدها تأليف محمد بن أحمد العقيلي ، الطبعة الثانية بدون تاريخ ولا دار طبع .

[4] مقدمة الكتاب ص ( ل ) .

[5] انظر الجزء الأول الصفحات ( 356 ) و ( 392 و 393 ) و ( 423 ) و ( 455 ) و ( 462 ) ، والجزء الثاني ( 60 و 61 ) و ( 62 ) و ( 65 ) و ( 82 ) و ( 117 ) و ( 182 ) و ( 183 ) و ( 188 ) و ( 230 ) و ( 234 ) و ( 242 ) و ( 261 ) و ( 447 ) و ( 457 ) و ( 458 ) .

[6] انظر : أمثلة ممن أقيم عليه مشهد أو فيه تابوت أو بني على قـبره مسـجد أو دفن في مسجد في الجزء الثاني ص (263 ) و ( 426 ) و ( 485 ) .

بداية الزيارات الحولية:

وفي تـراجم رجـال هـذا القـرن تُطالِعُك الزيـارات الحولية وغـير الحولية للقبور وبعض الأماكن الأخـرى، ففي ترجمة محمد بن ظفر الشميري قال الجندي: (وبلغتُ تربته قاصـداً زيارتـه،وأقمت عنـدها أيامـــاً، وهو بمســـجد وإلى جنبه امرأتـــه، وببركته مـــازالت قريته محترمة ما قصـدها أحد بسـوء إلا خذله اللـه، ولم أجد بتلك الناحية مزاراً أكثر من تربته قصداً للزيارة وقضاء الحوائج الـتي تطلب من الله، وكثرة النـذور لهـا، وفي ليلة الرغـائب من رجب يجتمع عنـدها خلق ناشر) [1].

كما يطالعك في هذا القرن بدايةُ اتخاذ اجتماعٍ موسميٍّ لزيارة قبر نبي الله هود على يد الشيخ عبد الله باعباد المعروف بــ" القـديم " وذلك بعد جذاذ النخل وتعبئة التمر، وليس على الأشهر القمرية [2]0

وذكر اليـافعي قصة زيـارة الشـيخ أحمد بن أبي الجعد وأصـحابه والشيخ سعيد بن عيسى العمـودي وأصـحابه لقـبر نـبي الله هـود  وما جــرى بينهما مما سـيأتي في البـاب الثـاني [3]، كما ذكر زيـارة الكثيب الأبيض بأبين، ويقال في ذلك المكان قبور بعض الصـالحين، وهو كثيب يزوره أهل تلك البلاد وما حولها من البلدان في كل سنة في وقت معلــــوم في رجب [4]، وفيه ذكر مؤرخو حضــــرموت أن الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي كان يزور قبر نبي الله هـود  [5].

وهكـذا في هـذا القـرن تكـاملت فصـول الصـوفية وظهر معظم مقوماتها وعرف أبرز رجالها ثم فشت وترسخت أكـثر وأكـثر حـتى يومنا هذا.

---

[1] السلوك (2/263) و الرغائب : هي الصلاة المبتدعة التي تُصلى في ليلة أول خميس من شهر رجب ، وقوله" خلق ناشر " أي كثير.

[2] انظر : تاريخ حضرموت (1/69) 0

[3] انظر ص ( 237 ).

[4] مرآة الجنان ( 4/ 352-354 ) .

[5] انظر : الفرائد في قيد الأوابد للعلامة عبد الله بن حسن بلفقيه ص ( 25 ) .

# البــاب الثــــاني
# آثار القبورية
## ويشتمل على مدخل وأربعة فصول
## المدخل
## وفيه بيان نشأة العقائد الضالة عن الغلو في الصالحين
# الفصـــــــل الأول
## عقائد القبورية الضالة
## وفيه ثلاثة مباحث

**المبحث الأول: عقيدة القطبية والتصرف في الكون.**

**المبحث الثــاني: عقيــدة الرجعة وإمكــان الاجتمــاع بالنبي  يقظة.**

**المبحث الثالث: الاعتقاد بحياة الخضر واللقاء به.**

## الـمــدخــــ

سـبق في البـاب التمهيـدي تعريف القبورية وأنها**(طائفة غلت في أصحاب القبور واعتقدت فيهم عقائد ضـالة، حملتها على تعظيم قبورهم وآثارهم،والتقرب إليهم بأنواع مـن العبادات حتى صيّرتهم أنداداً لله تعالى)**.

فهــذه الطائفة أهم سماتها الغلو وهو مجــاوزة الحد في هــؤلاء النـاس الـذين زَعَمَتْهُم أوليـاء لله تعـالى،مما نتج عنه عقائد ضـالة، بعض هذه العقائد شـرك وبعضـها دون ذلـك،وبنـاءً على تلك العقائد نشأ تعظيم القبـور والآثــار المنســوبة إلى أولئك الأوليــاء، وبهــذا التعظيم غرست بذور من بذور القبورية في نفـوس هـؤلاء القبورية ومقلــديهم من العــوام، مثل المحبة والخــوف المتجـاوزَيْن حــدود الطبيعة الـذَين أوجبا التـذلل والانكسـار أمـام هـؤلاء الأوليـاء أحيـاءً وأمواتــاً، وحملا على التقــرب إليهم بما لا يُتقــرب به إلا إلى الله سبحانه من النذر والذبح والطلب منهم ما لا يجوز طلبه إلاّ من الله تعـالى وهو الـدعاء، وبنـاءً على كل ذلك نشـأت في الأمة أمـراض فتاكة مثل الســحر والكهانة والــدجل والخرافة والتمــايز الطبقي وتجهيل الأمة.

من هذا المنطلق سيكون تناولي لآثار القبورية، وهناك آثـار كثـيرة لن أتكلم عنها لضــعف أو خفــاء ارتباطها بالقبورية الــتي حــددتُ معالمها في هذا التعريف، والـتي قد يكـون لها بـواعث أخـرى غـير الغلو في أصــحاب القبــور،ومن أمثلة ذلك عقيــدة وحــدة الوجــود وإضاعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند الصوفية والســماع الصــوفي، فهــذه الثلاثة النمــاذج وغيرها قد يتطلع القــارئ لبحثها ودراســتها ولكنــني لن أخــوض فيها لخروجها عما رســمته وحددته لنفسي، ولضيق المساحة المحددة لهذا البحث.

# الفـصــل الأول
# عقائد القبورية الضالة
## وفيه ثلاثة مباحث:
## المبحث الأول: عقيدة القطبية والتصرف في الكون
## وفيه أربعة مطالب

**المطلب الأول: تعريف القطب:**

قـال الجرجـاني في تعريف القطب: (وقد يسـمى غوثـاً باعتبـار التجـاء الملهـوف إليه وهو عبـارة عن الواحد الـذي هو موضع نظر الله في كل زمان، أعطـاه الطلسم الأعظم من لدنـه، وهو يسـري في الكـون وأعيانه الباطنة والظـاهرة سـريان الـروح في الجسـد، بيـــده قســـطاس الفيض الأعم, وزنه يتبع علمـــه، وعلمه يتبع علم الحـق،وعلم الحق يتبع الماهيـات الغـير المجعولـة، فهو يفيض روح الحياة على الكـون الأعلى والأسـفل، وهو على قلب إسـرافيل من حيث حصـته الملكية الحاملة مـادة الحيـاة والإحسـاس لا من حيث إنســـانيته، وحكم جبرائيل فيه كحكم النفس الناطقة في النشـــأة الإنســـانية، وحكم ميكائيل فيه كحكم القـــوة الجاذبة فيهـــا، وحكم عزرائيل فيه كحكم القوة الدافعة فيها).[1]

هـذا هو القطب، وهو مـأخوذ عن الإسـماعيلية كما سـبق عن ابن خلدون[2]، والإسماعيلية أخذته عن الفلاسـفة، وما النفس الناطقة إلا إحدى مراتب الألوهية عند الفلاسفة.

**المطلب الثـاني: اعتمـاد ما تقـرر من تعريف القطب عند قبورية اليمن:**

ما اشـتمل عليه تعريف القطب السـابق هو ما اعتقـده صـوفية اليمن ودانوا بـــه، يقـــول اليـــافعي[3] بعد أن ذكر حـــديث الأبـــدال

---

[1] التعريفات ص ( 177 – 178 ) .

[2] هو المـؤرخ المشـهور وواضع علم الاجتمـاع عبد الـرحمن بن محمد بن خلـدون الحضرمي الاشـبيلي تـوفي سـنة ( 808هــ ) اشـتهر بالتـاريخ الـذي سـماه العـبر وديوان المبتدئ والخبر ومقدمته التي تعد من أصول علم الاجتمـاع ، تـرجم نفسه في آخر التاريخ وترجمه الكثير من الباحثين ، انظر ترجمته في أخر كتـاب التـاريخ ( 7/365 ) وما بعـده ، والضـوء اللامع للسـخاوي ( 4/145 ) ، الأعلام للزركلي ( 3/330 ) ،انظر : مقدمة التاريخ طبعه دار إحياء التراث العربي .

[3] عبد الله بن أسعد اليافعي تـوفي سـنة ( 786هــ ) أحد أقطـاب صـوفية اليمن فقيه مـؤرخ صـاحب كتـاب روض الريـاحين في ذكر حكايـات الأوليـاء والصـالحين ومرآة الجنان في التاريخ،انظر : طبقات الخواص ص ( 162 ) ، البدر الطـالع (

الموضـوع: ((وله واحد قلبه على قلب إسـرافيل)). قـال: (والواحد المـذكور في هـذا الحـديث هو القطب، وهو الغـوث ومكانته من الأوليـاء كالنقطة من الـدائرة الـتي هي مركزها به يقع صـلاح العالم)[1].

وقـال الحـداد: (والقطب الغـوث هـو: إمـام الأوليـاء أهل الـدائرة والتصريف، وهم المعدودون في الأخبار والآثار الواردة فيهم). [2]

وتلك الصـفات الـتي يتحلى بها القطب قد أسـبغها قبورية اليمن على أوليـائهم، وبهـذا وصف الشـيخ علي الأهـدل صـاحبي عواجة البجلي والحكمي فقـال أثنـاء حكاية سـاقها الشـرجي عن اليـافعي في بعض مصـنفاته: (يا أبا الغيث هـذان في مقـام التولية والعـزل، يوليان ويعـزلان ويميتـان ويحييـان بـإذن الله تعـالى وسـوف أرثهما وترثني أنت) [3].

وبذلك وصف محمد بن أحمد باجرفيل الدوعني أبابكر العيـدروس حينما استفسره محمد بن عمر بحرق عن تصـرفات مالية تصـرفها العيـدروس على غـير الوجه الشـرعي فقـال: (أنا أشـهد أنه أمـير المؤمـنين المالك للتولية والعـزل والحل والعقد والتصـرفات كلهـا، وأشهد أنه أفضل أهل الأرض ظاهراً وباطناً) [4].

ووُصف بها الشـيخ عبـدالرحمن السـقاف، قـال عبـدالرحمن الخطيب: (الحكاية السـابعة والثلاثـون بعد الثلاثمائة وهي السادسة والتسعون من مناقب السـقاف  عن عبـدالرحيم بن علي الخطيب -رحمه الله تعـالى - قـال:كنت يومـاً في مجلس شـيخنا الشـيخ عبدالرحمن - رضي الله تعالى عنه - فتكلم الشـيخ في الشـيخ أبي الغيث بن جميل اليمني [5] ثم قال في أثنـاء مدحـه:أتى فقهـاء اليمن إلى الشيخ أبي الغيث وقالوا له: يا أبا الغيث ما عرفنا إيش مـذهبك أخبرنا إيش مـذهبك أنت شـافعي أم مـالكي أم حنبلي أم حنفي؟ فقال لهم: (لا أنا شافعي ولا مالكي ولا حنبلي ولا حنفي، فقالوا له: (فإيش أنت فقال:جنداري من جنادرة السـلطان،ثم سـكت الشـيخ

---

1/378 ) .

[1] روض الريـاحين في حكايـات الصـالحين ص ( 16 ) تـأليف عبد لله بن أسـعد اليـافعي ، وبذيله عمـدة التحقيق في بشـائر الصـديق للشـيخ إبـراهيم العبيـدي المالكي ، نسخة مصورة بدون تاريخ .

[2] النفائس العلوية في المسـائل الصـوفية ص (148)لعبدالله بن علـوي الحـداد طبع دار الحاوي الطبعة الأولى(1414 هـ -1993 م ).

[3] طبقات الخواص ص ( 266 ) .

[4] مـواهب القـدوس في منـاقب العيـدروس ضـمن المجموعة العيدروسـية ص ( 14 ) .

[5] توفي سنة (651هـ ) انظر هِجَر العلم ( 1/219 ) ، السلوك ( 1/184 ) .

عبدالرحمن - رضي الله تعالى عنه - ساعة ثم همز نفسه ومد يديه في الهواء وقال بـأعلى صـوته: أنا جنـداري من جنـادرة السـلطان، قال عبدالرحيم ثم بعد ذلك بأيـام قلت للشـيخ عبـدالرحمن - رضي الله تعالى عنه -: وما جنداري السلطان، فقـال: ما هـذا معنـاه، هو الـذي يـدخل على السـلطان من غـير إذن ولا عليه حجـاب، ويـأمر وينهى ولا أحد يعارضه فيما يريد، وإذا دخل بلـــداً أو مكانـــاً لم يبق لأحد معه من أهل تلك الـــديار والمكـــــان أمر لا أمـــــير ولا وزير ولاغيرهمـا، بل الأمر أمر الجنـداري والحكم حكمه ما شـاء فعل ولا معقب لأمره ولا مرد له...)[1].

قلت:وقبل هذه الحكاية حكايات أخرى ساقها صاحب الجوهر فيها تأكيد وشـــواهد على ما تضـــمنته هـــذه الحكاية من اعتقـــاد القطبية للسقاف التي تجعله في مقام التصرف التام والتولية والعزل.

وإليك نص حكايـــة منهـــا، وهي الحكاية الخامسة والثلاثـــون بعد الثلاثمائة عن عمر المحضار بن عبـدالرحمن السـقاف[2] قـال: (كنت نائماً أظنه قال في مسجد مدينة رسول الله ﷺ) قـال:فلم أشـعر إلا برجل من الصـالحين قد وكــزني برجله فــرفعت رأسي فقــال: ما أجرأك تنام هنا وبطن أبيك ملانة كرعان [3] [ كم واحد قال سـلبه ثم ولى عني ولم أعرفه فسـأل الشـيخ عمر  عن معـنى قـول الرجل بطن أبيك ملانة كرعــان ][4] فقــال أخذ الخلق كلهم في بطنه يــولي من يشاء ويعزل من يشاء رضي الله تعالى عنه)[5].

وقال أحمد بن حسن العطاس في أثناء حكاية (فقال: إني صاحب الــوقت وأتصــرف في أهله وأنت فلان ابن فلان، وإن كنت تريد أن تنظر إلى بلــدكم تــريم فأدخل رأسك في كمي فبهت من ذلك ولم أفعل، ثم قــال لي: أتريد أن أتصــرف في قلب الباشا بــأن يقــوم؟ وكــان جالســاً في الحــرم فبمجــرد قوله ذلك قــام الباشا وأتباعه وذهبوا خارجين من الحرم، فلما قاربوا الخـروج منه قـال لي: أتريد أن أتصرف فيه بـأن يرجع فيطـوف؟ فبمجـرد ذلك رجع هو وأتباعه وطـــافوا، ثم قـــال لي: أتريد أن أتصـــرف في قلب الشـــريف عبــدالمطلب بــأن يرجع الخمسة الــديواني فتســلك في الســوق

---

[1] الجوهر الشفاف (1/81-82) .

[2] نقيب العلويين في زمانه وأحد أشهر أقطاب حضرموت تـوفي سـنة( 833هــ ) انظر الغرر ص ( 192 ) ، المشرع ( 2/241 ) .

[3] هي قوائم الدابة انظر القاموس مادة كرع ص( 980 ) .

[4] ما بين القوسين من الحاشية معلم عليه أنه ساقط من الأصل .

[5] الجوهر الشفاف ( 2/80 ) .

وتمشي؟ فبمجرد قوله ذلك نادى المنادي بـأعلى صـوته يقـول لكم الشريف عبدالمطلب لايمتنع أحد من الخمسة الديواني).[1]

فانظر إلى هذا الذي إن صـدق النقل عنه فهو سـاحر كيف يـدعي هذه الرتبة من مراتب الأولياء عند الصوفية وأنه يتصـرف حـتى في قلوب الناس ومقاصـدهم ويحملهم على فعل ما يشـاء دون اختيـار منهم، وكيف يقص هذا العالم القدوة من علماء صـوفية حضـرموت لأتباعه ومريديه هـذه القصة مسـلماً بها مريـداً منهم أن يصـدقوها ويعتقدوها، أليس هذا هو التطبيق العملي لعقيدة القوم في القطب الذي مر تعريفه؟

**المطلب الثـالث: التصـرف في الكـون أهم وظـائف القطب:**

اتضح من تعريف القطب بأنه هو المفوَّض من قبل الله تعالى في التصـرف في الكـون،وربما أطلقـوا على مرتبة القطبية (الخلافة العظمى)[2]، والمعـنى: أن يكـون القطب خليفة الله تعـالى في تصريف الكون.

ولمعرفة ما يشمله ذلك التفويض لدى القوم نذكر بعض النصوص من كتبهم تـبين سـعة ذلك التفـويض وشـموليته من حيث الزمـان والمكان ومن حيث الدنيا والآخرة.

نقل السيد علي بن محمد الحبشي[3] -أحد أقطاب حضرموت- على سبيل الإقرار والاستحسان عن عبدالعزيز الدباغ قوله: (إن تصرفي يصل حتى إلى الجنـان، وإن الحـور ما يفعلن شـيئاً إلا بـأمر مـني)، وكـان يقـول لمريـده:(إن كنت تعتقد أن الِبسَّ في جميع أقطـار الأرض يأكل الفـأر بغـير إذن مـني فما أحسـنت الأدب معي)، ثم يعقب الحبشي على ذلك فيقـول: (انظر إلى هـذا الفنـاء العظيم وأين اليوم هذا الاعتقاد) [4].

---

[1] تذكير الناس ص( 216 )

[2] أنظر مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية ( 2/ 619 ).

[3]علي بن محمد الحبشي العلوي الحضرمي صاحب سيؤن ومنشئ ربـاط العلم بها المسمى باسمه "رباط الحبشي " من أشهر علماء زمانه ومـربي جيله تتلمذ عليه الكثير من الطلاب الذين نبغوا وأصبحوا من العلمـاء والأدبـاء غـير أنه مع علمه قد نقل عنه من الخرافـات والهـذيان مـالا مزيد عليه وذلك ما حـواه كتـاب كنـوز السعادة الأبدية في الأنفاس العلية الحبشية كتبه من إملائه تلميذه محسن بن عبد الله السقاف وهو أيضاً صـاحب زيـارة الحـول المشـهورة بحضـرموت تـوفي رحمة الله سنة ( 1312هـ ) انظر تاريخ الشعراء الحضـرميين ( 4/128 ) تـأليف المؤرخ عبدالله بن محمد السقاف الناشر مكتبة المعارف الطبعة الثالثة سـنة ( 1418هـ) الطائف ، ولوامع النور( 1/197 ) .

[4] كنوز السعادة الأبدية ص ( 179 ) الذي قام بطبعه علي بن عيسى الحداد .

فانظر إلى هذه الدعوى التي شملت التصرف في الـدنيا والآخـرة وجميع أقطـار الأرض وجميع العـوالم من عـالم الحـور العين إلى عالم الْبِسَّ والفأر.

وإليك صورة أخرى للتصرف الشامل في الحياة وبعد الموت، قال الشلي: (وقال بعض العارفين: الفقيه المقدم تصرف على المشايخ الـذين تصـرفوا بعد مـوتهم كتصـرفهم في حيـاتهم وهم القطب الرباني الشيخ عبدالقادر الجيلاني والشيخ معروف الكرخي والشيخ عقيل المنبجي وحيوة بن قيس) ثم استشهد على ذلك بهذه الأبيات لمحمد بن علي خـرد باعلوي[1] صاحب الغُرر:

**تـصرّف شيخ في الـوجود معظّمٌ على السادة الأشياخ أهل المعـارف**
**على السيـد الشيخ الفتى عبد قادر ومـعروفٍ الكـرخي منـجٍ لتالف**
**وقيـسٌ عقيل المنبـجيِ وشيخـنا لتصـريفه لا يصرفون الصـارف**
**وتصريفهم فـي كـل شيء محقـق سوى في جمال الدين عين لـواقف [2]**

وتأكيداً لذلك تجـدهم في الحضـرات وبعض الموالد ينشـدون إلى اليوم:

**ربي اسألك باسرار الفقيه المقدم والذي قد حوى التصريف من قبل آدم**

ويقول صاحب شرح العينية: (وكان سيدنا الفقيه من الممكنين في التصريف بعد موتهم، قال المشايخ العارفون: ما صلينا على جنـازة إلا والفقيه محمد بن علي بعد موته يصـلي معنا عليهـا)[3]،فـانظر الشـمول الزمـاني لهـذا التصـريف من الأزل إلى الأبد! بل زاد في الأنموذج اللطيف أن قال بعد ما ذكر صلاته على الأموات بعد موته: (فلا شك أنه ممن صلى على نفسه بنفسه)[4]

---

[1] صاحب غرر البهاء الضوي توفي سنة ( 760هـ ) انظر ترجمته في الغرر ص ( 3-11 ) ، وتاريخ الشعراء الحضرميين ( 1/142 ) .

[2] المشرع الروي ( 2 / 6 - 7 ) ، وقال بعد أبيات ( قوله : وقيس صوابه حيوة ).

[3] شرح العينية ص ( 161 ) نظم عبدالله بن علوي الحداد تأليف العلامة أحمد بن زين الحبشي باعلوي طبع مطبعة كرجاي المحـدودة سـنغافورة ، الطبعة الأولى ( 1407هـ - 1987 م ).

[4] الأنمـوذج اللطيف في منـاقب الغـوث للأسـتاذ الأعظم الفقيه محمد بن علـوي باعلوي دفين تربة تريم ص ( 213 ) مع البرقة المشـيقة للسـيد علي بن أبي بكر السكران طبع في مصر سنة (1347هـ) .

وفي مناقب عبدالرحمن السقاف يقول محمد بن علي خرد: (ومنها ما روي عن السيد عبدالرحمن بن علوي بن محمد بن الشيخ المذكور، قال كنت في عدن، وقد أصابني في عيني وجع، ولقيت الفقيه العالم القاضي محمد بن سعيد كبن، وأريته إياها وكان عارفاً بعلم الطب، وقيل،إنه كان يعرف اثني عشر علماً سوى العلوم المتداولة بين الناس معرفتها، ما يسأله أحد عن شيء منها، وقلت له يافقيه: أعطني لها دواء، فلما نظرها قال: (هذا مرض تسميه الأطباء الماء الأخضر وليس عندنا دواء حتى يكمل عماؤها، وإن أردت لها دواءاً قبل ذلك دللناك عليه فقلت: ما هو؟ فقال: اقصد جدك الشيخ عبدالرحمن، وقل له: يسلم عليك محمد بن سعيد كبن، وقل له: في عيني وجع أريدك تزيله بإذن الله فإنه يزول، فقلت له: تحولني على ميت؟ فنهض من مقعده وارتعش، ثم قال: والله،ثم والله ثم والله، إني أعتقد في الشيخ المذكور أنه يتصرف في مماته، كتصرفه في حياته،وأنه انتقل إلى الآخرة ولم تنتقل دولته، وفي رواية عن الفقيه الولي الصالح الشيخ سهل بن عبدالله باقشير،ما أخبرني عنه السيد شيخ بن عبدالله بن الشيخ عبدالرحمن، قال: لما رأى الفقيه عين عبدالرحمن رآها عمياء لكتيبة حصلت فيها هذا من أمر القدرة ما يزيل أمر القدرة إلا أهل القدرة، وجدك من أهل القدرة فأحاله عليه،فقال عبدالرحمن: ثم بعد مدة رأيت الشيخ في المنام على سرير فقلت له: إن الفقيه ابن كبن قال لي إنك تتصرف بعد وفاتك كتصرفك في حياتك، فأخذ بإذني وقال لي: (أنا ابن محمد بن علي، ما تصدق إلا إن قال: لك ابن كبن؟ أنا كذلك وأزْيَد وأزْيَد، ونفع به)[1]، فهذا لا يقتصر على التصرف في الكون في حياته وبعد مماته بل هو كذلك وأزيد وأزيد) ولا أدري ما هو الأزيد من ذلك؟!.

وهناك مثال عملي للتصرف في الكون مع تأويل له من أحد كبار أقطاب صوفية اليمن: (من عجائب الآيات وغرائب الكرامات ما وقع بين الشيخين العارفين السيفين القاطعين أعني أبا عيسى واسمه سعيد وأحمد ابن أبي الجعد المذكورَين، وذلك أنه ورد الشيخ أحمد المذكور في جمع من أصحابه على الشيخ سعيد في وقت جاءوا إلى زيارة القبور الشريفة في حضرموت، فوافقه الشيخ سعيد وأصحابه على الزيارة ومشوا، فلما بلغوا بعض الطريق بدا للشيخ سعيد أن يرجع في هذا الوقت ويزور في وقت آخر، فرجع هو وأصحابه إلى موضعهم واستمر الشيخ أحمد على

---

[1] الغرر ص ( 398 ).

عزمه حتى انتهى إلى مقصده فزار ورجع، والشيخ سعيد مكث أياماً ثم خرج هو وأصحابه إلى الزيارة المذكورة فالتقى الشيخان وأصحابهما في الطريق فقال الشيخ أحمد للشيخ سعيد: توجه عليك حق الفقراء في رجوعك فقال: لا ما توجه علي حق، فقال له الشيخ أحمد:بلى قد توجه عليك الحق فقم وأنصف، فقام الشيخ سعيد وقال: من أقامنا أقعدناه، فقال الشيخ أحمد: ومَنْ أقعدنا ابتليناه، وأصاب كل واحد منهما ما قاله صاحبه، فصار الشيخ أحمد مقعداً إلى أن لقي الله تعالى، وصار الشيخ سعيد مبتلى في جسمه ببلاء قطع جسمه حتى لقي الله تعالى رضي الله تعالى عنهما.

وهذه لعمري أحوال تَكِلُ في جَبِّ بعضها السيوف القاطعة، وإنما يقطع الحالان معاً إذا كان صاحباهما متكافيين أو قريباً من التكافي، فإن لم يكونا كذلك قطع القوي منهما الضعيف، وقد يقطع السابق دون المسبوق فيما يظهر والله أعلم.) [1].

ومنهم من يدَّعي ذلك لنفسه كما قال الشيخ أبو بكر بن سالم صاحب عينات:

**(أنا أعزل أنا اللي ولي أنا شيخها قاضيها)[2].**

وقال أحمد بن حسن العطاس قال: (فزعت مرة من أحد الناس فلما جئت إلى الحبيب أبي بكر بن عبدالله قال لي: لا تخف من حي ولا من ميت عاد المفاتيح إلا كلها بيدي)،وقال أيضاً: (قال الحبيب أبوبكر بن عبدالله انسدحت مرة في بندر الشحر في مسجد الحبيب أحمد بن أبي بكر بن سالم بعد صلاة الصبح فأتوا بشيء كالبيضة وفيه شيء ونكتوه عند رأسي فإذا هو مختلف الألوان الأبيض والأسود والممتزج فقلت: لعله عالم الذر قال: نعم، فقلت لعله لما ولوكم عليه؟ قال: نعم)[3]، وهذا واضح أن الرجل يدّعي أنه بيده مفاتيح الكون ولا أحد يقدر على عمل شيء بغير إذنه هذا في الحكاية الأولى، وأما الحكاية الثانية ففيها أنه ولي على عالم الذر أي الخلق الذين لم يخرجوا إلى الحياة بعد.

وقضية القطبية واعتقادها عند أهل اليمن مبثوثة في كتبهم فلا يكاد أحد من كبارهم لا يوصف بها،حتى لقد قال عبدالرحمن بن محمد

---

[1] مرآة الجنان لليافعي ( 4/ 352-354 ) .

[2] من قصيدة شهيرة للشيخ المذكور ما زالت متداولة إلى اليوم ينشدها الصوفية في موالدهم وحضراتهم وضمن مولد الديبعي ص ( 93 - 95 ).

[3] الحكايتان في مجموع كلام الحبيب أحمد بن حسن العطاس رواية محمد بن عوض بافضل ص ( 25 ) وهو مخطوط مصور عند بعض الأصدقاء .

السقاف باعلوي [1]: (في تربة تريم ثمانون قطباً كلهم أشــراف ) [2] فهؤلاء فقط في تربة تريم، فكم في بـاقي تـرب اليمن، والسـقاف توفي عام (819 هــ) فكم جـاء بعـده من الأقطـاب، وهـذا كله في اليمن إلى ذلك التــــاريخ فكيف ببقية بلاد الله منذ أن خلق الله آدم إلى يومنـا، لاشك أن عـدد الأقطـاب لا يمكن أن يـأتي عليه الحصر رغم أنهم يقولـــون إن القطب واحد فقط ولا يـــولي غـــيره حـــتى يموت.

وعلى كل حال فإننا سنلمس الأثر الكبير لعقيدة القطبية بالمفهوم الصوفي فيما يأتي من المطالب حيث تتوالد العقائد الضالة بعضــها من بعض.

وكما شــارك صــوفية اليمن بقية الصــوفية في عقيــدة القطبية شـاركوهم كذلــك في اعتقـادهم بدولة الأوليـاء وديـوان شـورا هم، يقـول أحمد بن حسن العطـاس: (وعقد أي الـديوان مـرة في قبة الحبيب عمر بن عبدالرحمن العطـاس ورأيت الحـبيب أبا بكر ارتفع من قبره وفرشوا له فوق القبر حقه، وكان رئيس المجلس الحبيب أبوبكر، ورأيت بالجانب البحري من القبـة، رجلاً فسـألته: من هـو؟ فقـال: نقيب الأوليـاء بالقـدس، والـذي ظهر لي أن النوبة بقيت مع الحبيب أبي بكر مـدة بعد موتـه، قـال سـيدي: والرجـال الـذين هم رجال ما يطلبـون مقـام القطبيـة، ولا غيرها ويفـرون منهـا، ومثالها مثـال مَنْ قـال لـك: (هـذه البلـدة ونفقة أهلهـا، وخـرج معاشـهم ودوابهم، وأعطاك ما يحتاجون إليه ماذا ترى لنفسك؟).

وقـال أيضـاً: (وفي ليلة وفـاة الحـبيب أبي بكر عبدالله العطـاس، اجتمع الأوليــاء أهل الظــاهر والبــاطن، وجلست أنا بــالقرب منهم، وكـــان ذلك في جـــامع حريضـــة، فكـــان رئيس المجلس الشـــيخ عبدالقادر الجيلاني فـدعاني الشـيخ عبـدالقادر فقلت لـه: أنا ما فيَّ طاقة لشــيء إن معكم شــيء لي اطرحـوه في القـرآن، فطلع أحد مـن الأوليـــــاء لم أعرفه إلا من بعد، ولما انقضت نوبته اجتمعـــــوا بأعلى شبام، بالقرب من العقّاد، وجعل الأمر بين اثـنين، واحد على المعالي وواحد على المسافل)[3].

## المطلب الرابع: فروع عقيدة التصرف في الكون:

### الفرع الأول: درجة الكونية:

والمراد بها أن الولي قادر على أن يقول للشيء كن فيكون، وهذا مما اختَصَّ الله بــه، ولم يقم دليل على أن الله تعــالى منحه أحــداً

---

[1] جد آل السقاف انظر ترجمته في المشرع الروي ص (2/ 141 )

[2] الغرر ص ( 96 )

[3] نظر الحكايتين في : تذكير الناس ص ( 206 - 207 ) .

من خلقـــه، ولم يدّعه أحد من رسل الله فضـــلاً عن غـــيرهم من البشر، ولكن الصوفية حينما ادّعوا لأنفسهم خلافة الله في تصريف الكون ساغ لهم ذلك الادعاء الكـاذب المبـني على الادعـاء الكـاذب الأول.

ومن أدلة ادعائهم ذلك لأنفسهم وإقـرارهم من ادعـاه ما ورد في ترجمة علـوي بن الفقيه المقـدم مـــن المشـرع قـال:(وحُكي أن الشـــيخ عبدالله باعبـــاد ســـأل صـــاحب الترجمة عما ظهر له من المكاشـفات بعد مـوت والـده فقـال:(ظهر لي ثلاث أحـيي وأميت بـإذن اللـه، وأقـول للشـيء كن فيكـون، وأعـرف ما سيكون فقـال الشيخ عبدالله: نرجو فيك أكثر من هذا) [1].

وأعجب من ذلك ما ذكـــره صـــاحب الجـــوهر في ترجمة الشـــيخ إبـــراهيم بن يحـــيى بن أحمد بن محمد بافضـــل: (وقـــال في بعض مصـــنفاته وردت إليَّ رقعة من الفقيه ابن العـــربي  فـــإذا فيها ورد علينا فقير وقال لنا: الفقير يحيي ويميت بإذن الله تعـالى، والفقـير يقول للشيء كن فيكون بـإذن الله تعـالى والفقـير لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد. فأشـكل علينا مافيها[2] فقـال الشـيخ إبـراهيم بن يحيى  شعراً:

**إذا لم أفتكم بصريح علم فلا من بعدها تستفتيوني**
**بما في محكم القرآن أفتي وإلا بعـد هذا كذبوني**

ثم أجاب عن الكل بجواب فايق عجيب وأتى على كل مسألة بدليل من القرآن) [3]. وحسبك بهذا إقرار لهذه العقائد الخبيثة وأخذ بها.

**الفرع الثاني: الإحياء والإماتة:**

مما تضمنه توحيد الربوبية من الصفات الـتي لاشـريك له سـبحانه فيها الإحياء والإماتة، وقد جمع الله سبحانه بين هاتين الصـفتين في آيـات كثـيرة جـداً، أقتصر على ثلاث منهـا، ففي آل عمـران يقـول تعالى: **والله يحي ويميت والله بما تعملون بصــير** [4]، وفي التوبة يقـــول تعـــالى:  **إن الله له ملك الســـموات والأرض يحيي ويميت ومالكم من دون الله من ولي ولا نصير**  [5]، وفي يونس يقول الله تعالى: **هو يحيي ويميت وإليه ترجعون**

[1] المشرع ( 2/ 211 ) وقد اعتمد القوم هذه المنقبة له حتى قال صاحب النور السافر عنه ص ( 281 ) : ( يقول للشيء كن فيكـون بـإذن الله ) ، وانظر الغـرر ص ( 372).

[2] هذه الكلمة غير مفهومة في الأصل وأظنها فيها .

[3] الجوهر الشفاف ( 1 / 146 - 147 ) .

[4] آل عمران ( 156 ) .

[5] التوبة ( 116 ) .

﴾ [1]، ولما كانت هاتـان الصـفتان من أكـبر الـبراهين على ربوبية الله تعالى احتج بهما إبراهيم على خصمه فقال وهو يحاج ذلك الطاغية: ﴿ **ربي الـذي يحـيي ويميت** ﴾ فعاند الطاغية وكـابر فقـال: ﴿ **أنا أحــيي وأميت** ﴾ قــال المفســرون: فلما رأى إبــراهيم ســفهه وسخافة دعـواه عـدل إلى دليل آخر أكـثر ظهـوراً ولا يستطيع أن يغالط فيه ســفهاء الأحلام ممن حوله فقــال:﴿ **فــإن الله يــأتي بالشمس من المشرق فأتِ بها من المغـرب فبهت الـذي كفر والله لا يهدي القوم الظـالمين** ﴾ [2]،وقد عد المفســرون هذا الطاغية مدّعياً للربوبية بذلك وجعلوه مثل فرعون الـذي صـرح بذلك حين قـال: ﴿ **أنا ربكــم الأعلى** ﴾[3] وقـال:﴿ **ما علمت لكم من إله غيري** ﴾[4].

وهذا كله يدل بجلاء على أن من ادعى هاتين الصـفتين فقد ادعى الربوبيــة، ومع ذلك فــإن الصــوفية القبورية يــدعون ذلك لبعض أوليائهم،أو يـدعيها بعضـهم فيقرونه عليهـا، وإذا أردنا أن نعتـذر لهم نقـول: إنهم لم يـدّعوا ذات الربوبية ولكنهم ادعـوا الخلافة العظمى عن الحق ســبحانه، ومن جملة وظيفة الخليفة الــتي فوضــها إليه الــرب ســبحانه هــذه الصــفة وغيرها من الصــفات الـتي يزعمونها لأوليــائهم، وأما ادعاؤهم ذلك فثــابت لاشك فيــه، ومن الأدلة على ذلك ما مر من ادعــاء علـوي بن الفقيه المقــدم لـذلك فيما حكـاه الشلي كما في الفرع الأول.

**<u>الفرع الثالث</u>: علم الغيب:**

من مسلّمات العقيدة الإسلامية اختصـاص الله تعـالى بعلم الغيب وأنه لا يشــاركه فيه أحد لا ملك مقــرب ولا نــبي مرسل ﴿ **إلا من ارتضى من رســول فإنه يســلك من بين يديه ومن خلفه رصداً** ﴾ [5]، وأنه سبحانه عنده وحده مفاتيح الغيب كما قـال تعـالى: ﴿ **وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو** ﴾ [6]، وقد بينها ســبحانه

---

[1] يونس ( 56 ).
[2] البقرة ( 258 ).
[3] ? النازعات ( 24 ).
[4] ? القصص ( 38 ).
[5] الجن ( 27 ) .
[6] الأنعام ( 59 ).

وحصر علمها عنده، وفي الحديث أن النبي  قال: ((**مفاتيح الغيب خمسٌ لا يعلمها إلا الله؛ لا يعلم ما في غدٍ إلا الله، ولا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطرأحد إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله))**.[1]

بهذه النصوص وغيرها قطع علماء المسلمين أن علم الغيب مما اختص الله به، وأن من ادعاه فقد كذب[2] وأنه طاغوت [3].

ومع ذلك فقد ادعاه الصوفية القبورية لبعض أوليائهم أو ادعاه بعضهم وأقروه عليه وعدّوه من كراماته ومناقبه.

ومن الأدلة على ذلك ما مر في الفرعين الأول والثاني مما ادعاه علي بن الفقيه المقدم وذكر في مناقبه أنه: (يحيي ويميت ويقول للشيء كن فيكون ويعلم ما سيكون).

ومن ذلك ما جاء في ترجمة أبي بكر بن عبدالرحمن السقاف أنه يقول:(أعرف من الفرش إلى العرش)[4]، وفي ترجمة أخيه حسن بن عبدالرحمن السقاف: (كان يقول: أنا أعرف السعيد والشقي وأعرف الصالحين بالشيم) [5]، وفي ترجمة أخيهما الثالث شيخ: (وقال والده عبدالرحمن السقاف:ولدي شيخ كعشرة شيوخ، وما سميته شيخاً إلا أني رأيته في اللوح المحفوظ شيخاً) [6].

وسأقتصر على هذه النماذج مع أن هناك دعاوى كثيرة من هذا القبيل.

**الفرع الرابع: إعطاء الولد**:

هذه الخصلة (إعطاء الولد) هي كذلك من خصائص الله تعالى كما قال  : **لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور، أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً ويجعل من يشاء عقيماً إنه عليم قدير**  [7].

ولو قيل: إن صالحاً من الصالحين الأحياء دعا ربه لأحد من الناس بالولد فرزق بتلك الدعوة ولداً ماكان عليه من نكير، ولكن أن ينسب إلى الولي ذاته إعطاء الولد حياً كان أو ميتاً فذلك الذي فيه

---

[1] رواه البخاري من حديث ابن عمر كتاب التفسير باب قوله ( الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام ) ( 4/ 1733 )

[2] انظر :فتح القدير للشوكاني ( 2/ 123 ).

[3] انظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ( 3/282).

[4] المشرع ( 2/33 ) .

[5] المصدر السابق ( 2/ 89)

[6] المصدر السابق ( 2/ 116 ) .

[7] الشورى الآية ( 49–50 ) .

ادعاء ما هو من خصائص الربوبية، والقبورية يدعون ذلك لأنفسهم أو لأوليائهم أحياءً وأمواتاً، والدليل عليه ما جاء في تذكير الناس قال جامعه: (وأهدى بعض السادة شيئاً لسيدي  فدعا له بأن يرزقه الله ولداً وقال له: حولناك على الحبيب أحمد بن علي الهدار، وهذا الحبيب كان من أهل الأحوال العظيمة، وكان إذا جاءه أحد وسأله الدعاء بالذرية يقول له:بايأتيك ولد، أو اثنان أو أكثر فاعترض عليه أحد بقلبه فكاشفه الحبيب أحمد وقال له:يا فلان إن الذين قسمتهم من بحر الشيخ أبي بكر بن سالم سبعة آلاف ولد، وأنت يأتيك نصف ولد، فأتاه نصف ولد على رِجل واحدة ويد واحدة وناصفة وجه، نسأل الله العافية.) [1]

ويظهر من هذه الحكاية بشكل جلي أن الرجل لم يدعُ الله،وإنما يقول على جهة الوعد (بايأتيك ولد) وهذا باللهجة الحضرمية معناه سوف يأتيك ولد، فليس فيه أي معنى من معاني الدعاء، ويؤكد ذلك إنكار العامي وغضب الحبيب من ذلك الإنكار، ثم تصريحه بأنه قسّم، وقسّم من أين؟ قسَّم من بحر الشيخ أبي بكر بن سالم، فأبوبكر بن سالم عنده القدرة والإمكانية الواسعة جداً المشبهة بالبحر، وهذا ولده أخذ يقسَّم من ملك جده، أليس هذا صريح في أنهم يدَّعون القدرة الكاملة على ذلك وأنه من جملة ما يملكونه.

وبناءً على ترسخ هذه العقيدة لديهم نجدهم يطلبون ذلك فعلاً من أوليائهم، قال صاحب تذكير الناس:(قال سيدي: وزرنا مرة تربة الفريط بتريم نحن والأخ حامد بن أحمد المحضار، ولما كنا عند الشيخ القرشي صاحب الذرية أخذ الأخ حامد حصاة كبيرة ووضعها عند قبر الشيخ وقال: -والحاضرون يسمعون - شف نحنا نبغي ولداً لفاطمة عبوده بنت عبدالله بن عمر القعيطي، وكانت مسنة في ذلك الوقت ومستبعدٌ أن تحمل فقدّر الله أنها حملت بولد وعاش) [2].

وصاحب هذه الحكاية من كبار أقطاب القوم وعلمائهم ومع ذلك يروي هذه الحكاية مقراً لها، و"حامد المحضار " من كبارهم أيضاً وقد رفع صوته يطلب ذلك أمام العامة وأقره من حضر من الأكابر، إذاً هي قضية مسلّمة يربّون عليها أتباعهم.

ويقول آخر من كبارهم وُصف بأنه:" العالم الجليل نسخة السلف وقدوة الخلف " في رحلته الموسومة بـ " النفحة الشذية إلى الديار الحضرمية وتلبية الصوت من الحجاز وحضرموت " في نفس الموضوع: (ولما وقفنا على قبر الشيخ عمر بن علي القرشي

[1] تذكير الناس ص( 321 ) .
[2] المصدر السابق ص ( 322 - 323 ) .

ويـروى أن من طـرح عند قـبره حجـرة يـرزق ولـداً،وقيـل: لنا أن الحــبيب علي بن محمد الحبشي زاره وبصــحبته الحــبيب عمر بن عيدروس العيدروس فأخذ الحبيب عمر ملا ثوبه حصى ليطرحه عند القبر، فقال له الحبيب علي: كثّرت جم، فقال: أريد نسـمات تـذكر الله أو قال تعبد الله، فأخذت أنا حصاتين وطرحتهما عند القبر على هـذه النيـة)[1]، فـإذا كـان هـذا فعل علمـائهم فمـاذا يا تـرى يصـنع عوامهم وجهالهم؟.

**الفرع الخامس: إنزال المرض ورفعه:**

القول في هذا الفرع كالقول في بقية الفروع فـالمرض لا يصـيب به إلا رب العالمين، قال تعـالى حاكيـاً عن إبـراهيم أنه قـال لقومه وهو يــدعوهم ويــبين لهم حقيقة دعوته وعقيدتــه: ﴿ **وإذا مرضت فهو يشـفين** ﴾[2]، وقـال الرسـول ﷺ: **((لا عـدوى ولا طـيرة))**[3]،وقد صـرح العلمـاء بأنـه ليس المقصـود نفي العـدوى من أصـلها بدليل قوله ﷺ: **((لا يورد ممـرض على مصـح))**[4]، لأنه واضح أن في ذلك اعتبــار العــدوى ولكنه نفى على المعــنى الــذي كــانت الجاهلية تفهمه وهو أن الأمــــراض تعــــدي بــــذاتها فتنسب إلى الأمراض، فحسم ﷺ هذا المعنى الباطل بهذا اللفظ العام ليكون أبلغ وأشمل[5]، فكيف يأتي بعد ذلك من يقول أنه يضع المرض على من شـــاء وأنه يرفعه عمن يشـــاء، إن ذلك لاشك ادَّعـــاء لخاصة من خصوصـيات الربوبية وتعليق للخلق بغـير الحق وهـذا أيضـاً مضـاد ومناقض لما تدعيه الصوفية من تجريد قلوب الناس من سـوى الله تعالى.

وإليك الدليل على زعمهم وضع الأمـراض على أنـاس ورفعها عن آخـرين، فقد ذكر الشـرجي في ترجمة إسـماعيل الجـبرتي قـال: (ومن ذلك ما يـــــروى عن رجل من أهل مكة يقــــال له الفقيه عبـدالرحيم الأميـوطي أنه قـال: (كنت لا أعتقد الشـيخ إسـماعيل،

---

[1] النفحة الشـذية إلى الـديار الحضـرمية ، وتليه رحلته تلبية الصـوت من الحجـاز وحضرموت ص ( 175 –176)، تأليف العالم نسخة السلف وقدوة الخلـف الحبيب عمر بن أحمد بن سميط ، طبع على نفقة أحد المحـبين من المحسـنين ( 1397 هـ ) .

[2] الشعراء آية ( 80 ) .

[3] البخـاري في صـحيحه (5/2158) ، كتـاب الطب بـاب الجـذام، ومسـلم في صحيحه (4/1743) ، كتاب السلام باب لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صـفر ولا نوء ولا غول ولا يورد ممرض على مصح.

[4] مسلم في صحيحه (4/743) في الكتاب والباب السابقين ، كلاهما من حديث أبي هريرة .

[5] انظر: (10/160-162) من الفتح .

وكنت أحط منـه، فبينما أنا ذات ليلة بين النـائم واليقظـان، وإذا بي أرى الشـيخ قد دخل عليّ في جماعـة، فسـمعته وهو يقـول لآخـر: هـات الوجع الفلاني فجـاء به فوضـعه عليَّ ثم قـال: هـات الوجع الفلاني فجاء به فوضعه علي، ثم مـازال يقـول هـات الوجع الفلاني ويضعه عليّ، حتى وضع عليّ قدْرَ عشرين وجعاً حتى كدت أمــوت، وخرج، قال: (فبقيت تلك الأوجاع عليّ باقي ليلتي ويـومي ذلك إلى العصر، فأرسلت إليه واستعطفت خاطره، فجاء إليَّ فرفع ذلك كله عني، وقمت كأن لم يكن بي شيء فتبت إلى الله تعالى، وحسّــنت عقيدتي في الشيخ نفع الله به).[1]

إذاً فالذي لا يعتقد فيهم ذلك فهو مهدد بـالمرض من قبلهم، فهـذا عمر المحضار يروي عنه صاحب المشرع (... وكـان إذا غضب على أحد أصابه الجذام وغيره من الأسـقام بعد ثلاثة أيـام، فقيل لـه: أما تخشى أن ينالك بهذا شيء فقال: إني لم أدعُ على أحـد،ولكـني إذا غضبت على أحد وقع في باطني نارٌ لا تنطفئُ إلا بعد ما يصيبه ذلك المرض أو يتوب).[2]

**<u>الفرع السادس: إنزال المطر:</u>**

الآيات في تفـرد الله تعـالى بـإنزال المطر كثـيرة جـداً، منها قوله تعالى:  **أفرأيتم الماء الذي تشـربون، أأنتم أنزلتمـوه من المـزن أم نحن المـنزلون**  [3]، فلو كـان أحد من الخلق قـادراً على ذلك فهل سـيكون هـذا التحـدي صـحيحاً؟ والجـواب: لا قطعـاً فعلم أنه لا ينزل المطر إلا اللـه، بل حـتى علم الـوقت الـذي يـنزل فيه المطر ومكـــان نزوله قبل نزوله لا يعلمه إلا اللــــه:  **إن الله عنـده علم السـاعة ويـنزل الغيث ويعلم ما في الأرحـام وما تـدري نفس مـاذا تكسب غـداً وما تـدري نفس بـأي أرض تموت إن الله عليم خبير** [4]، فإذا كان الأمر كذلك فكيف يجوز أن ننسب إنزال المطر إلى عبد من عباد اللـه، بل إن رسـول الله  قد حسم الأمر بشكل أوضح، وأبعد المؤمـنين عن تـوهم ذلك أو التلفظ بلفظ يــــؤدي إلى ذلك الفهم الخـــاطئ، ففي صــــحيح البخــاري من حــديث زيد بن خالد الجهــني  قــال: **((صــلى لنا رسول الله  صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كــانت من الليلة، فلما انصـرف، أقبل على النـاس فقـال: (هل تدرون ماذا قـال ربكم؟ قـالوا الله ورسـوله أعلم، قـال:**

---

1 طبقات الخواص ص( 103 ) .

2 المشرع ( 2/ 242- 243 ) .

3 الواقعة الآية ( 68-69 ) .

4 لقمان الآية ( 34 ).

**(أصبح من عبادي مؤمن وكافر، فأما من قال مُطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي وكافر بالكوكب،وأما من قال بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي ومؤمن بالكوكب)).[1]**

ومن الأدلة على أن القوم يعتقدون في أوليائهم إنزال المطر ما جاء في ترجمة أحمد بن عمر الزيلعي من طبقات الخواص حيث قال: (وكان للفقيه أيضاً ولد يقال له علي،كان من الصالحين، وكان لا يُلازم في المطر إلا ويحصل سريعاً حتى عرف بذلك، وكان يقال له صاحب الماء) [2]، وقد كان ذكر في ترجمة الجد حكايات تدل على أنه ينزل الغيث منها: (أنه وصل من اللحية إلى قرية المحمول وقد أجدبوا مدة طويلة، فعند أن وصل إليهم جاءت إليه بهيمة وجعلت تخور بين يديه، فدخل المسجد ودعا الله تعالى ثم قال: (يا ميكائيل كل، فاجتمع السحاب للفور من كل ناحية ومطروا مطراً عظيماً بإذن الله تعالى) [3].

ومنها قول صاحب الطبقات:(وكان أهل الوادي خُلَب بضم الخاء المعجمة وفتح اللام وآخره باء موحدة يصحبونه ويعتقدونه، فجاء إليهم مرة وهم مجدبون فجعلوا يلازمونه في السيل فقال لفقير له: (اذهب إلى رأس الوادي وقل له: يقول لك الفقيه سل الآن، ففعل الفقير ذلك، فسال الوادي من ساعته وسقوا سقياً هنيئاً بفضل الله تعالى) [4]، فلاحِظْ أمره لميكائيل في الحكاية الأولى وأمره للوادي في الحكاية الثانية، هل يدل على أن الأمر مجرد دعاء؟ كلا لا يدل إلا على أنه هو المالك لذلك والمتصرف فيه.

وفي تذكير الناس: (قال سيدي: ووقع بحريضة في بعض السنين قحط شديد، فسار الحبيب علي بن جعفر العطاس إلى النقعة، وهي قرية بقرب حريضة وقال لأهل البلد: سنجيئكم بسيل من عند الشيخ جنيد باوزير إن شاء الله، فلما وصل إليها زار قبر الشيخ جنيد والشيخ علي بن سالم ورجع فسال وادي حريضة تلك الليلة). [5]

وأوضح من هذا ما ذكره، أيضاً في تذكير الناس قال: (قال سيدي وبلغنا أن الشيخ عبدالله بن أحمد بلعفيف كان من أولياء الله

---

[1] البخاري في صحيحه (1/290) كتاب صفة الصلاة باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم ، ومسلم (2/59-60) مع النووي كتاب الإيمان باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء .

[2] طبقات الخواص ص ( 77 ) .

[3] المصدر السابق ص ( 75 ) .

[4] المصدر السابق ص ( 75 ) .

[5] تذكير الناس ص ( 187 ) .

المستجابة دعوتهم، ويقال له بياع السيول، وصل إلى تريم في بعض زياراته، فاجتمع ببعض السادة آل العيدروس فقال له أنت: بلعفيف بياع السيول، فقال له الشيخ:نعم حاجة خدمة، فقال له الحبيب: نعم مرادنا سيل، فقال الشيخ لا بأس، بكم تشتري؟ فقال له الحبيب بالذي تريده، فقال الشيخ: نبيع لك سيل بكبش سمين، وخمس قهاول[1] برُ، فقال الحبيب:لا بأس تم الكلام، فقال الشيخ تبغي السيل لأي أرض؟ قال الحبيب: للشرج الفلاني حقي، فقال الشيخ: هات الكبش والبر وأخرج رُعّاضك لشرجك، فأتى الحبيب بالبر والكبش وخرج الرُّعَّاض[2] وشرب الشرج بإذن الله وبركة أولياء الله) [3].

قلت:وحكى لي جدي - رحمه الله - أن في قرية مجاورة لنا رجلاً يقال له " فلان باسليمان " وكان حراثاً عارفاً بقوانين الحراثة ومتى يكون السيل أفضل للأرض، فكان ربما جاء السيل في غير الوقت الذي يراه مناسباً فلا يسقي أرضه فعوتب في ذلك لأنه ربما إذا لم يسق لم يأت سيل آخر، فيقول:(ما بيني وبين السيل إلا صاع طحين) يعني أنه يتزود صاعاً من الطحين ويزور الشيخ سعيد بن عيسى فيأتي السيل، فهل يشك أحد في اعتقاد هذا العامي وأمثاله أن الشيخ سعيد بن عيسى يملك إعطاء السيل؟!.

**<u>الفرع السابع: إجابة الداعي وإغاثة المستغيث:</u>**

إن هذا الفرع في الحقيقة هو النتيجة الحتمية لتلك العقائد بل الثمرة المرة الخبيثة لها، فإن المريد الصوفي أو العامي من عوام المسلمين حينما يتكرر على سمعه أن فلاناً من الأولياء هو القطب الغوث الذي أعطي الخلافة العظمى في هذا الكون والتولية والعزل فيه، واعتباره الواسطة بين الله وبين عباده فلا يصل خير إلى العباد إلا بواسطته، وأنه قد فوِّض إليه تصريف الكون، وأن تصريفه نافذ على كل شيء من العرش إلى الفرش وحتى البِسْ لا يأكل الفأر في جميع أقطار الأرض إلا بإذنه، وأنه يعطي ويمنع ويشفي ويمرض بل يميت ويحيي ويُنزل الغيث ويهب الولد، إلى آخر ما ينسب إليهم من القدرات، ماذا سيتصور ذلك المسكين، هذا الولي؟ لاشك أنه سيتصور أنه هو السميع المجيب وأنه على كل شيء قدير، وبموجب هذا التصور سيهرع إليه كلما نزلت به نازلة أو أصابته حاجة، فإنه لا رجاء في حصول أي مطلوب أو دفع أي مرهوب إلا بالالتجاء إليه، وهذا هو الذي يحصل في كثير من

---

[1] القهاول مقدار من الكيل يساوي ثلاثة أصواع تقريباً .
[2] الرَّعَّاض جمع راعض وهو الذي يعدِّل السيل في الحقول .
[3] المصدر السابق ص ( 188 ) .

الأحيان والأحوال ولدى أكثر النـاس من القـرون الـتي سـيطر فيها فكر القبورية على الناس.

وهم لم يكتفـــوا بما مضى من دفع النـــاس إلى ذلك الاعتقـــاد والتصور الخاطئ، بل صرح الكثير من أوليائهم بـأنهم يسـمعون من نـاداهم ويجيبونه ويغيثـون من اسـتغاث بهم وينقذونه مما هو فيـه، ويروون مئات القصص التي تحكي كيف نزل الضر بفلان فاسـتغاث بالقطب فأغاثه، بصور وأساليب متنوعة كلها تتآزر على شيء واحد هو تعميق الاعتقـاد في ذلك الشـخص بأنه يفعل ويفعـل، وأن على الجميع الالتفات إليه والاعتماد عليه وإنزال حوائجهم به.

وهذا هو الشرك بالله تعالى، ولكنني لن أخوض في الرد عليه في هذا الموضع، وإنما سوف أنقل بعض النماذج عنهم في ذلك لإثبـات أنهم يعتقــدون في أهل الولاية منهم أحيـاءً وأمواتــاً أنهم يجيبــون الداعي ويغيثـون المسـتغيث، وليس الأمر كما يقوله من يـروج تلك العقائد ويدافع عن الموروث الذي كان عليه الآبـاء والأجـداد من أن ذلك مجرد توسل بهم إلى الله وإن كان بلفظ الدعاء والاستغاثة.

وإليك النصـوص الصـريحة والوقـائع الواضـحة الشـاهدة على ما نقول:

أول ما نــورد في ذلك تقرير عميد القــوم وحجتهم وإمــامهم في العلم والتصـوف من يسـمونه (قطب الـدعوة والإرشـاد عبدالله بن علـوي الحـداد) وهـذا التقرير في قصـيدة من أشـهر قصـائده لـدى القوم وهي العينية حيث يقول فيها في صفة الولي:

**مـن كل طود في العلوم وفي الحجا متبـحـر متـفنـن متوسع**

داع إلى الله العظيـــم بفعلــه ومقــاله والحال غير مضيع

**ذي عـفـة وفتـوة وأمانـــة وصيانة للسـر أحسن من يعي**

**وزهـادة وعبــادة وشهــادة منه الغيـوب بمنظر وبمسمـع**

**جمـع الرياضة والكشـوف ولم يزل يرقى إلى أن يستجيب إذا دعي** [1]

إذاً فهي حقيقة مسلّمة عند القوم أن الولي ما يزال يـترقى حـتى يصـير ممن يسـتجيب إذا دعي [2]، فعند القــوم أن الــولي " يُـدعى" وليس فقط يتوسّــل به و" يجيب إذا دُعي " وليس الله  يجيب من دعاه متوسلاً به.

---

[1] شرح العينية ص ( ب ) من المقدمة .

[2] انظر : شرح هذا البيت في العينية ص(17-18) .

وبنـاءً على تلك الحقيقة المعروفة لـديهم منذ عـرف التصـوف المنحرف في اليمن والتي عبر عنها الحداد في عينيته، تجد الدعوى متواصلة لأوليائهم بإغاثة من استغاث بهم.

ومن ذلك ما ذكره شـارح العينية المـذكورة في ترجمة علـوي بن الفقيه المقدم حيث قال: (وكان  سريع الغـوث لمن اسـتغاث بـه، قـال السـيد الجليل العلامة المحـدث الإمـام محمد بن علي علـوي خـرد بـاعلوي في كتابه " الغُـرر " أخـبرني الشـيخ عبـدالرحمن بن علي أن العارفين قالوا: (ثلاثة من آل بـاعلوي لا تـزال خيل حميتهم وإجـابتهم مسـرجة ملجمة من دعا بهم أُجيب وهم علـوي المـذكور وابنه علي والشـيخ عمر المحضـار، وقـال صـاحب كتـاب الغـرر المذكور في ذلك شعراً:

**إذا خفـت أمراً أو توقّـعت شـدة فنوِّه بهم كي يدركـوك ويحضروا**

فنـــوِّه بعلوي الفتى وابنـه علي كـذا عمـر فيما يـجل ويعسر

**فغارتهم تنجـيك مـن كل شــدة وعُسرٍ وضيـقٍ أو بصدرك يكبر** [1]

ولا يقتصر الأمر على أنــاس ينســبون إلى الــولي أنه يغيث من يستغيث به، ولكن الـولي يـدّعي ذلك لنفسه ويفخر بـه، فهـذا عمر المحضار يقول في قصيدة مازالوا إلى اليوم ينشـدونها في حضـرة السقاف.

**إني سـريعُ الغوث في كل الشـدائد فاهتف باسمي تـــجدني أسرِعُ**

قل يا شهاب الدين إن يعروك خطب يا فطن

**فأنا لخطـــبك أدفعُ**

وقال شارح العينية في ترجمة عبدالرحمن السـقاف: (وكـان يـرد على من غلط في مسـجده وهو بـالعجز [2] ويسـمعه الغالـط، وكـان يقلب التراب دراهم بإذن الله تعـالى، وكـان يظهر لمن اسـتغاث به جهاراً في الأماكن البعيدة بحراً وبراً) [3].

وفي كتاب " تاج الأعراس " في مناقب الحبيب القطب صـالح بن عبدالله العطــاس، قــال المؤلــف: (ومما أكــرم الله به صــاحب المناقب، وخصه به من سنيات المراتب، وكان ينفرد به دون أقرانه

---

[1] شرح العينية ص(174 ) وانظر أيضاً : المشرع الروي ( 2/212 ).

[2] العَجُز : بفتح العين وضم الجيم قرية شرق تريم تبعد منها مسافة .

[3] شرح العينية ص (188 ).

من أهل المظـاهر والمناصـب، أنه يحضر عند من نـاداه وتوسل به إلى الله بصدق نية وصفاء طوية) [1].

وتقـول الشـيخة سـلطانة الزبيدية كما في ترجمة السـقاف من المشـرع: (ما رأيت أحـداً أسـرع إجابة عند الاسـتغاثة من السـيد محمد بن السقاف، وكانت تقول:إذا حـدث أمر واسـتغثت بالأوليـاء فأول من يغيثني هو) [2].

وقـال صـاحب " تـاج الأعـراس " في ترجمة صـالح بن عبدالله العطـاس: (وممن أثـنى على صـاحب المنـاقب واعـترف له بمقـام الغوثية شيخ مشايخ تلك العصور، وعالمها وإمامها المشـهور، شـيخ الإسـلام ببلد الله الحـرام السـيد أحمد بن زيـني دحلان قـال: (إنه حصل عليَّ حال بمكة وكربتُ لذلك كرباً شديداً فاستغثت بـالحبيب صـالح بن عبدالله العطـاس صـاحب عمد وهو إذ ذاك بحضـرموت ودعوته بثلاثة أصـوات، فـإذا هو حاضر عنـدي في الحـرم المكي، راكباً على جواد أخضر اللون ومعه أربعـون جنـدياً كلهم مسـلحون، فحين رأيته ذهب عـني ذلك الكـرب وانشـرحت انشـراحاً كـاملاً ببركته) [3].

وقال كـذلك في ترجمة هادون بن هـود العطـاس: (ومن كرامـات الحبيب هادون أيضاً ما أخبرتني به والدتي الشريفة العفيفة شـيخة بنت الجد علي بن حسين بن هود العطـاس الآتي ذكرها في ترجمة والدي من البـاب السـادس عن والـدتها الشـريفة العفيفة زينة بنت الحبيب هادون المذكور قـالت: لما كـان والـدي يجـدد عمـارة بعض المساكن بالمشهد وعنده جملة من العمال أصبحنا ذات يـوم وليس عنـدنا في الـدار ما يفطر به الصـائم من أنـواع الطعـام، فلما رجع والدي من المسجد الإشراق كعادته أخبرناه بالحال فقـال: لا بـأس، ولكنكم أوقـدوا نـاراً في المطبخ كعـادتكم ليستشـعر العمـال بـأن غداهم يطبخ كالعادة،ثم خرج والدي إلى عند العمال وألقى بيتاً من الشعر الحميني ارتجالاً على الذين ينقلون المدر منهم وأمـرهم أن يرتجـزوا بـه، وكـان قد اسـتنجد فيه بجـده الحـبيب علي بن حسن العطاس صاحب المشهد وهو قوله:

**مع هادون يا بو حسن والخير واصل وهز الرمح لا تعمد القبة وغافل** [4]

---

[1] تاج الأعراس ص (1/ 94) .

[2] المشرع الروي ص ( 1 / 184 ) .

[3] تاج الأعراس ( 1/ 104 ) .

[4] هـذه الكلمة باللهجة الحضـرمية معناها ( لا تبقى ) أي لا تبقى في القبة غـافلاً عنا .

قالت: فلم نلبث إلا يسيراً وإذا نحن بقافلة أي عير مرسلة لمقـام المشـهد من أهل حجر بن دغـار وفيها الـذرة والتمر والـدهن وغـير ذلك، وبمعية العير أناسٌ من تلك الجهة أيضاً قاصدين زيارة الحبيب علي بن حسن ومعهم ثلاثة أكباش سـمان للمقـام، فـذبحنا وقـدحنا وكان ذلك اليوم من أسعد أيام العمال عليهم انتهى.

قلت[1]: وقول الحـبيب هادون لجـده علي (وهز الـرمح) لما اشـتهر من أن الحبيب علي كان يلقب بـأبي حربة وسـبب تلقيبه بـذلك أنها تواترت الأخبـار من المعادين للحـبيب علي في حياته وأهل الجـرأة على مقـــام المشـــهد بعد وفاته أنهم يرونه في منامـــاتهم يطعنهم بحربته فيخبرون قراباتهم بذلك موقنين بالموت ويموتون في الحال بـإذن الله القائـل: ((**من آذى لي وليـاً فقد آذنته بـالحرب**)) لاسيما الذين يعتدون على غيرهم في شهر المشـهد أي ربيع الأول؛ لأن الحـبيب علي قد جعله عُرضه بضم العين أي أمانـاً مؤبـداً في كل سنة بين المحاربين من قبائل تلك الجهة وأخذ عليهم العهد في ذلك ليأتي كل منهم وهو مطمئن البـال إلى المشـهد لحضـور قصة مولد نبيهم محمد  وسماع شـمائله الشـريفة وما يضـاف إلى ذلك من المواعظ الدينية، فكـان مما أكـرم الله به الحـبيب علي وعظم به شهر المولد النبوي أن من اعتدى فيه بالقتل ونقض العهد يعجل الله له العقوبة بإهلاك عـــدد من أولاده وقبيلته بمقـــدار الأيـــام الماضــية من ذلك الشهر، فمن قتل فيه في اليــوم الخــامس مثلاً يهلك الله خمسة من رجاله في أســرع وقت، ومـــن قتل فيه في اليوم السابع يهلك الله منهم سبعة وهكذا حتى صار ذلك عند قبائل الجهة من المجربات التي لا خلاف فيها) [2].

وأعتـــذر للإطالة بنقل الحكاية كاملة وذلك لما فيها من دلالات كثــيرة يجـدها المتأمل وليعـرف كيف يسـخِّر القبوريـون النـاس لمصالحهم ويبنون على حطام عقائدهم مجدهم الموهوم.

وأسألُ صـاحب التـاج وكل من ينشر هـذه الحكايـات ويغـرس بها تقديس هؤلاء الناس في نفوس عوام المسـلمين أين كـان الحـبيب علي وحربته يوم هجم الجيش النجدي على المشـهد فأخربه وهـدّم قببه وكسّر توابيته؟.

ومن ذلك أيضاً ما ذكـره صـاحب مقدمة ديـوان العيـدروس قـال: (وأخـبرني السـيد الفقيه محمد الظمطـاوي المكي وقد رويتها عن المريد الصادق نعمان بن محمد المهـري أنه قـال: (كنا في سـفينة سـائرين إلى الهند فحصل في السـفينة خـرق عظيم فـأيقن أهل

---

[1] الكلام ما زال لصاحب تاج الأعراس .

[2] تاج الأعراس ( 1/ 207-209 ) .

السفينة بالهلاك فضجُّوا بالـدعاء والتضـرع إلى الله تعـالى وهتفـوا بالمشـــايخ، فقـــال نعمـــان: فهتفت بشـــيخي أبي بكر بن عبدالله العيدروس، فأخذتني ِسنة فرأيت شيخي وهو داخل السـفينة وبيـده منديل أبيض متيمماً نحو الخرق، فـانتبهت فرحـاً مسـروراً ونـاديت بأعلى صوتي يا أهل السفينة أبشـروا فقد جـاء الفـرج، فقـالوا لي: ماذا رأيت، فقلت لهم: رأيت شيخي  دخل السفينة الساعة وبيــده منديل فسد به الخرق فافتقدوه فوجـدوا الخـرق مسـدوداً بمنـديل أبيض). [1]

وفي نفس الكتـاب في آخـره قـال: (وأخـبرني الأمـير مرجـان بن عبدالله عبد السـلطان عـامر بن عبـدالوهاب قـال: كنا في محطة صـــــــــنعاء الأولى فحصل علينا ما حصل، وأنا إذ ذاك في جماعة، فحمل علينا العـدو ففر أصـحابي ووقـــع في فرسي جملة أكــوان[2] فسقط بي، فزار بي العدو من كل جانب وأنا أهتف بالصـالحين، ثم ذكـرت الشـيخ الأجل أبـابكر بن عبدالله العيـدروس فهتفتُ به فـإذا هوقايم فو الله العظيم لقد رأيته نهاراً وعاينته جهاراً أخذ بنا صـيتي وناصـــية فرسي وشـــلني من بينهم حـــتى أوصـــلني إلى المحطة السعيدة فعند ذلك مات الفرس ونجوت ببركات الشـيخ نفع الله به وأعاد علينا من بركاته) [3].

فهذه النمـاذج إن شـاء الله كافية لإثبـات أن القـوم يعتقـدون في أوليائهم أنهم يسمعون استغاثاتهم، وأنهم يغيثونهم عند ذلك، فحينــاً يحضرون بأنفسهم،وحيناً يحصل المطلوب بـدون حضـورهم، وعليه فإن دعاءهم لأوليـائهم ليس مجـرد توسل إذ التوسل إنما هو دعـاء لله تعـالى مع ذكر المتوسَّـل به وسـؤال الله سـبحانه أن يحـــقق المطلــوب بجــاه أو ببركة ذلك المتوسَّـل بـه، ولـذلك فـإن الـذين يعرفون حقيقة التوسل ويقتصرون عليها لا يجيزون دعـاء المتوسل بهم ويصرحون بـأنهم لا يـدعون ولا يجـيزون دعـاء غـير اللـه، وإنما يذكرونهم في ضمن دعائهم لله للتبرك بذكرهم وليكونـوا سـبباً في عطاء الله.

---

[1] مقدمة ديــوان العيــدروس المســمى (محجة الســالك وحجة الناســك) ص ( 242 ) , تــأليف الشــيخ عبــداللطيف بن عبــدالرحمن بــاوزير ضــمن المجموعة العيدروسية.

[2] أي جراح .

[3] المصدر السابق ص( 247 ) .

# الفصل الثاني
# موقف علماء اليمن من القبورية
# وبيان جهودهم المشكورة في مواجهتها
# وفيه تمهيد وأربعة مباحث

التمهيد: في حفظ الله لهذا الدين بواسطة العلماء رغم المكائد والمؤامرات:

لقد تكفل الله تعالى بحفظ هذا الدين وبقائه واستمراره إلى أن يرث الأرض ومن عليها، لا يقضي عليه عدو من الكافرين، ولايطمس معالمه مبتدع من المبتدعين، حتى تغيب السنة كلها، وتحل البدعة محلها، قال تعالى:  **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** [1]،وقد فصل رسول الله  وسائل ذلك الحفظ، فوعد بوجود طائفة من العلماء العاملين والأخيار المجاهدين القائمين على حفظ هذا الدين في قوله : **((لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لايضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك))** [2].

ولايمنع وجود هذه الطائفة القائمة على الحق؛ من تسرب بعض البدع، واندثار بعض السنن، وانحراف بعض المفاهيم على مرور الأيام؛ لذلك فقد أخبر النبي  بأنه بعد كل فترة، يقيض الله لهذه الأمة من يجدد لها دينها، فقال: ((**إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها**)) [3].

والحمد لله فقد صدق الله ورسوله، وحُفظ الدين، وجُددت معالمه، رغم هدم الهادمين وكيد الكائدين وبدع المبتدعين، ولقد حظي اليمن بما سبق له من عناية الله سبحانه ولطفه بالحظ الأوفر والنصيب الأكبر من ذلك، وصار مجددوه وأعلام علمائه ودعاته مجددين للأمة كلها، وليسوا مجددين لليمن وحده، فرزقهم الله القبول التام والثقة المطلقة عند سائر الطوائف وفي سائر البلاد الإسلامية، فكتبهم هي من أهم مقررات جامعات العالم الإسلامي المرموقة ومراكزه العلمية، وقد أقبل الباحثون على دراسة شخصيات المجددين اليمنيين ومناهجهم في العقيدة والدعوة والعلوم المختلفة من تفسير وحديث وعقائد وغير ذلك.

---

[1] الحجــر (9) .

[2] تقدم تخريجه ص (        ) .

[3] رواه أبو داود (2/512 ) كتاب الملاحم باب ما يذكر في قرن المائة ، والحاكم ( 4/542-543 ) كتاب الفتن والملاحم ..وانظر : تصحيح شيخنا الألباني - رحمه الله - للحديث في سلسلته الصحيحة ( 11/150-151) .

وبرغم ما سلف في الفصل الأول من أساليب مختلفة، سلكها القبورية؛ لمواجهة علماء أهل السنة، وما قاموا به من جهد جهيد وكيد شديد لمواجهة هؤلاء العلماء؛ إلا أن تلك الجهود والأساليب الماكرة الكثيرة،كلها لم تفلح في صد العلماء عن معارضتهم وكشف ضلالهم وبيان حالهم، وإن كانت مناطق اليمن تختلف في قوة وضعف تلك المواجهة، فعلماء البلاد الزيدية بحكم قوتهم وكثرتهم وعدم تمكن النفوذ الروحي في بلادهم، ولسعة أفق المذهب الزيدي والفقه الهادوي وحثه على الاجتهاد؛ كانت جهودهم أكبر ومواجهتهم وسلطان علمهم على القبورية أقهر، وقدشـاركوا في مقاومة كـل أنـواع القبورية من إسماعيلية وأصحاب وحدة الوجود وعموم القبورية مقدسي القبور.

وكان لعلماء زبيد موقف مشرف في صد أهل وحدة الوجود ومقاومتهم حتى اندثر مذهبهم أو كـاد، وأما بقية المناطق كالجند وما حولها وعدن وحضرموت، فقد كانت مواقفهم أضعف وأقل، وذلك أنه وبعد دخول التصوف ورسوخه في هذه المناطق في القرن السابع وما بعده، احتوى المتصوفة الساحة العلمية، وهيمنوا عليها هيمنة شبه تامة، فالعلم حُصر في قبائل وأسر محددة هي الأسر العلوية التي أصبح كل علمائها من المتصوفة على تفاوت في غلوهم واعتدالهم فيه، إلا ما ندر، والنادر لاحكم له، ثم الأسر التي تُوالي هذه القبيلة موالاة تامة، وترى أنها تابعة لها " منطوية فيها " حسب تعبيرهم، وفي المقابل فقد أعطى العلويون لهذه الأسر إمتيازات كبيرة مقابل التزامهم بطريقهم، وعملهم على الترويج لأفكارهم وتلميع شخصياتهم؛ ولذلك فقد أصبح العالم الذي يستطيع أن يبصر بغير منظارهم، ويصل إلى ما عند غيرهم، أصبح في حرج عظيم حيث يرى الحـق، ولايستطيع الإفصاح عنه والعمل به، فتجده يرضخ لما عليه القوم، وإن كان في قرارة نفسه منكراً له؛ إلا من أراد الله لهم الخير وهيأهم لإقامة الحجة وسلوك المحجة، وتحمل التبعة وهم، أقل من القليل، متناثرون عبر القرون الطويلة والبلاد الشاسعة، ولم يستطع أحد أن يظهر بذلك المظهر حسب علمي إلا في القرنين الثالث عشر والرابع عشر بعد انتشار الدعوة السلفية في اليمن بواسطة تلاميذ الإمامين ابن الأمير والشوكاني، وكذلك ظهور وانتشار دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ووصولها إلى تلك المناطق، واتصال بعض علماء هذه البلاد بعلمائـها في الحجـاز ونجـد، واطلاعهم على كتبهم ورسائلهم، فقد هزت تلك الدعوة الجزيرة العربية كلها، وحركت ذلك الركود الذي خيم عليها قروناً طويلة، ووصل أثرها إلى كل أرجائها، بل

وكل أرجاء العالم الإسلامي،كما أسهمت حركة الإرشاد في إندونيسيا بجهود كبيرة في إيقاظ علماء وطلبة العلم في حضرموت وما جاورها، وأزالت كثيراً من الحجب التي كانت تغطي الحقيقة، وحطمت كثيراً من القيود التي كان الناس يرسفون فيها، وأسقطت تلك الهيبة التي صنعها القبوريون لأنفسهم وأوليائهم، وسيّروا بها الناس كما أرادوا.

هذا هو موجز موقف العلماء من القبورية، وإليك تفاصيله في المباحث الآتية.

## المبحث الأول
## موقف العلماء اليمنيين من القبورية الإسماعيلية
## وجهودهم المشكورة في مواجهتها
### وفيه ثلاثة مطالب:

**<u>المطلب الأول</u>: موقف العلماء اليمنيين من الإسماعيلية:**

لم يجمع علماء اليمن ومثقفوه وحكامه على ذم شيء من البدع الطارئة كإجماعهم على كفر ومروق الطائفة الإسماعيلية الباطنية؛ مما حملهم على التصريح بكفرها ونشـر قبائحـها، ومحاربتها بشتى الوسائل من القتال إلى الردود العلمية، ومما يوضح ذلك عبارات المؤرخين وثورات الفقهاء ومقاومة الأئمة والملوك لها حتى أزالوها، وقضوا على دولتها وكيانها، وإن كان مقتهم والتصريح بالتفكير في حق علي بن الفضل وصاحبه منصور اليمن أشهر وأظهر من مقت الصليحي، وماذاك إلا لأن الصليحي كان أدهى من سابقيه ومستفيداً من أخطائهما، فتجنب إظهار الكثير مما أظهر الأولان من العقائد والأفعال الممقوتة، وكان بالرعية أرأف وألطف، وبذلك كسب شيئاً من التعاطف لشخصيته لا لنحلته، وكذلك الملكة الحرة والمعروفة عند العامة بـ " الملكة أروى " كانت ذات شخصية عظيمة وحنكة سياسية كبيرة، ثم كونها امرأة ظهرت بتلك القوة وذلك الدهاء في ذلك العصر، كل ذلك خفف من حدة المقت نحو الصلحيين كشخصيات.

أما مبادؤهم وعقائدهم فكانت موضع اتفاق مـن سائر اليمنيين كلهم بمقتها وبذمها، حتى لقد نحتوا من اسم هذه الطائفة عبارة مختصرة فقالوا " السمعلة "، وجعلوها شعاراً للذم، والطعن فيمن تطلق عليه.

وهذه بعض عبارات المؤرخين يصفون دخـول هذه النحلة إلى اليمن على يد علي بن الفضل وصاحبه، ومن أوائل المؤرخين الذين أبدوا الموقف اليمني من هذه الطائفة العلامة ابن سمرة صاحب طبقات فقهاء اليمن، فقد قال: ("فصل" ثم لحق باليمن كله في آخر المائة الثالثة وأكثر المائة الرابعة فتنتان عظيمتان: **فتنة القرامطة**: وقد عمت العراق والشام والحجاز، وإن اختلف تأثيرها في البلدان فَمَلَكَ المخلاف اليمني علي بن الفضل - لعنه الله - وأظهر فيه ما هو منسوب إليه ومشهور عنه على منبر جامع الجند بقوله:

**خذي الدف ياهذه والعبي وغني هزاريكِ ثم اطربي**

فذكر القصيدة، ثم قال: (والشعر طويل، وكله تحليل محرمات الشرع والاستهانة به، فقتل أهل اليمن قتلاً ذريعاً قبل هذا، وملك الحصون والأموال العظيمة) [1].

وبعد أن ساق الجندي تاريخ ابن الفضل ومنصور اليمن قال: (قال ابن جرير [2]: وكان عنوان كتاب ابن الفضل إلى أسعد: من باسط الأرض وداحيها ومزلزل الجبال ومرسيها علي بن الفضل إلى عبده أسعد ابن أبي يعفر، وكفى بهذا الكلام دليلاً على كفره، فنسأل الله العصمة) [3].

وقال الخزرجي في العسجد المسبوك بعد أن ذكر طرفاً من أخبار منصور وعلى بن الفضل: (فلما صار علي بن الفضل في صنعاء أظهر مذهبه الخبيث ودينه المشؤوم، وارتكب محظورات الشرع، وادعى النبوة، وكان المؤذن يؤذن في مجلسه أشهد أن علي بن الفضل رسول الله، وأباح لأصحابه شرب الخمر ونكاح البنات وسائر المحرمات) [4]، وقد نقل ابن الديبع كلام الخزرجي بنصه دون أن يعزوه إليه، وهو إقرارله [5].

وقال الأكوع في تعليقه على قرة العيون: (القرامطة فرقة من الباطنية، واحدها قِرْمِطي بكسر القاف وسكون الراء وكسر الميم بعدها طاء مهملة وياء النسبة، والقرمطة تقارب الشيء بعضه من

---

[1] طبقات فقهاء اليمن ص( 75-76 )

[2] ابن جرير هو : إسحاق بن يحيى بن جرير الطبري الصنعاني ، توفي سنة ( 450 هـ ) صاحب تاريخ صنعاء ، وقد قال الأكوع في تعليقه على السلوك ( 1/210 ) : أنه لم يعثر على هذه الرسالة فيما لديه من تاريخ ابن جرير ، وأنا كذلك لم أعثر عليها في النسخة المطبوعة غير أن ابن جرير كان لا يذكر ابن الفضل إلا وقال ( لعنه الله ) .

[3] السلوك ( 1/210 ) .

[4] العسجد ص( 39 ) .

[5] قرة العيون ص ( 142 ) .

بعض، يقال "خط مقرمط " إذا كان متقارب الحروف و" ومشي مقرمط " أي متقارب الخطو، سمي به أبو سعيد الأشعب؛ لأنه كان قصيراً دميماً مجتمع الخلق أسمر كريهاً؛ فلذلك سمي قرمطياً. فنسبت إليه القرامطة لأتباعه، قال الإمام نشوان[6]: والقرمطة عند أهل اليمن عبارة عن الزندقة، وصاحبها عندهم قرمطي، وجمعه قرامط، وقرامطة.

قلت: وهي منظمة سرية خطيرة، تكونت من جماعة فارسية من المجوس، اندست بين المسلمين متظاهرين بالدين والورع، وهدفها تقويض دعائم الإسلام وإعادة السيادة الفارسية، ثم اتخذت التشيع لها شعاراً لما أعجزتها الحيل. وكان منشؤها بفارس ولها خلايا بكل مكان، ثم امتدت جذورها إلى العراق وكْرَ التشيع، وأصبح مركزاً هاماً لبث دعوتهم في ظل البكاء والعويل على ما نال أهل البيت من التشريد والتنكيل، وألفوا قلوباً حانية على هذا المبدأ الذي استهوى بريقه ضعفة النفوس والسذج من الناس، واعتنقه البعض عن طيب خاطر وسماحة نفس بدون مناقشات للغـايات والأهـداف، والبعض اعتنقه طمعاً في الوصول إلى المناصب والجاه والمال، واستفحل أمر هذه العصابة، وعمَّ خطرها، وتطاير شررها، وقُوضت ممالك، وكانت فتنة صماء، جرّت على الإسلام والمسلمين ويلات وحروب لا ينادي وليدها، ونال منها اليمن شرارة انطفأت بعد حين) [1].

ويقول نشوان بن سعيد، وهو من علماء ومؤرخي الزيدية: (وسار علي بن الفضل الخنفري إلى أرض يافع، فاشتدت وطأته باليمن، واستولى على أكثر مخاليفه، وأعلن بالكفر، وأحل جميع المحرمات، وخرب المساجد، وكان يدّعي أنه نبي)، ثم ذكر بعض تلك الأبيات، ثم قـال: (وابن الفضل أول من سنَّ القرمطة في اليمن، والقرمطة عند أهل اليمن عبارة عن الزندقة، وصاحبها عندهم قرمطي، فجمعه قرامطة) [2].

أما القاضي حسين بن أحمد العرشي، وهو كذلك من علماء ومؤرخي الزيدية، فقد أطال في بيان حالهم وكشف عوارهم والتحذير منهم، فقال: (اعلم أن الباطنية - أخزاهم الله تعالى- أضر

---

[6] نشوان بن سعيد الحميري ، توفي سنة ( 573 هـ ) .انظر :الأعلام ( 8/20 ) ، ومقدمة الحور العين لنشوان الحميري ص( 16- 25 ) تحقيق كمال مصطفى طبع دار آزال بيروت ، والمكتبة اليمنية صنعاء الطبعة الثانية( 1985م ) والسلوك ( 1/92 9 ) .

[1] قرة العيون تعليقاً ص( 122-123 ) .

[2] الحور العين ص ( 253-254) .

على الإسلام من عبدة الأوثان، وسموا بها؛ لأنهم يبطنون الكفر، ويتظاهرون بالإسلام، ويختفون حتى تمكنهم الوثبة، وإظهار الكفر، وهم ملاحدة بالإجماع،ويسمون " بالإسماعيلية "؛ لأنهم ينسبون أئمتهم المستورين فيما يزعمون إلى إسماعيل بن جعفر الصادق، و"بالعبيدية "؛ لدعائهم إلى عبدالله بن ميمون القداح الذي نسبته الباطنية إلى مايزعمون من الأئمة المستورين.

والعبيديون من أولاد عبيدالله، وِلاة مصر ذلك الزمن، والآن يسمون "شيعة"؛ لكونهم مظهرين أن أئمتهم من أولاد الرسول، حين عرفوا أنه لا يستقيم لهم إمالة الحق، والدخول إلي دهليز الكفر، إلا بإظهار المحبة والتشيع، ولهم قضايا شنيعة وأعمال فظيعة، كالإباحية وغيرها، وقد تابعهم علـى ذلك من ذهب عنه النور الإيماني، واستولى على قلبه الهوى الشيطاني، وهم مع ذلك ينكرون القرآن والنبوة والجنة والنار، ولولا أن حياتهم معلومة عندهم، مرتبة بينهم لأنكروها.

وعلى الجملة فدينهم النجوم، وظواهرهم التخوم، ولايكاد يظهر مذهبهم لأتباعهم إلا لمن رسخ دينهم في قلبه، وتراهم إذا وجدوا لأنفسهم قوة أظهروا أمرهم، وأعلنوا كفرهم، فإن غُلبوا ولم تساعدهم الأيام، كمنوا كما تكمن الحية في جحرها، وهم مع ذلك يؤملون الهجوم والوثبة، وأن ينهشوا عباد الله، وقد أفصح السيد " الدافعاني " عن أطراف من أحوالهم في رسالته بعد اختلاطه بهم، وتردده عليهم، ولا ينبغي لذي معرفة وقوة، أن يعرف منهم أحداً يقتدرعليه، فيتركه وشأنه، فإنهم - أهلكهم الله تعالى-شياطين الأرض) [1].

وكلامه عام يشمل ابن الفضل ومنصور اليمن والصليحيين، بل إنه قد بين في مقدمة كتابه هـذا أن من جملة ما حمله على تأليفه أنه سمع راوياً يروي عن أناس، وذُكر عندهم بنو الصليحي، وما فعلوه من جوامع وصدقات، فترحموا عليهم جهلاً بأنهـم دعاة الباطنية وأصحـاب الطائفة العبيدية، فقلت: الآن اتخذ الجهل من الناس مأخذه، وفتح لهم فاه، وأطبق نواجذه، فقلت قصيدة مستغربة وكلمة منظومة معربة، سميتها مسك الختام) [2].

هذا هو موقف علماء ومؤرخي اليمن من الإسماعليلية، وهو مع ما فيه من المقت لهم وتكفيرهم لا يرقى إلى المستوى المطلوب الذي يجب أن يصل إليه الرد والبيان لحالهم وسوء معتقدهم وخطورة مكائدهم ودسائسهم، وربما كان للأولين العذر في ذلك

---

1 بلوغ المرام ص( 21-22 ) .

2 المصدر السابق ص(4) .

كونهم قد حاربوهم حرباً عسكرية وسياسية حتى أزالوا دولهم، وطهروا اليمن من وجودهم.

ولكن يجب ألا يخفى على علماء اليمن وحكامه أن مجرد زوال دولة الباطنية لا يكفي، فدولتهم قد زالت قديماً بزوال ابن الفضل ومنصور اليمن وأتباعه، ولكن نارها مازالت تدب تحت الرماد حتى مرت بها ريح الصليحي، فأشعلتها أقوى من ذي قبل، وملك جميع اليمن كما هو معلوم، ثم زالت دولته، وبقي فكره وعقائده ودعوته، وبقي دعاته يخلف بعضهم بعضاً، ويوصي بحفظ الدعوة والحفاظ عليها في دور الستر كما يقولون حتى يحين دور الظهور الجديد، وبقيت كتبهم متوفرة، وهي أعظم ما يقـوم عليه منهج الإسماعيلية في العالم كله، هذه الكتب محفوظة كما يؤكِّد ذلك الدكتور حسين الهمداني في مكتبة الجامع الكبير بصنعاء وبعض المكتبات الخاصة وبعض المتاحف ودور الكتب العالمية، وقد بدأت موجة إحياء لهذه الكتب ونشر وتحقيق في أكثر من بلد؛ وذلك للتحول الجديد في العالم وطغيان الحرية الفكرية والعقائدية، فبعد أن كان الباطنية يتخفون غاية التخفي بعقائدهم، ويخفون كتبهم عن أهل نحلتهم حتى يصلوا إلى مستوى معين من الفهم والقناعة بما لديهم، أصبحوا اليوم يتباهون بما هم عليه، وينشرون تلك الكتب على الملأ، ويتظاهر بعض الباحثين بانتسابه إليهم، ويؤرخ لهم مادحاً شارحاً لبعض قضاياهم التي كانت في غاية السرية.

إذاً هذا الفكر الضال والمعسول في نفس الوقت الذي ينبني على الفلسفة والخطاب العقلي والعاطفي في آنٍ واحد، جدير بالاهتمام والحذر واتخاذ التدابير الواقية من بعثه وافتتان الناس به في المستقبل.

واسمع إلى الدكتور حسين الهمداني، وهو أحد الباحثين الباطنية الإسماعيلية المحدثين، وهو يمني حيث يقول في كتابه "الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن " تحت عنوان " الثروة العلمية الفاطمية في اليمن": (ترى أن دعوة اليمن مضت مـن يـوم وفاة السيدة الحرة الملكـة الصليحية إلى انتهاء الدولة الأيوبية في اليمن في مرحلة تمتاز بنشاط علمي وجمع شتات التراث الفكري وتسجيلها في كتب ومؤلفات وحفظ ما تركه المؤلفون الدعاة في عهد الخلفاء الفاطميين، وقد بدأت هذه الحركة العلمية في حياة الملك المكرم والملكة الحرة بعد عودة قاضي قضاة اليمن لمك بن مالك الحمادي من الديار المصرية إلى مقر الدولة الصليحية، وقد سبق أن ذكرنا أن داعي الدعاة المؤيد في الدين الشيرازي، قرر في أواخر عهد الخليفة المستنصر بالله الفاطمي خطوط

برنامج الدعوة العلمي، وكلف القاضي لمك تنفيذ هذا البرنامج، ونقل القاضي كتب الدعوة وما احتوته من علوم إلى اليمن، ثم قررت السيدة الملكة الحرة بعد وصول القاضي إلى اليمن فصل الدعوة من شؤون الملك. وعينت الملكة يحيى بن لمك والداعي الذؤيب بـن موسى الـوادعي للاشراف على تنفيذ هذا المشروع العلمي البعيد عن التيارات السياسية. فابتدأت الدعوة تعمل لهذا الغرض في عهد الداعي الذؤيب بن موسى الوادعي، ومأذونه السلطان الخطاب بن الحسن الحجوري، ثم أظهر الداعي إبراهيم بن الحسين الحامدي ومأذونه الشيخ علي بن الحسين بن جعفر بن الوليد القرشي،والشيخ محمد بن طاهر الحارثي نشاطاً بليغاً في هذا الصدد، وبلغ الداعي حاتم بن إبراهيم الحامدي، والوادعي علي بن محمد بن الوليد من إنتاجهما الأدبي مبلغاً لايستهان به. وأثبت الداعي علي ابن حنظلة خلاصة بعض علوم الدعوة في رسالته وأرجوزته. وقد واصل علماء اليمن هذا النشاط العلمي في القرون التالية إلى عهد الداعي إدريس عماد الدين الأنف القرشي، المتوفى سنة اثنتين وسبعين وثمان مائه، بل إلى أيامنا هذه، ومن هذا العرض السريع نأخذ فكرة عما يوجد من الثروة الأدبية والعلمية في خزائن كتب الدعوة اليمنية) [1].

كما أن الأستاذ عبدالله الحبشي ذكر في كتابه مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن ذكر ستة عشر داعياً ومؤلفاً من دعاة الإسماعيلية اليمنيين الذين خلفوا ثروة علمية وعقائدية ضخمة، كلها يقصد بها تعميق وترسيخ الفكر والعقيدة الإسماعيلية لدى اليمنيين [2].

ذلك المخزون الفكري وإن كان ضالاً غير مستساغ لدى العقلاء، فإنه قد يستساغ لدى الجهلاء، ولدى المفتونين بالغرائب، ولدى المندسين الذين دأبوا على بث الفتن والشقاق من خلال العقائد الضالة والأفكار الهدامة. هذا بالإضافة إلى الاهتمام الكبير والمتزايد باليمن من قبل هذه الطائفة هذه الأيام، وما يعتمل داخل تجمعات هذه الطائفة في مناطق تواجدها وعلاقاتها المـريبة مـع جهات أجنبية، ربما عملت على زعزعت أمن اليمن واستقراره.

وكذلك الظاهرة التي برزت في السنوات الأخيرة ما يسمى لدى تلك الطائفة في الخـارج " الحج إلى اليمن "؛ وذلك لتتبع قبور

---

[1] الصليحيون ص( 297-298 )

[2] مصادر الفكر العربي والإسلامي في اليمن تأليف عبد الله محمد الحبشي الصفحات (95) و (100) و (102) و (106) و (111) و (112) و (11) و (121) و (123) و (125) و (126) طبع مركز الدراسات اليمنية صنعاء .

دعاتهم في مناطق مختلفة في اليمن، سبقت الإشارة إلى بعض منها، ومما يدل أن وراء الأكمة ما وراءها، أنهم لم يقتصروا على زيارة تلك القبور والانصراف عنها، ولكنهم يشترون ماحولها من أرض ودور ومدارس وأي شيء، حتى يتحول الضريح وماحوله إلى ملك خاص بهم، يقيمون فيه المساكن في الظاهر، ولاندري ما وراء المساكن، وقد شاهدت قبراً لهم معظماً في زبيد، وقد ملكوا سكناً واسعاً بجواره، فإذا جاءوا للزيارة نزلوا فيه،وانطلقوا منه إلى بقية المزارات، كما رأيت قبراً آخر في قرية الحمى من نواحي زبيد، يسمونه قبر " حضرة خواجه أويس القرني عاشق رسول الله  " هكذا مكتوب عليه، وقد دخلته وهو ضمن مباني مدرسة صغيرة قديمة، فاشتروا حسب إفادة بعض أهالي المنطقة مساحة من الأرض، وبنوا عليها مدرسة جديدة على أن تكون المدرسة القديمة والقبر لهم، ورأيت قبراً عالياً مغطى بثوب موشى، لعله من الحرير مطرز بآيات من القرآن وبعض العبارات الأخرى، وهو في غاية من النظافة، ومفروش بفراش من السجاد والبخور يفوح منه مما يلقي له مهابة في نفس الزائر.

فهذه الأماكن، مايدرينا أنها تتحول إلى مقار للفتنة والمؤامرة في يوم من الأيام! وهل كانت بدايات اليهود المهاجرين إلى فلسطين إلا بهذه المثابة؟ أوَما نخشى أن يأتي يوم يقال فيه لابد من وطن قومي لهذه الطائفة؟

ولايسعني في نهاية هذا المطلب إلا أن أسجِّل تحذيري للعلماء وللحكام ولكل غيور على أمن اليمن وسلامته واستقراره:

أرى خلل الرماد وميضَ نـارٍ ويوشك أن يكونَ لها ضرامٌ

**لئن لم يطفها عقلاءُ قَــوم يكون ضرامها جثثٌ وهامُ**

## المطلب الثاني: أبرز الأعلام الذين واجهوا الإسماعيلية من علماء اليمن:

سبقت الإشارة إلى ضعف المواجهة العلمية لهذه الطائفة، ولكن مع ذلك فإن علماء اليمن لم تخلُ الساحة تماماً من الردود وبيان فساد عقائد ومناهج هذه الطائفة، ومن المؤمل أن يقوم العلماء المعاصرون بسد ذلك النقص.

العلم الأول

**محمد بن مالك بن أبي القبائل[1] الحمادي**

هذا الإمام هو أشهر مـن رد على الإسماعيلية مـن اليمنيين، بـل إن رسالته أصبحت مرجعاً لكل من يكتب عنهم، وهو الفقيه أبو عبدالله محمد بن مالك بن أبي القبائل الحمادي المعافري، والذي لم يُعثر له على ترجمة، كما أكد ذلك القاضي محمد بن علي الأكوع في مقدمة كتابه [2] غير أن الجندي قد أفاد ما يأتي في ترجمة علي بن الفضل: (على ما ذكره الفقيه أبو عبدالله محمد بن مالك بن أبي الفضائل أحد فقهاء اليمن وعلماء السنة، وكان ممن دخل في مذهبهما - منصور وابن الفضل - أيام الصليحي، وتحقق أصل مذهبهما، فلما تحقق فساده رجع عنه، وعمل رسالة مشهورة، يخبر بأصل مذهبهم،ويبِيْن عوارهم ويحذر من الاغترار بهم) [3]، وقد استنبط القاضي الأكوع أن وفاة الحمادي كانت في أيام علي بن محمد الصليحي ما بين عامَي (439هـ -459 هـ) حيث لم يدرك مقتل الصليحي سنة (459 هـ).

وكتاب الحمادي من أهم الكتب الكاشفة عن حقيقة الإسماعيلية في اليمن،بل هو أهمها؛ وذلك لما انطوى عليه من مشاهدة واحتكاك وخبرة من الداخل، قال - رحمه الله - في فاتحة كتابه: (قال محمد ابن مالك - رحمة الله تعالى عليه -: اعلموا أيها الناس المسلمون، عصمكم الله بالإسلام، وجنبنا وإياكم طرق الآثام، وأرشدكم، ووفقكم لمرضاته، وسددكم، إني كنت أسمع ما يقال عن هذا الرجل الصليحي كما يسمعون، ومايتكلم به عليه من سيء الإذاعة وقبح الشناعة، فإذا قال القائل: هو يفعل، ويصنع، قلت: أنت تشهد عليه غداً، فيقول: ما شهدت، ولا عاينت، بل أقول كما يقول الناس. فكنت أتعجب من هذا أولاً، ولا أكاد أصدق،ولا أكذب ما قد أجمع عليه الناس، ونطقت بــه الألسن، فتارة أقـول هذا ما لا يفعله أحد من العرب والعجم، ولا سمع به فيما تقدم في سالف الأمم، إنما هذه عداوة له من الناس للمآل الذي بلغه من غير أصل ولا أساس، وكنت كثيراً ما أسمعه يقول:حكم الله لنا علىمن يظلمنا، ويرمينا بما ليس فينا.

---

[1] ابن أبي القبائل هذا الذي ذكره الأكوع في تحقيقه لكتابه كشف أسرار الباطنية ، وذكره فؤاد سيد في تحقيقه لكتاب طبقات فقهاء اليمن لابن سمرة الجعدي ص( 78 ) ، ومنهم من ذكره بابن أبي الفضائل والله تعالى أعلم .

[2] كشف أسرار الباطنية ص(45 ) .

[3] السلوك (1/201 ) .

فرأيت أن أدخل في مذهبه؛ لأتيقن صدق ما قيل فيه من كذبه؛ ولأطلع على سرائره وكتبه،فلما تصفحت جميع ما فيها، وعرفت معانيها، رأيت أن أبرهن على ذلك؛ ليعلم المسلمون عمدة مقالته، وأكشف لهم عن كفره وضلالته؛ نصيحة لله وللمسلمين؛ وتحذيراً ممن يحاول بغض هذا الدين، والله موهن كيد الكافرين.

فأول ما أشهد به وأشرحه، وأبينه للمسلمين وأوضحه، أن له نوّاباً يسميهم الدعاة المأذونين، وآخرين يلقبهم بالمكلبين تشبيهاً بكلاب الصيد؛ لأنهم ينصبون للناس الحبائل، ويكيدونهم بالغوائل، وينقبضون عن كل عاقل، ويلبِّسون على كل جاهل، بكلمة حق يراد بها باطل. يحضّونهم على شرائع الإسلام، من الصلاة والزكاة والصيام كالذي ينثر الحب للطير؛ ليقع في شراكه، فيقيم أكثر من سنة يمعنون به وينظرون صبره، ويتصفحون أمره، ويخدعونه بروايات عن النبي  محرفة، وأقوال مزخرفة،ويتلون عليه القرآن على غير وجهه، ويحرفون الكلم عن مواضعه، فإذا رأوا منه الانهماك والركون والقبول والإعجاب بجميع ما يعملونه والانقياد لما يأمرونه، قالوا حينئذٍ: اكشف عن السرائر، ولاترض لنفسك، ولاتقنع بما قد قنع به العوام من الظواهر، وتدبر القرآن ورموزه، واعرف مثله وممثوله، واعرف معاني الصلاة والطهارة، وماروي عن النبي  بالرموز والإشارة، دون التصريح في ذلك والعبارة،فإنما جميع ما عليه الناس أمثال مضروبة، لممثولات محجوبة، فاعرف الصلاة وما فيها، وقف على باطنها ومعانيها، فإن العمل بغير علم لاينتفع به صاحبه، فيقول: عمَّ أسأل، فيقول: قال الله تعالى:  **أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة**  [1]، فالزكاة مفروضة في كل عام مرة، وكذلك الصلاة من صلاها مرة في السنة فقد أقام الصلاة بغير تكرار، وأيضاً فالصلاة والزكاة لها باطن؛ لأن الصلاة صلاتان، والزكاة زكاتان، والصوم صومان، والحج حجان، وما خلق الله - سبحانه - من ظاهر إلا وله باطن، يدل على ذلك:  **وذروا ظاهر الإثم وباطنه**  [2]  **قل إنما حرم ربي الفواحش ماظهر منها وما بطن**  [3]، ألا ترى أن البيضة لها ظاهر وباطن، فالظاهر ما تساوى به الناس وعرفه الخاص والعام، وأمـا الباطن فقصر علم الناس به عن العلم به، فلا يعرفه إلا القليل، من ذلك قوله: 

---

[1] البقرة (43 ) .

[2] الأنعام ( 120 ) .

[3] الأعراف ( 33 ) .

**وما آمن معه إلا قليل** [1]، وقوله: **وقليلٌ ماهم** [2]،وقوله: **وقليلٌ من عبادي الشكور** [3]، فالأقل من الأكثر الذين لاعقول لهم) [4].

وقد بدأ كتابه بذكر الدعاة المأذونين، وكيفية قيامهم بتلك الدعوة،وكيف يؤوِّلون، ويعلمون الناس أن لكل شيء ظاهراً وباطناً، فالصلاة لها باطن والزكاة لها باطن...الخ، ثم ذكـر تدرجهم بالمدعو حتى يصل إلى الدرجة التي يبيح له الإمام المبيت مع زوجة الداعي، ثم مع زوجات الواصلين إلى تلك الرتب العالية عندهم [5]؛ ثم ذكر المشهد الأعظم وما فيه من إباحية، ثم يختم الفصل بقوله: (قال محمد بن مالك - رحمه الله تعالى -: هذا ما اطلعت عليه من كفرهم وضلالتهم، والله - تعالى - لهم بالمرصاد،والله - تعالى - عليَّ شهيد بجميع ما ذكرته مما اطلعت عليه من فعلهم وكفرهم وجهلهم، والله يشهد عليَّ بجميع ما ذكرته عالم به، ومن تكلم عليهم بباطل فعليه لعنة الله واللاعنين والملائكة والناس أجمعين، وأخزى الله من كذب عليهم، وأعد له جهنم وساءت مصيراً، ومن حكى عنهم بغير ما هم عليه، فهو يخرج من حول الله وقوته إلى حول الشيطان وقوته.

فأديت هذه النصيحة للمسلمين حسب ما أوجب علي من حفظ هذه الشهادة، فإن الله - سبحانه -أمر بحفظ الشهادة ومراعاتها وأدائها إلى من لم يسمعها، قال الله : **سُتكتب شهادتهم ويسئلون** [6]،والله أسأله أن يتوفانا مسلمين، ولاينزع عنا الإسلام بعد أن أتانا بمنه ورحمته) [7].

ثم قال تحت عنوان " المقالة في أصل الدعوة الملعونة ": (وقد رأيت أيها الناس، وفقنا الله وإياكم للصواب، وجنبنا وإياكم طرق الكفر والارتياب، أن أذكر أخبار هذه الدعوة الملعونة؛ لئلا يميل إلى مذهبهم مائل، ولا يصبو إلى مقالتهم لبيب عاقل، ويكون في هذا القدر من الكلام في هذا الكتاب إنذار لمن نظره، وإعذار لمن، وقف عليه واعتبره) [8]، ثم ابتدأ في تاريخ تلك الدعوة وأخبارها إلى آخر الكتاب.

---

1 هود ( 40 ).
2 سورة ص ( 24 ) .
3 سبأ ( 13 ) .
4 كشف اسرار الباطنية وأسرار القرامطة ص( 63 – 65 ) .
5 . المصدر السابق ص( 69 ).
6 الزخرف ( 19 ) .
7 المصدر السابق ص( 70 ) .
8 المصدر السابق ص(70 – 71 )

والكتاب يعد من أهم وأقدم المراجع المؤرخة للباطنية والكاشفة عن حقائقهم خصوصاً باطنية اليمن؛ ولذا فلا يحصى من نقل عنه قديماً وحديثاً، وقد طبع عدة طبعات من آخرها وأفضلها طبعة " مركز الدراسات والبحوث اليمني " بتحقيق القاضي محمد بن علي الأكوع سنة (1415 هـ).

ولقد حاول البعض التشكيك في بعض ما احتوى عليه الكتاب، إما باعتبار ذلك غير معقول، أو بدافع قومي أو وطني، ولكن الشهادة التي صدّره بها القاضي الأكوع عن المقريزي تشهد للحمادي بصدقما ذكره، وكذلك يشهد له كثير من النقول عن كتب الإسماعيلية أنفسهم التي أوردها الباحث الكبير إحسان إلهي ظهير في كتابه الفذ " الإسماعيلية تاريخ وعقائد " ومن أراد التأكد فليرجع إليه في الباب السادس " الإسماعيلية والتأويل الباطني " [1] و" الإسماعيلية ونسخ شريعة محمد صلوات الله عليه"[2]، إلا موضوع " المشهد الأعظم " أي جمع الرجال مع النساء، وكذلك المبيت مـع زوجة الداعـي وزوجات من يليه فلم أجد إلى الآن ما يشهد له فلا أستطيع الجزم بإثباته كما لا أستطيع نفيه.

العلــم الثــاني

## الإمـــام يـحيى بن حمــزة

وهو الإمام المؤيد بالله يحيى بن حمزة بن علي، ينتهي نسبه إلى الحسين بن علي، وهو خلاف أكثر أئمة اليمن الذين يرجعون إلى الحسن بن علي ، ولد بصنعاء سنة (669 هـ) (واشتغل بالمعارف العلمية وهو صبي، فأخذ من جميع أنواعها على أكابر علماء الديار اليمنية، وتبحر في جميع العلوم، وفاق أقرانه، وصنف التصانيف الحافلة في جميع الفنون) [3]، (وهو من أكابر أئمة الزيدية بالديار اليمنية، وله ميل إلى الإنصاف مع طهارة لسان وسلامة صدر وعدم إقدام على التكفير والتفسيق بالتأويل ومبالغة في الحمل على السـلامة علـى وجه حسن، وهو كثير الذب عن أعراض الصحابة المصونة ، وعن أكابر علماء الطوائف رحمهم الله) [4]، وله في ذلك " الرسالة الوازعة للمعتدين عن سب أصحاب سيد المرسلين " [5].

---

1 الإسماعيلية تاريخ وعقائد ص( 473 – 538 )

2 المصدر السابق ص( 546 – 592 )

3 البدر الطالع (2/331 )

4 المصدر السابق ( 2/332 )

5 المصدر السابق ( 2/332 ) .

وكتبه كثيرة جداً، أوصلها بعضهم إلى مئة مجلد، ومنها رسالتـاه اللتان رد فيهما علـى الباطنية، وهما " الإفحام لأفئدة الباطنية الطغام " و" مشكاة الأنوار الهادمة لقواعد الباطنية الأشرار " وقد طبعتا، ولكني لم أحصل على أي منهما.

وهذا الإمام لم يقتصر على الرد على الإسماعيلية بقلمه ولسانه، بل حاربهم بسيفة وسنانه، كما ذكر ذلك صاحب أعلام المؤلفين الزيدية [1]، ولست أدري شيئاً عن مضمون الكتابين غير أن الظن أنهما مفيدان ومحققان، فقد وُصِفَ هذا الإمام بالتحقيق والنبوغ.

وهو مع مكانته العلمية وشهرته بين علماء اليمن، قد صدرت عنه بعض الفتاوى التي يظهر بجلاء مخالفتها للأدلة، من أشهرها تجويزه بناء المشاهد والقباب على قبور الخلفاء وذوي الفضل، وهذه الفتوى هي التي رد عليها الشوكاني برسالته "شرح الصدور بتحريم رفع القبور"، وقد ذكر بعض تلك المسائل القاضي إسماعيل الأكوع في ترجمته في كتابه هجر العلم [2].

وقد توفي - رحمه الله - في موضع اعتزاله بعد أن تخلى عن الإمامة بقصر هران بذمار سنة (749 هـ) [3].

**<u>المطلب الثالث</u>: المؤلفات اليمنية في الرد على الباطنية الإسماعيلية:**

لقد عثرت- أثناء بحثي عن هذه الطائفة وتاريخها ومـوقف العلماء منها-على عدد مـن الردود عليها من علمـاء اليمن،ولاأزعم أن هـذه الأسماء التي سـأذكرها في هـذا المطلب هي كل ما كتبه اليمـنيون في ذلك، ولكن هذا ما وقفت عليه.

1 – 3) ماسبق ذكرها؛وهي رسالة الحمادي "كشف أسرار الباطنية"،و"الإقحام لأفئدة الباطنية الطغام" و"مشكاة الأنوار الهادمة لقواعد الباطنية الأشرار" وكلتاهما للإمام يحي بن حمزة.

4**)** "الحسام البتار في الرد على القرامطة الكفار"؛ للشيخ حُميد بن محمد المحلي الهمداني المعروف بحميد الشهيد، وكان من كبار الهادوية في عصره، قتل سنة (652) [4].

---

[1] أعلام المؤلفين الزيدية ص( 1124 ).

[2] هجر العلم (1/502 ) .

[3] انظر ترجمته في البدر الطالع (2/331 – 333 ) ، وهجر العلم ص( 501 – 506 ) ، وأعلام المؤلفين الزيدية ص( 1124 – 1131).

[4] هجر العلم للأكوع (2/882) ، ومصادر الفكر للحبشي ص( 107 ) .

5) "الرسالة القاطعة في الرد على الباطنية" (جزآن)؛ للشيخ محمد بن يحيى بن أحمد بن حنش، توفي سنة (719) [1].
6) "العضب المسلول في الرد على الباطني المخذول" لأبي العطايا عبدالله بن يحيى بن المهدي، تـوفي سنة (873) [2].
هذه هي الكتب المفردة،وهناك من تعرض لهم أثناء بحوث أخرى وضمن كتب غير مخصصة للـرد عليهم منها:
أ) ماكتبه الإمام محمد بن إبراهيم الوزير، المتـوفى سنة (840هـ)؛ في كتـابه" إيثـار الـحق على الخلق" في عدة مواضع.
ب) محمد بن الحسن الديلمي المتوفى سنة (711 هـ)، في كتابه "قـواعد عـقائد آل محمـد"، وغير ذلك من كتب العقائد والتاريخ.
وعندما بدأت موجات الحجاج الإسماعيلية تتوافد علـى اليمن،وظـهر نشـاطهم ونشاط إخوانهم من اليمنيين،تحرك بعض العلماء والدعاة من المعاصرين؛ لمواجهة ذلك خطابة ومحاضرة وربما تأليفاً، والواجب أن تأخذ هذه الفرقة حظها من العناية والاهتمام على مستوى الخطر الذي تشكله، والله الموفق.

## المـبحث الثــاني
## المواجهة العلمية لعلماء الجهات اليمنية المختلفة لعموم القبورية
## وفيه أربـعة مطالب:

**<u>المطلب الأول</u>: جهود علماء اليمن الأعلى "صنعاء ومايليها ":**

---
[1] هجر العلم (3/1306) ، ومصادر الفكر ص(112 ) .
[2] مصادر الفكر ص( 122 ) .

لقد كان لعلماء هذه الجهة النصيب الأوفر والحظ الأكبر من الجهود العلمية والعملية في مواجهة القبورية،وقد تقدم بعض جهودهم في مواجهة الباطنية الشيعية،وفي هذا المبحث سألقي الضوء على جهودهم في مواجهة عموم القبورية،ولم تكن تلك الجهود العظيمة لأن بلادهم كانت أكثر قبورية من غيرها،ولكن كان هناك عاملان أساسيان لذلك:

**الأول**: هو الاجتهاد والتجديد الذي تميز به علماء هذه الجهة،فاتسعت آفاقهم، وزالـت الـموانع من طريقهم؛ سواء موانع النظر العلمي، أو موانع الجهر بكلمة الحق التي حالت دون علماء جهات أخرى أن يقولوها.

**الثاني**: أنه لايوجد من يتبنى القبورية، ويدافع عنها بقوة من علماء تلك الديار، وإنما الذي يروج تلك القبورية هم الحكام دون اعتقاد؛ بل لدوافع إظهار العظمة لديهم، فلم يكن لهم حمـاس الصوفية المعتقدة في الأولياء والحكام الخاضعين لسلطان الصوفية.

ولذا فسوف تطالعنا أسماء عديدة، لها إسهاماتها في هذه الجهود من جوانب مختلفة،ولكنني سأكتفي بدراسة أكثر تلك الأسماء تأثيراً،وهما الإمامان شيخا الإسلام "محمد بن إسماعيل الأمير" و"محمد بن علي الشوكاني"، مع استعراض بعض آثارهما في هذا المجال، وأما بقية الأسماء فسأذكرها مجردة،مع تاريخ الوفاة وبعض مصادر الترجمة، واسم الأثر الذي تركه ذلك العالم في مواجهة القبورية وموضوعه.

العلـم الأول

## من أعلام مواجهة القبورية في اليمن الأعلى

## الإمام محمـــد بن إسماعيــل الأمير

هو علامة اليمن ومجدد علم الحديث بها،البدر المنير محمد بن إسماعيل بن صلاح، الأمير الكحلاني ثم الصنعاني، ينتهي نسبه إلى الحسين بن علي بن أبي طالب ، ولد بكحلان ليلة الجمعة منتصف جمادى الأول سنة (1099هـ) [1]، ثم ارتحل مع والده إلى صنعاء،وهناك أكب على طلب العلم على أشهر وأفضل علمائها، (ورحل إلى مكة،وقرأ الحديث على أكابر علمائها وعلماء المدينة، وبرع في جميع العلوم وفاق الأقران،وتفرد برئاسة العلم في صنعاء، وتظهر بالاجتهاد وعمل بالأدلة، ونفر عن التقليد وزيف ما لا

[1] هجر العلم (4/1854) .

دليل عليه من الآراء الفقهية، وجرت له مع أهل عصره خطوب ومحن) [1]، وقد عدد الشوكاني تلك المحن التي وقعت عليه [2].

وقد تفرد في عصره من بين علماء اليمن بأمور، هي من أعظم خصال المجددين، وأزكى ثمار اجتهاد المجتهدين، أولها الدعوة إلى التوحيد الخالص ومحاربة الشرك ووسائله،وهــذا ما سنراه في الجزء الثاني من هذه الترجمة، وكان ذلك قبل أن يسمع بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب- رحمه الله- فلما سمع بها وبما يقوم به ابن عبدالوهاب في ذلك السبيل، فرح فرحاً شديداً،وتقوّى بذلك، ووجد المساعد على دعوته التي كان يظن أنه وحده عليها، فراسله بقصيدته الشهيرة المعروفة بالقصيدة النجدية، والتي مطلعها:

**سلامٌ على نجد ومن حل في نجد وإن كان تسليمي على البعد لايجدي**

وقال مبدياً سروره بما يدعو إليه ذلك الإمام:

لقد سرني ما جاءني مـن طريقة وكنت أرى هذي الطريقة لي وحدي

وقد ضمّن هذه القصيدة أهم ملامح دعوته إلى التوحيد والاجتهاد ومحاربة البدع، وأثنى على الإمام ابن عبدالوهاب بذلك.

ولكن هناك أموراً ساعدت على شيء من التردد تجاه الشيخ ابن عبدالوهاب؛ وهي أنه لم يبادر بالجواب على الصنعاني، وترتب على هذا السبب أسباب أخرى، من أهمها أن القصيدة انتشرت، وسار بها الركبان، وبلغت الحجاز والشام والعراق وغيرها من البلدان التي لابن عبدالوهاب فيها أعداء، فسارعوا بالكتابة لابن الأمير، يلومونه على مدحه لابن عبدالوهاب، ويختلقون المطاعن والمثالب، ويهوِّلون الأمر بحيث يصورونه له أنه بسبب هذه القصيدة، ارتفع شأن هذا الرجل، واغتر به أناس مع ما عنده من أخطاء، ويحمِّلون ابن الأمير مسؤولية من اغتر بقصيدته، ولكن ذلك كله لم يؤثر فيه،كما صرح بذلك في مقدمة قصيدة الرجوع غير أنه بعد فترة، ورد إليه رجل من أهل نجد، يزعم أنه من طلاب محمد ابن عبدالوهاب، وذكر لابن الأمير بعض الأمور عن صاحبه، لم ترق له، ولم يُعِر ذلك اهتماماً ، ثم ورد رجل آخر، يظهر عليه سمت وسيما صلاحٍ ونباهة في طلب العلم حسبما يصفه ابن الأمير؛ فأكد ما قاله الوافد الأول وأحضر حسب زعمه بعض رسائل ابن عبد الوهاب التي فيها تبرير تكفير سائر الأمة، والوجهة في قتل

---

[1] البدر الطالع ( 2/133 ) .

[2] المصدر السابق (2/ 113-136 ) .

مخالفيه، وأخذ أموالهم، فلما تجمع ذلك كله وجد ابن الأمير نفسه مضطراً لمسح ما فعلته القصيدة الأولى، من دعاية لابن عبدالوهاب، فنظم قصيدته التي مطلعها:

**رجعت عن النظم الذي قلت في النجدي فقد صح لي عنه خلاف الذي عندي**

وأبان فيها ما بلغه عن ابن عبدالوهاب، مما لا يرتضيه وأهمه تكفير الأمة قاطبة، والتَّجاري على الدماء والأموال، وأقول:

**أما القضية الأولى** فهي قطعاً غير صحيحة، وجميع مؤلفات الإمام ومؤلفات أبنائه وأحفاده وأعلام الدعوة النجدية موجودة متداولة، وليس فيها شيء من ذلك، أعني التكفير العام المطلق للأمة، وإنما فيها التحذير من الشرك والحكم العام دون التعيين لمن وقع في الشرك بأنه مشرك، مالم يكن معذوراً، وتاب عن ذلك، فدعوى تكفير الأمة قاطبة مما افتراه عليه أعداؤه؛ لتشويه سمعته.

**وأما القضية الثانية** وهي التجاري على دماء المسلمين وأموالهم فهي مبنية على حكم من يحاربهم، فمن اعتقد هو وأتباعه أنه مرتد معاند، لم يقبل النصح، ولم ينصع للدعوة، استحل قتاله، وغنم أمواله، وذلك بعد البلاغ والإعذار، كما تنص عليه كتبه وكتب أتباعه، وأما وصول الأمر إلى حد الاغتيال دون إنذار ودون دعوة، فما علمت أن الشيخ وأتباعه العلماء، يجيزون ذلك بهذه الصورة المذكورة، وأما أن يحصل من بعض الجنود وقُوَّادِهم شيء من التجاوز في القتل أو في نهب الأموال أو ما أشبه ذلك، فهذا ممكن، وليس العيب فيه على الشيخ، ولا على دعوته.

وعلى كل حال فتأخُّر جواب الشيخ ابن عبدالوهاب علىالشيخ ابن الأمير؛ فتح المجال للطرف الثالث وهم الناقمون على الشيخين جميعاً، فسعوا للإيقاع بينهما، وخصوصاً أنهم لمسوا قضية حساسة لدى ابن الأمير، وهي قضية قتل الناس وأخذ أموالهم باسم الدين والشرع والجهاد في سبيل الله، التي كان قد سنّها بعض أئمة اليمن، وضاق بها علماء اليمن ذرعاً، ومن أشدهم ابن الأمير،فكم له في ذلك من مكاتبات وقصائد تعد ثورة على تلك الأوضاع، فخشي أن يذم أئمة اليمن، ويمقتهم لذلك الظلم،وفي نفس الوقت يمدح إمام نجد الذي يجاري أئمة اليمن في ذلك البغي والظلم.

هذه في نظري هي الأسباب الحاملة على نظم القصيدة الأخيرة؛ ولذلك ومن أجل أن يقطع الطريق على من يصطاد في الماء

العكر، فقد أكد تمسكه بما جاء في القصيدة النجدية من العقيدة والمنهج، وإنما كان الرجوع عن تلك القضايا المجددة فقال:

**نعـم واعلـموا أني أرى كل بدعة ضلالاً على ما قلت في ذلــك العقـد**

**ولاتحسبـوا أني رجعت عن الـذي تضمنه نظــمي القــديم إلى نجــد**

**بلى كـل ما فيه هو الـحق إنمـا تجاريك في سفك الدمـا ليس من قصدي**

**وتكفير أهل الأرض لست أقوله كمـا قلتـه لا عـن دليـل به تهدي)** [1]

والقصيدة ثابتة عن الإمام ابن الأمير، وليست مقولة على لسانه، والسبب فيها ماذكر، وليس هو تراجعاً عن ذلك المنهج، وقد أشار الشوكاني في "الدر النضيد" إلى شرح هـذه القصيدة لابن الأمير[2]، فمن أنكرها من علماء نجد وغيرهم كان إنكاره لها عن عدم اطلاع على ما ذكر من أسباب وملابسات، وماذاك إلا غيرة على الإمام ابن الأمير من أن ينسب إليه مايخالف ماعرف عنه من الدعوة إلى التوحيد والاتباع ومحاربة الشرك والابتداع.

وأما الأمر الثاني فالدعوة إلى الاجتهاد ونبذ التقليد الأعمى والتعصب المقيت، وهذا الأمر تطفح به كتبه التي خصص منها رسالة لهذا الغرض بعنوان: " إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد "، كما تعرض لهذا الأمر في الكثير من كتبه الكبيرة والصغيره، وأعلنه في العديد من قصائده، ومنها هذه القصيدة النجدية التي تكلمنا عنها آنفاً حيث قال:

وأقبح من كـل ابتـداع سمعتــه وأنكاه للقـلب الموفـق للـرشـد

**مذاهب من رام الخـلاف لبعـضها يُعـض بأنيابِ الأسـاود والأسـد**

يـصب علـيه سـوط ذم وغـيبة ويجفوه من قد كان يهواه عـن عمد

**ويُعزى إليه كــل ما لا يقولــه لتنقيصـه عنـد التهامي والنجـدي**

**فيرميه أهل الرفض بالنصب فــرية ويرميه أهل النصب بالرفض والجحد**

**وليس لـه ذنب سـوى أنـه غـدا يتـابع قـول الله في الحل والعـقد**

---

[1] الديوان وانظر مقدمةهذه القصيدة ص ( 171-173 ) .
[2] الدر النضيدص ( 102 ).

**ويتبــع أقــوال النـبي محمـد وهل غيره بالله في الشرعي من يهدي**
**لئن عـده الجهـال ذنـباً فحبـذا بـه حبذا يـوم انفـرادي في لحدي** [1]

وتجد هذا الاتجاه في ديوانه في عـدة مواضع بـارزاً، وقد جر عليه هذا ضروباً من المحن، كما مر.

والأمر الثالث مقارعته للأئمة وتشديده النكير عليهم في المظـالم الـتي يرتكبونها بحق الأمة في دمائها وأموالهـا، وهو فـاشٍ في كتبه ورسائله وقصائده، ومن أشـهر تلك القصـائد وأذيعها وأبعـدها ذكـراً القصيدة التي مطلعها:

(**سماعاً عباد الله أهل البصائر لقولٍ له يفنى منام النواظر**) [2]

وقد شـــجب فيها ظلم الأئمة وميل بعض القضـــاة عن مقتضى العدل، وسكوت العلماء عن قـول كلمة الحـق، وبالجملة فقد وهب نفسه وراحته ووقته وعلمه لإعلاء كلمة الحق ورفع راية التوحيد وقمع البـدع والمنكـرات، ومن طريف ما قـام به في الحفـاظ على التوحيد ومحاربة الشرك ما ذكره "زبارة" في " نشر العرف" تحت عنوان " صنم المخا وفتنة الخطبة بصنعاء " قـال: (وأرشد المهـدي العبـاس إلى إزالة أصـنام كـانت ببنـدر المخا لطائفة البانيـان،وألف البدر رسالة في ذلك نفيسه، فبادر المهدي إلى الأمر بإزالتها وهدم بيوتهـا، وقبض جميع أموالهـا، وقد كـان لها مـال واسع يقـدر بنحو خمسـين ألف ريـال، فأخذ وأوصل أحد الأصـنام إلى حضـرة الإمـام والبدر لديـه، فـأمر البـدر بكسـره، وكـان في صـورة أنـثى، فـديس بالنعال) [3].

وقد التف حوله نخبة كبـيرة من طلاب العلم من طبقـات متفاوتة مـن المجتمع، قـال عنها الشـوكاني: (وقد كـان أكـثر أتبـاع صـاحب الترجمة من الخاصة والعامـة، وعملـوا باجتهـاده وتظـاهروا بـذلك، وقرأوا عليه كتب الحديث وفيهم جماعة من الأجناد، بل كان الإمـام المهدي يعجبه التظهر بذلك، وكـذلك وزيـره الكبـير الفقيه أحمد بن علي النهمي وأميره الكبير المـاس المهـدي، ومـازال ناشـراً لـذلك في الخاصة والعامة غير مبال بما يتوعده به المخالفون له، ووقعت في أثناء ذلك فتن كبار، وقاه الله شرها) [4].

---

[1] الديوان ص( 167 )
[2] الديوان ص( 244-247 ) .
[3] نشر العرف ( 3/41)
[4] البدر الطالع (2/137 ) .

وبواسطة طلابه والمقتدين به من العلماء والدعاة، وصلت إلينا الدعوة السلفية اليمنية، والحمد لله،كما خلّف ثروة ضخمة من الكتب التي تُشد إليها الرحال في التحقيق والتجديد ودقة الفقه والاستنباط، من أوسعها انتشاراً " سبل السلام " و"تطهير الاعتقاد " والعدة حاشية شرح العمدة " لابن دقيق العيد، ومؤلفاته كثيرة جداً، قال القاضي الأكوع: (وله رسائل كثيرة، يضيق المقام بذكرها) [1].ومعظمها في تلك الاتجاهات التي أشرنا إليها، وسيأتي التعريف بما يخص القبورية من مؤلفاته التي اطلعنا عليها أو بعضها، ولقد اهتم العلماء والمؤرخون وطلاب الدراسات العليا بدراسة جوانب مختلفة من حياته وفكره، فمنهم الإمام الشوكاني في " البدر الطالع "، والقاضي الحيمي في كتابه"طيب السمر"، والجرموزي في كتابه " سلافة العصر "، والقاضي أحمد قاطن في كتابه" الدمية والتحفة "، وعبدالله بن عيسى في كتابه "الحدائق"، وعبدالله الحبشي في كتابه "مصادر الفكر الإسلامي في اليمن "[2].

وقد ترجمه ترجمة واسعة " زبارة "في " نشر العرف "، والقاضي الأكوع في " هجر العلم "، كما كُتبت عنه عدد من المؤلفات الخاصة والرسائل العلمية منها: كتاب " الصنعاني وكتابه توضيح الأفكار " للدكتور" أحمد محمد العليمي "، وكَتب علي عبدالجبار ياسين السروري كتاباً بعنوان: " ابن الأمير الصنعاني حياته وفقهه "، نال بها درجة الماجستير، وكتب الباحث قاسم صالح ناجي الريمي رسالة بعنوان " الفكر التربوي عند ابن الأمير الصنعاني "، نال بها درجة الماجستير، وكتب عنه العلامة عبدالرحمن طيب بعكر كتاباً بعنوان " مصلح اليمن محمد بن إسماعيل الأمير دراسة حياته وآثاره" وكتب الأساتذة قاسم غالب أحمد، وحسين أحمد السياغي، ومحمد بن علي الأكوع، وعبدالله ابن عبدالوهاب الشماحي، ومحمود إبراهيم زائد كتاب " ابن الأمير وعصره " [3].

هذا هو الإمام محمد بن إسماعيل الأمير أحد أبرز مجددي اليمن ومن أوائل من فتح باب مواجهة القبورية في اليمن الأعلى.

**جهود ابن الأمير في مواجهة القبورية:**

لقد احتلت مواجهة القبورية حيزاً واسعاً من حياة ابن الأمير وجهده وجهاده، ولن أستطيع الإحاطة بكل ما كتب في هذا الجانب، فبعضه مازال مخطوطاً، وبعضه ضمن مؤلفات كبيرة متناثر في ثناياها، والقصد هو إلقاء الضوء على منهج الرجل في مواجهة

---

1 هجر العلم ( 4/1857 )
2 مقدمة الديوان ص ( 47 ) بقلم حفيده الأستاذ عبدالرحمن علي الأمير ..
3 هجر العلم ( 4/1855 ) .

القبورية، وسيظهر ذلك - إن شاء الله - من خلال استعراض ما يقع عليه الاختيار من كتبه.

**الأثر الأول من آثـــار ابن الأمـــير المفـــردة في مواجهة القبورية**

**" تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد "**

هـذه الرسـالة هي أشـهر كتبه المفـردة في هـذا الموضـوع، وقد تداولها النـاس، وطبعت عـدة طبعـات في بلـدان عديـدة، قـال في مقـدمتها بعد الحمد والثنـاء والصـلاة والسـلام على النـبي ﷺ: (وبعد فهذا " تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد "،وجب عليّ تأليفه، وتعين عليّ ترصـيفه؛ لما رأيته وعلمته مـــن اتخــاذ العبــاد الأنــداد، في الأمصـــار والقـــرى وجميع البلاد، من اليمن والشـــام ومصر ونجد وتهامة، وجميع ديار الإسلام، وهو الاعتقاد في القبـور، وفي الأحيـاء ممن يدعي العلم بالمغيبات والمكاشـفات وهو من أهل الفجـور، لا يحضر للمسلمين مسجداً، ولا يُرى لله راكعاً ولا ساجداً، ولا يعــرف السنة والكتاب، ولا يهـاب البعث والحسـاب، فـواجب عليّ أن أنكر ما أوجب الله إنكـاره، ولا أكـون من الـذين يكتمـون ما أوجب الله إظهاره) [1].

وقد احتوى الكتـاب على خمسة أصـول وعـدد من الفصـول، كلها تدور حول إخلاص العبادة لله تعالى، وبيان ما وصل النـاس إليه من جاهلية باعتقــادهم في أصــحاب القبــور، ونقد كثــير من الأوضــاع المبتدعة المتعلقة بذلك.

وللشيخ كتب أخرى مفردة في هذا الموضوع، منها كتاب بعنوان " الإنصـاف في حقيقة الأوليـاء ومـالهم من الكرامـات والألطـاف "، ألفه حينما اطلع على جـواب لأحد القبـوريين، أجـاب به علىسـؤال ورد إليه، فجـاء في ذلك الجـواب: (إن للأوليـاء مـــا يريـدون، وأنهم ممن يقول لأي شـيء أرادوه كن فيكـون، وأنهم من القبـور لقضـاء الحوائج يخرجون) [2]، إلى آخر ما ذكره المجيب من نواقض الاعتقاد الصـحيح قـال: (فتعين إيقـاظ أهل الغفلة والمنـام، من القاصـرين والعوام، ببيان حقيقة الولي وماورد في صفته من الآثـار، وبيانه من الكتاب والسنة والأخبار، ثم بيان رد ما أورده المجيب من الهــذيان، وأنه جعل الأولياء من جملة الأصنام والأوثان، ووصفهم بـأنهم كالإله تقّدسَ وتعالى، وأنهم يقولون للشيء كن فكــان، فرأيته يتعين إبانة

---

1 تطهير الاعتقاد ضمن مجموعة رسائل في علم التوحيد ص ( 27 – 28 ) .

2 الإنصاف للصنعاني ص ( 2 ) .

الصواب، وبيان حقيقة ما افـتراه من الأوتـاد والأنجـاب والأقطـاب، وما خالف فيه بهـذه البدعة من أدلة السنة والكتاب) [1].
ثم تتبع ذلك المجيب، بأن يورد مقطعاً من كلامه، ثم يتعقبه بـالرد وبيـان الحق في تلك المسـألة، وقد طُبع الكتـاب عـام (1417هــ) بتحقيق مجموعة من الطلاب في الجامعة الإسـلامية بالمدينة النبوية تحت إشــراف الشــيخ "حسن علي حســين العــواجي " المدرس بكلية الدعوة وأصول الدين في نفس الجامعة.
كما أن له كتاباً يتعلق بالقبورية، ولا يظهر علاقته بهم إلا بعد النظر الفاحــص فيما يمارســون، ذلــكم الكتـاب هو المسـمى " رسـالة شريفة فيما يتعلق بــ (الأعـداد للحـروف، والأوفــاق، وكم بقي من عمر الدنيا،وذكر المهدي المنتظر "، والذي يخص موضوعنا منها هو ما يتعلق بالحـــروف والأوفــاق، وقد تكلم في المسـألة الأولى عن حروف " أبجد، هّوز "، وأبـان أنها ليست في دلالتها علــى الأعــداد من وضع اللغة العربيـة، ثم انتهى إلى القـول بـأن جعلها دلالة على الأعداد أمر اصطلاحي، لا حجر فيـه، ولا ضـير على متعاطيـه، ونهي ابن عباس عنه وأنه من السـحر، يـدل على أنه عـرف أنه اصـطلاح لليهود، يستعملونه في الأسـحار، وهـذا يـأتي بحقيقته في المسـألة الثانية [2].
وفي المسـألة الثانية قــرر أن علم الأوفـاق علم مبتـدع وحـادث، لايعرف له دليل من كتاب ولا سنة ولا فعل صـحابي ولاغــيره، وبعد أن فنّــده، وحكم بعــدم وجــود أصل شــرعي لــه، نقل تعريف داود الأنطاكي له، ثم قال: (قلت:وهذا شأن الأسـحار والابتـداع، لاشـأن الطريقة النبوية والاتباع، ومعلوم أنها طريقة سـحرية، إذ المطلـوب بها أمور دنيوية محضة، من جاهٍ عند العباد، وجلب رزق من أيديهم، وإلقاء المهابة في قلوبهم وغير ذلك) [3].
وإنما قلت: إن هذه الرسالة هي من ضمن مواجهة القبوريـة؛ لأنه سـبق في البـاب الثـاني أن كثـيراً من أوليـاء القبورية ذكروا أنهم يتعاطون علم الحروف والأوفـاق، ويتصـرفون بهـا، ويعـدون ما ينتج عن ذلك كرامــات لأولئك الأوليــاء، وهو في الحقيقة من الســحر، فناسب جعل هذه الرسالة من جملة الردود عليهم، وقد حقق هــذه الرســالة الأخ: مجاهد بن حسن بن فــارع الوصــابي المطحــني، وراجعها شــيخنا الشــيخ مقبل الــوادعي - رحمه الله - وطُبعت من قِبَل دار القدس بصنعاء عام (1412هـ - 1992م).

---

[1] المصدر السابق ص (3) .
[2] رسالة شريفة للإمام الصنعاني ص (18 ) .
[3] المصدر السابق ص (22 ) .

كما إن هناك رسالة صغيرة هي عبارة عن إجابة على سؤال عن حكم الذبح على القبور بعنوان "مسألة في الذبائح على القبور وغيرها " حققها أخونا " الشيخ عقيل بن محمد المقطري "، وراجعها محدث اليمن العلامة " مقبل بن هادي الوادعي " [1]- رحمه الله -، وهي رسالة صغيره جداً، أبان فيها حرمة تلك الذبائح، وفصل فيها، وقد عد الذبح ـ على باب الدار وعلى جدرانها، وكذلك ما سمي عند العامة بـ "الهجر " ونحوه ـ من الذبائح المحرمة، ولكن الذابح لايكون بذلك مرتداً، وأما الذابح للقبور فإنه يكون مشركاً، وذبيحته ذبيحة مشرك:(... فإن الذابح لابن علوان مثلاً، لايكون إلا عن اعتقاد أنه يضر وينفع، ويعطي ويمنع، ويشفي المرض ويذهب عن الأبدان العليلة الأدواء، وهذا بعينه الذي كان عليه عباد الأوثان وأتباع الشيطان، فإنهم كانوا ينحرون لها، ويهتفون بأسمائها، ويدعونها، ويخافونها، ويرجونها، ويطوفون بها، وينادونها بمثل " على الله وعليك "، كما يفعله الآن عباد القبور والقباب والمشاهد التي يجب هدمها) [2].

كما يعد من هذا الباب شرحه على رجوعه عن القصيدة النجدية المسمى " إرشاد ذوي الألباب إلى حقيقة أقوال ابن عبدالوهاب " أو " النشر الندي بحقيقة أقوال ابن عبد الوهاب النجدي "، ذلك أن الرجل لم يرجع كما سبق عن أصل ما كان في قصيدته الأصلية " النجدية "، وإنما رجع عن مدح محمد ابن عبدالوهاب وبيان ما بلغه عنه مما لايرتضيه، وهذا كله لايغير من منهج تلك القصيدة، وبالتالي فالشرح يؤكد ما كان في تلك القصيدة من مواجهة للقبورية، ويوضحه، ويقيم الأدلة عليه، كيف لا وهو قد صرح فيها بأن القبوريين قد أصبحوا مشابهين لعباد " ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر ".

ولعل الله أن يهيىء نشر ذلك الشرح؛ ليتضح صحة هذا الكلام؛ وليخسأ من يتشدق أمام العوام وأشباه العوام، بأن الصنعاني رجع عما جاء في قصيدته النجدية مطلقاً، وأنه عاب على ابن عبدالوهاب دعوته إلى التوحيد من أصلها، ومحاربته للشرك

---

[1] كتبت هذه السطور بعد وفاة الشيخ بأربعة أيام ، حيث وافاه الأجل المحتوم آخر يوم السبت أول يوم من شهر جمادى الأولى عام 1422هـ تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته وأخلف على المسلمين خيراً ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

[2] مسألة في الذبائح على القبور وغيرها ص ( 44 ) ، طبع مكتبة دار القدس صنعاء ودار ابن حزم بيروت ، الطبعة الأولى ( 1413هـ - 1992م) .

والقبورية من أساسها. هـذه بعض جهـود الإمـام الصـنعاني - رحمه الله - في مواجهة القبورية.

**العـلم الثـاني**
**من أعـلام مواجهة القبورية في اليمن الأعلى**
**الإمام شيـخ الإسـلام محمــد بن علـــي الشـوكاني**

هو الإمام شيخ الإسلام أحد مشاهير أعلام اليمن ومجـددي الـدين فيه، وأحد رواد النهضة الحديثة والصحوة المباركة ورموز السلفيين في العصـــور المتـــأخرة، محمد بن علي بن محمد الشـــوكاني ثم الصـنعاني، تـرجم لنفسه، وسلسل نسـبه إلى آدم  [1]، ولد - رحمه الله - في "هجرة شوكان" وسط نهار يوم الاثنين الثامن والعشرين من شهر ذي القعدة سنة (1173هـ)، ونشأ بصنعاء في كنف والـده الـذي يعد من كبـار علمـاء صـنعاء في وقتـه، وقد أقبل على طلب العلم بشـــكل منقطع النظـــير، أعانه على ذلك الحـــال الميســـور لأســرته، إذ وفَّر له التفــرغ للطلب، وعــدم الانشــغال عنه بطلب المعاش، كما كان مـن أسـباب نبوغه وترقيـه في الطلب، وسـرعة البلوغ إلى المطلب والأرب، النفس الأبية،والهمـة العلـية، وتشجيـع الأب، ودفعٌ به إلى الارتقـاء وجـود مجموعة من أكـابر العلمـاء، من طلاب الإمــام ابن الأمــير والمتــأثرين بــه، وهكــذا واصل مشــوار التعليم، ثم صـــار يعيد الـــدروس لزملائه وأقـــرانه، ثم اشـــتهر بين أساتــذته وأشيــاخه قبل بلــوغ العشـرين من عمـره [2]،وما إن بلغ العشرين حتى أصبح مفتياً ترد إليه الفتـاوى من جهـات مختلفة من اليمن، وكان يفتي بـدون أجـر، وذلك أمر مسـتغرب في زمنه وفي وطنه.

ولقد امتحنه الله تعـالى بامتحـان عظيم، وهو تـولي القضـاء، بل قضـاء الأقضـية أو بـالتعبير العصـري " رئاسة القضـاء "، فنجح في الامتحان ونجى من الافتتان، وأجمع مترجموه على نزاهتـه، وحسن ســيرته فيــه،بل لم يعد رئيساً للقضاة فحســب،وإنما من أقـــرب المقـــربين إلى أئمة عصره الـــذين عـــايش حكمهم، وهم:الإمـــام المنصور علي بن المهدي العباس (1189 ـ 1224 هـ)،وابنه الإمام المتوكل على الله أحمد (1224-ـــ 1231 هـــ)، وحفيـــده الإمـــام المهدي عبدالله (1231-ـ 1251 هـ)، ولقد كان لــقربه منهــم أثــر كـبير في كـثير من الإصلاحات، ومنها حملـه على الاسـتجابة لطلب الإمام سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود من الإمـام المهـدي

---

[1] البدر الطالع ( 1/478-480 ) .

[2] انظر ترجمته لنفسه : في البدر الطالع (1/ 214-225 ) .

هدم المشـاهد والقبـاب المقامة على القبـور في صـنعاء ونواحيهـا، فصوّب الإمام الشوكاني ومن معه من العلماء ذلـك، وحثـوا الإمـام عليـه، فوقع الهـدم لتلك المشـاهد، كما سـيأتي في مطلب الجهـود العملية لمواجهة القبورية.

كما أثر عليه في غير ذلك من جـوانب الإصـلاح، وهـذا جـانب مهم من جــوانب شخصــية الشــوكاني، وهو جــانب الإصــلاح السياسي والاجتماعي، والذي مارسه عملياً ومن موقع القــرار بخلاف الإمـام ابن الأمير، الذي كان يمارسه من خارج نطاق السلطة.

والجانب الثاني كما بدأه سلفه من علماء اليمن، من تمزيق قيـود التقليد الأعمى والعصبية المقيتة، فقد قام في ذلك الجـانب بجهـود جبــارة نظريــاً من خلال دعوته إلى ذلك وتأليفه فيه وتأصــيله في عـدد كـبير من كتبه ورسـائله، حـتى أنّا سـنجد أنه جعل مدخله إلى نقد فتوى الإمام يحيى بن حمزة في رسالته "شرح الصدور بتحريم رفع القبــــور "، جعل مدخله إلى ذلك التأكيد على الرجــــوع إلى الكتاب والسنة والتحاكم إليهما [1]، وقد أخذ ذلك حيزاً كبيراً من تلك الرســالة، وهكــذا شــأنه في كثــير من رســائله، إضــافة إلى كتابه الخاص في ذلك، المسمى " القول المفيد في أدلة الاجتهادوالتقليد ".

وأما الجـانب العملي فهو ما يـراه كل مطــالع لمصــنفاته الفقهية والحديثية، وحواشيه وشروحه، فكلها ينطلق فيها من هذا المنطلق، ولا يبالي بمن خالف، أو وافق فيما يذهب إليه.

والجانب الثالث هو دعوته إلى الاتباع ونهيـه عن الابتـداع، وجهـاده في ســبيل إخلاص كلمة التوحيـد، وحربه لعقائد الشـرك والتنديـد، وسيأتي في آخر هذا المطلب دراسة بعض آثاره في ذلك.

غير أني أود قبل الخروج من هذا الجانب أن أرد على قوم ظفروا بقصيدة للإمام الشوكاني في ديوانه، فهمـوا منها أنه يعـادي الإمـام محمد بن عبدالوهاب، ويرد عليه وعلى علماء نجد وأمرائها، فطاروا بذلك فرحاً، وانتسخوها، وصاروا يوزعونها على أتباعهم، والواقع أن القارىء لايجد فيها ما يفرح به أولئـك، غـير أنهم قد اتخـذوا سياسة التأثير النفسي على الأتباع، فإنهم عندما يوزعونها هم، وربما جعلوا لها مقدمة تبين أن هذه القصيدة رد فيها الشـوكاني على الوهابيـة، ونقض ما يدعون إليه من محاربة الأوليـاء والمعتقـدين فيهم... الخ، فـإن التـابع المسـكين سـيتأثر بتلك المقدمة المكتوبة أو الشـفوية، ويعتبر أن القصـيدة مــن هـذا البــاب دون تأمل لمــا فيهـا، مما هو

[1] انظر : مقدمة شرح الصدور من مجموعة رسائل في علم التوحيد ص ( 65-69 ) .

في الحقيقة رد عليهم وتأكيد على منهج الشـوكاني الـذي كـرس له حياته، ولم يحد في هذه القصيدة عنه، إذ عرف عنه تجـويز التوسل بالصالحين، وقرره في أكثر من كتـاب من كتبـه، مع اعتبـاره دعـاء غــير الله شـرك أكـبر، وقد رد على ابن الأمــير حين قــال إنه من الشـــرك العملي،وذلك في الــدر النضـــيد [1]، وكل ما في الأمر أن الإمــام الشــوكاني حــذر من التســرع في تكـــفير الأمـة بما دون الشـرك من البـدع،كالبنـاء على القبـور،وجعل التـوابيت عليهـا، أو التوسل الذي يراه هو مباحاً، أما مَن دعـاهم من دون اللــه، واعتقد فيهم مــالا يجــوز اعتقـاده إلا في اللــه، فقد اعتـبره من الشــرك المخرج من الملة، قال - رحمه الله في تلك القصيدة:

**ومن يـــــأتي إلى عبـد حـقيرٍ ... فيزعم أنه الـرب الـودودُ**
**فهـذا الكفر ليس بـه خـفاءٌ ... ولا ردلــــذاك ولا جحـودُ**
**ولست بمنكر هـدماً لقــبرٍ ... إذا لعبـت بجانـبه القـرودُ**
**وقـــــالوا: إن ربَّ القبر يقـضي ... لنـا حاجاً فتــأتيه الوفـود**
**كـــــذبتم ذاك ربُّ العرش حـتقاً ... تعــالى أن تكـون له ندودُ**
**ومن يقصد إلى قـبر لأمـــرٍ ... تـــــــوسل فهـو الكنودُ [2] بغير**

وهـذا الكلام واضح في مـراد الإمـام - رحمه اللـه-، ومنسـجم مع منهجــه، ولئن كــان فيه شــيء من التعميم والإطلاق فيجب إرجاعه إلى كلامه البين الواضح، وأما قوله قبل هذه الأبيات:

**فإن قلتــم قد اعتقدوا قبوراً فليـس لذا بأرضيـنا وجودُ**

فيجب أن يقارن بينه وبين ما في سائر كتبه،ومنه ماجاء في "الدر النضيد"،حيث قال: (وإذا علمت هـذا، فـاعلم أن الرزية كل الرزيـة، والبلية كل البلية، أمرٌ غير ما ذكرناه من التوسل المجرد، والتشــفع بمن له الشــفاعة، وذلك ماصــار يعتقــده كثــير من العــوام، وبعض الخواص في أهل القبور، وفي المعروفين بالصلاح من الأحيــاء، من أنهم يقدرون على مالا يقدر عليه إلا الله ، ويفعلــون مــالا يفعله إلا الله ، حــتى نطقت ألســنتهم بما انطــوت عليه قلــوبهم، فصــاروا

[1] انظر الدر النضيد ص( 102- 116 ) .
[2] الديوان ص ( 163 ) ، قال المعلق على كلمة (كنود ) : الكنود الكفور . قلت : وكذلك هو في القاموس ص ( 403 ).

يـدعونهم تـارة مع اللـه، وتـارة اسـتقلالاً، ويصـرخون بأسـمائهم، ويعظمونهم تعظيم من يملك الضر والنفع، ويخضعون لهم خضـوعاً زائـداً على خضـوعهم عند وقـوفهم بين يـدي ربهم في الصـلاة والدعاء، وهذا إذالم يكن شركاً فلا نـدري مـاهو الشـرك؟!، وإذا لم يكن كفراً فليس في الدنيا كفر.) [1].

فإن قيل: هذا عام، ولايدل على أن هـذا موجـود في اليمن، قلت: يؤكد دلالته على ذلك ماجـاء في نفس الكتـاب بعد أن أسـرد الأدلة على تحريم أنواع من الشرك ووسائله، حيث قال وهو يؤكد ما ينتج عن تعظيم القبـور وتفخيمها من عقائد باطلـة: (وروى لنا أن بعض أهل جهات القبلة، وصل إلى القبة الموضوعة على قبر الإمام أحمد بن الحسين صاحب " ذي بين " -رحمه الله -، فرآها وهي مسرجـة بالشمـع، والبـخور ينفـح من جوانبها وعلى القـبر السـتور الفائقـة، فقال عند وصوله إلىالباب: أمسيت بالخير، يا أرحم الراحمين) [2].

إذاً كيف نـؤول قوله: (فليس لـذا بأرضـينا وجـودُ)، قلت: يُـؤوَّل - والله أعلم - أن هـذه القصيـدة هي في إطار المراسلات الرسـمية بين إمـام اليمن، ومعـه الشـوكاني، وبين أئمة نجـد، الـذين كـانت العلاقات بينها يسودها الود حيناً والنفـور حينـا، وخـوف إمـام اليمن من زحف الجيوش النجدية على بلاده حيناً، فجـاءت هـذه لقصـيدة، لتهدئة الأوضـاع وإقنـاع النجـديين بأنه ليس في اليمن مايسـتوجب محاربتهم له وزحفهم عليه، فجاز مثل هذا التعبـير المخـالف للواقع لأجل دفع فتنة الاقتتال بين الطرفين والله أعلم.

وبعد معرفة هذه الجوانب المهمة أقول: إن الإمام الشوكاني خلّف لليمن ثروتين عظيمتين:

**أما الأولى**: فهم طلابه وأصحابه الذين ساروا عل نهجه، وتعلموا منه المنهج السـلفي النقي، وحملـوه إلى أن وصـلنا اليـوم كما وضعه،وهم كُثر، وقد أورد منهم الأستاذ عبدالغني قاسم عدد اثـنين وتسـعين رجلاً [3]، منهم من هو عـالم، ومنهم من أصـبح إمامـاً مجتهداً، أو قاضياً عادلاً، أو والياً كبيراً، وهـؤلاء الطلاب هم أسـاس المدرسة السلفية القائمة في اليمن اليوم،والـتي يعد رأسـها اليـوم

---

[1] الدر النضيد ص ( 28 ) .

[2] الدر النضيدص ( 48 ).

[3] الشوكاني حياته وفكره ص( 238-266 )للدكتور عبد الغني قاسم غالب الشرجبي ،طبع مؤسسة الرسالة، بـيروت ، ومكتبة الجيل الجديد صنعاء، ط الأولى1408هـ -1988م ، وقد قال عقب أن سردهم : ( وقد اكتفى الباحث بهذا القدر من تلاميذ الشوكاني، وعددهم اثنان وتسعون تلميذاً " وإلا فهم مئات بل ألوف " ،وتلاميذ الشوكاني أكثر من أن يحصوا ).

القاضي العلامة محمد بن إسماعيل العمـراني عضو مجلس الإفتـاء حالياً.

**والثروة الثانية:** هي كتبه ومصنفاته، التي اتفق على الثناء عليها في الجملة الموافق والمخـالف، وصـارت مراجعـاً للكثـير من المؤسسـات العلمية في شـتى بقـاع العـالم الإسـلامي، وتنـافس لاقتنائها العلماء وطلاب العلم في كل مكان، وهي كثيرة جداً، حصر البـاحث عبد الغـني قاسم منها (**278**) مـائتين وثمانية وسـبعين مؤلفاً، وأفاد أن المجال مازال مفتوحاً؛ لاكتشاف غيرها في مظـانٍ حددهـا،هـي: (المكتبات المنزلية للأسر اليمنية الـتي تـوارثت ملكية مخطوطات علماء اليمن، أو في مكتبـات كل من الهند "حيث يوجد تلاميذه" وتركيا " إسـطنبول "، وإيطاليا وبريطانيـا، وسـائر متـاحف ومكتبات أوروبا الغربية والشرقية، حيث تسربت إلى خارج اليمن.

**مترجمو الشوكاني:**

كما لايحصى عدد تلاميذه بالدقة، ولاتعـرف مؤلفاته بالتحديد مـن كثرتها، كـذلك لايحصى عـدد من تـرجم للشـوكاني، وأشـاد بعلمـه، وأظهر جـوانب من شخصـيته، وحـتى لا أطيل على القـارئ، فلن أشغل نفسي بمن أفـرده بالترجمة من الأقـدمين، ولا من تـرجم له في كتب التراجم والتواريخ العامة؛ وإنما أذكر بعض الباحثين الـذين درسوا نواحي من حياة الشوكاني وعلمه وفكـره، وقـدموا في ذلك رسـائل علميـة؛ للحصـول على درجـات علمية من قبيل الـدكتوراه والماجستير.

فمنهم دون التزام بترتيب معين:

1) د. محمد بن حسن الغمـاري، له رسـالة دكتـوراه بعنـوان: " الإمام الشوكاني مفسراً ".
2) د. عبدالغني قاسم الشرجبي، له رسـالة دكتـوراه بعنـوان: " الإمام الشوكاني حياته وفكره ".
3) د. عبدالله نومسـوك، له رسـالة بعنـوان: " منهج الإمـام الشوكاني في العقيدة ".
4) د. صالح بن عبدالله الظبيـاني،له رسـالة دكتـوراه بعنـوان: " اختيارات الإمـام الشوكاني الفقهية من خلال كتابيه نيل الأوطـار والسيل الجرار ".
5) د. زياد علي " من ليبيا " له رسالة دكتـوراه بعنـوان:" الفكر السياسي والقانوني عند محمد ابن علي الشوكاني ".
6) د. عـادل يـاؤوز" من تركيا "، له رسـالة دكتـوراه بعنـوان: " الإمام الشوكاني محدثاً ".

7) د. سمير حسين، له رسالة دكتوراه بعنوان: " الشوكاني ومنهجه في الفقه الإسلامي من خلال كتابه السيل الجرار ".
8) صالح محمد صغير مقبل،له رسالة ماجستير بعنوان: "محمد بن علي الشوكاني وجهوده التربوية"
9) خالد بن إبراهيم بن عبدالله الديبان،له رسالة ماجستير بعنوان: "قضايا العقيدة عند الإمام الشوكاني ".
10) عبدالله فارع عبده العزعزي، له رسالة ماجستير بعنوان: " الشوكاني مؤرخاً،دراسة في منهجه التاريخي في كتابه (البدر الطالع لمحاسن ما بعد القرن السابع) ".
11) سالم بن محمد باكوبن،له رسالة دكتوراه تحت الإعداد بعنوان: "الإمام الشوكاني وجهوده في الدعوة ".
12) برنارد هيكل اللبناني،له رسالة باللغة الإنجليزية بعنوان: "الشوكاني والوحدة الفقهية في اليمن".
قال القاضي إسماعيل الأكوع:(وتوجد رسائل دكتوراه وماجستير أخرىلم أذكرها؛لأنهالم تنشر بعد)[1].

وهناك مئات المقالات الصحفية والأبحاث العلمية المتفرقة في الصحف والدوريات وغيرها، كل ذلك يدل على عظمة هذا الرجل واهتمام العلماء به. وقد توفي رحمه الله سنة (1250 هـ).

**جهودالشوكاني في مواجهة القبورية:**

وأما عن جهوده في مواجهة القبورية فهي كثيرة مشكورة،وقد ترك عدة آثار في ذلك:

**الأثر الأول " شرح الصدور في تحريم رفع القبور** " وهو رد على الإمام يحيى بن حمزة الذي قال كما نقل عنه صاحب البحر الزخار: (لا بأس بالقباب والمشاهد على قبور الفضلاء والملوك لاستعمال المسلمين، ولم ينكر) [2]، فرد عليه، ومهد لذلك بالتذكير بالعودة إلى الكتاب والسنة والالتزام بما جاء فيهما، وماجناه التقليد على أهله وعلى الناس من كوارث، ثم جعل هذه المسألة كالمثال على تلك القاعدة، وقد نوَّه الشيخ العلامة محمد حامد الفقِّي بالشوكاني وكتابه في مقدمته لشرح الصدور فقال: (وله "الشوكاني " من الرسائل في مفردات المسائل كثير جداً، فمنها رسالته هذه " شرح الصدور بتحريم رفع القبور " وهي رسالة تنادي بأنه من الشجاعة وقوة اليقين، بحيث وقف هذا الموقف الفذ في وجه جموع أهل اليمن وغيرهم، يرد على الإمام

---

[1] أئمة العلم المجتهدون في اليمن ، للقاضي إسماعيل بن علي الأكوع، مصفوف بالكمبيوتر ( تحت الطبع ) .
[2] شرح الصدور من مجموعة رسائل في التوحيد ص ( 70 ) .

يحيى خطأه – وناهيك بمنزلة الإمـام يحـيى من نفـوس الزيـديين – هذا الرد المفحم، وينادي عليه في صـراحة المـؤمن الـذي لايخشى في الله لومة لائم: أخطأت في تجويز رفع القبـاب والمشـاهد على قبور الصالحين والملوك، ويالها من شـجاعة لله وفي اللـه! ولو أن العلمـاء كـانوا بهـذه الشـجاعة في قولـة الحـق، وكـانوا بالصـدق والإخلاص في النصـيحة كـذلك، لكـان شـأن المسـلمين اليـوم غـير ماهم عليه من الذلة والهوان.

والله يجـزي الإمـام الشـوكاني وإخوانه الصـادقين خـير الجـزاء، ويوفقنا لمثل ما وفقهم، ويحشـرنا يـوم القيامة مع إمامنا وإمـامهم وإمام المهتدين عبد الله ورسوله محمد ﷺ)[1].

وقد اعتنى العلماء بهذه الرسالة وطبعت طبعات عديدة.

**الأثر الثـاني كتـاب " الـدر النضـيد في إخلاص كلمة التوحيد "**، وهو أيضـاً جـواب على سـؤال ورد إليه عن ذلك الموضوع، وقد صدّر الجواب بتوضيح بعض المصطلحات التي يؤدي الخلط فيها إلى الغلـط، وهي: الاسـتغاثة، والاسـتعانة، والتشـفع، والتوسل، وقد شرح معانيها، وأبـان الفـروق بينهـا، وقد رجح جـواز التوسل بالصالحين على اعتبـار أن ذلك توسل بأعمـالهم الفاضـلة، واحتج لذلك، ورد على من منع منه، ومسـألة التوسل من المسـائل التي جرى فيها الخلاف قديماً وحديثاً، والصحيح والله أعلم أنها من البدع المحدثة التي لم يثبت لها دليل عنه ﷺ،ولا عن أصحابه بالمعنى الذي يريده مجوزو ذلك التوسل، هذا في أصل المسألة، وأما مـاهو حاصل اليوم عند جماهير المسلمين من عـوام وأشـباههم وصـوفية وغيرهم من المنحرفين، فإن التوسل يستعمل، ويـراد به الاسـتغاثة المجمع على المنع منها واعتبارها شركاً فلينتبه لذلك.

ثم أنه بعد مافرغ من تقرير موضوع التوسل، قرر بقوة وحـزم أن دعاء غير الله شرك، وأنه تعبير عما تنطوي عليه نفوس من يدعون غير الله من الاعتقـاد فيهم ما لا يجـوز اعتقـاده إلا في الله تعـالى، وقد سبق نص كلامه كاملاً قبل قليل [2]، وقد نـوّع الكلام، واسـتطرد اسـتطرادات حسـنة، وبيَّن كثـيراً مما يقع فيه النـاس من نـواقض التوحيـد، ومما هو وسـائل إلى ذلـك، ونبه على حرمة الحلف بغـير الله والطيرة، وفرّق بين الشـرك والكفر الأصـغر والأكـبر إلى غـير ذلك من الفوائد الجليلة.

**الأثر الثالث " رسالة في وجـوب توحـيد الله عـزوجل "** وهي مأخوذة من كتابه الكبير المسمى " العذب المنـير في جـواب

---

[1] المصدر السابق ص ( 63-64 ) .

[2] انظر: الصفحة السابقة من رسالتنا رقم (      )

عالم بلاد عسير "، وقد كان السؤال متعلقاً بالتوحيد، وكون الدعاء عبادة، وهل يعذر الجاهل في ذلك... إلخ.

فأجاب شيخ الإسلام جواباً شافياً مقنعاً مليئاً بالأدلة من الكتاب والسنة مستشهداً بأقوال أهل العلم، وبين منزلة الدعاء من الدين، وحكم صرفه لغير الله، وحقيقة شرك المشركين الأولين، وهو اتخاذهم لأصنامهم شفعاء عند الله، وأن من هذه الأمة من يتخذ أصحاب القبور شفعاء، وهو بذلك مساوٍ لمشركي الجاهلية، ومنهم من يدعوهم من دون الله، وهؤلاء أغلظ شركاً من مشركي الجاهلية، ثم تعرّض لتقسيم الكفر إلى كفر أكبر وكفر أصغر، وإلى خفاء الشرك وكثير من أنواعه على كثير من المسلمين حتى وقع فيه بعض من ينسب إلى الأدب والعلم، ثم بيّن خطورة اتخاذ المشاهد والقباب على القبور المبالغ في تعظيمها وتزيينها، ثم بين الحكمة من لعن رسول الله  متخذي القبور مساجد.

ثم أنكر إدخال قبر النبي  في المسجد، وما بني عليه بعد ذلك، وكيف كان اهتمام النبي  بإزالة القبور المشرفة بحيث بعث أميراً من أهله هو علي بن أبي طالب ؛ لطمس التماثيل، وتسوية القبور.

هذا مجمل ما احتوت عليه الرسالة، وهي قيِّمة في بابها، فرحمه الله وغفر له وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وهذه الرسالة قد قام بتحقيقها ونشرها د. محمد بن ربيع بن هادي المدخلي الأستاذ بكلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وقد طبعت للمرة الثانية عام (1419هـ).

تلك ثلاثة نماذج من جهود شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني - رحمه الله -، الخاصة في مواجهة القبورية، وهناك جهود أخرى كثيرة موزعة أثناء تراثه العظيم الذي خلّفه؛ ليستضيء به العلماء، ويتربى عليه الطلاب، ويرجع إليه المختلفون في كثير من القضايا، فهو لم يغفل مواجهة القبورية في تفسيره ولا أغفلها في شروحه للأحاديث وكتب الفقه، وما سهى عنها في فتاواه وردروده على الأسئلة عند أدنى مناسبة، فقد عاش هذه القضية بكل حواسه، وتفاعل معها بكل عواطفه، لذلك قال د. إبراهيم هلال، وهو يتكلم عن دعوة شيخ الإسلام الشوكاني إلى إخلاص شهادة لاإله إلا الله: (وقد أخذت هذه الدعوة منه حيزاً كبيراً، بحيث صار فيها في اليمن إماماً كابن عبدالوهاب في الحجاز من قبل، وابن تيمية في مصر والشام، ولاقى من جرائها الكثير من المتعصبين ومن المقلدين

ورُمي بالنصب من أجلهـا، ومن أجل دعوته إلى الاجتهـاد والرجـوع بالتشريع، إلى طريقة السلف الصالح من الصحابة والتابعين) [1].

**المؤلفـات المفـردة في مواجهة القبورية لعلمـاء اليمن الأعلى سوى ما تقدم:**

ولعلمـاء اليمن الأعلى الآخـرين جهـود مشـكورة مباركـة في هـذا المجـال، وقد ألف الكثـير منهم في الـرد على القبورية رسـائل مفردة، فمنهم:

1) محمد بن محمد السماوي، المتوفى سنة (1410هـ)، مـترجم في هِجَر العلم (3/1407)، له رسـالة بعنـوان: " التوصل إلى تحريم التوسل " [2]، في الرد على القائلين بجواز التوسل.

2) يحيى بن محمد شاكر، المتوفى سنة (1370هـ)، مترجم في هجر العلم (4/2088)، له رسـالة بعنـوان: " دفع المشـكك في وقوع شطر هذه الأمة في الشرك " [3]، في الـرد على من يقـول بامتنـاع وقـوع أحد من هـذه الأمة في الشـرك، كما له رسـالة أخرى بعنوان:" السيف القاطع لأمـاني أهل الشـرك والمطامع " [4]، وجهها إلى الإمـام يحـيى حميد الـدين، انتقد فيها عـدداً من المنكرات، ومن أهمها المشاهد الـتي على القبـور، وأوصـاه فيها بهـدمها وإزالتها وكـذلك إزالة البـدع والمنكـرات والرجـوع إلى الكتـاب والسـنة، وإفسـاح المجـال للعلمـاء من أهل السـنة؛ لتعليمها والعمل بها.

هـؤلاء بعض من اطلعت على تـآليفهم في هـذا البـاب، ولاشك أنه يوجد سواهم، وعدم اطلاعي لا يعني عدم وجود شيء من ذلك.

## المطلب الثاني: جهود علماء اليمن الأسفل (من إب إلى عدن) في مواجهة القبورية:

### العلـم الأول

### القاضي العـلامة عقيـل بن يحيى الإرياني

القاضي العلامة النابغة عقيل بن يحـــيى بن محمد بن عبدالله الإريـاني، وصـفه القاضي إسـماعيل بن علي الأكـوع بقولـه: (عـالم أديب كاتب شاعر له مشاركة قوية في الفقه وعلوم العربية، سـلك مسلك أهل السنة في اتباع أدلة كتـاب الله وسـنة رسـوله ﷺ، ونعى

---

1 قطر الولي على حديث الولي ص ( 37 ) تحقيق وتقديم إبراهيم هلال طبع دار إحياء التراث العربي ، بيروت.

2 هجر العلم (3/1407 ) .

3 السابق ( 4/2093 ) .

4 السابق ( 4/2093 ) .

على المقلدين والمعتقدين بالأولياء جمودهم، ونـدد بمن يعتقد فيهم الخير، وأنهم يشفعون لمن يلتمس الخير عنـدهم، أو عن طـريقهم، فاتهمه بعض الغلاة بأنه ينـزع إلى عقيدة الوهابية فقال:

**إن أنـا نزّهت إلهـي عن الأ نْداد قالوا أنـت وهــابي**
**لكن لي بالمصطفى أسـوة فقـومـه سمَّوه بـالصابي** [1]

وقد تـــرجم له ابن أخيه الأديب مطهر بن علي الإريـــاني ترجمة مطولة في التقديم لرسـالته موضـوع البحث، عنـدما نشـرها أخـوه القاضي عبدالرحمن بن يحيى الإرياني، ضـمن مجموعة رسـائل في علم التوحيـد، وذكر ذكـاءه ونبوغـه، وعـدد العلـوم الـتي أتقنها رغم عمره القصير والمجالات التي شارك فيها، وأبرز السمات التي كان متميزاً بها: (إخلاص التوحيد كله لله، وتشدده في ذلك إلى حد عدم الســـكوت حيث ســـكت الآخــــرون عن بعض ممارســـات العامة واعتقــاداتهم الباطلة بالأوليــاء وزيــارة أضــرحتهم والتقــرب إليهم والهتـاف بأسـمائهم عائـذين بهم عند حـدوث أي حادثة كزلة قـدم طفل أو وقــوع دابة من أنعـامهم أو نحو ذلك مما نظر إليه على أنه إشـراك صـريح لله في وحدانيتـه، وبحكم تمسـكه الشـديد بمبـدأ " إخلاص التوحيد كله لله "، لم ينظر إلى هــــذه المســـألة على أنها شبهة إشراك أو جهالات مضـلة مما يقع في الكثـير من العامـة، بل نظر إليها على أنها الشرك بعينه كما نرى في كتابه هذا) [2].

ولم يعمّر طويلاً، بل اخترمته المنية في ريعان شبابه - رحمـه الله تعـالى -، فقـد كـان مولده سنة(1324هـ)، ووفاته سنة (1346هـ)، فكان عمره أقل من اثنين وعشرين عاماً رحمه الله رحمة واسعة[3]، وأثره الوحيد هو كتاب " السيف البــاتر لأعــناق عبـاد المقـابر "، وقد اشتمل الكتاب على ثلاثة أبواب:

**البـاب الأول**: في أمـور يجب التنبيه عليهـا، واشـتمل على ستة تنبيهات: التنبيه الأول على قـول النـبي ﷺ **((لتتـبعن سنــن مــن كـان قبلكم))**، ثم أورد تسع خصال وقع فيها التشـبه بالمشـركين في هذه الأمة، التنبيه الثـاني في أن من مكائد الغلاة التشـنيع على أهـل الحـق، التنبيه الثالث في أن من مكائد الغـلاة إفهامهم العوام بأن ما يحصل عند قبور الصــالحين من محبتهم، ومن أنكر ذلك فهو من مبغضـيهم، التنبيه الرابع في أن كثـيراً من يظهر عقيـدة الغلاة، وينتصر لهم، ويصــوب أقــوالهم المخالفة لما جـاءت به الرسل هم

---

1 هجر العلم ( 1 / 87 ) .
2 مجموعة رسائل في علم التوحيد ص(127 )
3 المصدر السابق ( 124) .

زنادقة، لايعترفون أن للعالم إلهاً ولا صـانعاً... الخ، التنبيه الخـامس أن من مكائد الغلاة التي كادوا بها العوام قولهم لهم: إن مَن خالف ما نحن عليه من عبادة القبور، نزلت به المصائب، التنبيه السـادس في أن الغلاة يدّعون رؤيتهم النبي  عياناً بجسده يقظة.

**وأما الباب الثاني**: فهو في الاستغاثة وما يتعلق بها، بيّن حال القبـوريين في هـذا الموضـوع، ثم استشـهد على أن ذلك شـركاً بالآيـات الكريمـة، وقـارنهم بمشـركي العـرب، وبيّن أن المشـركين السـابقين لم يعتقـدوا أن أصـنامهم تخلق أو تـرزق، وإنما اتخـذوها شفعاء عند الله كشأن هؤلاء المعتقـدين للقبـور وأصـحابها، ثم أورد بعض الآيـات الآمـرة باالتجـاء إلى الله ، وقد تكلم على البسـملة والفاتحـة، وبيّن ما فيها من الوجـوه الدالة على وجـوب توحيد الله تعالى وعدم الإشراك به، ثم عزز بذكر آيـات أخـرى، مما يـبين ذلك المقصود، ثم نقل نقلاً طـويلاً من إغاثة اللهفـان لابن القيم - رحمه الله -، ثم نقلاً عن العلامة "محمد رشـــيد رضا " من تفســـيره " تفسير المنار"، ثم عقد فصلاً للتفريق بين الاسـتغاثة والتوسـل، ثم تحدث عن التوسل، وقرر أنه إن كان التوسل عقيدة في المتوسَّـل به فهو من النوع الأول، وإن لم يكن له فيه عقيـدة وإنما أراد ذكـره عند دعاء الله ، متبركاً بذلك الاسم فقط، فقد اعتبر هـذا القسم " بدعة من أعظم البـدع وأشـنعها "، ثم عقد فصـلاً آخـر، أكد ما مر الكلام فيه في شأن الدعاء والذبح ونحوه. وبعده فصلٌ آخر يتضـمن ما قاله الخصم من إثبـات للأقطـاب وبطلان ذلك بالـدليل الواضـح، وبعد مـاعرّف القطب على مصـطلح الصـوفية قـال: (أما إثبـات الأقطـاب هـذه الصـفة فمـروقٌ من الـدين وعـدول عن سـبيل الموحـدين وخـروج عن الصـراط المسـتقيم) [1]، ثم أورد الأدلة على بطلان قول الصوفية، ثم عقد فصلاً، قال في فاتحته: (ويلحق بـذلك من شنيع مقـالات أهل القبـور في هـذا الـوقت قـولهم: إن النـبي  لايخلو منه زمـان أو مكـان) [2]،ثم أبطل ذلـك، ثم كر على "عبـاد القبور " حسب تعبيره واعتقادهم الفضل والولاية بمن قد خلع ربقة الإسلام من عنقه، وعدد أولئك الأقطـاب في زعمهم من أمثـال ابن عـــربي وابن الفـــارض وعبد الكـــريم الجيلي، ثم أورد أمثلة من كلامهم، ورد العلماء عليه وبيان حكم هؤلاء عندهم.

**وأما البـاب الثـالث**: فقد عقـده " في حكم زيـارة القبـور والسـفر إليها "، ذكر الأحـاديث الناهية عن شد الرحل إلى غـير

---

[1] السيف الباتر لأعناق عباد المقابر ضمن مجموعة رسائل في علم التوحيد ( 219 ).

[2] السيف الباتر ص( 231 ) .

المساجد الثلاثة، وما أخذه العلماء منها من منع السفر إلى مشاهد الصالحين، ثم عقد فصلاً نقل تحته كلاماً لابن القيم - رحمه الله - من "إغاثة اللهفان" يوضح فيه مكائد الشيطان التي كاد بها الناس حتى عبدوا القبور.

وأما الخاتمة فقد خصصها لشبه الخصم، والرد عليها بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية،وجعل في آخره قصيدة تزيد على أربعين بيتاً في نفس الموضوع، لابأس من إيرادها هنا:

| | |
|---|---|
| **قل الحق واصدع بالذي فيه تؤمر** | **ولا تخشَ غير الله والله أكبرُ** |
| **وبالعرف فأمر والتزم نهي منكر** | **لتنج غداً من حر نار تسعر** |
| **ولله فاخلص بالعبادة وحده** | **فليس سواه للأنام يدبر** |
| **سميعٌ عليم شاهد غير غائب** | **لطيف خبير رازق متكبر** |
| **سماعاً عبادالله مني نصيحة** | **هي الحق فاصغوا وانصتوا وتدبروا** |
| **نصحتكم أبغي الفلاح لكم غداً** | **وحق الذي يولي النصيحة يُشكر** |
| **ألا نزهوا أوطانكم ونفوسكم** | **عن الشرك والأوثان كي تتطهروا** |
| **فهذي قبور الأوليا بينكم لها** | **يحُج ويستسقى لديها وينحر** |
| **وها هي كالأصنام بين ظهوركم** | **إليها لدى وقع الشدائد يجأر** |
| **جعلتم برب العالمين مشاركاً** | **فيا ويح مَن مِن بعدِ الايمان يكفر** |
| **أتدعون ميْتاً زاعمين بأنه** | **يجيب الذي يدعو ويُغني ويفقر** |
| **ومن بعد قلتم إنهم شفعاؤكم** | **إلى الله فهو الخالق المتجبر** |
| **و أقسم بالرحمن جل بأنه** | **نظير مقال الجاهلية فاحذروا** |
| **كما قلتمُ قالوا فسيقت إليهم** | **خيول متينات الأعنة ضمّر** |
| **دعاؤكم مخ العبادة** | **كما قال طه** |

**فاعـلموا الصفـوة المتـخـير**
**وكم منكم يـدعو"ابن علوان " قائلاً دعوتـك مضــــــــطراً فجاهك أكبــر**
**أيا حابـس الحنشـــان والفيل بل ويا مقيِّـد كـل الجـان أنت المسخِّر**
**دعوتك أرجو أن تـلبي دعـوتي وأيقنت أن الـنجـح لا يتعسـر**
**فأنت الذي في كـل وقت تجيبنا إذا ما إجابـــات الإلـــه تؤخـــر**
**فهـــذا هو الشـــرك الصريح الذي له تكــــاد الســـــماوات العـلى تتفـطر**[1]

## العَلَـم الثاني
## من أهل هذه المنطقة
## العلاّمة الكبير الشيخ أحمد بن محمد بن عوض العبَّادي - رحمه الله-

العلامة الشيخ أحمد بن محمد بن عوض العبّادي - رحمه الله -،ولد بقرية من قرى إب، نشأ بها ثم سافر أسفاراً عديدة وطويلة، وصل خلالها إلى كابول، وأخذ بها عن الحافظ محمد تقي الـدين الأفغـاني في القرآن الكريم وفقه الشـافعية وغيرهما من العلـوم، ثم ارتحل إلى الهند، وطلب بها العلم ثمانية عشر شهراً تقريباً، ثم سافر إلى عمان، وتزوج من "صور"، وأقـام بها اثنـتي عشـرة سـنة، وحج من هنـــاك مـــرتين، ثم رجع إلى بلاده ومنها إلى لحج، ثم عـــدن حيث اسـتقر في الشـيخ عثمـان إمامـاً لمسـجده الـذي عُـرف باسـمه ويسمى كذلك مسجد "زكّوا " [2].

وقد عرف في عـدن بدعوته إلى الكتـاب والسـنة وتجريد التوحيد لله تعـالى والمتابعة للرسـول وكـانت بينه وبين علمـاء عـدن من الصوفية القبورية مصـادمات وخصـام بسـبب ذلـك، ولعله من أوئل الدعاة المعاصرين السلفيين في الشطر الجنوبي من اليمن سابقاً.

غير أني لم أجد له ترجمة ماعدا النبذة اليسـيرة الـتي قـدّم بها العلامة البيحـــــاني لمنظومتـــــه: "هداية المريد" [3] ولئن تجاهله المترجمون فلن يتجاهله رب العالمين - سبحانه -، أسأل الله أن

---

[1] المصدر السابق ص(275-276).
[2] انظر : مقدمة هداية المريد إلى سبيل الحق والتوحيد لتلميذه العلامة محمد بن سالم البيحاني ص( 3 - 5 ).
[3] المصدر السابق .

يكتبه مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسُن أولئك رفيقاً.

**(2)**

**(3) <u>أثره في مواجهة القبورية:</u>**

(4) الأثر الوحيد المكتوب للعبّادي هو منظومته "هداية المريد إلى سبيل الحق والتوحيد"، وهي منظومة متوسطة كلـها في العقيدة والـدعوة إلى التوحيد والاتباع، والتحـذير من الـشرك والابتداع، والرد على المخرفين والدجاجلة، كما وصفهم الشيخ البيحاني [1] - رحمه الله - في التعليق عليها.

(5) وقد افتتحها بمقدمة أبان فيها منهجه وغرضه منها، فهي في اعتقاد السلف ونصيحة لإخوانه في الله، يحذرهم فيها من البدع والمحدثات [2]، ثم عرّف العلم، وحث عليه لا سيما علم التوحيد، فهو المقدم على كل العلوم، ثم معرفة حقيقة الإيمان بما يجب الإيمان به، ثم معرفة الفروع، وحذر من الجهل بالتوحيد ثم الجهل عموماً [3]، ثم ابتدأ في شرح العقيدة عموماً، وبدأ بتوحيد الأسماء والصفات، ثم انتقل إلى شروط التوحيد، ثم حذر من الاعتقادات الباطلة، وركز على قول من قال: "لو اعتقد أحدكم في حـجر لنفعه "، وحذره من هذا القول، وبيّن أن الأصنام إنما عبدت بهذا الاعتقاد، ثم استمر في شرح مراده حتى وصل إلى نقطة مهمة في مسيره، هي التحذير من الشرك، وبين قبحه وسوء عقابه في الدنيا والآخرة، وعدد هنا بعض المكفرات، ثم وقف مع بعض ما يفعله القبورية عند القبور من أنواع العبادات كالاستغاثة وحلق الرأس، والطواف والاعتكاف عند القبور [4]، ثم حذر من تكفير المسلم بغير بينة [5].

ثم انتقل إلى الدعوة إلى السنة والتحذير من البدعة، وأطال في هذا الفصل، وتعرض لرد بعض الشبهات التي يوردها المبتدعة؛ لإثبات بدعهم، مثل جمع الناس على صلاة التراويح في زمن عمر والأذان الثالث للجمعة في زمن عثمان، وأبان أن ذلك قد أقره الصحابة؛ وبذلك يصير سنة بإجماعهم، وأن الرسول  قد صلاها

---

1 هداية المريد ص(5) .

2 المصدر السابق ص(6-7 )

3 المصدر السابق ص(7-8 ) .

4 المصدر السابق ص( 23-25 )..

5 المصدر السابق ص( 23-25 ) .

جماعة في حياته فلا حجة للمبتدعة [1]، ثم تعرض للحقيقة والشريعة، وأبان أن الحقيقة هي ماجاء بها الكتاب والسنة، لا ماجاء بها الصوفية المبتدعة، ثم انثنى عليهم في السماع الصوفي المبتدع والأوراد والأذكار البدعية، وفنّد ذلك، وسخِر منهم في رقصهم ووجْدهم؛ لأنهم إنما يفعلون ذلك عندما يذكر التشبيب والتغزل وتشبيه المرأة بغصن البان، ثم يزعمون أن ذلك من محبة الله، ثم أرشد إلى الذكر المشروع الذي جاء به كتاب الله وسنة رسوله  [2]، ثم نهى عن الغلو المذموم [3]، وبعده حذر من التكييف والتشبيه في صفات الله تعالى، ثم تعرض لحكم البناء على القبور، وحذر من ذلك، وبين زيارة القبور الشرعية، وحث عليها والزيارة البدعية، وحذر منها، وما يترتب عليها من الغلو في أرباب القبور وما يحدث في تلك الزيارات من مفاسد عقدية وأخلاقية، وخلص إلى مشايخ الطرق وما يكيدون به الناس من الحيل والمكايد، لأجل ابتزازهم وأخذ ما في أيديهم والضحك على عقولهم [4]، وانتهى بيان التصوف المحمود، ويعني به الزهد والورع وتخليص القلب من أمراضه، والذي يكون مبنياً على العلم النافع جالباً للعمل الصالح، وعدّد الأعمال الصالحات والآداب الحسنة التي يتحلى بها سالك هذا السبيل، وما ينبغي له من مداومة ذكر الله تعالى على الصفة الشرعية لا البدعية.[5]

هذه هي منظومة العلامة العبّادي، وقد علق عليها العلامة البيحاني - رحمه الله - تعليقات مهمة نافعة، وقد طبعت مرتين، الطبعة الأولى لم أطلع على تاريخها، ثم طبعت مرة أخرى عام (1389هـ) مع نفس التعليقات التي وضعت على الطبعة الأولى.

## العَلَـم الثالث
## من أعلام هذه المنطقة
## الإمام العلامة محمد بن سالم بن حسين الكدادي المشهور "بالبيحاني "

هو الداعية السني الكبير محمد بن سالم بن حسين الكدادي البيحاني، مؤسس المعهد الإسلامي بعدن، ولد - رحمه الله – " ببيحان " سنة (1326هـ)، وعند بلوغه الرابعة عشر من عمره أرسله والده إلى تريم بحضرموت؛ ليتعلم هناك في رباطها

---

1 المصدر السابق ص(26-31 ) .
2 هداية المريد ص( 32-36) .
3 المصدر السابق ص(40-44 ) .
4 المصدر السابق ص(47-56 ) .
5 المصدر السابق ص( 56 ) إلى آخر المنظومة .

المشهور الذي يقوم عليه السيد عبدالله بن عمر الشاطري، فمكث أربع سنوات، ثم عاد الى بيحان،فمكث فيها سنتين، ثم توجه إلى عدن سنة (1346 هـ)، فلازم الشيخ أحمد بن محمد بن عوض العبّادي، وتزوج ابنته، ثم رحل إلى مصر، للالتحاق بالأزهر، فدرس في بعض معاهده، ثم في كلية الشريعة فيه، غير أنه ما لبث إلا سنة دراسية واحدة، اضطر بعدها إلى العودة إلى عدن حيث استقر في مدينة كريتر، وأسس فيها مسجد العسقلاني، الذي عُرف بالشيخ، وعرف الشيخ به، ومكث هناك يدعو إلى الله، ويقيم الدروس العلمية والوعظية، وينشر السنة المطهرة ويحارب البدع والخرافات والشركيات، كما كان على وعي سياسي جيد، فكان ينبه قومه إلى خطورة الاستعمار والانسياق وراء ثقافته ومبادئه الكافرة، ويدعو للتخلص منه.

ومن أبرز مآثره المعـهد الإسلامي الذي أسسه هناك على نفقة جمع من المحسنين، والذي أُمم في أيام الإشتراكيين، وأصبح مقراً لوزارة الداخلية، كما أنه كان نشيطاً في التأليف، فألّف أكثر من اثنين وعشرين كتاباً من أشهرها كتاب "إصلاح المجتمع "الذي لقي قبولاً واسعاً، وانتشر في أقطار المسلمين عموماً، وتعددت طبعاته.

وقد أصبح الشيخ علماً بارزاً لا في محيط اليمن وحدها، ولكن على مستوى العالم العربي والإسلامي، وكانت شهرة الشيخ بدعوته للكتاب والسنة ومحاربة الجهل والشرك والبدعة والخرافة، يشهد بذلك مترجموه، وتنطق به كتبه، فقد تعرض في إصلاح المجتمع في أكثر من مناسبة إلى ماكان شائعاً من البدع والشركيات، ودعا إلى التخلص منها، وقد سبق نقل شيء من كتابه إصلاح المجتمع في الباب التمهيدي.

كما ظهر توجهه ذلك ناصعاً جلياً في تعليقاته على منظومة شيخه أحمد العبّادي، الموسومة " هداية المريد إلى سبيل الحق والتوحيد " فقد نقد الشركيات، ونعى على أربابها، وطالب بإزالتها، بل صرح أنه قام بمحاولة لدى حكومة عدن؛ لإزالة مايحدث من الشرور في الزيارات مثل " زيارة العيدروس والهاشمي" وغيرها، وكادت أن تنجح تلك المساعي، لولا اعتراض بعض الجهال وسدنة القبور [1].

كما بين البدع العملية مثل السماع الصوفي وبدع الأذكار، وفنّد الكرامات الزائفة التي يروجها الصوفية، ويلبسون بها على العوام قال: (يزعم بعض أهل حضرموت أن دابة الفقيه المقدم كانت

---

[1] هداية المريد إلى سبيل الحق و التوحيد بتعليق الشيخ البيحاني ص( 50 ) .

تعرفُ طرق السماء، وأن زوجته سئلت عن حالها،فقالت: (لسنا بخير بعد الفقيه، وقد كانت أخبار السماء في حياته تأتينا صباح ومساء)، وفي " المشرع الروي " من هذه الخرافات مالا يحصى كثرة، فليته لم يبرز إلى حيز الوجود، أو ليتها أكلته دابة الأرض التي أكلت عصا سليمان بن داود، والويل لمن كذّب بشيء من هذه الكرامات المكذوبة، فإنه يعد في نظر القوم كافراً ملحداً زنديقاً، وكان التصديق بها أعظم شأناً من التصديق بالمعجزات، فنسأل الله حماية الإسلام وصيانته من هذه الخزعبلات والخرافات. [1].

وقد لاقى في سبيل دعوته تلك كثيراً من المحن والمصاعب، فصبر، وصابر، وكانت دعـوته مفتاحاً من مفاتيح الصحوة المباركة في جنوب اليمن آنذاك، وبعد الاستقلال ومجيء الاشتراكيين إلى عدن لاقى من الإهمال والتهميش، بل من المضايقة والتهديد مالا يطاق، ففر إلى الشطر الشمالي كما كان يسمى ذلك الوقت، فاستقر في مدينة تعز معززاً مكرماً من الدولة والشعب، واحتضنه محبوه فيها، وأغدقوا عليه، وأجلوه، وأكرموه بما لا مزيد عليه، وفي عام (1392هـ) حج حجته الأخيرة، ثم عاد إلى تعز وبعد عودته بيوم واحد انتقل إلى جوار ربه، رحمه الله رحمة واسعة، وكانت وفاته في (10/12/ 1972 م) في تعز [2].

**<u>الأثر الخاص بمواجهته القبورية من آثار البيحاني - رحمه الله -.:</u>**

أما الأثر الخاص بمواجهة القبورية من آثار البيحاني- رحمه الله – فهو "الصارم القرآني في الرد على درر المعاني "،ودرر المعاني اسمه الكامل " درر المعاني في الرد على العبّادي وتلميذه البيحاني " وهو رد على منظومة العلامة العبادي المسماة هداية المريد، والتي عرفت بها سابقاً، وكان العلامة البيحاني قد علق عليها تعليقات مهمة وقوية، فانزعج القبورية للمنظومة والتعليقات عليها انزعاجاً كبيراً، فردوا بذلك الكتاب، فقام الشيخ البيحاني - رحمه الله - بالرد عليهم بكتابه الصارم القرآني.

والكتاب ما يزال مخطوطاً عند أحد أقارب الشيخ لم يطبع بعد، ولم استطع الاطلاع عليه غير أنني بعد محاولات حصلت على صورة لفهرس الكتاب وأربع صفحات منه فقط، وبالنظر إلى

---

[1] التعليق على هدية المريد ص( 35 ) .

[2] انظر ترجمته في أنباء الزمان فيمن رحل من علماء بيحان ص( 81 – 92 ) خلال قرنين من الزمان تأليف عبدالله عبدالقادر العليمي باوزير الطبعة الأولى 1419هـ - 1998م . .

الفهرس يمكن أن نتعرف على صورة مجملة للكتاب، فقد صدّر الكتاب بقصيدة للقاضي الإرياني، ولم يبين أي القضاة من بني الإرياني هو، ولكن ظني أنه القاضي عقيل بن يحيى، والقصيدة هي التي ختم بها " السيف الباتر لأعناق عباد المقابر " والتي مطلعها:

**قل الحق واصدع بالذي فيه تؤمر ولا تخش غير الله والله أكبر**

ومن أبياتها القوية في مهاجمة القبورية قوله:

**لحـا الله عبَّاد القبور فإنهـم لقد بدلوا دين الإله وغيروا**[1].

ثم بعد الخطبة تكلم عن مصادر الكتاب، ثم تعرض للكلام عن الكتاب المردود عليه " درر المعاني " وذكر، أنه مدح الصحابة والسلف الصالح؛ متوصلاً بذلك إلى ذم شيخ الإسلام ابـن تيمية، والتهكـم به وبمن يتابعه، ثم إن الخصم تعرض لهداية المريد، وهاجمها فعلق الشيخ على ذلك، ثم ذكر أن الخصم كذب عليهم، لعله يريد نفسه وشيخه العبّادي، ثم ذكر عقائدهم في الله وصفاته وملائكته ورسله وأولياء الله وصفتهم وخوارق العادات، وبين بعد ذلك من هو الولي، ثم تعرض لتاريخ الدعوة وإلى من ينتسب مذهب الوهابية، وفي أي عصر ظهر، وكيف كان ظهوره، ثم ألمح لخيانة الخصم في النقل، بعد ذلك عرَّف بشيخ الإسلام ابن تيمية، وثناء الناس عليه، وما قيل فيه من الرثاء.

ثم جاء عنوان " نقد وتحليل"، ولعله موضوع رسالة الخصم، ثم تعـرض لكـتاب "كشف الارتياب في أتباع محمد بن عبدالوهاب " وهو لمؤلف شيعي من العراق اسمه " محسن الأمين العاملي "[2]، وتعرض كذلك لكلام ابن حجر " وهو المكي الهيتمي " في ابن تيمية ورد عليه، وذكر أن الخصم استعان في رده بشواهد الحق " للنبهاني "، وأنه تشبث بالصواعق الإلهية لسليمان بن عبدالوهاب أخي الشيخ، كما عرج على الشطي أحد خصوم الدعوة الوهابية، ويظهر أن الشيخ رد على الجميع، ثم ذكر اتفاق الشيخين ابن الأمير ومحمدبن عبدالوهاب في العقيدة، ثم عاد بعد ذلك؛ ليذكر كلام الناظم "العبّادي" والمعلق "البيحاني" في عموم المسلمين، وبعد ذلـك تكلم عن الحلف والذبح لغير الله، ثم نصوص زعماء الوهابية في عموم المسلمين، واستعرض بعد ذلك نصوص الكتاب

---

[1] مجموعة رسائل في علم التوحيدص( 275 - 276 ) .

[2] انظر : دعاوى المناوئين ص( 56) لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب . تأليف : عبدالله محمد بن عبداللطيف ، طبع دار الوطن، الرياض الطبعة الأولى ( 1412 هـ )

والسنة الناهية عن دعاء المخلوق، وبعده عنوان " كلام المغالين في أصحاب القبور " ثم جهل الخصم بما يقول وكذبه على الصحابة والتابعين وجرأته في ذلك، ثم بشرية الرسول ، وبعد ذلك كله تعرض لتهمة الخصم له ولشيخه بكراهة الرسول ، ثم تكلم على طلب الشفاعة وأدلة الخصم عليها، خلص بعده إلى الكلام عن التوسل ما يجوز منه وما لايجوز، وأبطل أدلة الخصم، ثم نقل كلام الشيخ محمد عبدُه المصري في التوسل ودعاء الصالحين، ثم أوضح كلام الناظم والمعلق في الاستغاثة واحتجاج الخصم بالمجاز العقلي والأحاديث الضعيفة والرد عليه في ذلك، وتوالت العناوين: (" استدلاله بالقرآن " وكلام العلماء " الشرك بالله والاستعانة بغيره " الحياة البرزخية " غلط الخصم ومغالطته " رفع القبور والبناء عليها " نصوص العلماء وأقوالهم " هدم المساجد والقباب المبنية على القبور، دفاع الخصم عن التماثيل " إنكاره على ابن القيم "شرقه بحديث أبي الهياج " " دفاعه عن رفع القبور " " شد الرحال لزيارة القبور " كلام الناظم والمعلق في النذر " واحتجاج الخصم بما لا يفهم " الكلام على إهداء ثواب القراءة للميت ").

هذه عناوين الكتاب ومنه يعرف مضمونه، فهو في الرد على القبورية فيما يعتقدون في القبور من العقائد الضالة، وفيما يأتون عندها من الأعمال القبيحة، وما يوجهونه من تهم وافتراءات لخصومهم دعاة التوحيد، ودفاع عن أولئك الدعاة ورد عن أعراضهم وتبرئة لمناهجهم من الانحراف الذي رماها به القبورية، هذا هو ما ظهر لي من ملامح الصارم القرآني للشيخ البيحاني عليه رحمة الله.

وفي نفس السياق تأتي رسالته الصغيرة " زوبعة في قارورة " فجهود البيحاني في مواجهة القبورية ومواقفه منهم هي اللائقة بالعالم السني المتابع لمنهج السلف الصالح رحمهم الله تعالى.

ولعل في رسالة الدكتور أحمد هجوان عن" الإمام البيحاني" ما يكشف مزيداً من هذه المواقف ولكني للأسف لم أطلع عليها.

**<u>المطلب الثالث</u>: جهود علماء تهامة في مواجهة القبورية:**

لقد تميز علماء وفقهاء تهامة بموقفهم الصلب والقوي من أصحاب وحدة الوجود، وأما موقفهم من القبورية العامة التي أبرز سماتها تعظيم القبور وأصحابها، فلم يكن بذلك الموقف القوي والواضح، وإن كنا لم نلمس من علمائهم الذين لم يتأثروا

بالصـوفية ذلك الانسياق وراء القبورية،كـالذين تأثروا بالصوفية مـن أمثال المحدث "أحمد بن أحمـد بن عبداللطيف الشرجي الـزبيدي صـاحب التجريد الصريح "[1] فإن الشرجي له كتاب " طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص " ملأه بالخرافات، ونقل فيه من الطامات ما يلحقه بركب الشعراني المشهور بنقل الطامات والهلوسة الصوفية، والشلي الحضرمي صاحب المشرع الروي الذي ملأه بالخرافات والدجل، بحيث يعجب القارىء كيف بلغت الجرأة به إلى هذا الحد، والاستخفاف بعقل القاريء إلى هذه الدرجة، فالشرجي لا يكاد يقل عنهما في كتابه "طبقات الخواص ".

أقول: إن علماء تهامة الذين حاربوا أصحاب وحدة الوجود مع حسن ظنهم بالكثير من القبورية إلا أنهم لما يوافقوهم على الكثير من شطحهم وخرافاتهم، وكثيراً ما يجد القاريء لكتبهم - مثل كتب العلامة الحسين بن عبدالرحمن الأهدل - نقدهم في بعض أمورهم وتصرفاتهم، ولكن لم تظهر المواجهة إلا بعد انتشار الدعوة السلفية التي قادها "الإمام ابن الأمير والإمام الشوكاني، رحمهما الله" ووصول دعاة وجنود الدعوة النجدية إلى تهامة في القرن الثالث عشر، فمنذ تلك الفترة، ظهر من يحارب القبورية بقوة وجرأة وعلم وبصيرة، ومع ذلك فموقفهم من القبورية إذا قورن بموقفهم من أصحاب وحدة الوجود عد ضئيلاً،وإذا قورن عدد من تصدى للقبورية بمن تصدى لأصحاب وحدة الوجود كان قليلًا، وأنا أكتفي بعلَم واحد من أعلام تهامة هو:.

## <u>العلاّمة حسين بن مهدي النـُّعمي التهامي ثم الصنعاني</u>

قال عنه السيد محمد بن محمد زبـارة في " نشر العرف ": (السيد الـعلامة النبيل التقي الفهامة الحسين بن مهدي النعمي

[1] الشرجي المذكورهو أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف الشـرجي الزبيدي ، ولـد سنة (812هـ) بزبيـد، ومـات بها سنة ( 893هـ ) ، وهو من أشهر محدثي زبيد وله "التجريد الصريح مختصر صحيح البخاري " وغيره من الكتب ، كما له في المقابل "طبقات الخواص" الذي تحدثت عنه في الأصل ، وهذا من التناقض العجيب ،كما ذكر له كتاب آخر بعنوان "الفوائد في الصلات والعوائد" قال الحبشي في مقدمته للطبقات : (وهو مجموع من الأحاديث والأدعية المأثورة ، إلا أنه شابَهُ بكثير من الطلاسم والأوفاق المدسوسة ، قال : وقد طبع بالقاهرة سنة (1344هـ) ، وأعادت طبعه عدة مرات مكتبة الحلبي بالقاهرة ) الطبقات ص( 6)،هـذا هو الشرجي رحمه الله ، لم ينفعه علم الحديث حين تأثر بأفكار وعقائد الصوفية .

التهامي ثم " الصنعاني " [1]، ولـد كمـا يظهر بمدينة " صبيا " من أرض تهامة،ثم وفد إلى صنعاء للأخذ عن علمائها في حياة الإمام الصنعاني - رحمه الله - وصار من جملـة أصحابه، حتى لقد اتهم هو والإمـام الصنعـاني بمخالفة مذهب الهادي والتظاهر بذلك [2]، وقـد ذُكر عنه العمل بالسنة وإحياء ما اندثر منها [3]،ورغم ذلك فقد استمر العلامة النعمي في دعوته وتعليمه للسنن ومحاربة البدع مجللاً محترماً [4]،حتى أن إمام العصر "المهدي " قـد أذن لـه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإن كان المخالف من خاصة المهدي، وقرأ "الإمام" على المترجم له أياماً في "شرح العمدة لابن دقيق العيد " [5]، وتوفي - رحمه الله - سنة (1187هـ)، هذا هو العلامة النعمي لم يحفل به المترجمون، ولكن كتابه العظيم الذي سنعرض له، يشهد بعظمته وسعة علمه، ويصور لنا منهجه الذي هو منهج السلف الصالح، مـنهج التجديد الذي عرفناه من ابن الأمير والشوكاني رحمهما الله.

**أثره في مواجهة القبورية:**

أثره المطبوع المتداول في مواجهة القبورية هو كتاب" معارج الألباب في مناهج الحق والصواب" هذا هو الاسم المختصر للكتاب، وقد وُجد على طرة النسخة الخطية مايلي:

(معارج الألباب، في مناهج الحق والصواب لإيقاظ من أجاب بحسن بناء المشاهد والقباب، ونسي ما تضمنته من المفاسد وهي، عجب من الخطوب عجاب، وأحال أخذ الحكم من دليله في هذه الأعصار فَسدَّ باب الحكمة وفصل الخطاب، وعطّل الانتفاع في هذه الأزمان بعلوم السنة والكتاب، إلى غير ذلك مما يأتيك بيانه وتحقيقه - إن شاء الله - بأحسن تحرير وجواب) [6].

هذا ماكتب على طرة الكتاب وهو معرِّف به، مبين عن وجهته، مشير إلى السبب الدافع إلى تأليفه، وهو الرد على من أجاب باستحسان تلك المشاهد والقباب على قبور الأولياء، وقد نص على

---

[1] مقدمة معارج الألباب في منهج الحق والصواب للنعمي ص(17) ، تحقيق محمد حامد الفقي تخريج علي حسن عبد الحميد ، طبع مكتبة المعارف الرياض ، الطبعة الرابعة 1407هـ - 1987م .و كل ما في ترجمتي له مأخوذة عنه حيث لم أعثرله على ترجمة في موضع آخر والجزء الأول مـن نشر العرف ليس متوفراً هذه الأيام .

[2] معارج الألباب في مناهج الحق والصواب ص( 18 ) .

[3] المصدر السابق ص(18).

[4] المصدر السابق ص(18).

[5] المصدر السابق ص( 18 ) .

[6] معرج الألباب ص (14 ) .

هذا السبب في مقدمته الكافية فقال: (وبعد، فلما كان في شهر ربيع الآخر من شهور سنة سبع وسبعين ومائة وألف من الهجرة النبوية، وقفت على صورة سؤال، وغير مـاجواب في شأن مـا يسر الله هدمـه، وافتقـاده من المشاهد والقباب، وإزالة ما أزيل منها بالتدمير والخراب؛ لما تفاحشت خطوب مفاسدها في هذا الزمان، وضاهت رسوم الجاهلية الجهلاء النافية للتوحيد والإيمان، مع كون وضع القباب أمراً صادم المأثور الصحيح من النهي الصريح، فهو بمجرده ممنوع شرعاً، كما قد شرحت ماجاء فيه ضمن رسالة مستقلة وجيزة، أسفرت عن وجهة الصبيح واسمها: " مدارج العبور علىمفاسد القبور ".

وكان قبل هذا التاريخ بمدة يسيرة، ألقى إليّ بعض أعيان الزمن بمدينة صنعاء اليمن - حاطها الله وسائر بلاد الإسلام من طوارق المحن والفتن - كتاباً ورد عليه من مكة المشرفة، ذكر فيه ما حاصله:

أنه وصل إلى هنالك سؤال في هذه المسألة، وأنه أجاب فيه مفتو الأربعة المذاهب، بما يتضمن التشنيع على من دل على هدم القباب والمشاهد، وأشار بتخريب تلك المعاقل والمعاهد [1]. وبعد أن أبان خواء ذلك الجواب، وعدم استناده إلى سنة ولا كتاب، وإنما (أجابوا: بأنه صرح به في المنهاج وشرحه،وهو الذي فهمه ابن عبد الحق من عبارة الروضة بالجواز) [2]. كر على المجيبين، وندد بأصلهم الذي عليه يعتمدون، وإليه يرجعون، وهو التقليد المحض والمنع من إعمال النظر في الأدلة، وقد شنع عليهم، وأطال النفس في ذلك، شأنه شأن مشايخه وزملائه من المدرسة السلفية في اليمن، وقد استغرق ذلك باقي المقدمة.

**أما الباب الأول**: فجعله في أبحاث متفرقة تتعلق بتلك الأجوبة، منها الرد عليهم في أخبار استدلوا بها، وقد أخلّوا بشروط الاستدلال إما دراية أو رواية، فالدراية كونهم لم يستدلوا بها على وجهها كاستدلالهم بحديث ((**من آذى لي ولياً**)) على حرمة المشاهد والقبور.

وقد حاكمهم أولاً إلى أصلهم و(على جواز أخذ الحكم من دليله وإمكان الاجتهاد في هذه الأعصار) فكيف يجيزون لأنفسهم خلاف ما أصلوه، ثم ناقشهم في الجزم بكون هذا المدفون ولياً، وأبان جانباً مما ينسب إلى من يوصفون بالولاية من الشطح والتخريف، وكيف يكون هدم هذه القباب إيذاءاً لأولياء الله وهو امتثال لأمر

---

[1] معارج الألباب ص( 26 – 27 ) .

[2] المصدر السابق ص( 29 ) .

رسول الله ؟! ثم رد عليهم حديث: ((مارآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن)) وأن ذلك لايثبت عن رسول الله  [1]، وأخذ يبدي ويعيد في موضوع الاجتهاد والتقليد إلى نهاية الفصل[2]، وهكذا في الفصل الذي يليه، رد على من قال منهم: (ولا يدعي الاجتهاد في زماننا هذا إلا من جهل شروط الاجتهاد وعريَ عن أصول الفقه)، واستمر في رده إلى نهاية الباب الأول [3].

**أما الباب الثاني**: فجعله (في ذكر جملة شافية من الأحاديث الصحيحة والأخبار الصريحة، الشاهدة بأن وضع القباب والبناء على القبور من أصله وتشريفها والكتابة عليها وتجصيصها واتخاذها مساجد وما يتصل بذلك: أمر تقرر في الشرع منعه، وسبق الحكم الجازم بالنهي عنه)، وبعد أن نقل من ذلك جملة كثيرة علّق على بعضها، ونقل نقلاً طويلاً عن ابن القيم من " إغاثة اللهفان "، ثم علّق على بعض كلام ابن القيم وانتهى الباب) [4].

**أما الباب الثالث:** فجعله للرد المباشر على تلك الأجوبة حيث يذكر جملة من الجواب،ثم يرد عليه، وقد استغرق هذا الباب بقية الكتاب، ولم يقتصر على تفنيد شبههم المتعلقة بالمشاهد والقباب، وإنما تطرق إلى ضلالات المتصوفة، وأنواع الشرك التي تُرتكب عند المشاهد والقبور، وما يجب على المسلمين والعلماء تجاه ذلك، وهو نقاش قوي ومنهج سوي مفيد لطالب العلم في رد شبه القبورية.

فرحم الله العلامة النعمي، وغفرله، وجزاه خير الجزاء على ما قدم، وله أثر ثانٍ أخص في الموضوع بعنوان " مدارج العبور على مفاسد القبور " ذكره في مقدمة المعارج (27)، ولا أعلم عن وجوده شيئاً، وأما مضمونه فهو في النهي عن البناء على القبور، وما يلحق بذلك حسب إشارة المؤلف..

**المؤلفات المفردة في مواجهة القبورية لعلماء تهامة:**

ولغير من تقدم مؤلفات ورسائل مفردة تعنى بمواجهة القبورية في بعض الجوانب،و إليك جدولاً بأسماء هؤلاء العلماء وأسماء مؤلفاتهم:

1) **محمد بن أحمد الأهدل** المتوفى سنة (1271هـ)، وله رسالة بعنوان " تحـذير الإخوان المسلمين من تصديق الكهان والعرافين " ووجه كونها في مواجهة القبوريين أن بعض

---

1 معارج الألباب ص( 39 – 49 ) .
2 المصدرالسابق ص( 45 – 101 ) .
3 المصدر السابق ص ( 101 – 118 ) .
4 المصدر السابق ص( 120 – 156 ).

القبوريين هم الذين يقومون بالكهانة والعرافة باعتبار ذلك من الكرامات، المرجع هجر العلم (4/ 2015).

2) **حسن بن خالد الحازمي**: المتوفى سنة (1234 هـ) أو (1235 هـ)، لـه رسالـة بعنوان " قوت القلوب بمنفعة توحيد علام الغيوب" واضح من العنوان أنها في الـدعوة إلى الـتوحيد وقطعاً في التحذير مما يضاده من عقائد وأعمال القبورية، المرجع هجر العلم (3/1224).

3) **الحسين بن عبدالرحمن الأهدل** المتوفى سنة (855 هـ) له رسالة بعنوان " الـقول النـضر على الدعاوي الفارغة بحياة الخضر) يرد بهاعلى عقيدة مشهورة من عقائد القبورية وهي القول بحياة الخضر وزعم الالتقاء به والأخذ عنه. المرجع هجر العلم (1/ 46).

4)**قادري بن أحمد الأهدل** مازال حياً - حفظه الله -له منظومة بعنوان" بهجة القلوب بتوحيد علام الغيوب " وهي مطبوعة مع هداية المريد للعبّادي، وقد تناول فيها الكثير من انحرافات القبورية، وأبان ضلالها وكشف عوارها.

***<u>المطلب الرابع</u>: جهود علماء حضرموت في مواجهة القبورية:***

لم تترسخ القبورية في أي ناحية من نواحي اليمن كما ترسخت في حضرموت، حيث سيطر القبورية فيها على كل شيء، سيطروا على الحكام، ووجّهوا السلاطين وسعوا لجلب الاستعمار، وكان لهم عنده مكانة مرموقة، وأمسكوا بزمام القيادة العلمية والروحية في البلد بقبضة حديدية، لم تترك لسواهم وسوى الدائرين في فلكهم متنفساً؛ لذلك لا نرى تلك المعارضة للفكر الصوفي في حضرموت مثل ما عورض في زبيد وصنعاء أو غيرهما من أنحاء اليمن، وحتى كتابة التاريخ فقد احتكروها بين قادة التصوف وأنصارهم، فجاء تاريخ حضرموت كما يشاؤون لا كما هو في الحقيقة، لذلك لا غرابة أن يقل أو ينعدم المواجهون للقبورية فيها، ومن ظهر فإنما ظهر بعد أن حصلت للقبورية الهزات العنيفة بفعل الدعوة السلفية في صنعاء وفي نجد؛ حيث وصلت الجيوش النجدية إلى قلب وادي حـضرموت، والتقى دعاتها بالناس، فتأثر بهم رجال من شتى الطبقات حتى من السادة العلويين [1]، ثم دعوة الإرشاد باندونيسيا، ومن هؤلاء الذين برزوا:

---

[1] انظر إدام القوت ص( 225-226 ) .

العَلَم الأول

## الشيخ علي بن أحـمد باصــبرين

وهو العلامة الفقيه المحدث الأديب الداعية علي بن أحمد باصبرين - رحمه الله - لم يُعرف تـاريخ ولادته وتـاريخ وفاته بالتحديـد؛ ولكن العلامة الشيخ علي سالم بكيّر يرجح أنه (عـاش في النصف الأخـير من القرن الثالث عشر الهجري وأوائل القرن الرابع عشر)[1]، وكـان هـذا الإمـام متمـيزاً بالشـجاعة متظـاهراً بحمل السـلاح يقـول عنه علـوي بن طـاهر الحـداد: (كـان شـجاعاً ذا عـزم لايـزال متمنطقاً بمسدس أو مسدسين)[2].

وكـان ذا غـيرة شـديدة حملته على إنكـار الكثـير من المنكـرات والعمل على تغيير بعضها باليد، يقـول الحـداد: (وأحسب أن له يـداً في الثـــورة الـــتي وقعت بجـــده على قناصل الـــدول وهي واقعة مشهورة، وقد تمكن من الفرار فسلم، وهو الذي أثـار العـوام على الأبنية الـــتي جعلت على الجمـــرات الثلاث بمـــنى فهجمـــوا عليها وأخربوها)[3].

كما كان مبرزاً في العلم متفوقاً فيه، وصفه أحد العلويين بقولـه: (وهو إمـام في كل العلـوم)[4]، وكـان عـاملاً بعلمه داعيـاً إلى مـاهو مقتنع به، لم يجمد على ما كـان عليه أهل مصـره وعصـره؛ بل دعا إلى التوحيد وحذر من الشرك وزيف الخرافات وحـارب المنكـرات؛ ومن أجل ذلك حاربه علماء حضرموت ونازعوه وحذروا منه، يقــول ابن عبيداللــه: (وجـرت بينه وبين علمـاء تـريم منازعـات في عـدة مسائل، **منها** التوسل والاستغاثة **ومنها** ثبوت النسب بمشــجّرات العلويين المحررة، وكان الشيخ يبالغ في إنكـار ذلك وألّف رسـائل من الطـرفين [5])، ونقل مسـتنكراً ما قاله أحمد بن حسن العطـاس عن هذا الإمـام فقـال: (وفي مجمـوع كلام العلامة السـيد أحمد بن حسن العطاس أن بعض العلماء المصـريين قـال لـه::" نعـرف من الحضارم حدة الطبـع، وأنت بعيد عنها " قـال لـه:" من عـرفت من الحضارم؟ " قال له:" عـرفت الشـيخ علي باصـبرين، وجلست معه في الحــرمين ســنين، فــرأيت من حدته ما لا مزيد عليه "، فقــال السـيد أحمـد:" ذاك رجل من أهل الباديـة، وتلقى شـيئاً من العلم،

---

[1] رجال وكتب للشيخ علي سالم بكيّر باغيثان طبع دار حضرموت للدراسات والنشر ص(109 ) .

[2] الشامل (1/ 135 ) وانظر إدام القوت ص( 110 ) .

[3] الشامل ( 1 / 135 ) .

[4] إدام القوت ( 110 ) .

[5] إدام القوت (111 )

وقد حجر سلفنا وأشياخنا على المتعلقين بهم الأخذ عنـه؛ لأنه ليس بأهل للإلقــاء ولا للتلقي، ولا يخفى عليكم ما في طبــاع البادية من الغلظة والجفــاء "، انتهى.وفي هــذا غض من مقــام الشــيخ علي لايليق بالإنصاف، وقد علمت أن السـيد عمر بن حسن الحـداد قـرأ عليه وهو من مراجيح العلويين)[1].

ويــبرز اتجاهه التجديدي من خلال بعض مؤلفاته **ومنها**:" إرشــاد صــالحي العبيد لتحقيق إخلاص كلمة التوحيد " ذكرها في المســألة التاسعة من " المهمات الدينية " المتعلقة بـالنهي عن قـول العـوام (ياولي الله جئنا إليك وحططنا الذنب بين يــديك) بعد أن علق عليها قال: (ومن أراد توضـيح ما في المقـام فعليه برسـالتي المسـماة " رشاد صالحي العبيد لتحقيق إخلاص كلمة التوحيد " [2].

وهذه الرسالة لم نعثر عليهـا، ولكنا عثرنا على المهمـات وسـوف يــأتي الحـــديث عنها حين نتكلم عن أثر هـــذا العـــالم في مواجهة القبوريــــة،وله مؤلفــــات أخـــرى **منها** خمســــةكتب في الفقه الشـافعي،وكتـاب عن أنسـاب السـادة العلـويين سـماه " حـدائق البواسق المثمـرة في بيـان صـواب أحكـام الشـجرة " فــرغ مــن تأليفــه سنــة (1298 هــ) قاله ابن عبيد الله [3]، ورسـالة في الـرد على بعض من اعــترض عليه في رســالة الشــجرة المــذكورة. [4]

إضــافة إلى تلك الكتب هنــاك كتــاب مخطــوط في مكتبة الحــرم المكي بعنــوان "إتحــاف الناقد البصيربخصــوص صــحيح الجــامع الصـغير**"** ذكـره شـيخنا الألبـاني في مقدمة كتابه صـحيح الجـامع الصــغير وقــال: إنه اطلع عليه في مكتبة الحـــرم المكي، وقد نقد المؤلف حيث أنه يتــابع الســيوطي على تصـحيحه دون تحقيق من قبله [5].

هذه نبذة عن الشـيخ علي باصـبرين رحمه الله وهو مـترجم في " الشامل في تـاريخ حضـرموت "، و" إدام القــوت أو معجم بلــدان حضرموت "، " وتاج الأعراس " وكلها تراجم موجزة.

---

1 إدام القوت ص(110-111 ) .

2 المهمات الدينية ص(6) .

3 إدام القوت ص( 111-112 ) وانظر لمزيد الفائدة تعليق ابن عبيدالله بذكر مادار بين الشيخ علي وبعض السادة حول الرسالة المذكورة وفيه كلمة للمحضار لفظها ( وبعض الناس قوله وبوله سواء ) وهي تدل على مبلغ العنجهيةلدى هؤلاء الناس .

4 ذكرها ابن عبيد الله في نفس الموضع السابق .

5 صحيح الجامع الصغير طبع المكتب الإسلامي( 1/ 14- 15 ) الطبعة الثانية ( 1406هـ - 1986 م ).

<u>أثر هذا العلم في مواجهة القبورية</u>
كان الأولى أن أدرس رسالة " إتحاف صالحي العبيد " التي أشرت إليها سابقاً ولكنها مفقودة؛ لذا لجأت إلى الرسالة الأخــرى وهي: " المهمات الدينية في بعض المرتكب من المناهي الربانية ".
وهي رسالة صغيرة حصر فيها المؤلف مجموعة من المناهي التي قد ارتكبها النــاس، ولم يتقيد ببــاب من أبــواب العلم، وإنما نوعها بحسب أهمية تلك المنــاهي المرتكبــة، فاشــتملت الرســالة على خمس وسبعين مسألة، قـال في مقـدمتها: (ولقد جمعت في هـذه العجالة خمســاً وســبعين مهمة من مهمـات الــدين مما عم الابتلاء بــالتلبس بهــا، وقد أرســلت منها نســخاً عديــدة لكل كبــير بلد أو قرية،كل هذا خروجاً من عهدة الأمر بــالمعروف والنهي عن المنكر وإبلاغ الجهد في بذل النصيحة لهذه الأمة المباركـة، لعل وعسى أن ينتفع بها مؤمن صالح، ويرتدع بها وينيب غاوٍ بجهالته طالح)[1].
وقد مضى في تلك المهمات إلى أن قال:(التاسعة) مما يحــرم ما يقال عند إقبال الزائرين إلى المزور:
(ياوليّ الله جئنا إليك وحططنا الذنب بين يديك).
وقد علق على ذلك وبين مافيه من الغلــو، وأنه لايغفر الــذنوب إلا اللــه، ثم أحــال على رســالته الســابق ذكرها، ومضى إلى المهمة (الثامنة عشر) وفيها تعـرض لما عند بعض جهـات حضـرموت أنهم: (إذا مــيزوا زكــاة أمــوالهم بنحو حَجْــر والرِّيَــد[2] يقولــون: (هــذا لله وللشــيخ سـعيد أو حق الله وحق الشـيخ سـعيد مثلاً)[3]، ثم تكلم عن ذلك من الناحية الاعتقادية والناحية الفقهيــــة، وقد حكم أن هــــذا القول خلاف الصواب، وأنه مبني على اعتقـاد أنهم (إذا فعــلوا ذلك يأمنون عاهات أموالهم وإلا فيصابون بعاهة في أنفسهم وأمــوالهم، أو من الله إذا أغضـبوا الشـيخ بمخالفة عـادتهم من إعطـائهم مـالا يستحقه، مع نسبة الآثار إلى مايتوهم الجاهل أنه منــه، وذلك خلاف الصواب والحق أن موجد الآثار وأسبابها هو الله الواحد الأحد الفـرد الصمد القائل سبحانه: ﴿ **ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولاخلق أنفســهم وما كنت متخذ المضــلين عضــدا** ﴾)[4]، والحق أنه لم يشبع المسألة وربما كان ذلك لأجل الاختصـار، وفــي المهمة (العشرون) تحدث عــن النـذر وأنه (لايصح إلا إن كـان لمن يملك – ومنه المســجد- طاعة لله وقربة بها يتقــرب إليه تعــالى لا

[1] المهمات ص( 3 ) .
[2] هما جهتان معروفتان من جهات حضرموت .
[3] المهمات ص ( 8 )
[4] الكهف ( 51 ) .

لميت وبهيمة ما لم يرد غيرهما المعتبر، ولا معصية أو مكروهاً أو مباحاً لآدمي أو جني أو معظم ما غير الله الواحد الأحد الفرد الصمد، لرجاء مالم يقضهِ الله له لو لم يشفع له هذا المعظم، أو دفع ما قد قضاه الله وأبرمه عليه في سابق علمه، فهذا محرم بل كفر في حق العالم والجاهل الذي أخبره بمقتضى ما يتضمن ذلك من هو من أهل الإخبار والتعليم [1]).

والشيخ قد أبان جانباً مهماً من الحق في هذه المسألة؛ وهو تحريم النذر للأموات، وأنه متى صاحبه ذلك الاعتقاد صار كفراً في حق العالم والجاهل الذي قد أخبره به من هو أهل للإخبار، ولكن هنا أمران:

**الأمر الأول**: تصحيح النذر عند إرادة المعتَبَر ممن له علاقة بالقبر فإن هذا موهم جداً ومغرٍ للعوام بالنذر لتلك المشاهد والقباب ومن فيها، وتَرتُب الاعتقاد إن لم يكن موجوداً حال النذر والغالب أنه لاينذر لها ولم يقصد من عندها من الزوار وغيرهم إلا مع وجود الاعتقاد فيهم، ولذلك فقد انتقد هذا المسلك الشيخ أبو بكر الخطيب في فتاواه معللاً بأن (الغالب أنهم يقصدون تعظيم ذات الولي أو قبره أو مشهده وذلك باطل والله أعلم بالصواب)[2]، وكذلك الرسول  عندما نذر الرجل أن يذبح إبلاً ببوانه سأله: ((**هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟ قال: لا قال: (فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟ قال:لا قال: فأوف بنذرك**)) [3]، وهذا يدل على أن النذر لو كان لمكان فيه وثن أو عيد لما أجازه؛ لئلا يظن ظان أن ذلك لتعظيم تلك البقعة، وهكذا هنا فإن قصد تعظيم ذلك المشهد والقبر هو الغالب، فكان الواجب سد هذه الذريعة وعدم تصحيح النذر من أصله.

الأمر الآخر: جعل النذر شركاً -إن وجد الاعتقاد والتعظيم- هذا فيه قصور، إذ النذر عبادة لله تعالى وليس كما يفهمه بعض الفقهاء مجرد هبة أو عطية، ولذلك فجعله لهذا المشهد أو القبر هو في حد ذاته قربة وعبادة، وصرف ذلك لغير الله شرك، ولولم يوجد التعظيم؛ لأن الحامل عليه هو الخوف أو الرجاء كما ذكره الشيخ آنفاً، بخلاف ما لو نذر لحي فإنه في عرف الفقهاء بمعنى العطية أو الهبة، وعلى ذلك درج الناس فيما يتعاطونه بينهم فيقول قائلهم نذرت لابني أو أخي أو فلان بكذا أي وهبته، فما كان من هذا القبيل فلا يمنع إلا أن قارنه التعظيم والتقرب والله أعلم.

---

[1] المهمات ص( 9 ) .
[2] الفتاوى النافعة ص( 249 )
[3] تقدم تخريجه في الباب التمهيدي ص( 29 ) .

أما المهمة (الحادية والعشرون) ففيها يقـرر المؤلف أنه لايتقـرب ولايعظم بالصلاة والنسك " الذبح " إلا لله تعـالى، ولاينسب الإحيـاء والإماته إلا لله تعالى، وهـذه أمـور معلومة لا إشكال فيها وإن كـان من الناحية العملية بعض القبورية أو جلّهم يخـــالفون في الـــذبح فيجيزونه لغير الله،ويتـأولون ما يفعل من ذلك عند العـوام، والـذي لاعلة له إلا "تعظيم من ذبح له" يتأولون ذلك بتـأويلات باطلة،وكـذا الإحياء والإماتة، هـذا أصل من الناحية النظرية متفق عليـه، أما من الناحية العملية فالصـوفية ينسـبون لأوليـائهم الإحيـاء والإماتـة -كما جاء في ترجمة علوي بن الفقيه المقدم من المشرع وغيره - وقـــد تقدم إثبـات اعتقـادهم لـذلك في البـاب الثـاني، وذلك غاية الإلحـاد والعياذ بالله، ثم يـرتب على ما تقـدم تحـريم العقيرة [1]، لكونها يهل بها لغير الله ولغـير ذلك من المحظـورات الـتي تـترتب على ذلـك، ويأتينا هنا بفائدة جديـدة جليلة وهي أن الزامل[2] الـذي يكـون غالبـاً مصاحباً لزيارات الأولياء هـو: (لتعظيم المقبـور له بمنزلة تلبية وفد الله تعالى بالحج والعمرة وهـذا من أعظم المنكـرات وأعظم منهـا سـكوت أهل العلم عنهم فيما لو فـرض سـكوتهم فضـلاً عن رضى عاقل بذلك) [3]، وهـذه النكتة لم أعـرف من نبه عليها غـيره ولكن لا اسـتبعد صـحة ما قـرر في ذلك إذ أنّ هـذا هو الشـأن في معظم الزيارات إن لم يكن فيها جميعاً وهذا **أولاً**، و**ثانياً**: أنها فعلاً تعتــبر تعظيماً للولي وذلك برفع الرايات التي هي شعاره واشتمالها غالبـاً على أبيات شـعرية في مدحه أو دعائه والاسـتغاثة بـه. و**ثالثـاً**: أن خليفة ذلك الولي المسمى عندنا " منصب مقامه " يعطى في هذه الزيارات من التعظيم والتفخيم وإظهار مقامه وقدره شيئاً عظيمـاً كـما نبه عليه " الصبان " في كتابه زيـارات وعـادات " زيــارة نـبي الله هود " [4]، فرحم الله الشيخ باصبرين.

والمهمة (**الثانية والعشـرون**) يقــرر فيها أن الحلف بغـير الله تعــالى وصـــفاته وأســمائه شـــرك، ثم قسم الشـــرك إلى جلي وخفي،وأن الجلي هو المخـــــرج من الملة والخفي لايخـــــرج من الملة،ثم تعرض لصيغ من الحلف وتكلم عنهـا، ثم فـرق بين ماكـان

---

[1] قال في القاموس و ( العقيرة ما عقر من صيد أو غيره ) ص( 569 ) وفي العرف هي جمل أو ثور يسوقه الزوار عند زيارتهم للولي : إما إرضاءاً له لما قد يظنون أنه ساخط عليهم أو تقرباً لطلب حاجة منه .

[2] الزامل في العرف هو نوع من الرجز يؤتى به عند المناسبات كالأفراح ونحوها وكذا في الزيارات .

[3] المهمات ص( 9-10 ) .

[4] زيارات وعادات " زيارة نبي الله هود "ص ( 40- 41 ) تأليف عبد القادر محمد الصبان ، طبع المعهد الإمريكي للدراسات اليمنية .

المقصود به تعظيم المحلوف به كتعظيم الله أو يخاف منه كخوفه، أو يـرجى منه نفـع لم يقضه الله،أو يـدفع عنه ضر قد كتبه الله فهو الحرام الكفر اتفاقـاً،أما إذا سـلمت العقيـدة من ذلك فلا كفر جلي وفي الخفي خلاف والورع تركه مطلقاً) [1] وهذا تفصـيل جيـد،,أجـود منه لو صرح بتحريم النوع الثاني وإن لم يكن شركاً.

والمهمة (**الستون**): قال لايجوز لأحد حكاية ماصورته منكـر، وإن صـدر عن بعض الأكـابر محمـول على أنه مـؤول عنـده بتأويل غـير متبـادر للعامـة؛أو أنه صـدر حـال غيبة عن تعقل مقولـه بوجه من الوجوه أو أنه من قول غير كجني كما قال بعضهم:

**أنا عرشها والكرسي أنـا للسما بانيها**
**ولولا الحيا من جدي نار الجحيم أطفيها [2]**

**والنهي عن ذلك في محله، وأما التأويل لـذلك فبعيد وقد تقدم إيضاح ذلك [3]**

المهمة (**الحادية والسـتون**): قـال فيها (من المحرمـات قـول بعض المعتقدة جوابـاً لقـول المعتقد ادعُ الله لي بالجنة " أنت في الغدفة أو ضماني ") [4]، وهذا القول يتكـرر كثـيراً من بعض أقطـاب القـوم في مناسـبات مختلفة وهو محـرم كما ذكر الشـيخ إن كـان مجـرد جـرأة عن غـير اعتقـاد،أما من اعتقد أنه يملك ذلك فهـذا طاغوت لأنه زعم لنفسه حقاً من خالص حق الله تعالى.

هـذه هي المهمـات الـتي تعـرض فيها الشـيخ للقبورية ونقد بعض عقائدهم وأعمالهم، وأما بقية المهام فإنها منكرات يقع فيها الكثـير من الناس وهي معاصي لاعلاقة لها بالقبورية.

والشـيخ -رحمه الله تعـالى- قد تحـرر من غل التقليد لمعلميه والتأثر بمجتمعه إلى حد كبير،وحسبه ذلك مادام مجتهـداً باحثـاً عن الحق جـاداً في العمل به والـدعوة إليـه،وقد بقي لديه بعض آثـار مدرسة حضـرموت لم يسـتطع التخلص منها وهي قليلة في جـانب ما حقق من إصابة للحق،فرحمه الله وغفر له.

<u>العَلَم الثاني</u>

## من أعلام المواجهين للقبورية في حضرموت
## <u>الشيخ محـمد بن علي بافضل رحمه الله تعالى</u>

---

[1] المهمات ص(10 ) .
[2] المهمات ص( 16 ) .
[3] المهمات ص( 16 )
[4] المهمات ص ( 16 ) .

للأسف لم أعثر لهذا الشيخ على ترجمة مكتوبة،ويقال أن هناك ترجمة كتبها هو لنفسه بعنوان "حياتي" غير أنني لم أتحصل عليها،وهي عند بعض أولاده كما أخبرني بعض أقاربه، فلذلك أكتب ملامح عامة عنه فأنا أعرفه،وقد جالسته وحضرت درساً من دروسه في مدينة " القَطَنْ " بلده الذي ولد وعاش فيه معظم حياته.

**كانت** دراسته الأولى في رباط تريم على يد شيخه الشهير **عبدالله بن عمر الشاطري**، ثم هاجر إلى الصومال ومكث هناك ردحاً من الزمن، ولعله هناك التقى ببعض المصريين من أنصار السنة وبذلك تحول إلى الاطلاع على كتب الإمامين ابن تيمية وتلميذه العلامة ابن القيم رحمهما الله وأئمة الدعوة السلفية في مختلف العصور حتى صار بذلك من أعلام الدعوة السلفية.

**يقول** فضيلة الشيخ " السيد السيد رجب " المدرس في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في تقديمه لكتابه " دعوة الخلف إلى طريقه السلف " وهو يتكلم عن أعلام الدعوة الذين أشعلوا المشاعل لينيروا الطريق وليوضحوا السبيل ليسترشد الحائر ويهتدي السائر: (ومن هؤلاء العالم الفاضل، والشيخ الوقور، والمربي الأمين، والقدوة الطيبة والمجاهد المكافح الذي صابر وثابر وأفنى شبابه وصحته في سبيل الدعوة وإبلاغ الحجة وأداء الأمانة وإيقاظ الغافلين،والأخذ بيد العاملين،والذي نحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحداً، ذلكم هو الشيخ " محمد علي بافضل "، بارك الله فيه وأطال عمره ونفع به وجزاه بكل خير، فقد جاهد وناضل في سبيل عقيدته، في كل مكان حل به وأقام فيه، ومن يذهب إلى الصومال يجد مسجداً فخماً سمي باسمه، أقامه وشيد أركانه، وكان إمامه وخطيبه ومدرس العلم والمعرفة لرواده وأحبابه وإخوانه ومعارفه، فهذا درس التفسير، وذاك درس الحديث، وهذا درس الفقه، بل كان يدرس النحو والصرف وهكذا.

وكلٌّ حسب منهج دراسي منظم، ومستويات علمية متباينة، فربّى رجالاً فاهمين عالمين عاملين، جمعوا بين طلب الدنيا والدين، والشباب والشيوخ من حوله ملتفون، كان لهم العالم والمرشد والأخ والصديق والأب والرفيق، يلتفون حوله ويستجيبون لنصحه، ويعملون بتويجهاته ويستشيرونه في أخص أمورهم، وإن أنس لا أنسى ليلة وداعه وهو مغادر الصومال بعد إقامته فيه مدة طويلة إلى موطنه العزيز والجموع محتشدة في ذلك المسجد بمقديشو والرجل يفيض على الجميع من علمه وتجاربه ونصائحه وكانت كلماته مشوبة بأنفاس كبد محترق تلفح الآذان، والناس في حزن

عميق وألم للفراق شديد، ثم يحمِّلـني تبعة القيـام بالمسـجد ويعهد إلي بتحمل الأمانة ولكن أنّى لي ولأمثالي أن نملأ هذا الفراغ ونقوم بذلك العمل الكبير والمجهود العظيم فجزاه الله خير الجزاء) [1] هذه لمحة عن حياة الشيخ وجهده في المهجر.

وأما في الــوطن فأنا أســجل ما بلغــني عنه وما شــاهدته منه مباشرة:

فلقد سمعت بالشيخ وجهوده ودعوته إلى الكتاب والسنة في آخر حياته رحمه الله،حوالي عام اثـنين أو ثلاثه وتسـعين وثلاثمائه وألف هجريــة،حيث وصف بالــدعوة إلى التوحيد والســنة ومحاربة البــدع والشركيات وبيان خرافات الصوفية وتزييفها، وماكان قائمــاً به من نشر العلم والإفتــاء في مدينته القطن، ثم شــاء الله بعد مــدة أن أزور القطـن وأصلي المغرب والعشاء في مسـجدها الجـامع، حيث يـدرس الشيخ وقد كنت ذاهلاً عن الشيخ ودعوته الـتي وصـفت لي من قبل، فلما كان بين العشائين فإذا بالشيخ يتصدر الحلقة العلمية ليدرس طلابه من كتـاب فقه السـنة " للسـيد سـابق " وفي سـيرة الرســـول  ولا أذكر ما هو الكتــــاب الــــذي كــــان يــــدرس فيه وقتها،فجلست في الدرس وسمعت كلامــاً قيمــاً غريبــاً على ما هو معـروف في الأوسـاط العلمية الحضـرمية آنـذاك، وبعد انتهائه من الــدرس أردت أن أتأكد ممــا ســمعت، فســألته عن بعض الأمــور المتعلقة بالبــدع والشــركيات المنتشــرة في البلاد، فأجـاب جوابـاً صريحاً واضحاً بما يشفي غليل محب السـنة والتوحيـد، فاطمـأننت إليه واقتربت منه وتعرفت عليه وعـرفته علــى نفسـي، فقـال لي: (لقــد أجبتك على تلك الأسـئلة بما سـمعت لأنـني هنا في القطن ولوكنت من شبام وحـدرا لسـبطونا على تلك الأجوبـة) هكـذا بهـذه اللهجة الدارجة ومعناهــا: أنه لما أجــابني بما أجــابني لأنه في بلد القطن الذي قد استجاب أهله للـدعوة السـنية وآمنـوا بهـا، ولو أنه كـان في مكـان آخر من بلد شـبام أو ما كـان شـمالاً عنها لضـرب على تلك الإجابة لما عليه أهل تلك الــديار من التعصب والخرافــة، وعندها عرفت أنه ذلك العالم السلفي الـذي حُـدِّثْتُ عنه من قبـل، ثم دعــاني إلى منزله فاعتـذرت فواعـدني من اليـوم الثـاني حيث أخذني إلى مسـجد جديد كـان يقـوم على عمارته وفي أثنـاء تجولنا في المســجد كــان يشــكو إلي ســوء الأوضــاع في البلاد ومحاربة النظـــام الشـــيوعي للـــدين وأهله وما يلاقيه هو من رقابة ومتابعة شــديدة، ثم إنه رحمه الله ســافر إلى المملكة العربية الســعودية،

---

[1] دعوة الخلف إلى طريقة السلف التقديم ص( ج – د ).

حيث وافاه الأجل في مدينة جده حوالي عام (1404هـ)، وقد تـرك أثراً طيباً في بلده وكـان له طلاب ومحبـون فيها وفي غيرها، كلهم سائر على نهجه ومقتبس من طريقته - رحمه الله رحمةواسعة -.

**<u>الأثـر الـذي خلّـفه "دعوة الخلف إلى طريقة السلف":</u>**

وواضح من عنوانه أنه دعوة إلى العودة إلى ما كان عليه السـلف الصـالح رضـوان الله عليهم في جميع الأمـور من عقيـدة وعبـادة وأخلاق ومعاملات وسائر شؤون الحياة،ولقد لخص موضوع الكتـاب المـؤرخ الشـهير سـعيد عـوض بـاوزير في المقدمة الـتي قـدم بها للكتاب فقال: (آمنت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبيـاً) هـذا هو موضوع الكتاب الذي جمعه المؤلف من أوثق المصادر.

دعـوة إلى التوحيد الخـالص دون إشـراك، وإيمـان برسـالة خـاتم الأنبياء دون انحراف،وتمسك بتعاليم مستقاة من أصولها الصـحيحة دون ابتـداع،في ميـدان الاعتقـاد يـدعو الكتـاب إلى إصـلاح كل مـا أفسـدت البـدع والأباطيل من جـوهر العقيـدة،وفي ميدان السـلوك والعبادة يدعو إلى رفض كل زيادة ليست في كتاب الله الكـريم ولا في سنة رسوله المطهرة [1]).

وبعد كلام عام عن أزمة المسلمين وأن لاحلَّ لها إلا بالرجوع الحق إلى الإسـلام قـال المقـدم: (ربما تثـير بعض النقـاط الـتي عالجها الكتـاب حساسـيات بعض النـاس، أو تصـطدم بوجهـات نظر خاصة بهم،ولكنني واثق بأن المؤلف لم يكتب ما كتب عن هوى أو غــرض وإنما كان يصدر عن عقيـدة امـتزجت بروحه وقلبـه، يـدافع بها عن دين الله الحـــق،طالما تحـــدث بها لســـانه، قبل أن يتناولها قلمه، فالمؤلف من خطباء الحضارم الموهـوبين وأسـاتذتهم المسـتنيرين، تعرفه المنـــابر والحفلات،كما تعرفه فصـــول الدراسة،وقاعـــات المحاضــرات[2]). والكتــاب قد جعله المؤلف على طريقة الســؤال والجواب:

وقد شـمل توحيد الربوبية والألوهية وتوحيد الأسـماء والصـفات وما يضاد ذلك من الإلحاد والشـرك، وقد ركز على توحيد الربوبية بعض الشيء لوجود التشكيك فيه في تلك الفـترة، فـترة انتشـار الإلحـاد في العالم كله،وعندنا في حضرموت بسبب النظام الشيوعي الذي كان جاثماً على صـدر البلاد وأهلــها،ثم تكلم على السـنة ومـايتعلق بها ومايضادها من البدع،كما عـرج على الفكر الصـوفي الحضـرمي ونقد بعض خرافاته، وأبـــــــان بعض ما يحتـــــــوي عليه من

---

[1] دعوة الخلف ،المقدمة ص(5-6)

[2] دعوة الخلف المقدمة ص( 5 – 6 ) .

الشعوذةوالدجل، وخصص بعض البدع التي تتفرد بها حضرموت مثل" صلاة الخمسة فروض" التي تؤدى آخر جمعة من رمضان، حيث يصلون الفرائض الخمسة الفجر ثم الظهر ثم العصر ثم المغرب ثم العشاء في آن واحد وذلك بنية قضاء ما فات أثناء السنة الماضية

وأول من أحدثها في حضرموت " الشيخ أبو بكر بن سالم العلوي صاحب عينات "، ولذلك فإن أكثرمن يتعصب لها هم المنسوبون إليه، ولاتزال مستمرة بشكل رسمي وبطقوس واعتقادات، خاصة في بلده عينات إلى اليوم،كما تعرّض لبعض الأمور التي دعا الواقع إلى طرقها؛كمسألة المرأة في الإسلام،وتعدد الزوجات،وموضوع الإسلام والرق،هذا مجمل ما اشتمل عليه ذلك الكتاب فهو مهم جداً ومفيد للغاية فرحم الله مؤلفه وأجزل له الثواب.

العَلَم الثالث

**<u>العلامة القاضي عبدالله بن عوض بكير</u>**

**وهو العلامة الكبير والقاضي الشهير، داعية السنة في وقت تَغَلُّب البدع،ورافع راية التوحيد في مجتمع تجوس خلاله أنواع من الشرك،ويتصدر فيه دعاة الخرافة الشيخ عبدالله عوض بكير.**

ولد رحمه الله في مدينة " غيل باوزير " سنة (1314هـ) [1]،قرأ القرآن في أحد كتاتيب قرية " القارة" من ضواحي الغيل،وبعد مرحلة من العمل والكدّ، التحق بركاب الشيخ عمرمبارك بادبَّاه في قرية "الصداع"، وأقام لطلب العلم لديه نحواً من خمسة عشر عاماً، قرأ خلالها عدداً من الفنون حتى تقدم على أقرانه وأصبح شيخه يوكل إليه بعض المهام؛من تعليم طلاب وإمامة مسجد ورد على فتاوى) [2].

ثم انتقل إلى رباط الغيل فترة،ثم ارتحل إلى بلاد الصومال " جيبوتي " و"مقديشو" مرتين لتحصيل العلم ولقمة العيش معاً، وهناك التقى ببعض علماء الأزهر [3]، ثم عاد واستقر إماماً لمسجد النور بالقارة،وقد حصل من العلم حظاً كبيراً مكَّنَه من أن يكون مرجعاً لمجتمعه الصغير، عليه يعرضون أسئلتهم وإليه يرجعون في حل مشاكلهم،ويراجعونه فيما يقع لهم من قضايا، ومنها ما قد

---

[1] القضاء في حضرموت في ثلث قرن لابن المترجم العلامة عبدالرحمن عبدالله بكير النسخة الخطية ص( 14 ) .

[2] المصدر السابق ص( 26 – 28 ) .

[3] القضاء في حضرموت ص( 28 - 29 ) .

يصدر لهم أو عليهم من أحكام قضائية وفتاوى شرعية، فكـان يعلق عليها بما يراه الحـق،وبـذلك انتشر خـبره وسـار ذكـره حـتى وصل (مجالس العلماء ودخل مكـاتب الحكـام واسـتمع إلى آرائه الـوزراء والسلاطين،فتوجهت إليه الأنظار ترقبه وتراقبـه)[4]، (وبالإضـافة إلى قوة عارضته الفقهية في المناظرات الشفوية والكتابية، مما أكسبه سـمعة علمية طيبـة،وحنكة في معالجة القضـايا الفقهيـة،وإبـراز خفاياها ودقائقها.. بالإضافة إلى ذلك كان صريحاً في الحق لايماري ولايداري،نزيهـاً لا تمتد عينه إلى متع غـيره،محاربـاً للبـدع أيـاً كـان القائم بهـا، لاتأخـذه في الله لومة لائم، فقد كتب الرسـائل وألـقى الخـطب، وكـاتب مـن يتوسم فيه الـقيام بالأمر بـالمعروف والـنهي عن المنكر،مشـنعاً على كثـير من البـدع الـتي تعمل باسم الـدين، وأظهر وأبان وجه الحق في كثيرٍ مما يُتخذ تحت شـعار الـدين،بينما هو في حقيقته باطل وجاهلي فألَّف من بين ماألَّف:

1)مثـالب المـزار: وهي رسـالة في منكـرات زيـارات القبـور. وأن زيارة القبور مشروعة كما شرعها الـدين الإسـلامي، وبغـير ذلك تعتبر منكراً يجب إنكاره وتجب إزالته وتغييره.

2) تطهير الفؤاد من سيّء الاعتقـاد: وهي رسـالة توضح كثـيراً من المعتقـدات الفاسـدة الشـائعة في الجهة سـواء كـانت مما يتعلق بـــالموتى أو بالأحياء أو بالجمادات أحيانـــاً، ومايفعل باسم كـــبراء الجن، كما يقول أرباب تلك المعتقدات.

3) الـدفوف في المسـاجد: وتلك رسـالة أوضح فيها حكم ضـرب الدفوف في بيوت الله التي يجب أن تُنَـزَّه عن مثل هـذه المعـازف والملاهي، ولقد ترسم فيها طريقة السـلف الـذين سـبقوه وعنهم نقل مانقل)[3].كـان هـذا من الشـيخ رحمه الله في عهد اشـتدت فيه الخصومات بين الإرشاديين والعلـويين في مهجـرهم في أندونيسـيا وسنغافورة،وألقت تلك الصراعات بظلالها على الوطن،وأصـبح مَن يصنف أنه مِن الإرشـاديين أو يتهم بـذلك منبـوذاً،بل مُعرّضـاً لأنـواع من الأذى، ولـذلك فقد اتهم بالإرشـادية كما اتهم بالوهابيـة،وإن لم يكن كما يقـــول ابنه الشـــيخ عبـــدالرحمن ملتزمـــاً لواحـــدة من الطـائفتين، بل قد يؤديه اجتهـــاده إلى موافقته إحـداهما في أمـور ومخالفتها في أمور أخرى،ولكن الإرهاب الفكري الكبير الـذي كـان يمارس لايرضى بأنصاف الحلـول ولا يعـرف للاجتهـاد معـنى،"وإنما كُن معنا أوأنت ضدنا"، ولكن الشيخ - رحمه الله - ما بالى بذلك بل صمد في وجه كل تلك الزوابع،ولكن لما شاع عن الشـيخ من سـعة

---

4 المصدر السابق ص( 31 – 32 ) .

3 المصدر السابق ص( 32 – 33 ) .

في الـــعلم وبصـــيرة في الــرأي ونزاهة في المعاملة وعــدل في الخصـــومة وقـــوة في الموقـــف،كل ذلـــك أرغم معاصـــريه على احترامــه،وحَمَل المســؤولين على أن يخطبــوا وده، وأن يطــالبوه بتحمل مســؤولية القضـــاء الشـــرعي،والـــقرب من الســـلطان للاســتفادة منه في الــرأي والمشــورة، وقد نفر من ذاك بـــادىء الأمر،ولكنـــه رضخ له بعد إلحـــاح وبعد تأمـــل في المصـــالح والمفاســد،ودخل ســلك القضــاء وتــدرج فيه بعد أن عُــرف عدله ونزاهته وقوة إدراكه ونفوذ بصره حتى أصبح رئيس القضــاء،وعضو مجلس الدولة، ولقد قام من خلال منصـبه ذلك بإصـلاحات قضـائية وإدارية جبارة، سبق بها عصـره وتفـردت بها حضـرموت عن سـائر البلدان المجـاورة، كما أصـلح القضـاء وطـوره وحافظ على تحكيم الشريعة، فـإن له بصمة أخـرى عظيمة هي رئاسة لجنـــة الشــؤون الـــدينية والـــتي كـــان من مهامها الأمر بـــالمعروف والنهي عن المنكر،ومراقبة الآداب الإســلامية،والــدعوةإليها، والتنفــير من كل مفسدة خلقيــة،والــدعوة إلى الســنة ومحاربة البــدع في الــدين) [1]، (فحـــاربت من البـــدع ما حـــاربت ونجحت ولاحقت من المفاسد الخلقية ما لاحقت وأصلحت) [2]،ولكن الأمــر بالــمعروف والنهي عن المنكر ثقيل على أصـحاب الشـهوات، ومحاربة البـدع شـديد على أرباب الهوى والشبهات،وإلغاء بعض ما في البدع والزيارات البدعية مضر بالسدنة ومن يجنون من ورائها أنواع الثمرات، وحــرك إبليس جنــده؛ فحــوربت هــذه اللجنة من قبل أشـــخاص لهم في البـــدع والمحافظة عليها قَدَمُ راسخ،أَوْلَهُم في طقوس هذه البـدع مصـالح مادية ومصالح روحية، بل إن لهم في البدع مصالح رهيبة، وهي في نفس الـــوقت تمثل المخـــدِّر العـــام للشـــعب كي ينصـــرف عنهم ولايلاحقهم في بــدعهم وأهــوائهم، وبالمحافظة عليها وباســتمرارها سيكون الشعب متلهيا بها منصرفاً إليهـا،غـير متطلع لمسـتقبل، ولا عابىء بحاضر، كيف لا وهي تملأ أكثر أيـام العـام، ولاتنتهي مناسـبة بدعة حتى تبدأ مناسبة جديدة لأخرى، ويتبع هذه البدع من المفاسد والمناكر والمحرمات مايندي له جبين الدين ويتصبب له عرقــاً وجه الأخلاق... بل وتتبعها مفاسد اجتماعية تصل إلى حد التفريق بين الزوج وزوجه، والابن وأبيه.

وما أكثر البدع اليوم وما أكثر مروِّجيها والمغشوشين بها، وأشـدها شؤماً وأكثرها لؤماً؛ هو بدعة مايسمى بالزيارات لما يؤتى فيها من المنكرات، والصـد عـن دين الله بعبادات أعمق جاهليـة؛ لأنها

---

[1] القضاء في حضرموت ص( 183 ) .

[2] المصدر السابق ص ( 183 ) .

باسـم.[1] تقـام وباسم الـدين تتحـدث. والزيـارات بدعة في الـدين، وبدعة في حضـرموت،وبحسـبك أن تعلم أنها لاتسـتند لسـند في العادات والتقاليد حضرمي أصيل.

وقدكان للجنة الشؤون الدينية في عهد السـلطان صـالح مع هـذه البدعة بصـورة خاصـة،مواقف خاصـة،مما جعل السـلطان عليه - رحمـة الله - إقتناعـاً منه بمضـارها، يوقفها ويـأمر بإلغـاء طقوسـها ومراسمها أيـاً كـانت، ولكن القـوم - هـداهم الله - وغفر لهم ولنـا، أعلنـوا عـدم تمسـكهم بـدينهم إذا كـان يقف في طريق ما ألفـوه، وأنت عليم بما يترتب على هذا من حكم شرعي) [2].

وقد أخبرني أحد معاصري الشيخ رحمه الله، أنه منع الحضرة التي كانت تقام عند القبر الذي تحت مسـجد عمر ويسـمى قـبر"علوية" أيـام وجـوده في القضـاء،وأقفل المكـان وعـزم على تـأجيره مسـتودعات أو نحو ذلـك،ولكنه لم يتمكن من تـأجيره، وإنما بقي مقفلاً مـدة طويلـة،ولكن بعد وفاته أعيد فتحه وأعيـدت الحضـرة الـتي تعمل له، وهـاهو اليـوم وصـمة عـار على جـبين المكلا وأهل المكلا، وبقعـة سـوداء يطالعها كل من يـزور هـذه المدينة من الغربـاء، فيحكم على أهلها الطيـبين محـبي السـنة أنهم من المخـرفين والخاضـعين لسـلطان الـدجل والشـعوذة ولامنكر، بل المنكرون كثير ولكن من يستجيب لهم؟؟

كما أنه كان قد أبطل الحضرة التي كانت تقام في مسجد الروضة بـالمكلا،وقد أعادها القبوريـون هـذه الأيـام،وكما كان الشـيخ رحمه الله عالماً وقاضياً ومصلحاً؛كان كذلك شاعراً وأديبـاً مرهف الحس قـوي العارضـة،وبعد عمر طويل قضـاه في التعلم والتعليم والإصـلاح،انتقل إلى رحمة ربه في يـوم الاثـنين السـابع عشر من جمادى الثانية عـام ألف وثلاثمائة وتسـعة وتسـعين للهجـرة؛ رحمه الله رحمة واسـعة، وقد ترجمه الأسـتاذ سـعيد عـوض بـاوزير في الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي[3].

(4) آثاره في محاربة القبورية:

كما سـبق فـإن للشـيخ ثلاثة آثـار في مواجهة القبورية وسـيكون الكلام هنا عن اثنين منها، وأما الثالث فسأذكره مع قائمة المؤلفات المفردة لأهل حضرموت.

---

[1] كذا في الأصل.

[2] القضاء في حضرموت ص( 183 – 184 ) .

[3] الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي ص( 181-183 ) تأليف سعيد عوض باوزير 1381هـ -1961م.

**الأثر الأول**: هو"رفع الخمار عن مثـالب المـزار"وهو عبـارة عن رسالـة صغيرة أجاب فيها فضيلته على سؤال من محب كما يقول؛ بعد أن تـردد في الإجابة عليه لما في زمانه من الانتكـاس ثم عـزم فأجـــاب وأجـــاد وبين أن المزار المعــــروف في الجهة، أي جهة حضــرموت، محــرم لأنه يشــتمل على جملة من المفاسد العقدية والاخلاقية، وقد أورد جانباً من الأحاديث الناهية عن الابتداع وطبقها على هــذه الزيــارات، ثم ذكر أنواعـــاً من المفاسد الأخلاقية مثل الاختلاط بين الرجال والنسـاء والـذي قد تصل نتائجه إلى الزنا وقد يحصل اللواط كذلك، مع ما فيها من الملاهي التي هي مقصد أكــثر الزوار وليس مقصدهم الاعتبار وتذكر المـوت، وقد شن حملة على من يحضرها من المتزيين بزي العلم مع سكوتهم على تلك المنـاكر وقـال: (إنهم أشـرارٍ لا أخيـار)، وأجـاب على شـبهة يطرحها البعض وهي: أن هناك خيراً في هذه الزيارات، مثل الموالد التي تقام فيها والمواعظ، فأبان أن الموالد هنا لا تكون مشروعة أصلاً، ولو فـرض أنها سائغة لكان الواجب تنزيهها عن هـذه الأمـاكن الـتي يظهر فيها الفساد عياناً، وعلى افتراض أن في ذلك شيئاً من الخير؛ فإنه قليل لايساوي ما فيها من الشر.

ثم ذكر داهية من دواهي المخــرفين الــتي لقنوها العــوام وهي: اعتقاد بعضـهم (أن من حضر سـبع مـرات عند قـبرٍ؛ على مثل تلك الحال فكأنما حج البيت الحـرام) قـال: (وهـذا عين المحـادة لله بل ربما كان كفر)[1].

وقد كـانت عاطفة الشـيخ وغيرته بادية واضـحة، وحرقته على ما يفعل قومه قوية بــارزة، فها هو يصل به الانفعــال إلى أن يقــول: (وبعض الجهلة يوقِف على مثل هذه الجرائم وقائف، ويجعلها باسم المقام، ولاشك أن مثل هذا المقام، مقـام أئمة النار فيحرم الوقف عليـه، وتحـرم الصــدقة، لكـون ذلك إعانة على المعصـية، ولاتجـوز الإعانة على مثل ذلـــك، فمن أعـــان فيه بشــــيء فهو من جملة العاصين الممقوتين)[2].

والرســالة لم تتعــرض لبعض الأشــياء المهمة الحاصــلة في تلك الزيارات، ومنها الاعتقادات الباطلة والأعمال الشـركية، وليس ذلك لأن الشــيخ لايرى ذلك من المخالفــات ففي الأثر الثــاني ســيظهر قوله فيها ولكن الذي يظهر أن الرسـالة مبتـورة أوضـائع منها بعض الأوراق، ويشـهد لـذلك قـول ابنه الشـيخ "عبـدالرحمن بكـير "في خاتمة الرسالة: (انتهى ما وجـدناه بخط الوالد وبقلمــه، عليه رحمة

---

[1] رفع الخمار ص(25- 26 ) .

[2] المصدر السابق في نفس الموضع .

اللــه، وربما كــان للموضــوع بقية فلنحتفظ بــالموجود ولنبحث عن المفقود، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه)[1].

**أما الأثر الثاني**: للشـيخ بكـير فهو " تطهـير الفـؤاد من سـيء الإعتقــاد "، وهي رســالة صــغيرة لازالت مخطوطــة،اطلعت عليها بخط ابن المؤلف الشيخ عبد الرحمن عبد الله بكير،نسخها من خط والــده، وفــرغ من نســخها يــوم (24) من شــهر شــعبان عــام ( 1391هـــ)، وقد كـــان الشـــيخ عبد الله رحمه الله كتبها عـــام ( 1343هـ)، وتقع في حوالي (40) صفحة،بدأها بعد المقدمة بتعريف الإيمان ثم التأكيد على الإيمان بالقضـاء والقـدر، ثم عنـون (وجـوب الاعتماد على الله وحده) وأورد تحت هذا العنوان الآيات والأحـاديث الدالة على ذلك،ثم ثنّى بـ(لايجوز سؤال غـير الله ولا دعـاؤه) وأورد كذلك ما في الباب من الآيات والأحاديث واستمر على هذا المنـوال يبرز العنوان المناسب ثم يسوق تحته من الآيـات والأحـاديث وكلام أهل العلم ويعلق على ذلك بما يناســـبه، ومما يؤكد حرقته وغيرته على التوحيد والاتبـاع كـثرة شـكواه من المـتزيين بـزي أهل العلم الذين يـرون المنكر فلا ينكرونـه، بل يشـارك بعضـهم فيه، والبعض الآخر يُري العامة طريق الابتداع ويحثهم عليه.

وكان من عناوين هذه الرسالة غـير ما ذكـر: (من يتوكل على الله فهو حسـبه)[2]، و(الاسـتعانة لا تكـون إلا باللــه)[3]، و(دعــاء غــير الله شـرك)[4]، و(ألفـاظ شـركية تلفظها العامـة)[5]، و(اعتقـادات شـركية تعتقـدها العامـة)[6]، و(يجب التحـذير من كل ما يجر إلى الشـرك)[7]، و(وجـوب تصـحيح الاعتقـاد وتصـفية البـاطن)[8]، واسـتمر متعرضـاً للعلماء المفتونين، ثم انتقـل إلى البدع وركز على بدعـة الحضرات التي تقام في المساجد وغيرها،وما يصاحبها من دعوات شركية مع السماع الصوفي واستخدام الـدفوف في المسـاجد، كما أخذ يكـرر العناوين الدالة على كفر وشـرك من يـدعو غـير اللـه وأن ذلك من الكفر الصــريح، كما فــرق بين التوسل والــدعاء، وذكر أن التوسل مشروع عند أهل السنة والجماعة كما جاء في الأحـاديث الصـحيحة

---

1 المصدرالسابق ص( 32 ) .

2 تطهير الفؤاد من سيء الاعتقاد مخطوط ص( 4 ).

3 المصدر السابق ص( 6 ) .

4 المصدر السابق ص( 7 ).

5 المصدر السابق ص( 8 ) .

6 المصدر السابق ص( 8 ) .

7 المصدر السابق ص( 9 ).

8 المصدر السابق ص( 9 ).

لكن ينبغي الدخول من بابه)[1]، وبين دعاء غير الله الذي عبر عنه بأنه إحداث دين لم يكن، ثم عاد ليقرر أن المبتدعين جهلة غير مؤتمنين على الشريعة [2]، وبعده تعرض لبداية عبادة الأصنام وأنها كانت بسبب الغلو في الصالحين، ثم عنون (البدع في الدين ابتداءً وسيلة من وسائل الشرك انتهاءاً)[3]، وهكذا يمضي مع البدع ليقول: (نهي الإسلام عن البدع حسم لوسائل الشرك)[4]، و(جميع بدع القبور منافية للدين)[5]، ثم ذكر أن الفعل المفضي إلى المفسدة ممنوع،ثم يأتي للقوم من الباب الذي لايستطيعون سده فيقول: (مع الشيخ ابن حجر في بدع القبور)[6]، ومن المعلوم أن ابن حجر المكي هو عمدتهم في الفقه، وبعد ذلك يعنون: الصلاة عند القبور والوقف والنذر عليها أو لها)[7]، ويواصل تحت هذا العنوان النقل عن ابن حجر، ثم يحذر من الحلف بغير الله وأنه من الشرك أو الكفر به، ثم يتعرض لفعل الموالد عند القبور لإنه إذا منعت الصلاة عندها مع أن المصلي لا يقصد إلا الله وحده وإنما يخشى من أن يجره التبرك بذلك القبر إلى الشرك، فإن الموالد أولى من ذلك لإنها إنما أقيمت للتبرك بصاحب القبر وتعظيمه[8]، ثم يختم بنقد الزيارات القبورية وقد سبق تفصيل رأيه في ذلك عند الكلام على " رفع الخمار عن مثالب المزار "،ويطيل حتى ينهي الرسالة بذلك.

بقي شيءٌ لفت نظري وهو نقده على من نسب كثيراً من البدع القبورية للسيد علي بن محمد الحبشي،واعتباره غير راض عن ذلك لما عرف عنه من العلم والورع والتمسك بما كان عليه سلفه من علماء آل باعلوي بحضرموت،وهذا إحسان ظن من الشيخ بالسيد علي المذكور،ربما لأنه لم يطلع على كتاب "كنوز السعادة الأبدية " والذي جمعه أحد طلاب علي الحبشي من كلامه،والذي يحوي من الخرافات ما لامزيد عليه،وكذلك نقل بعض صور القبورية والعقائد الضالة على وجه الاستحسان،بل في معرض التعليم للناس والحث على تلك البدع والأعمال والعقائد.

ظني والله أعلم أن الشيخ عبد الله لو اطلع على هذا الكلام لغيّر رأيه، ولم يدافع هذا الدفاع الكبير عن علي حبشي والله أعلم.

---

[1] المصدر السابق ص( 16 ).
[2] المصدر السابق ص( 18 ) .
[3] المصدر السابق ص( 21 ) .
[4] المصدر السابق ص( 22 ) .
[5] تطهير الفؤاد ص( 23 ) .
[6] تطهير الفؤاد ص( 25 ) .
[7] المصدر السابق ص( 29 ).
[8] المصدر السابق ص( 32 )

**المؤلفـات المفـردة في الـرد على القبورية لعلمـاء حضرموت:**

1) العلامة الشيخ محمد بن عمر العماري وله رسالتان في مواجهة القبورية إحداهما " فتوى حول الاستغاثة بغـير الله " مطبوعة وهي رسـالة قصـيرة، والثانية رسـالة بعنـوان " دق بالمسـمار على الضاربين بالطار أو نصيحـة وإنـذار " وموضـوعها الاعـتراض علـى السماع الصوفـي أو مـايسمى عندنـا في حضـرموت " الحضرات " في المساجد والمشاهد.

2) العلامة الشـيخ عبـدالرحمن بن عبدالله بكـير عضو هيئة الافتـاء الشـرعية، من المعاصـرين حفظه الله وله رسـالة بعنـوان: " شن الحروب على مقبرة الشيخ يعقوب" وهي رسالة كان الباعث عليها الهجمة الوقحة الـتي شـنها رجـال ومسـؤولو الجبهة القومية أيـام حكمها على مقابر المسلمين ودكها للبناء عليها وتمرير الطرق فيها دون مبرر، وقد تعرض فيها للزيارات الشرعية والبدعية.

2)العلامة الشيخ الفقيه أبوبكر أحمد بن عبدالله الخطيب الأنصاري التريمي الحضرمي الشافعي المتوفى سنة (1356هـ)،له رسالة صغيرة اسمها: "نصيحة الإخوان عن إتيان السحرة والكهنة وأهل الجان " توجد ضمن مجموع فتـاواه المسـمى " الفتـاوى النافعة في مسائل الأحـوال الواقعة " جمع سـالم بن حفيظ ابن عبدالله بن حسين بن الشيخ أبي بكر بن سالم، من (301 – 321) من ذلك المجموع.

# الفصــل الثـــاني

# تعظيـــم القبور

## وفـيـه ثـلاثة مباحث:

## المـبحـث الأول
## اعتقـادهم تعظيم قبور مخصوصة
### وفيه ستة مطالب:

**<u>المطـــلب الأول</u>: اعتقـــادهم تعظيـم وبركة مقـــابر مخصوصة:**

منذ أن بدأ المتصوفة تعلقهم بـالقبور وقـالوا قـولتهم المشـهورة: (قــبر معــروف الكــرخي التريــاق المجــرب) وهم يتوســعون في الانحــراف، ويــتيهون في الضــلال، ويضــيفون الجديد من الــدجل والخرافـة، ينسـبون بهما الفضـائل والفواضل إلى قبـور أوليـائهم، فحيناً تعم البركة مقابر بأكملها، وحينـاً تخص قبـوراً معينـة، وهنـاك مقـــابر قد عممَّ قبورية اليمن البركـــات عليها وأعطوها القداسة والتعظيم.

**فمن تلك المقــابر مقــبرة المِشْـدَارة بقرية المخــادر محافظة إب**، قال الجنـدي في ترجمة علي بن أبي بكر التبـاعي: (وقبره بمقبرة المخـادر وتعـرف بالمسـدارة بخفض الميم بعد ألف ولام وسـكون السـين المهملة وفتح الـدال المهملة ثم ألف ثم راء مفتوحة ثم هاء، وهي من المقابر المشـهورة بالبركـة، إذ رأى بعض الصالحين النبي  وهو في طرفها يزور، وجماعة يسألونه الشــفاعة فقـال هـذا خـاتمي ذمـام على أهل المسـدارة من النـار ولما كـان مستفيضـــاً لم يكد أحد من أهل القرية ونواحيها يحب أن يقـــبر إلا فيها تعلقـاً بهـذا الأثـر) [1]، فـانظر إلى هــذه الرؤيا كيف أثـرت في الناس فصـدقوها وعملـوا بمقتضـاها، حـتى إن أهل تلك النـواحي لا يقبرون إلا فيها.

**ومنها مقـبرة الكـثيب الأبيض بـأبين،** قـال اليـافعي: (وهو كثيب يزوره أهل تلك البلاد وما حولها من البلدان في كل ســنة في

---

[1] السلوك ( 2/183 ) ، وطبقات الخواص ص( 212 ) .

وقت معلــوم في رجب... ويقــال في ذلك المكــان قبــور بعض الصالحين) [1].

وقد ذكـره كـذلك الجنـدي بشـيء من البسط فقـال: (وقد تطلع النفوس إلى خبر الكثيب: أما الشأن فيه فهو موضع في أبين عــدن وهو أحد المواضع المباركة في اليمن على ما ذكر الثقة فيما رواه الــرازي مقـدم الـذكر أن في اليمن أربعة مواضع مباركة بالاتفـاق منها الكــثيب الأبيض عند وادي يــرامس أرض أبين، ومنها الجنــد، ومنها زبيد، ومنها نجران،ولم يزل الناس ينتابون الكثيب لاسيما في رجب ويجتمعون فيه ليلة سبع وعشرين من الشـهر ويزعمـون أنها ســنة العلمــاء المتقــدمين [2]، سُــئل بعض فقهــاء تلك الناحية من المتأخرين هل يذكر شـيئاً من فضـله؟ فقـال: لا أعلم إلا أني رأيت وسمعت الإجمـاع منعقد على قصـده وزيارته وما يكـون مجانـاً عن باطل). [3]

**ومنها مقابر تريم الثلاث: زنبل، والفريط، وأكدر والتي يجمعها اسم شـامل هو " بشــار " للثلاث التُــربَ**، وهــذه المقــابر قد بلغ فيها الغلو مبلغــاً لم تبلغه أي مقــبرة أخــرى في اليمن، واســمع إلى فضــلها من مــؤرخ القــوم وناشر منــاقبهم وفضــائلهم بغثها وســمينها وعُجرها وبُجرها المــؤرخ الشــلي في مشــرعه: (وأما مقــابر مدينة تــريم **فأعظمها وأحقها** بالتقـديم مقبرة " زَنْبَل " بفتح الـزاي وسـكون النـون وفتح الموحـدة آخرها لام، وهي مقــبرة الســادة الأشــراف وفيها من العلمــاء العــاملين والأولياء والصالحين ما لا يحصى، وكان الشيخ عبدالرحمن السقاف يقول:" فيها من أكبر الأولياء أكـثر من عشـرة آلا ف وفيها ثمـانون قطباً من الأشـراف"، ونحو ذلك حكى عن الشـيخ الـولي سـعد بن علي، ويقال أن فيها عصبة من الصحابة  أرسلهم الصديق الأكـبر  لقتال أهل الردة مع زياد بن عبيد [4] الأنصـاري فمـات كثـيرون منهم بــتريم ولم نعــرف قبــورهم، لكن حكى عن الشــيخ عبــدالرحمن السقاف أنه قـال: إن قبـورهم شـرقى قـبر الأسـتاذ الأعظم الفقيه المقدم بنحو رمية حجر، وذلك بقرب مشـهد العـارف بالله أبي بكر باشــميلة  ونفعنا بهم، (وبالجملــة) فهي بقعة تــأرجت بطيب تربها وأشرقت أرضها بنور ربها.

---

[1] مرآة الجنان ( 4/ 354 ) .

[2] في الأصل. المتقدمون وهو خطأ .

[3] السلوك ( 2/ 615 ) .

[4] كذا في الأصل والمعروف زياد بن لبيد .

**(الثانيـة)** مقـبرة الفريط تصـغير فـرط وهو كما في القـاموس: الجبل الصـغير أو رأس الاكمة والعلم المسـتقيم يهتـدي به جمعه أفـرط وأفـراط سـميت باسم الجبل الـذي بقربها وهى مقـبرة آل بافضل والخطباء وغـيرهم من مشـايخ تلك الجهـة، وفيها أيضـاً من العلمـاء والفضـلاء والأوليـاء ما لا يحصى وحكى عن الشـيخ عبدالرحمن السقاف أن فيها أكثر من عشرة آلاف ولى وقد شـاهد كثـير من أهل الكشف أن الرحمة أول ما تنـزل من السـماء على هذه المقبرة ثم تعم سائر الجهات.

وحكى عن عبـدالرحمن السـقاف وحكـاه السـيد الجليل عبد [1] بن أحمد بن أبي بكر بن أحمد بن الأسـتاذ الأعظم عن بعض مشـايخه بمكة أنهما قـالا: إن تحت الفريط الأحمر روضة من ريـاض الجنـة، وحكى عن غير واحد من الأولياء أنه شاهد نوراً سـاطعاً على قبـور الخطباء لاحقا بعنان السماء، وعن الشيخ حسن الـورع بن علي أنه قال: من نظر منـارة الجـامع والفريط حـتى سـفر [2] عليه لم يكتب عليه ذنب، وكان بعض الأولياء العارفين يقـول:من وقع ظل الفريط عليه لم تمسه النار؛ ولأجل هذا يحرص أهل البلدان على أن تكـون مقابرهم حذاء الفريط المذكور حيث يقع ظله عليها.

**(الثالثة)** مقبرة أَكْدَر بفتح الهمزة وسكون الكـاف وفتح المهملة فراء، وتسمى هذه المقـابر الثلاث "بشّـار" بفتح الموحـدة وتشـديد المعجمة آخره راء وهو اسم الواقف،لها وهـذه المجنـات مشـهورة بالبركـات في كل واحـدة منها جم غفـير من الأوليـاء العـارفين ظـاهرين ومسـتورين، من آل بصـرى وجديد وعلـوي، ومن آل بافضل، والخطباء، وآل باحرمي، وآل بامحسون، وآل بـامروان،وآل باعيسـى، وآل باعبيـد، وغـيرهم، إلا أن كثـيرا منهم لا يعـرف عين قبره بل ولا جهته؛ لأن المتقدمين كانوا يجتنبون البناء والكتابة على القبور وإنما استحسنه المتأخرون لأمور منها: أن يعـرف الميت هل بُلي أو لا؟ لأن المشـهور عنـدهم أن الميت لا يبلى إلا بعد أربعين سنة أو نحوهـا، ومنها أن يعـرف صـاحب القـبر لـيزار، ويتـبرك بـه، ويدفن عنده أقاربه، ونحو ذلك من المقاصد الحسنة، وكـان الشـيخ محمد بن أفلح يقول: مِنْ مسـجد عبد الله بن يمـاني إلى آخر زنبل كلها قبور، ومن ثم يقع لكثير من المشـايخ أنه يخلع نعليه إذا جـاوز المسـجد المـذكور، وقد كـان كثـير من أهل الكشف يشـاهدون البركات الظـاهرة والأنـوار البـاهرة في هـذه الجنـان، وشـاهد غـير واحد منهم أنهم على غاية من النعيم والنور الجسـيم، ورأى جماعة

[1] كذا في الأصل.
[2] كذا في الأصل.

رسـول الله  يـزورهم، وكـذا الشـيخان أبو بكر وعمر رضي الله عنهمـا، وحكي أن الشـيخ أبا سـعيد قـرأ سـورة هـود فلما بلغ قوله تعالى:  **فمنهم شقي وسـعيد** [1]، جعل يـردد الآية ويتفكـر،ثم قـال يأهل القبـور ليت شـعري من الشـقي منكم ومن السـعيد؟ فأجابه الإمام العارف بالله تعـالى أحمد بن محمد بافضل من قـبره بقوله: أمض يا سـعيد في قراءتك ليس فينا شـقي، وقيل إن الـذي أجابه هو الشيخ مسعود بن يحيى باحرمي ولعل الواقعة تعددت.

وحكى عن الشـيخ الزاهد الـورع السـيد حسن بن علي،وكـان من أهل الكشف أنه قـال: سـأل رجل من أهل الفريط رجلاً من أهل زنبل عن أهل مقبرته فقـال: خيلنا تحمل رجلنـا، وسـأله عن أهل مقبرته فقال: زنادقتنا[2] حشو جنتنا.

وللشيخ الإمام علي بن أبي بكر بن عبدالرحمن السقاف:

وكم بدور بذاك الحي قـد بـرزت تـمـد زوارهـا من فيضها الزخـر

وكم عز بيته الأسـرار قد غمـرت بفضـل هطـالـها الـزوار كالمـطر

**وذات دن دنت ترمي يحس بـها زوارهـا في سـواد الليـل والسحـر**

**وذات أكدر للأكـدار مجليـة تشفى بمـرهمها الـزوار عـن ضـرر**

**وارجع إلى ذكر وتوحيد ومعرفـة خصوا بها صفـوة صُفُّوا عـن الكـدر**

**وامنحوا من عظيم الفضـل كم منح وكـم عطايا وكم جـود وكم غمـر**

**وكم حقائق توحيـد لها وهـبـوا وكـم جـواهـر أنـوار وكـم درر**

**وكم مواقيت أسـرار ومـعرفـة وكـم تماكـين تصريـف وكـم قـدر**

**شيوخـنا في بحار مـن حقائقـها قـد مكـنوا الـكل بالأسـرار والسـير**

**حظـوا وخصـوا بجاه لا يحـد لـه وسـع ولافضلهـم يحـصـى بمستـطر**

**رسوخ أقدامهـم يحكـي رواسـيها أسـود نهام تحمـي الـجـار عن ضـرر**

---

[1] هود ( 105 ) .

[2] زنادقتنا هنا ليس على أصلها المعروف عند العلماء ولكن المقصود الظرفاء والمهرّجون .

**بحـور علـم شمـوس في دياجـرها تهدي الضوائــل والسـلاك في السفـر**
**أئمة الديـن آل المصطفى فلهــم مـكارم عـدها يربـو علـى الزهــر**
**وراث طـه علـى التحقـيق أن لهم محـاسـن أدهشـت الـباب ذي الفـكر**
**أولو الصفا والوفا أجناد خالقهــم أولو العــبودة حـقاً صفـوة البشـر**
**هم عمدة الكون أحبار العلـوم بهـم باهـى المهيــمـن للأمـلاك في الخـبر**
فلا مزيـد علـى مـدح الإله لهـم وذكـره فضلـهـم فـي الآي والسـور
**فالقحـط عنا مـع البلوى يزال بهم أيضـاً وفي الـجـدب نسقي وابل المطر**
**وهـم بـدور لنا في كل مظلـمـة وهـم لنـا عمـدة في الـيسـر والعسر**
**قوم إلى الله طاروا عـن هياكلهـم حق دنـوا مـن رياض القـدس والقـدر**
**أهل التقى والنـقى طابت مغارسهم فأينعـت بثمــار القصـد والظفــر**
**فحسِّن الظن واعتمد يا أخـي بهـم كـي في مـعاد تفـز بالأمـن والوطـر**
**واقصـد رضى الله في الدنيا بحرمتهم لعـل تحـظـى بحـور الخلـد والظفـر**
وقال الشيخ أبو بكر بن عبدالله العيدروس:
في جـنان بشـّـــار خيامهـم قد طنبت والأخــدار
**وكـم بـهـــا مـن أقمار[1] تـلألأت أنوارهــم بالأقـطـار**
**وقــال: ولـم يـــزل عـــني الـكـد ر إلا إذا زرت آل أكـــــدر**
**وأهــل الفريـط المشتـهر وقبــر الشـيخ المنـــور**
**العـيدروس بـحــر الـدرر ليـث الضراغيــم الغضــنفـر[2]**
**فانظر إلى هذه الخصائص والفضـائل وما جعل فيها من كرامــات ينالها الــزوار ويحصل عليها الراغبــون،**

[1] في الأصل "قمار".

[2] المشرع ( 1/146 – 148).

**أفلا يحمل ذلك ضعاف العقول على التعلق بهذه المقابر ومَنْ فيها واعتقاد النفع والضر فيهم؟.**

وغير مقابر تريم هناك مقابر أخرى في حضرموت مباركة مجربة - هكذا يزعمون -، يقول الشلي: (والمقابر المشهورة في حضرموت أربع: مقبرة تريم، ومقبرة شبام، ومقبرة الهجرين، ومقبرة الغيل الأسفل) [1].

## المطلب الثاني: اعتقاد بركة قبور معينة بركة عامة:

لن أستطيع ولن يستطيع أي باحث حصر وإحصاء القبور التي أطُلِق عليها المدح والثناء، ونسبت إليها البركات، وما يضئ منها من الأنوار، وما يفوح منها من الروائح العطرية والمسكية، وما يتحقق لزائرها من الأنس والارتباط، ثم نجاح الحاجات وتفريج الكربات، إن إحصاء ذلك أمر غير متيسر قطعاً ولكنني سأكتفي بذكر بعض ذلك ومن أماكن متفرقة من اليمن.

وأول تلك الأماكن "زبيد" فقد ذُكر عن كثير ممن قُبِرَ بها من الصالحين الثناء على قبره ونسبة الكثير من الفضائل إليه، وأكثر ما ذكر من ذلك عن قبور بمقبرة "باب سهام "، ومقدمو تلك المقبرة سبعة نفر، قال الشرجي في ترجمة إبراهيم الفشلي: (وقُبره بمقبرة باب سهام،من مدينة زبيد من القبور المشهورة المقصودة للزيارة والتبرك، وهو أشهر السبعة الذين يعتقد أهل زبيد أن من زارهم سبعة أيام متوالية قضيت حاجته، وهم هذا الفقيه إبراهيم والشيخ أحمد الصياد، والفقيه عمر بن رشيد، والشيخ مرزوق بن حسن، والشيخ علي بن أفلح، والشيخ علي المرتضى، وفي السابع اختلاف، فمن الناس من يجعله أحد بني عقامه ومنهم من يجعله الشيخ أحمد المعترض،ومنهم من يقول غير ذلك، والله أعلم) [2].

وقد نظم هؤلاء السبعة بعضهم فقال:

<u>بباب سهام سبعة من مشايخ لقاصدهم ذخر وكنز لمقلل</u>

**فيونس إبراهيم مرزوق جبرتي[3] وأفلح صياد كذا ابن الرضى علي**

**زيارتهم نجح لكل حوائج وفي الخلد سكنى للذى زار مقبل [4]**

---

[1] المشرع(1/148).

[2] طبقات الخواص ص ( 45 ) .

[3] كذا في الأصل ولست أدري من يعني .

[4] المشرع (1/148)وقد اختلفت بعض الأسماء ولا أراه يضر إذ المقصود إثبات العقائد الضالة في ذلك وليس تعيين الأسماء .

ولأن هذه مفخرة عند القوم لمدينة زبيد قد تسـمو بها على غيرها من المـدن لم يـرتضِ أهل تـريم ذلـك، بل عارضـوهم بـذكر ما في مقـابر تـريم من فضـائل وفضـلاء، قـال الشـلي بعد أن نقل تلك الأبيـات: (فعارضه الإمـام مبـدي العلـوم الغريبة والأخبـار العجيبة الشيخ على بن أبي بكر فقال:

تريـم بها منهـم ألوف عديــدة بساحـة بـشار شموس الورى قـبل

زيـارة كـل منهـم صـح أنهـا لما شئت مـن جلب ودفع تحصـل

**وإن قيـل تريـاق ببغـداد جربا ففي ربـع بشار شـفا كل معضـل**

**ويا حبـذا ذاك الفريــط وظلـه فكـم قد حوى من كامل السر منهل**

**فكـم معـدن كم مورد كم معظم وكـم حبر تحقيـق وشيـخ مـدلل**

**وبلـبل قلبـي نفـح مسك بزنبل بـها من كنـوز السر كم من مجـلل**

**وكـم جهبـذ فيـها بنوا كدر بها بـهم ينـزل الله الغـيوث لممحــل**

**فـلا تحتقرها رب أشعـث خـامل سمـا سره فضــلا على كل معضل)** [1]

وإليك بعض القبــور المفــردة الــتي ذكــرت لها بعض البركــات والأسرار وتعلق بها الناس واعتقدوا فيها العقائد الضالة:

ومن مدنية زبيد أيضاً: قال الشرجي: (ومن ذلك رجل بمقبرة باب النخل يقــال له الـمُلَبّك، بضم الميم وفتح اللام وتشــديد البــاء الموحـدة وآخـره كـاف، ما كـان يعـرف ولا سـمعنا به إلا في هـذا الزمان، ذكر رجل من عوام أهل زبيد أنه نبهه عليه إنسان وهو في المنام وقال له: إن صاحب هذا القبر من الأولياء وإن من لازمه في حاجة قضيت، وشاع هـذا في أهل البلـد، حـتى صـار لهم فيه معتقد عظيم، يزورونه ويتــبركون بــه، لاســيما العــوام والنســاء فــإنهم يخرجون في ذلك عن الحد) [2].

وكذلك يقول الشرجي في ترجمة عثمان بن أبي القاسم بن أحمد بن إقبال: (وقبره هنالك مشهور يزار ويتبرك به)، ثم تـرجم لولد له وقال في آخر ترجمته: (ودفن عند والده وقـبره يـزار، ويتـبرك بـه،

---

[1] المشرع ص( 1/ 148 ) .

[2] الطبقات ص ( 418 ).

على تربتهم أنس ظاهر وبركة) [1]، وفي ترجمةإسماعيل بن إبراهيم الجبرتي قال: (ودفن بمقبرة باب سهام من مدينة زبيـد، وله هنالك مشـهد عظيم لم يكن في تلك المقـبرة أعظم منـه، عليه أثر النـور والبركة ظاهر). [2]

**نماذج من القبـور المعظّمــة في محافظة تعز:**

قال الشرجي في ترجمة أحمد بن علـوان: (ودفن في قريته قرية "يَفْـرُس " بفتح اليـاء المثنـاة من تحت وسـكون الفـاء وضم الـراء وآخره سـين مهملـة، وهي على نحو مرحلة من مدينة تعـز، وقـبره بها ظاهر معروف مقصود للزيـارة والتـبرك من الأمـاكن البعيـدة لا ســيما في آخر جمعة من شـــهر رجب، فـــإن أهل تلك النـــواحي يقصــدونه من كل موضــع،أهل تعز وغــيرهم، ويخرجــون بالنســاء والأولاد، وقرية الشيخ المـذكور محترمـة، ومن اسـتجار بها لا يقـدر أحد أن يناله بمكروه) [3].

وفي ترجمة الفقيه الإمام زيد بن عبدالله اليفاعي قال الشـرجي: (وقبره بـالمقبرة القريبة من مدينة الجند مشـهور مقصـود للزيـارة والتبرك، قال الجندي: " لم أرَ في اليمن تربة تتجدد معرفتها ويكثر زوارها كتربة الفقيه زيد، ولا تكاد تخلو تربته من زائر، وقلما قصدها ذو حاجة إلا قضـــيت حاجتـــه، قـــال: ولقد أخـــبرني جمع لا يمكن تواطـؤهم على الكـذب بأخبـار يطـول شـرحها في ذلك نفع الله به وبسلفه آمين ") [4].

قلت: هل يقصد الجندي أن ذلك متـواتر بـالمعنى الاصـطلاحي إن كان كـذلك فممن أخذ هـذا الجمـع؟ إنه في الغـالب عن جماعة من تجار الخرافة والكرامات.

وفي ترجمة أبي عبدالله محمد بن ظفر الشـميري قـال الجنـدي: (وقد بلغتُ تربته قاصداً للزيارة، فأقمت عنده أياماً وإلى جنبه قــبر امرأته المـذكورة، قـال: وببركته لم تـزل تربته محترمة ما قصـدها أحد بسوء إلا خذله الله تعالى، ولم أجد بتلك الناحية مزاراً أكثر من تربته قصــداً للزيـارة وقضـاء الحـوائج الـتي تطلب من الله تعـالى وكثرة النذور وغير ذلـك، وفي ليلة الرغـائب من شـهر رجب يجتمع

---

1 المصدر السابق ص ( 195 ) .
2 المصدر السابق ص ( 106 ) .
3 المصدر السابق ص ( 71 ) .
4 الطبقات ص (138 ).

عنـدها خلق ناشر قـال: وتـراب تربـةِ الفقيه يشم منه ريح المسك نفع الله به) [1].

قلت: أما رائحة المسك التي تكررت ولا تزال في تـرب كثـير من المقدسـين فإنها لعبة من لعب السـدنة، يصـبون الـروائح العطرية على الـتراب ليوهمـوا الـزوار بـأن ذلك من ريح التربة والقـبر المقدس.

## نماذج من قبـور إب:

منها قبر الشيخ علي بن عمر قال الجندي في ترجمته: (وتربته من الترب المشهورة في البركة واسـتجابة الـدعاء، ومن عجيب بركتها ما أخـبرني بعض الثقـات من أهل العناية والبحث عن أحـوال هـذا الرجل وأمثاله أنه كـان على قـبره شـجرة سـدر يتـبرك بها النـاس،ويأخذ أصـحاب الحمـوات من أوراقها يطلـون بها رؤوسـهم فيبرأون، واستفاض ذلك في جهات كثيرة حتى كان يؤتى لـذلك من الأماكن البعيـدة، ويُعْتمد في الأمـراض الشـديدة، ومن عـادات أهل إب في غـالب الأعيـاد أن يحصل بينهم وبين أهل بـاديتهم حـروب كثـيرة كما هو متحقق فلا يـألو من ظفر منهم بصـاحبه غـير مفكر بالأذية بقتل أو غيره، فحصل في بعض الأعياد حـرب انتصر بها أهل البادية فانهزم أهل إب إلى البيوت، ووصل أهل القرية إلى قـريتهم ولم يطيقـوا دخولها فقـال بعض شـياطينهم اذهبـوا بنا إلى هـذه الشـجرة الـتي يعبـدونها، ولنعقرها عليهم فلا ينتفعـوا بها فنهـاهم العقلاء، وأسـرع إلى ذلك الجهلاء، فضـربوا العلبة بفـأس حـتى أوقعوها الأرض، وألقى الله بقلـوب أهل المدينة القـوة والأنفة فخرجـوا مسـرعين نحـوهم فهزمـوهم هزيمة شـنيعة وقتلـوا منهم جمعـاً أولهم عـاقر الشـجرة، وحين وقع هبّـروه بالسـيوف تهبـيراً عظيماً، وتعرف هذه التربة بتربة من سمع النـداء بالصـلاة عليه في الحرم ولم ير المنادي) [2].

ومنها قـبر محمد بن عبدالله الهمـداني بناحية السـحول، قـال في ترجمته الشـرجي: (وقـبره في الربـاط المـذكور مقصـود للزيـارة واستنجاح الحوائج) [3].

ومنها قبر يحيى بن أبي الخير الإمام المشهور قـال الشـرجي في ترجمته: (وكانت وفـاه الشـيخ يحـيى بقرية ذي السـفال كما قـدمنا سـنة ثمـان وخمسـين وخمسـمائة، وقـبره هنالك من القبـور

---

1 السلوك (2/263 ) وانظر : طبقات الخواص ( 302 ) .
2 السلوك ( 1/356-357 ) .
3 الطبقات ص ( 319 ) .

المشــهورة في اليمن المقصــودة للزيــارة والتــبرك واســتنجاح الحوائج، وله عند أهل الجبـال كافة مكانة عظيمـة، ولهم فيه معتقد حســن،ويــروون له كرامــات كثــيرة، ويتوجهــون به في مهماتـــهم ويســتغيثون به في ضــروراتهم،وهو كــذلك وفــوق ذلك رحمه الله تعالى ونفع به) [1].

**من قبور لحج وأبين:**

منها قــبر الحسن علي بن الحسن الأصــابي قــال الشــرجي في ترجمته: (تُوفي سـنة سـبع وخمسـين وسـتمائة بقرية المحْفَد بفتح الميم والفــاء وســكون الحــاء المهملة بينهما وآخــره دال مهملــة، وقــبره هنالك مشــهور يــزار ويتــبرك بــه، ويوجد منه رائحة المسك خصوصاً ليلة الجمعة، ذكر ذلك الجندي رحمه الله).[2]

ومنها قبر عبدالله بن علي بن حسن بن الشيخ علي، قال الشلي: (ولقي ربه ســنة ســبع وثلاثين وألف في قرية الوهط الشــهيرة، وقــبره بها كالشــمس وقت الظهــيرة مقصــود بالزيــارات وقضــاء الحاجـات ونيل المطلوبـات ومن اسـتجار به نجا من جميع المخـاوف والردى، وعمل الباشا محمد باشا على قبره قبة عظيمة) [3].

**من قبور عـــدن:**

منها قبر أبي عبدالله محمد بن عبدالله بن أبي الباطل الصـريفي، قال الشرجي في ترجمته: (...حتى توفي بها - عدن – وتربته هنالك من الترب المشهورة المقصودة للزيارة والتـبرك، ومن اسـتجار به لا يقــدر أحد أن يناله بمكــروه، ولأهل عــدن فيه معتقد عظيم، وله عندهم محل جسيم، وهو فوق ذلك رحمه الله تعالى ونفع به) [4].

ومنها قــبر الشــيخ عبدالله بن أحمد العــراقي، قــال الشــرجي في ترجمته: (ولأهل عدن فيه معتقد حسن، وله هنالك تربة معظمة) [5].

ومنها قبر الشيخ جوهر بن عبدال له، قال الشـرجي في ترجمتـه: (وتربته هنالك من أكــبر الــترب المشــهورة المقصــودة للزيــارة والتبرك، ومن استجار به لا يقدر أحد أن يناله بمكـروه، ومن تعـدى إلى ذلك عــوقب عقوبة معجلــة، وقد جــرب ذلك غــير مــرة، ولم أتحقق تاريخ وفاته - رحمه الله تعالى - ونفع به آمين) [6].

**من قبور شبوه:**

---

1 المصدر السابق ص ( 365 ) .
2 المصدر السابق ص ( 213 ) .
3 المشرع ( 2/193 ) .
4 الطبقات ص ( 283 ) .
5 المصدر السابق ص ( 419 ) .
6 المصدر السابق ص ( 121 ) .

قبر الشيخ محمد بن عمر الحباني(وهو يقع على مكـان مرتفع في المقـبرة الحبانية القديمـةفوق طين الجديـدة وبجانبية بعض أولاده وأحفاده وقبورهم منورة ومقصودة بالزيارة) [1].

قبر الشـيخ أبي بكر بن إسـماعيل بن محمد بن عمر الحبـاني (وهو في مجري السيل في شـعب الشـقب، ويمر المـاء من حواليه دون أن يأخذ منه شيئاً، وقد كان أهل البلاد أيام الاستسقاء يتوسـلون به إلى الله، ولا يأتي الليل إلا ويأتيهم الغيث بأذن الله، وقد حضرنا هذا مراراً ونحن صغار) [2].

قبر الفقيه علي بن محمد بن عمر الحبـاني صـاحب الحوطـه، قـال المحضار: (ودفن بجوار المسجد وقد كـانت علية قبة وانهد مت) [3]، وقال قبل ذلك (أخبرني الثقة من أهل الحوطة أن السـيد الصـوفي محسن ابن عبد الله بن عبد القادر المحضار صاحب مرخة جاء إلى الحوطة وكـان يزروها دائمـاً، وليلة دخل إليها بعد العشـاء فقـدم المسجد بعد أن خرج المصلون، وكان جائعاً ودق على التـابوت إلى أن خرج إليه قرص حـار ولحمه فأكل نصف القـرص واللحمـة، ومع الفجر جاء أحد المشايخ الكرام.. وقـال للسـيد محسن أعطـني من عشاء الشيبة فأعطاه النصف الباقي) [4].

**من قبـور حضرموت:**

ومنها قبر عبدالله بن شيخ العيدروس، قـال الشـلي في ترجمتـه: (وعمل عليه قبة حسـنة البـاطن والظـاهر والنـور في أرجائها لائح وبـاهر) [5]، ومنها قـبر الشـيخ أبي بكر بن سـالم، قـال الشـلي في ترجمته: (وتربته بها مشهورة كالشمس وسط النهار، تقصده الزوار من جميع الأقطـار، بـأنواع الأنـذار، ومن اسـتجار بقـبره المـأنوس أمسى وهو محـروس، لا يقـدر أحد أن يناله ببـؤس، وبـني عليه قبة عالية البناء عظيمة القدر حساً ومعـنى) [6]، ومنها في مدينة الشـحر قبر شيخ بن إسماعيل بن إبراهيم السقاف، قال الشلي: (ومشهده في الشحر مشهور وبالأنوار مغمور وبالزيارة معمور) [7]، ومنها قــبر الفقيه المقدم، قال الشلي في ترجمته: (وقبر الأستاذ بمقبرة زنبل المشـهورة،وبالزيـارة والقـراءة معمـورة، وقـبره بها كالبـدر ليلة

---

1 ما جاد به الزمـان من أخبـار مدينة حبـان تـأليف السـيد محمد بن عبد الله بن محمد الحوت المحضار بدون تاريخ ولا سنةطبع .

2 المصدر السابق ص ( 25 – 26 )

3 المصدر السابق ص( 35 )

4 المصدر السابق ص( 34 ) .

5 المشرع ( 2/ 177 ) .

6 المصدر السابق ( 2/29 ).

7 المصدر السابق ( 2 / 115 ) .

الكمال، وكالشـمس وقت الـزوال، مقصـود بالزيـارة من كل البلاد، ويهرع إليه عند النوائب من كل ناد، ويسعى الناس كل يـوم لزيارته سعياً حثيثاً، ويستسقى به قديماً وحديثاً، وكان حفيده الشيخ الإمـام عبدالله باعلوي كثير الزيارة له وينشد عنده:

**يــا دار إن غزالاً فيـك هيمني لله درك مـا تحويـه يـا دار**
**لو كنت أشكو إليها حسن ساكنها إذن رأيــت بناء الدار ينهار**

وكان يقول إذا رآه " كل الصيد في جـوف الفـراء "وكـان الشـيخ محمد بن أبي بكر باعباد يزوره كثيراً وإذا رأى القبر الشريف قبله، فقيل لـه:كيف تقبله وأنت تنهى عن تقبيل القبـور فقـال ما صـبرت عنه) [1].

**قبـــور من نواحٍ مختلفــة:**

فمن كمـــران قـــبر الفقيه محمد بن الحسن بن عبدربـــه، قـــال الشـــرجي في ترجمتـــه: (حـــتى تـــوفي ســـنة خمس وعشـــرين وخمسمائة، ودفن إلى جنب مسجده في الجزيرة المـذكورة،وتربته هنالك من الترب المشهورة، مشهورة الفضل، وآثـار الفقيه وبركته ظاهرة على ذلك الموضع المبارك، وهو مأوى لعبـاد الله الصـالحين المختفين والظاهرين، وقد تقدم في ترجمه الشيخ أحمد الصـياد ما يدل على ذلك نفع الله بهم أجمعين) [2].

ومن قبور بلاد الزيدية قـبر الإمـام المهـدي أحمد بن الحسـين بن أحمد بن القاسم المعـروف بـأبي طـير، قـال الأكـوع في ترجمتـه: (وقبره معروف يزار ويتبرك بـه،وقد انـدفع عـوام النـاس يعتقـدون فيه اعتقــادات باطلة حــتى أخرجــوه من آدميتــه،كما ذكر الإمــام الشوكاني في رسالته " الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد" ص( 12) جاء فيها ما يلي:

(وروي لنا أن بعض أهل جهــات القبلة وصل إلى القبة الموضــوعة على قبر الإمام أحمد بن الحسين صـاحب ذي بين رحمه الله فرآها وهي مســرجة بالشــمع، والبخــور ينفح في جوانبهــا، وعلى القــبر الســتور الفائقة فقـال عند وصـوله إلى البـاب: أمسـيت بـالخير يا أرحم الراحمين ") [3].

ومنها قبر الإمام يحيى بن حمزة بذمار، قال الإمام الشـوكاني في ترجمته: (ومات في سنة 705 خمس وسبعمائة بمدينة ذمـار ودفن

---

1 المصدر السابق (2/10-11).
2 الطبقات ص ( 278 ) .
3 هجر العلم ( 2/743 ) .

بها وقبره الآن مشهور مـزور، ومما شـاع على الألسن أنه إذا دخل رجل يـزوره ومعه شـيء من الحديد لم تعمل فيه النـار بعد ذلـك، وقد جـربت ذلك فلم يصـح، وكـذلك اشـتهر أنه إذا دخل شـيء من الحيـات قبته مـات من حينـه) [1]، ونقل المعلق على الكتـاب هـذه الأبيات التي كتبت على قبته وهي:

**نـور النبوة والهـدى المتهلهل أرســى كلاكله ولم يتحـول**
**في قبة نصبت على خير الـورى وأشـرف في الفـخار وأفضـل**
**وعلـى الإمامة والزعامة والندا والـجود والمجد الأثيل الأكمـل**
**وعلى السماحة والرجاحة والنهى وعلى المليك الأوحـد المتطـول**
**والعالـم المتوحد المـتـرهـب المتعبـد المتنفــل المتبتـــل**
**يحــيى بن حمزة نور آل محمـد لـب اللـباب مـن النبي المرسل**
**كشـاف كل عظيمة ومـلاذ كل ملمـة ورجـاء كل مؤمـــل**
**يـا زائـراً ترجو النجاة من الردى عن قـبره وضريحــه لا تعـدل**
**لذ بالضريح وقف به متضرعــاً واطلب رضاك من المهيمن واسئل**
**تحــيى بـكل فضيلة ووسيلـة وتـنال خـيراً مـن علو المنزل**
**شرفت ذمـار بقبر يحيى مثلمـا شرفـت مديـنة يثـرب بالمرسل**
**فليهنأ أهل ذمار حسن جـواره فيما مضى وكذاك في المستقبـل [2]**

## المطلب الثالث: اعتقادهم استجابة الدعاء عند بعض القبور:

---

[1] البدر الطالع ( 2/333) .
[2] المصدر السابق ( 2/333 ).

تقدم اعتقاد القوم في مقابر معلومة اعتقاداً شاملاً لها كما تقدم اعتقادهم في بعض القبور، وإسباغ الفضـائل عليها بـدون تخصـيص نوع معين من الكرامات التي تدرك لـديها، وفي هـذا المطلب أذكر إن شاء الله بعض القبور التي قيل أن الدعاء عنـدها مسـتجاب،وما دام أن الأمر مخصوص باسـتجابة الـدعاء فـإنني سأقتصر على ذكر القبر واسم صاحبه مع المرجع فقط طلباً للاختصار إلا ما رأيت في غير إيراد نص كلام المترجم فائدة فإنني سأذكره.

فمن تلك القبور:

- قبر أبي الخير الشماحي بزبيد ذكره الشرجي [1].
- قبر علي بن الحسن الأصابي بأبين (المحفـد) ذكـره الشـرجي [2].
- وقبر محمد بن علي مولى الدويلة بتريم ذكره الشلي [3].
- وقبر أحمد بن أبي بكر بن أحمد بن الأستاذ ذكره الشلي [4].
- وقبر عبدالله با علوي ذكره الشلي [5].
- وقبر عبد الله بن محمد بن علي صاحب الشـبيكة بمكة ذكـره الشلي [6].
- وقبر عقيل بن عمر أبي المواهب بالرباط قـرب ظفـار ذكـره الشلي [7].

- وقبر محمد بن عبدالرحمن السـقاف ذكـره الشـلي في كيفية زيارة مقابر تريم. [8].

## المطلــب الرابع: اعتقادهم قضاء الحـوائج لـدى بعض القبور:

ومن تلك الاعتقــادات الباطلة الــتي يعتقــدها القبورية في قبــور أوليائهم أن صاحب الحاجة إذا لزم تلك القبور قضيت حاجته، وكأنها هي الواهبة لها أو الواسـطة فيهــا، وكلا الأمــرين مبــني على ولاية

---

[1] الطبقات ص ( 84 ) .
[2] المصدر السابق ص ( 213 ) .
[3] المشرع ( 1/202 ).
[4] المصدر السابق ( 2/47-48 ) .
[5] المصدر السابق (2 / 73 ).
[6] المصدر السابق ( 2/201 ).
[7] المصدر السابق ( 2/205 )
[8] المصدر السابق ( 1/149 ) .

أصحاب تلك القبور وما أعطـوا من التصـرف في الكـون والتوسط بين الله وبين خلقه في إعطاء ما ينفع الناس.

فمن تلك القبـور قـبر محمد بن عبدالله بن يحـيى الهمـداني،قـال الشرجي في ترجمتـه: (وقـبره بالربـاط المـذكور مقصـود للزيـارة واستنجاح الحوائج) [1]، ومنها قبر مـرزوق بن حسن الصـريفي، قـال الشـرجي: (قلما قصـده ذو حاجة إلا وقضـيت) [2]، ومنها قـبر الإمـام زيد بن عبدالله اليفـاعي، قـال الشـرجي: (ولا تكـاد تخلو تربته من زائر، وقلما قصدها ذو حاجة إلا قضيت) [3]،ومنها قبر صاحبي عواجة محمد بن أبي بكر الحكمي ومحمد بن حســـين البجلي، قـــال الشـــرجي في ترجمة البجلي: (وقـــبره بقرية عواجة إلى جنب قبرصاحبه الشيخ محمد الحكمي، تسـتنجح بهما الحـوائج ويسـتنزل بهما القطـر) [4]، ومنها قـبر محمد العيـدروس بن عبدالله بن شـيخ بالهنـد، قـال الشـلي في ترجمتـه: (ومن زاره بحسن نية وسـلامة طوية أعطي سؤاله ونال مأموله ونوالـه) [5]، ومنها قـبر أبي الحسن على بن قاسم العيلف بن هيش بن عمر بن نـــافع الحكمي،قـــال الشرجي: (يروى أنه من قرأ عند قبره سورة ياسين إحدى وأربعين مـــرة لم يقطع بين ذلك بكلام قضـــيت حاجته كائنة ما كـــانت، وقد جـربتُ ذلك وصح والحمد لله على ذلـك) [6]، ومنها قـبر أبي الحسن علي بن عبد الملك بن أفلح، قـال الشـرجي في ترجمتـه: (وقـبره بمقبرة باب سهام من القبور المشهورة المقصودة للزيارة والتبرك واستنجاح الحوائج والمطـالب) [7]، ومنها قـبر أبي بكر بن عيسى بن عثمان الأشعري، قال الشرجي في ترجمته: (وقبره هنالك مشـهور يزار ويتبرك به، ويروى أن من قرأ عند قبره سورة ياسـين (إحـدى وأربعين) مرة قضيت حاجته كائنة ما كانت وقد جرب ذلك وصـح)[8]، ومنها قـــبر القاضي أحمد بن محمد باعيســـى، قـــال الشـــلي وهو يتحدث عن كيفية زيارة مقـابر تـريم: (كالقاضي أحمد بن محمد بن محمد باعيسى حكي عنه أنه قـــال: من زارني بنية صـــادقة وطلب حاجة ضمنت له قضاءها أو كما قال ) [9].

---

[1] الطبقات ص (319) .
[2] المصدر السابق ص ( 339 ) .
[3] المصدر السابق ص ( 138 ).
[4] المصدر السابق ص( 269).
[5] المشرع ( 1/186 ).
[6] الطبقات ص ( 208 ) .
[7] المصدر السابق ص ( 209) .
[8] المصدر السابق ص ( 378 ) .
[9] المشرع ( 1/149 ) .

## المطلب الخامس: اعتقادهم أن بعض القبور أمان للخائفين:

من القضايا المسلَّمة عند القوم أن بعض من ينسبون إلى الصلاح تظل مقابرهم محترمة مبجلة يأمن فيها الملتجئ إليها سواء كان محقاً في التجائه أو مبطلاً، وسواء كان طالبه والباحث عنه محقاً أو مبطلاً، مادام الاثنان مؤمنين بقداسة تلك البقعة، معتقدين لولاية صاحبها وكراماته التي فيها تأمين اللاجئين إليه، ولكن عندما يأتي من لا يؤمن بقداسة ذلك المحل خصوصاً الطالبين ولا يعتقدون ما يعتقده عامة الأمة فيه فإنه لا يحصل شيء من ذلك، فابن علوان وأبو الغيث بن جميل والعيدروس وعلي بن حسن العطاس وغيرهم كثير قيل في تراجمهم أن تربتهم مأوى اللاجئين وأمان الخائفين من التجأ إليها أمن ومن تعدّى عليها عوجل بالعقوبة، ويحكون حكايات كثيرة فمنها وقائع وقعت لمن تعدى على حرمة تلك الترب حتى قالوا إن علي بن حسن العطاس يحمي الناس من شهر ربيع الأول ولو قبل الوصول إلى مشهده، وذلك بأن يقتل من أقارب المعتدي بعدد الأيام التي مضت من الشهر، فإن مضى يومان وحصل الاعتداء قتل اثنان وإن كان في الرابع منه قتل أربعة وهكذا [1].

إذن فالأمر محقق عند القوم بينما نجد أن هناك اعتداءات (بحسب تعبيرهم) سافرة وقعت لا على الملتجئين إليهم بل عليهم أنفسهم فلم يدفعوا عن أنفسهم ولم يحصل على الجاني أي شيء فما السر؟.

السر والله أعلم عدة أمور:

**الأمر الأول**: الحالة النفسية لأولئك المتعلقين فهم عندهم الاستعداد النفسي لقبول أي شيء من قبل هذه القبور، وهذا يضعف المقاومة ويهيئ السبيل لوقوع تلك الأحوال التي يعدونها عقوبات لمنتهك حرمة ذلك المقام، وهذا أمر شائع ومعروف،فالمجتمع الذي يكثر الحديث عن الجن ويسرد القصص الكثيرة يصيبه من أذى الجن مالا يصيب المجتمع المُعْرِض عن ذلك الذي لا يلتفت إليه، وكذلك قل في العين والطيرة ونحو ذلك ولعل القرآن أشار إلى ذلك في قول الله تعالى:  **وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً** 

---

[1] انظر: تاج الأعراس ( 1/209 ).

[2]، فحينما وجد الجن ذلك الضـــعف من الإنس نحـــوهم زادوا من أذيتهم.

**والأمر الثـاني:** وجـود خـدم لبعض الأضـرحة من الجن هم كما صرحوا هم بذلك وسيأتي بيان هذا في موضع آخر إن شاء الله.

**والأمر الثالث**: حيل السـدنة ومكـرهم ودهـاؤهم الـذي يجعلهم يفعلـون أفعـالاً بطـرق خفية وملتوية يتـوهم من لا يعـرف حقيقة الحـال أن تلك الأفعـال صـادرة عن الـولي بينما هي من أفعـال السدنة.

**والأمر الرابع:** وجـود فئـات من القبائل تـرى أنها ملتزمة لـذلك الولي وذريته وأن حمايته وحماية ذريته واللائـذين به من واجبـاتهم، فهم يقومـون بالانتقـام ممن أخفر ذمة ذلك الـولي أو أحد ذريته أو محبيه اللائذين به، فيقومون بـذلك طبيعيـاً ثم يشـاع أنه عقوبة من الولي، بينما نجد أن الذين لا يفكرون في تلك العقوبات والتصرفات المنسـوبة إلى الـولي لا يضـرهم شـيء، فـالجيش النجـدي الموحَّد المتوكل على الله حين هـاجم حضـرموت ضـرب تلك القبب وأزال توابيتها وسـواها كما أمر الرسـول  فلم يحصل عليهم شـيء، ولم ينتقم منهم أولئك الأولياء بشيء بل عادوا إلى بلادهم سـالمين وإن حصل عليهم هزيمة في معركة ما فشـأن الحـروب فر وكر ونصر وهزيمة والعاقبة للمتقين.

وكـذلك ما فعله الإمـام أحمد بن يحـيى حميد الـدين بقـبري ابن علوان وابن العجيل وغيرهما لم يصبه من أثـره شـيء، وأوضح من ذلك وأقرب ما فعله الشـباب المحتسب بعد حـرب الانفصـال (ربيع الأول 1415هـ) من تسـوية القبـور المعظمة في عـدن ومنها قـبر العيـدروس لم ينتج عنه شـيء عليهم، وهـذا كله دليل على بطلان تلك المزاعم وعلى صحة التفسير الذي تقدم والله أعلم.

ومن تلك القبور، قبر عيسى بن إقبال الهتار، قـال عنه الشـرجي: (ودفن بقرية التريبة بضم التاء المثناة من فوق تصـغير تربـة، قرية من قرى الوادي زبيد وقبره هنالك مشـهور يقصد للزيـارة والتـبرك من الأمـاكن البعيـدة، ومن اسـتجار به لا يقـدر أحد أن يتعـرض له بمكـــروه، ومن تعـــدَّى ذلك عوجل بالعقوبة والقرية كلها محترمة ببركتـه) [1]، ومنها قـبر أبي الغيث بن جميـل، قـال الشـرجي: (ودفن بقريته بيت عطاء المشـهورة، وتربته هنالك من الـترب المشـهورة المعظمة قـــلَّ أن يوجد لها نظـــير في اليمن، لا تكـــاد تنقطع من الزوار من كل ناحية، ومن استجار به لا يقـدر أحد أن يناله بمكـروه

---

[2] الجــن (6) .

[1] الطبقات ص( 251 ).

من أهل الدولة والعرب وغيرهم) [1]، ومنها قبر أحمد بن عجيل، قال الشرجي في ترجمتـه: (ومن اسـتجار به سـلم من جميع المخـاوف بل مَنْ وصل إلى قريته لم يقدر أحد أن يتعرض له بمكـروه، وليس للملـوك وغـيرهم على أهل قريته تصـرف ولا ولاية كما في سـائر القرى كل ذلك ببركته) [2]، ومنها قبر أحمد بن علوان،قال الشـرجي في ترجمته:(وقرية الشيخ المذكور محترمة،ومن استجار بها لايقدر أحد أن يناله بمكروه)[3]، ومنها قبر سـفيان بن عبدالله الأبيـني، قـال الشـــرجي في ترجمتـــه: (وتربته هنالك من الـــترب المشـــهورة المقصودة للزيـارة والتـبرك، ومن اسـتجار به لا يقـدر أحد أن يناله بمكروه أبداً، ومن تعدَّى شيئاً من ذلك عوقب أشد العقوبة من غير إمهال، وقد جرب ذلك غير مرة) [4]، ومن تلك القبور في عـدن قـبر محمد بن عبدالله الصـــريفي، قـــال الشـــرجي في ترجمتـــه:(ومن اسـتجار به لا يقـدر أحد أن يناله بمكـروه، ولأهل عـدن فيه معتقد عظيم وله عنـدهم محل جسـيم وهو فـوق ذلك رحمه الله تعـالى ونفع به) [5]، ومنها في حضـرموت قبة عبدالله بن شـيخ العيـدروس، قـــال الشـــلي في ترجمة ســقاف العيـــدروس: (ودفن بقبة جـــده عبدالله بن شيخ، وقبره مشـهور عند النـاس، ومن اسـتجار به أمن من كل بأس) [6]، ومنها كذلك قبر الشيخ أبي بكر بن سـالم صـاحب عينـات، قـال الشـلي في ترجمتـه: (ومن اسـتجار بقـبره المـأنوس أمسى وهو محروس لا يقدر أحد أن يناله ببـؤس)[7]، ومنها قـبر علي بن حسن العطـاس، بالمشـهد بحضـرموت، قـال صـاحب " تـاج الأعراس " ضمن حكاية ساقها: (قلت: وقول الحبيب هـادون لجـده الحـبيب علي "وهز الـرمح " لما اشـتهر من أن الحـبيب علي كـان يلقب بـأبي حربـة، وسـبب تلقيبه بـذلك أنها تـواترت الأخبـار من المعادين للحبيب علي في حياته وأهل الجـرأة على مقـام المشـهد بعد وفاته أنهم يرونه في منامـــــاتهم يطعنهم بحربته فيخـــــبرون قرابـاتهم بـذلك موقـنين بـالموت ويموتـون في الحـال بـإذن الله القائل: "**من آذى لي ولياً فقد آذنته بالحرب** "،لا سيما الـذين يعتدون على غـيرهم في شـهر المشـهد أي ربيع الأول؛لأن الحـبيب علي قد جعله عُرضة بضم العين أي أماناً مؤبداً في كل سنة...الخ)

[1] المصدر السابق ص ( 410 ).
[2] المصدر السابق ص ( 63 ) .
[3] المصدر السابق ص( 71 ).
[4] المصدر السابق ص( 149 ) .
[5] المصدر السابق ص ( 283 ) .
[6] المشرع ( 2/139-140 ).
[7] المصدر السابق ( 2/29 ) .

[1]، فهذه عدد من الأمثلة على ذلك الاعتقاد من مـواطن مختلفة من اليمن.

**المطلب السـادس: اعتقـادهم بعض القبـور متخصصة في قضاء حاجات معينة:**

للناس عند زياراتهم لبعض القبور حاجات كثيرة يستغيثون بها من أجل الحصول على الولد والاستسقاء والاستشفاء وسيأتي ذلك تفصيلاً في السطور التالية:.

**الحصول على الولد**:

سبق في فروع الاعتقاد بتصرف الأولياء في الكون أن من النـاس من يعتقد بأن فلانـاً يعطي الولـد، وذكرنا هنـاك أمثلة لـذلك وبعض القبور الـتي يعتقد ذلك في أصـحابها، ومن تلك القبـور قـبر الشـيخ القرشي في مقــبرة الفريط بــتريم حــتى أنهم يســمونه صــاحب الذرية، وليس الأمر مجـرد دعـاء عند قـبره ذلك ولكن فقط وضع " حصاة " عند القبر [2].

**الاستسقـــاء:**

كذلك مرَّ في فروع عقيدة التصرف في الكون أنهم يعتقـدون في بعض الأولياء، أنهم ينزلون الغيث وذكرنا أمثلة على ذلك.

ومن القبور الـتي ذكرناها هنـاك قـبر الشـيخ جنيد بـاوزير صـاحب النقعة، وذكرنا قصة علي بن جعفر العطاس وقوله لأهل حريضة: با نجيكم بسيل من عند الشيخ جنيد باوزير إن شاء الله [3]، كما ذكـرت قصة باسليمان واعتماده على الشيخ سعيد بن عيسى العمودي في إنـزال الغيث [4]، وذكر الجنـدي في ترجمة الشـيخ أبي بكر بن أكـدر قال: (أخبرني الثقة من أهل تلك الناحية أنهما يزاران ومتى عطش أهل حضـرموت واشـتد بهم الجهد وصـلوا قبرهما واستسـقوا بهما فما يلبثون أن يسقوا) [5].

**الاستشــفاء:**

---

[1] ? تاج الأعراس ( 1/208-209) .

[2] انظر : ص ( 239-241 ).

[3] انظر : ص ( 243 ).

[4] انظر : ص ( 244 ).

[5] السلوك ( 1/462 ) .

سبق أيضاً في فروع عقيدة التصرف بعض الأمثلة في الاستشفاء، نضيف هنا أمثلة أخرى منها ما ذكـره صـاحب تـذكير النـاس: (قـال سـيدي: ولما خـرج الحـبيب أحمد بن محمد المحضـار من دوعن، لزيارة تريم وعينـات، ووادي ابن راشـد، بـات ليلة بـذي أصـبح عند السـادة آل البحـر، فاشـتدت الحمى بابنه محمـد، حـتى غـاب عن إحساسه، فأشفق عليه والده منها، فخـرج ليلاً إلى ضـريح الحـبيب حسن ابن صـالح، وكـان شـيخ فتحـه، ووقف تجاهـه، وقـال: وعـزة المعبود، إن لم تذهب الحمى من ولدي محمد لأصـبح في خشـامر، عند بن علي جابر، فلما كان آخر الليـل، عـرق ابنه محمد وخـرجت منه الحمى، وطلب الأكل، وأصبح:كأنما[1] نشط من عقال، وسـرحوا من يومهم) [2].

ومنها ما قاله عبدالقادر العيدروس: (... وذلك أن بعض الأصـحاب من أهل حضرموت أهدى لي طيباً فقلت: هلا أهديت لي من تـراب قـبر سـيدي الشـيخ سـعد بن علي ؟ فـإنَّ ذلك عنـدي من أشـرف الهدايا، وأفخر أنواع الطيب، ثم أنشدت في هذا المعنى:

**سألت العرفا عن طب دائي فقالوا تراب ذلك الجناب الأقدس**

**على الخبـير سـقطت فـاغنم داؤك وربي إنه دريـــاق أنــْفَـسُ**

**داوني يا سعد وأدرك قبل تِلافي وحقك أنــني لــك عبد أكيـسُ**

فأرسل إليَّ من العام القابل قليلاً من تراب ذلك الضريح الشـريف في قارورة زجاج ولله الحمد...) [3].

وقد جاء في ترجمة عمر المحضار: (مات  وهو سـاجد في صـلاة الظهر، يـوم الاثـنين ثـاني عشـرة في شـهر ذي القعـدة سـنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة، وقبره بتريم يزار ويتبرك به، ترياق مجرب يعرف استجابة الدعاء وكذلك مسجده) [4].

---

1 في الأصل (كما نما).
2 تذكير الناس ص ( 220 ) .
3 النور السافر ص( 427 ) .
4 شرح العينية ص(195 ) ، والغرر ص ( 198 ) .

# المبــــحث الثــاني
# ظاهــرة البنـــاء على القبور وإســراجها وإلباسها
### وفيه خمســـة مطالب:
## المطلب الأول: القبور المعظمة الثابتة لأصحابها:

أقصد بهذا المطلب إعطاء صـورة تقريبية للحالة الـتي وصل إليها القــوم من نشر لمظــاهر القبورية على الــرغم من النهي الصـحيح الصريح عن البناء على القبور واتخاذها مسـاجد وإسـراجها والكتابة عليها ورفعها وإنارتها...الخ، وقد مرّ ذلك كله في الباب التمهيدي.

ومع ذلك النهي وتقريــره في كتب علمــاء الإســلام ومنهم علمــاء الشافعية والهادوية الذين صرحوا إما بــالتحريم أو بالكراهــة، بل إن ابن حجر المكي -وهو عمدة علماء اليمن الشافعية في الفقـه- عـدَّ ذلك كله من كبــائر الــذنوب،ولو أنــني فصّــلت في هــذا المطلب وتتبعت جميع القبور المعظّمة لطال جداً بل لاستغرق مجلداً كاملاً، ولكن الأمر لا يحتاج إلى حشد الكثير من الأدلة لظهـور ذلك للعيـان واسـتطاعة كل إنســان أن يــرى تلك المشــاهد والقبــاب والقبــور المجصصة والشـــواهد الكبـــيرة ذات الكتابـــات الواضـــحة الحاملة لمنـاقب ومزايا أصـحابها في كل مكـان، فما من مدينة أو قرية في اليمن إلا ولها نصـــيب من ذلك يقل أو يكـــثر وكلما كـــانت المدينة أعرق في التصـوف والتشـيع كـان حظها أكـبر كزبيد وعـدن وتـريم والشـحر وصـعدة وغيرها من المـدن والقـرى على امتـداد السـاحة اليمنية.

وحتى يسهل الوقوف على ذلك سوف أستعرض ذلك محافظةً محافظة وليس من شـــرطي الاستقصـــاء والإحاطة وإنما إعطـــاء فكرة فقط كيفما تيسر.

**محافظتي الحديدة وزبيد:**

وأبـدأ من حيث بـدأت القبورية وانتشـرت وفـاقت غيرها وسـبقت سـواها سـبقاً زمنيـاً وسـبقاً من حيث الكـثرة والكثافة من " تهامة "،وسأذكر الأسماء فقط دون أي إعتبار للترتيب لا من حيث الـزمن ولا من حيث المكان ولا حتى من حيث ترتيب الأســماء على حسب الحروف:

- (أحمد بن موسى بن عجيل / بيت الفقيـــه) - (إبـــراهيم بن علي الفشلي/ زبيد).
- (أحمد بن محمد الرديـــني / قرية عـــازب الحلى) -(أحمد بن عمر الـزيلعي / اللحيـة) - (إسـماعيل بن محمد الحضـرمي / الضَّحِى) - (أحمد بن أبي بكر الرداد / زبيد)
- (بكر بن محمد بن حسن بن مـــرزوق / زبيـــد) - (إســـماعيل بن إبراهيم الجبرتي / زبيد)
- (سـليمان بن أبي القاسم الهـاجري / المهجم) - (سـعد بن محمد العرضي/بيت حسين)
- (طلحة بن عيسى الهتار / التريبة) - (علي بن عبدالله الطواشي / حلى)
- (علي بن محمد المعروف بـابن الغـريب / قرية السـلامة) - (علي بن المرتضى الحضـرمي / زبيـد) - (علي بن الحسـين بن رطـاس / زبيـــد) - (عمر بن محمد بن رشـــيد / زبيـــد) - (محمد بن أبي بكر الحكمي / عواجـة) - (محمد بن حسـين البجلي / عواجـة) - (محمد بن عمر بن حُشَـيبر / بيت الفقيـه) (محمد بن يعقـوب أبو حربة / وادي مدرر) - (أحمد بن أبي بكر بن يحـيى المسـاوى /حـرض) - (علي بن أبي بكر الأجحف / الحرجـــة) - (عثمـــان بن أبي القاسم بن أحمد بن إقبال / القرتب) - (مسعود بن عبدالله الحبشي / رمع)
- (أحمد بن عبدالله بن أحمد الصـريدح / المدالهـه) - (أحمد بن أبي الخير الشماحي / زبيد)
- (عثمـــان بن هاشم الحجـــري / بيت حســـين) - (محمد بن عمر النهاري / سهام)
- (أبو القاسم بن عثمـــان بن أبي القاسم / القـــرتب) - (علي بن قاسم العليف الحكمي/ زبيد)
- (علي بن عبدالملك بن أفلح / زبيد) - (علي بن نوح بن علي الأبوي / زبيد)

- (علي بن أبي بكر بن شـداد / زبيـد) - (عيسى بن إقبـال الهتـار / التربية)
- (عيسى بن حجـاج العـامري / بيت حسـين) - (عيسى بن مطـير الحكمي/ بيت حسين)
- (محمد بن عبدالله الحقيص / زبيــــد) - (محمد بن إبــــراهيم بن دحمان / زبيد)
- (محمد بن عمر بن محمد بن شـــوعان / زبيـــد) - (محمد بن أبي بكر الزوقرى / زبيد)
- (محمد بن أبي بكر بن شـــــبيح / العامريـــــة) - (محمد بن أحمد الزجاجي / زبيد)
- (مفتــاح بن عبدالله الأســدي / بيت مفتــاح) - (مهــدي بن محمد المنســكي / المهجم) - (يوسف بن علي الأشـكل / وادي سـردد) - (محمدبن أبي بكرالأشكل/وادي سردد)
- (أبو بكر بن عيسى بن عثمـان الأشـعري / زبيـد) - (يوسف بن عمر المعتب/ حد القحرية)
- (أبو بكر محمد بن حسـان المضـري / التحيتـا) - (أحمد الجنـدح / المثينة)
-(أبو القاسم بن محمد السهامي/ زبيد) - (عبلة ورزم / زبيـد)
- (رجل يقال له ابن سيرين / زبيد) - (الشيخ البكاء / زبيد)
- (أبوبكر السلاسلي / القرتب) - (الملبــك /زبـيد)
- (محمد بن يوسف الضجاعي / وادي رمح) - (الصديق بربش/زبيد)
- (محمد بن عبدالله المـــــؤذن / قرية الغصن من وادي مــــور) - (محمد بن مهنا القرشي / وادي مور)
- (محمد بن إسماعيل المكدش / قرية الأنفة وادي سهام) - (محمد بن مهنا الشريف / قرية البرزة)
- (محمد بن أبي مليكه / وادي ســــردد) - (مــــرزوق بن حسن الصريفي / زبيد)
- (أبــوبكر بن محمد بن علي الجنــدح / حيس) - (أبــوبكر بن محمد الحداد / زبيد)
- (الفيروزآبادي صـاحب القـاموس / زبيـد) - (أبو الغيث بن جميل / بيت عطاء)
- (قراء ياسين العشرة / زبيد) - (الشيخ يونس / زبيد)
- (الحجب / التربية) - (عمر بن أبي القاسم الخزان / القطيع)
- (الشيخ صديق / الحديدة) - (علي بن عمر الأهدل / المراوعة)
- (الساكت / القطــيع) - (المقدم / القطيع)

- (حباك الماء/ التريــبة) - (أحمر العين / المنيرة)
- (الشيخ أدهل / الزيدية) - (حامي الحمى / القناوس)
- (سود بن الكميث / الفاشق) - (طاهر أبو الغيث / حرض)

**محافظة تعــز:**
- (أبو العبــاس أحمد بن محمد الصــبعي / ســهفنه) - (محمد بن عبدالله بن الخطيب / موزع)
- (عبدالملك بن محمد بن أبي ميسرة اليافعي / الجوه) - (السروي / منطقة جبا)
- (أحمد بن محمد الشكيل / المخلاف) - (أحمد بن محمد الجماعي / سهفنه)
- (عبدالرحمن بن عقيل بن محمد صاحب المخا / المخا) -
- (الواسطي / الجند) - (محمد بن ظفر الشميرى/ الجند)
- (أبو الســرور بن إبــراهيم / الــدملوة) - (الشــيخ ســلمان / حبيل سلمان تعز)
- (عفيف الــدين ســليمان بن عمر / تعــز) - (أحمد بن علــوان / يفرس)
- (زيد بن عبدالله اليفاعي / الجند) - (علي بن أحمد الرميمة / صبر تعز)
- (علي بن عمر الشاذلي / المخا) - (عمر بن عبدالرحمن / صاحب الحراء)
- (أحمد بن محمد الضبعي / سـهفنه) - (محمد بن عبدالله الخطيب / موزع)
- (أبوبكرمحمد بن ناصر الحميري/ الذنينتين قرب الجند) - (الحساني / جبل حيشي) - (عبدالله بن محمد العباس الحجاجي الشاكري / الجند) - (ابن ردمان / الصراهم) - (علي بن يوسف صاحب المجرية/ جبل شمير).

**محافظــــة إب:**
- (الحسين بن محمد بن الحسين السحولي / الســحول) - (عمر بن عبدالرحمن بن حسان / الذهوب)
- (أبو موسى عمــران الصــوفي / جبلــة) - (يحــيى بن أبي الخــير العمراني / ذي السفال)
- (علي بن أبي بكر التباعي / المخادر) - (عمر بن سـعيد الهمـداني / ذي عقب)

**محافظة لحج والضالع:**
- (عبدالله بن علي بن حسن بن الشــيخ / الوهط لحج) - (ســفيان بن عبدالله / سفيان لحج)
- (عبدالله بن حسن الجـــــوهري / المحلة لحج) - (عمر بن علي/ الوهط)
- (حسن البحر / الحمراء لحج) - (طهرور / قرية طهرور)
- (بهية بنت موسى / عيديد لحج) - (موسى بن حســـين / الجفاية لحج)
- (مزاحـــم / لحج) - (سعيد بن عيسى / مقيبرة لحج)
- (علي بن زين/ الشرج) - (عبدالله بن حسن الجوهري / المحلــة)

**محافظات عدن وأبين وشبوة:**
- (ريحـان بن عبدالله العـدني / عـدن) -(علي بن حسن الأصـابي / المحفد أبين)
- (عبدالله بن محمد بن عبدويه / كمــــــــــران) - (أحمد بن علي الحرازي / عدن)
- (أحمد بن محمد بامعبد / رضـــوم شـــبوة) - (محمد بامعبد / عين بامعبد / شبوة)
- (جـوهر بن عبدالله الصـوفي / عـدن) - (علي بن أحمد بن قيـدار القريضي / عدن)
- (أبو بكر بن عبدالله العيــدروس / عــدن) - (أبــان بن عثمــان بن عفان / عدن) [1]
- (العثمـاني / الشـيخ عثمـان عـدن) - (الهاشـمي / الشـيخ عثمـان عدن)

**محافظة حضرموت:**
هي أكبر المحافظات تلوثاً بالقبورية بعد تهامة،بل ربما زادت على تهامة خصوصاً هذه الأيام فإن حركة إحياء القبورية فيها قائمة على قـدم وسـاق في شـتى مناحيها من حيث إشـادة وتـرميم المشـاهد وإحيـــاء الزيـــارات والشـــعائر القبوريـــة، ونشر كتب الخرافة والــدجل،وتــأليف الرســائل لتأصــيل تلك الخرافــات أوالــرد على المعترضين عليها.

[1] قال بامخرمه في تاريخ ثغر عدن : ( وأظنه أبان بن عثمان بن عفان ) ص(33) طبع دار الجيل بيروت – ودار عمار الأردن، تحقيق علي بن حسن عبد الحميد .

- (عبدالرحمن بن محمد يعرف بـ " سقاف العيدروس " / تريم) - (أبو بكر أكدر / تريم)
- (عبدالله بن عبدالرحمن الشهير بالنحوي/ روغه) - (عبدالله بن أبي بكر العيدروس / تريم)
- (عبدالله بن شيخ بن عبدالله العيدروس / تريم) - (عبدالرحمن السقاف / تريم)
- (أبو بكر بن سالم صاحب عينات / عينات) [1] - (محمد بن علي الفقيه المقدم / تريم)
- (أحمد بن حسين بن عبدالله العيدروس / تريم) - (أحمد بن محمد الشهير بالحبشي / الحسيسة)
- (أحمد بن الأستاذ الأعظم / العجز) - (حسين بن عبدالله العيدروس / تريم)
- (محمد بن حسن المعلم أسد الله جمل الليل / تريم) (سالم بن بصرى / تريم)
- (أحمد بن عبدالرحمن المشهور بـ(شهاب الدين/تريم) - (محمد بن علوي بن أحمد بن الأستاذ / تريم)
- (عبدالله باعلوي / تريم) - (حسن بن علي بن محمد مولى الدويلة/ تريم)
- (علوي بن الأستاذ الفقيه المقدم / تريم) - (عبدالله بن الأستاذ الفقيه / تريم)
- (علي بن محمد صاحب مرباط / تريم) - (محمد بن عبدالله باعلوي / تريم)
- (علي بن عبدالله باعلوي / تريم) - (محمد بن علي عيديد / تريم)
- (علي بن علوي خالع قسم / تريم) - (الشيخ عمر المحضار / تريم)
- (علي بن أبي بكر السكران / تريم) - (حسن الورع / تريم)
- (سالم بن فضل / تريم) - (فضل بن محمد بافضل / تريم)
- (أحمد بايحيى واسع وعمه / تريم) - (إبراهيم بن يحيى بافضل / تريم)
- (أبو بكر بن الحاج / تريم) - (علي بن أحمد بامروان / تريم)
- (علي بن عمر القرشي / تريم) - (أحمد بن محمد بافضل / تريم)
- (علي بن محمد الخطيب / تريم) - (عبدالرحمن بن يحيى الخطيب / تريم)

---

[1] هذه البلدة تحتوي على عدد كبير من الأضرحة أشهرها سبعة ولها قداسة ومكانة عظيمة عند قبورية حضرموت ) .

- (أحمد بن علي الخطيب / تـريم) - (أحمد بن محمد بن أبي الحب / تريم)
- (سعيد بن علي بامدحج / المشهور بالسـويني / تـريم) - (يحـيى بن سالم بافضل/ تريم)
- (محمد الغـريب / تـريم) - (القطب عبدالله بن علـوي الحـداد / تريم)
- (محمد بن علي خـــــرد / تــــــريم) - (محمد بن علي مـــــولى الدويلة/تريم).
- (أبوبكر بن عبد الله الشـهير بالإمـام / تـريم) - (أحمد بن أبي بكر بن أحمد بن الأستاذ/تريم).
- (عبـــاد بن بشر الصـــحابي رضي الله عنه / القريـــة) - (أحمد بن عيسى المهاجر إلى الله / الحسيسة)
- (سلطانه بنت علي الزبيدية / حوطة سلطانه قرب سيئون)
- (علي بن محمد الحبشي / سيئون) - (عمر بامخرمة / سيئون)
- (عيدروس بن عمر الحبشي / الغرفة) - (أحمد بن زين الحبشي / حوطة أحمد بن زين)
- (الحسن بن صالح البحر / ذي أصبح) - (أحمد بن عبد الله القديم باعباد / الغرفة)
جرب هيصم مقـبرة شـبام تحتـوي على عشـرات القبـور المعظمة والقباب والمشاهد.
- (الهدار / القطن)
- (وفي بلد النقعه بالقرب من حورة قبر الشيخ جنيد باوزير) - (وقبر الشيخ علي بن سالم باوزير)
وأما حريضة ففيها عدد كبير جداً من القباب والمشاهد على قبـور آل العطـــــــــــــــاس منهــــــــــــــــا:
قبر السيد عمر بن عبد الرحمن العطاس ، وقبر طالب بن حسين العطاس، وقبر أبي بكر بن عبد الله العطاس، وقبر أحمد بن حسن العطاس وغيرهم.
وفي وادي عمد أكثر من عشرين قبراً معظماً أشهرها:
صالح بن عبد الله العطاس، وصالح بن عبد الله الحامد، وقـبر عمر بن حسين العطاس بنفحون.
ثم بقية قـرى الـوادي لا تكـاد قرية واحـدة تكـون خالية من قبة أو مشـهد أو قـبر مجصص يـزار في السـابق، ولـدي قائمة بـأكثر تلك القبور آثرت عدم كتابتها للاختصار.

وهنـاك منـاطق لم تـذكر وقبـور كثـيرة تركتها كـذلك حيث القصد التمثيل وليس الحصر.

# البــاب الثـــــاني

# آثار القبورية

## ويشتمل على مدخل وأربعة فصول

## المدخل

## وفيه بيان نشأة العقائد الضالة عن الغلو في الصالحين

## الفصـــــــل الأول

## عقائد القبورية الضالة

## وفيه ثلاثة مباحث

**المبحث الأول: عقيدة القطبية والتصرف في الكون.**

**المبحث الثـــاني: عقيـــدة الرجعة وإمكـــان الاجتمـــاع بالنبي  يقظة.**

**المبحث الثالث: الاعتقاد بحياة الخضر واللقاء به.**

## الـمــدخـــــ

سـبق في البـاب التمهيـدي تعريف القبورية وأنها**(طائفة غلت في أصحاب القبور واعتقدت فيهم عقائد ضـالة، حملتها على تعظيم قبورهم وآثارهم،والتقرب إليهم بأنواع مـن العبادات حتى صيّرتهم أنداداً لله تعالى)**.

فهــذه الطائفة أهم سماتها الغلو وهو مجــاوزة الحد في هــؤلاء النـاس الـذين زَعَمَتْهُم أوليـاء لله تعـالى،مما نتج عنه عقائد ضـالة، بعض هذه العقائد شـرك وبعضـها دون ذلـك،وبنـاءً على تلك العقائد نشأ تعظيم القبــور والآثــار المنســوبة إلى أولئك الأوليــاء، وبهــذا التعظيم غرست بذور من بذور القبورية في نفـوس هـؤلاء القبورية ومقلــديهم من العــوام، مثل المحبة والخــوف المتجـاوزَيْن حــدود الطبيعة الـذَين أوجبا التـذلل والانكسـار أمـام هـؤلاء الأوليـاء أحيـاءً وأمواتـــاً، وحملا على التقـــرب إليهم بما لا يُتقـــرب به إلا إلى الله سبحانه من النذر والذبح والطلب منهم ما لا يجوز طلبه إلاّ من الله تعـالى وهو الـدعاء، وبنـاءً على كل ذلك نشـأت في الأمة أمـراض فتاكة مثل الســحر والكهانة والـــدجل والخرافة والتمـــايز الطبقي وتجهيل الأمة.

من هذا المنطلق سيكون تناولي لآثار القبورية، وهناك آثـار كثـيرة لن أتكلم عنها لضــعف أو خفـــاء ارتباطها بالقبورية الــتي حـــددتُ معالمها في هذا التعريف، والـتي قد يكـون لها بـواعث أخـرى غـير الغلو في أصـحاب القبـور،ومن أمثلة ذلك عقيــدة وحــدة الوجــود وإضاعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند الصوفية والســماع الصــوفي، فهــذه الثلاثة النمـــاذج وغيرها قد يتطلع القـــارئ لبحثها ودراســتها ولكنــني لن أخــوض فيها لخروجها عما رســمته وحددته لنفسي، ولضيق المساحة المحددة لهذا البحث.

## الفـصــل الأول
## عقائد القبورية الضالة
## وفيه ثلاثة مباحث:
## المبحث الأول: عقيدة القطبية والتصرف في الكون
## وفيه أربعة مطالب

**المطلب الأول: تعريف القطب:**

قـال الجرجـاني في تعريف القطب: (وقد يسـمى غوثـاً باعتبـار التجـاء الملهـوف إليه وهو عبـارة عن الواحد الـذي هو موضع نظر الله في كل زمان، أعطـاه الطلسم الأعظم من لدنـه، وهو يسـري في الكـون وأعيانه الباطنة والظـاهرة سـريان الـروح في الجسـد، بيـــده قســـطاس الفيض الأعم, وزنه يتبع علمـــه، وعلمه يتبع علم الحـق،وعلم الحق يتبع الماهيـات الغـير المجعولـة، فهو يفيض روح الحياة على الكـون الأعلى والأسـفل، وهو على قلب إسـرافيل من حيث حصـته الملكية الحاملة مـادة الحيـاة والإحسـاس لا من حيث إنســـانيته، وحكم جبرائيل فيه كحكم النفس الناطقة في النشـــأة الإنســـانية، وحكم ميكائيل فيه كحكم القـــوة الجاذبة فيهـــا، وحكم عزرائيل فيه كحكم القوة الدافعة فيها).[1]

هـذا هو القطب، وهو مـأخوذ عن الإسـماعيلية كما سـبق عن ابن خلدون[2]، والإسماعيلية أخذته عن الفلاسـفة، وما النفس الناطقة إلا إحدى مراتب الألوهية عند الفلاسفة.

**المطلب الثـاني: اعتمـاد ما تقـرر من تعريف القطب عند قبورية اليمن:**

ما اشـتمل عليه تعريف القطب السـابق هو ما اعتقـده صـوفية اليمن ودانوا بـــه، يقـــول اليـــافعي[3] بعد أن ذكر حـــديث الأبـــدال

---

[1] التعريفات ص ( 177 – 178 ) .

[2] هو المـؤرخ المشـهور وواضع علم الاجتمـاع عبد الـرحمن بن محمد بن خلـدون الحضرمي الاشـبيلي تـوفي سـنة ( 808هــ ) اشـتهر بالتـاريخ الـذي سـماه العـبر وديوان المبتدئ والخبر ومقدمته التي تعد من أصول علم الاجتمـاع ، تـرجم نفسه في آخر التاريخ وترجمه الكثير من الباحثين ، انظر ترجمته في أخر كتـاب التـاريخ ( 7/365 ) وما بعـده ، والضـوء اللامع للسـخاوي ( 4/145 ) ، الأعلام للزركلي ( 3/330 ) ،انظر : مقدمة التاريخ طبعه دار إحياء التراث العربي .

[3] عبد الله بن أسعد اليافعي تـوفي سـنة ( 786هــ ) أحد أقطـاب صـوفية اليمن فقيه مـؤرخ صـاحب كتـاب روض الريـاحين في ذكر حكايـات الأوليـاء والصـالحين ومرآة الجنان في التاريخ،انظر : طبقات الخواص ص ( 162 ) ، البدر الطـالع (

الموضـوع: ((وله واحد قلبه على قلب إسـرافيل)). قـال: (والواحد المـذكور في هـذا الحـديث هو القطب، وهو الغـوث ومكانته من الأوليـاء كالنقطة من الـدائرة الـتي هي مركزها به يقع صـلاح العالم)[1].

وقـال الحـداد: (والقطب الغـوث هـو: إمـام الأوليـاء أهل الـدائرة والتصريف، وهم المعدودون في الأخبار والآثار الواردة فيهم). [2]

وتلك الصـفات الـتي يتحلى بها القطب قد أسـبغها قبورية اليمن على أوليـائهم، وبهـذا وصف الشـيخ علي الأهـدل صـاحبي عواجة البجلي والحكمي فقـال أثنـاء حكاية سـاقها الشـرجي عن اليـافعي في بعض مصـنفاته: (يا أبا الغيث هـذان في مقـام التولية والعـزل، يوليان ويعـزلان ويميتـان ويحييـان بـإذن الله تعـالى وسـوف أرثهما وترثني أنت) [3].

وبذلك وصف محمد بن أحمد باجرفيل الدوعني أبابكر العيـدروس حينما استفسره محمد بن عمر بحرق عن تصـرفات مالية تصـرفها العيـدروس على غـير الوجه الشـرعي فقـال: (أنا أشـهد أنه أمـير المؤمـنين المالك للتولية والعـزل والحل والعقد والتصـرفات كلهـا، وأشهد أنه أفضل أهل الأرض ظاهراً وباطناً) [4].

ووُصف بها الشـيخ عبـدالرحمن السـقاف، قـال عبـدالرحمن الخطيب: (الحكاية السـابعة والثلاثـون بعد الثلاثمائة وهي السادسة والتسعون من مناقب السـقاف  عن عبـدالرحيم بن علي الخطيب -رحمه الله تعـالى - قـال:كنت يومـاً في مجلس شـيخنا الشـيخ عبدالرحمن - رضي الله تعالى عنه - فتكلم الشـيخ في الشـيخ أبي الغيث بن جميل اليمني [5] ثم قال في أثنـاء مدحـه:أتى فقهـاء اليمن إلى الشيخ أبي الغيث وقالوا له: يا أبا الغيث ما عرفنا إيش مـذهبك أخبرنا إيش مـذهبك أنت شـافعي أم مـالكي أم حنبلي أم حنفي؟ فقال لهم: (لا أنا شافعي ولا مالكي ولا حنبلي ولا حنفي، فقالوا له: (فإيش أنت فقال:جنداري من جنادرة السـلطان،ثم سـكت الشـيخ

---

( 1/378 ) .

[1] روض الريـاحين في حكايـات الصـالحين ص ( 16 ) تـأليف عبد لله بن أسـعد اليـافعي ، وبذيله عمـدة التحقيق في بشـائر الصـديق للشـيخ إبـراهيم العبيـدي المالكي ، نسخة مصورة بدون تاريخ .

[2] النفائس العلوية في المسـائل الصـوفية ص (148)لعبدالله بن علـوي الحـداد طبع دار الحاوي الطبعة الأولى(1414 هـ -1993 م ).

[3] طبقات الخواص ص ( 266 ) .

[4] مـواهب القـدوس في منـاقب العيـدروس ضـمن المجموعة العيدروسـية ص ( 14 ) .

[5] توفي سنة (651هـ ) انظر هِجَر العلم ( 1/219 ) ، السلوك ( 1/184 ) .

عبدالرحمن - رضي الله تعالى عنه - ساعة ثم همز نفسه ومد يديه في الهواء وقال بـأعلى صـوته: أنا جنـداري من جنـادرة السـلطان، قال عبدالرحيم ثم بعد ذلك بأيـام قلت للشـيخ عبـدالرحمن - رضي الله تعالى عنه -: وما جنداري السلطان، فقـال: ما هـذا معنـاه، هو الـذي يـدخل على السـلطان من غـير إذن ولا عليه حجـاب، ويـأمر وينهى ولا أحد يعارضه فيما يريد، وإذا دخل بلـــداً أو مكانـــاً لم يبق لأحد معه من أهل تلك الـــديار والمكـــان أمر لا أمـــير ولا وزير ولاغيرهمـا، بل الأمر أمر الجنـداري والحكم حكمه ما شـاء فعل ولا معقب لأمره ولا مرد له...)[1].

قلت:وقبل هذه الحكاية حكايات أخرى ساقها صاحب الجوهر فيها تأكيد وشــواهد على ما تضــمنته هــذه الحكاية من اعتقــاد القطبية للسقاف التي تجعله في مقام التصرف التام والتولية والعزل.

وإليك نص حكايـــة منهـــا، وهي الحكاية الخامسة والثلاثـــون بعد الثلاثمائة عن عمر المحضار بن عبـدالرحمن السـقاف[2] قـال: (كنت نائماً أظنه قال في مسجد مدينة رسول الله ) قـال:فلم أشـعر إلا برجل من الصــالحين قد وكــزني برجله فــرفعت رأسي فقــال: ما أجرأك تنام هنا وبطن أبيك ملانة كرعان [3] [ كم واحد قال سـلبه ثم ولى عني ولم أعرفه فسـأل الشـيخ عمر  عن معـنى قـول الرجل بطن أبيك ملانة كرعــان ][4] فقــال أخذ الخلق كلهم في بطنه يــولي من يشاء ويعزل من يشاء رضي الله تعالى عنه)[5].

وقال أحمد بن حسن العطاس في أثناء حكاية (فقال: إني صاحب الــوقت وأتصــرف في أهله وأنت فلان ابن فلان، وإن كنت تريد أن تنظر إلى بلــدكم تــريم فأدخل رأسك في كمي فبهت من ذلك ولم أفعل، ثم قــال لي: أتريد أن أتصــرف في قلب الباشا بــأن يقــوم؟ وكــان جالســاً في الحــرم فبمجــرد قوله ذلك قــام الباشا وأتباعه وذهبوا خارجين من الحرم، فلما قاربوا الخـروج منه قـال لي: أتريد أن أتصرف فيه بـأن يرجع فيطـوف؟ فبمجـرد ذلك رجع هو وأتباعه وطـــافوا، ثم قـــال لي: أتريد أن أتصـــرف في قلب الشـــريف عبــدالمطلب بــأن يرجع الخمسة الــديواني فتســلك في الســوق

---

[1] الجوهر الشفاف (1/81-82) .

[2] نقيب العلويين في زمانه وأحد أشهر أقطاب حضرموت تـوفي سـنة( 833هــ ) انظر الغرر ص ( 192 ) ، المشرع ( 2/241 ) .

[3] هي قوائم الدابة انظر القاموس مادة كرع ص( 980 ) .

[4] ما بين القوسين من الحاشية معلم عليه أنه ساقط من الأصل .

[5] الجوهر الشفاف ( 2/80 ) .

وتمشي؟ فبمجرد قوله ذلك نادى المنادي بـأعلى صـوته يقـول لكم الشريف عبدالمطلب لايمتنع أحد من الخمسة الديواني).[1]

فانظر إلى هذا الذي إن صـدق النقل عنه فهو سـاحر كيف يـدعي هذه الرتبة من مراتب الأولياء عند الصوفية وأنه يتصـرف حـتى في قلوب الناس ومقاصـدهم ويحملهم على فعل ما يشـاء دون اختيـار منهم، وكيف يقص هذا العالم القدوة من علماء صـوفية حضـرموت لأتباعه ومريديه هـذه القصة مسـلماً بها مريـداً منهم أن يصـدقوها ويعتقدوها، أليس هذا هو التطبيق العملي لعقيدة القوم في القطب الذي مر تعريفه؟

**<u>المطلب الثـالث</u>: التصـرف في الكـون أهم وظـائف القطب:**

اتضح من تعريف القطب بأنه هو المفوَّض من قبل الله تعالى في التصـــرف في الكـــون،وربما أطلقـــوا على مرتبة القطبية (الخلافة العظمى)[2]، والمعـــنى: أن يكـــون القطب خليفة الله تعـــالى في تصريف الكون.

ولمعرفة ما يشمله ذلك التفويض لدى القوم نذكر بعض النصوص من كتبهم تـبين سـعة ذلك التفـويض وشـموليته من حيث الزمـان والمكان ومن حيث الدنيا والآخرة.

نقل السيد علي بن محمد الحبشي[3] -أحد أقطاب حضرموت- على سبيل الإقرار والاستحسان عن عبدالعزيز الدباغ قوله: (إن تصرفي يصل حتى إلى الجنـان، وإن الحـور ما يفعلن شـيئاً إلا بـأمر مـني)، وكـــان يقـــول لمريـــده:(إن كنت تعتقد أن الِبسَّ في جميع أقطـــار الأرض يأكل الفـــأر بغـــير إذن مـــني فما أحســـنت الأدب معي)، ثم يعقب الحبشي على ذلك فيقـــول: (انظر إلى هـــذا الفنـــاء العظيم وأين اليوم هذا الاعتقاد) [4].

---

[1] تذكير الناس ص( 216 )

[2] أنظر مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية ( 2/ 619 ).

[3] علي بن محمد الحبشي العلوي الحضرمي صاحب سيؤن ومنشئ ربـاط العلم بها المسمى باسمه "رباط الحبشي " من أشهر علماء زمانه ومـربي جيله تتلمذ عليه الكثير من الطلاب الذين نبغوا وأصبحوا من العلمـاء والأدبـاء غـير أنه مع علمه قد نقل عنه من الخرافـات والهـذيان مـالا مزيد عليه وذلك ما حـواه كتـاب كنـوز السعادة الأبدية في الأنفاس العلية الحبشية كتبه من إملائه تلميذه محسن بن عبد الله السقاف وهو أيضاً صـاحب زيـارة الحـول المشـهورة بحضـرموت تـوفي رحمة الله سنة ( 1312هـ ) انظر تاريخ الشعراء الحضـرميين ( 4/128 ) تـأليف المؤرخ عبدالله بن محمد السقاف الناشر مكتبة المعارف الطبعة الثالثة سـنة ( 1418هـ) الطائف ، ولوامع النور( 1/197 ) .

[4] كنوز السعادة الأبدية ص ( 179 ) الذي قام بطبعه علي بن عيسى الحداد .

فانظر إلى هذه الدعوى التي شملت التصرف في الـدنيا والآخـرة وجميع أقطـار الأرض وجميع العـوالم من عـالم الحـور العين إلى عالم الْيِسَّ والفأر.

وإليك صورة أخرى للتصرف الشامل في الحياة وبعد الموت، قال الشلي: (وقال بعض العارفين: الفقيه المقدم تصرف على المشايخ الـذين تصـرفوا بعد مـوتهم كتصـرفهم في حيـاتهم وهم القطب الرباني الشيخ عبدالقادر الجيلاني والشيخ معروف الكرخي والشيخ عقيل المنبجي وحيوة بن قيس) ثم استشهد على ذلك بهذه الأبيات لمحمد بن علي خـرد باعلوي[1] صاحب الغُرر:

**تـصرّف شيخ في الـوجود معظّمٌ على السادة الأشياخ أهل المعـارف**
**على السيـد الشيخ الفتى عبد قادر ومـعروفٍ الكـرخي منـجٍ لتالف**
**وقيـسٌ عقيل المنبـجي وشيخـنا لتصـريفه لا يصرفون الصـارف**
**وتصريفهم فـي كـل شيء محقـق سوى في جمال الدين عين لـواقف [2]**

وتأكيداً لذلك تجـدهم في الحضـرات وبعض الموالد ينشـدون إلى اليوم:

**ربي اسألك باسرار الفقيه المقدم والذي قد حوى التصريف من قبل آدم**

ويقول صاحب شرح العينية: (وكان سيدنا الفقيه من الممكنين في التصريف بعد موتهم، قال المشايخ العارفون: ما صلينا على جنـازة إلا والفقيه محمد بن علي بعد موته يصـلي معنا عليهـا)[3]،فـانظر الشـمول الزمـاني لهـذا التصـريف من الأزل إلى الأبد! بل زاد في الأنموذج اللطيف أن قال بعد ما ذكر صلاته على الأموات بعد موته: (فلا شك أنه ممن صلى على نفسه بنفسه)[4]

---

[1] صاحب غرر البهاء الضوي توفي سنة ( 760هـ ) انظر ترجمته في الغرر ص ( 3-11 ) ، وتاريخ الشعراء الحضرميين ( 1/142 ) .

[2] المشرع الروي ( 2 / 6 - 7 ) ، وقال بعد أبيات ( قوله : وقيس صوابه حيوة ).

[3] شرح العينية ص ( 161 ) نظم عبدالله بن علوي الحداد تأليف العلامة أحمد بن زين الحبشي باعلوي طبع مطبعة كرجاي المحـدودة سـنغافورة ، الطبعة الأولى ( 1407هـ - 1987 م ).

[4] الأنمـوذج اللطيف في منـاقب الغـوث للأسـتاذ الأعظم الفقيه محمد بن علـوي باعلوي دفين تربة تريم ص ( 213 ) مع البرقة المشـيقة للسـيد علي بن أبي بكر السكران طبع في مصر سنة (1347هـ) .

وفي مناقب عبدالرحمن السقاف يقول محمد بن علي خرد: (ومنها ما روي عن السيد عبدالرحمن بن علوي بن محمد بن الشيخ المذكور، قال كنت في عدن، وقد أصابني في عيني وجع، ولقيت الفقيه العالم القاضي محمد بن سعيد كبن، وأريته إياها وكان عارفاً بعلم الطب، وقيل،إنه كان يعرف اثني عشر علماً سوى العلوم المتداولة بين الناس معرفتها، ما يسأله أحد عن شيء منها، وقلت له يافقيه: أعطني لها دواء، فلما نظرها قال: (هذا مرض تسميه الأطباء الماء الأخضر وليس عندنا دواء حتى يكمل عماؤها، وإن أردت لها دواءاً قبل ذلك دللناك عليه فقلت: ما هو؟ فقال: اقصد جدك الشيخ عبدالرحمن، وقل له: يسلم عليك محمد بن سعيد كبن، وقل له: في عيني وجع أريدك تزيله بإذن الله فإنه يزول، فقلت له: تحولني على ميت؟ فنهض من مقعده وارتعش، ثم قال: والله،ثم والله ثم والله، إني أعتقد في الشيخ المذكور أنه يتصرف في مماته، كتصرفه في حياته،وأنه انتقل إلى الآخرة ولم تنتقل دولته، وفي رواية عن الفقيه الولي الصالح الشيخ سهل بن عبدالله باقشير،ما أخبرني عنه السيد شيخ بن عبدالله بن الشيخ عبدالرحمن، قال: لما رأى الفقيه عين عبدالرحمن رآها عمياء لكتيبة حصلت فيها هذا من أمر القدرة ما يزيل أمر القدرة إلا أهل القدرة، وجدك من أهل القدرة فأحاله عليه،فقال عبدالرحمن: ثم بعد مدة رأيت الشيخ في المنام على سرير فقلت له: إن الفقيه ابن كبن قال لي إنك تتصرف بعد وفاتك كتصرفك في حياتك، فأخذ بإذني وقال لي: (أنا ابن محمد بن علي، ما تصدق إلا إن قال: لك ابن كبن؟ أنا كذلك وأزْيَد وأزْيَد، ￼ ونفع به)[1]، فهذا لا يقتصر على التصرف في الكون في حياته وبعد مماته بل هو كذلك وأزيد وأزيد) ولا أدري ما هو الأزيد من ذلك؟!.

وهناك مثال عملي للتصرف في الكون مع تأويل له من أحد كبار أقطاب صوفية اليمن: (من عجائب الآيات وغرائب الكرامات ما وقع بين الشيخين العارفين السيفين القاطعين أعني أبا عيسى واسمه سعيد وأحمد ابن أبي الجعد المذكورَين، وذلك أنه ورد الشيخ أحمد المذكور في جمع من أصحابه على الشيخ سعيد في وقت جاءوا إلى زيارة القبور الشريفة في حضرموت، فوافقه الشيخ سعيد وأصحابه على الزيارة ومشوا، فلما بلغوا بعض الطريق بدا للشيخ سعيد أن يرجع في هذا الوقت ويزور في وقت آخر، فرجع هو وأصحابه إلى موضعهم واستمر الشيخ أحمد على

---

[1] الغرر ص ( 398 ).

عزمه حتى انتهى إلى مقصده فزار ورجع، والشيخ سعيد مكث أياماً ثم خرج هو وأصحابه إلى الزيارة المذكورة فالتقى الشيخان وأصحابهما في الطريق فقال الشيخ أحمد للشيخ سعيد: توجه عليك حق الفقراء في رجوعك فقال: لا ما توجه علي حق، فقال له الشيخ أحمد:بلى قد توجه عليك الحق فقم وأنصف، فقام الشيخ سعيد وقال: من أقامنا أقعدناه، فقال الشيخ أحمد: ومَنْ أقعدنا ابتليناه، وأصاب كل واحد منهما ما قاله صاحبه، فصار الشيخ أحمد مقعداً إلى أن لقي الله تعالى، وصار الشيخ سعيد مبتلى في جسمه ببلاء قطع جسمه حتى لقي الله تعالى رضي الله تعالى عنهما.

وهذه لعمري أحوال تَكِلُ في جَبِّ بعضها السيوف القاطعة، وإنما يقطع الحالان معاً إذا كان صاحباهما متكافيين أو قريباً من التكافي، فإن لم يكونا كذلك قطع القوي منهما الضعيف، وقد يقطع السابق دون المسبوق فيما يظهر والله أعلم.)[1].

ومنهم من يدَّعي ذلك لنفسه كما قال الشيخ أبو بكر بن سالم صاحب عينات:

**(أنا أعزل أنا اللي ولي أنا شيخها قاضيها)**[2].

وقال أحمد بن حسن العطاس قال: (فزعت مرة من أحد الناس فلما جئت إلى الحبيب أبي بكر بن عبدالله قال لي: لا تخف من حي ولا من ميت عاد المفاتيح إلا كلها بيدي)،وقال أيضاً: (قال الحبيب أبوبكر بن عبدالله انسدحت مرة في بندر الشحر في مسجد الحبيب أحمد بن أبي بكر بن سالم بعد صلاة الصبح فأتوا بشيء كالبيضة وفيه شيء ونكتوه عند رأسي فإذا هو مختلف الألوان الأبيض والأسود والممتزج فقلت: لعله عالم الذر قال: نعم، فقلت لعله لما ولوكم عليه؟ قال: نعم)[3]، وهذا واضح أن الرجل يدّعي أنه بيده مفاتيح الكون ولا أحد يقدر على عمل شيء بغير إذنه هذا في الحكاية الأولى، وأما الحكاية الثانية ففيها أنه ولي على عالم الذر أي الخلق الذين لم يخرجوا إلى الحياة بعد.

وقضية القطبية واعتقادها عند أهل اليمن مبثوثة في كتبهم فلا يكاد أحد من كبارهم لا يوصف بها،حتى لقد قال عبدالرحمن بن محمد

---

[1] مرآة الجنان لليافعي ( 4/ 352-354 ) .

[2] من قصيدة شهيرة للشيخ المذكور ما زالت متداولة إلى اليوم ينشدها الصوفية في موالدهم وحضراتهم وضمن مولد الديبعي ص ( 93 - 95 ).

[3] الحكايتان في مجموع كلام الحبيب أحمد بن حسن العطاس رواية محمد بن عوض بافضل ص ( 25 ) وهو مخطوط مصور عند بعض الأصدقاء .

السقاف باعلوي [1]: (في تربة تريم ثمانون قطباً كلهم أشــراف ) [2] فهؤلاء فقط في تربة تريم، فكم في بـاقي تـرب اليمن، والسـقاف توفي عام (819 هــ) فكم جـاء بعـده من الأقطـاب، وهـذا كله في اليمن إلى ذلك التــــاريخ فكيف ببقية بلاد الله منذ أن خلق الله آدم إلى يومنـا، لاشك أن عـدد الأقطـاب لا يمكن أن يـأتي عليه الحصر رغم أنهم يقولــون إن القطب واحد فقط ولا يـــولي غـــيره حـــتى يموت.

وعلى كل حال فإننا سنلمس الأثر الكبير لعقيدة القطبية بالمفهوم الصوفي فيما يأتي من المطالب حيث تتوالد العقائد الضالة بعضــها من بعض.

وكما شــارك صــوفية اليمن بقية الصــوفية في عقيــدة القطبية شـاركوهم كذلــك في اعتقـادهم بدولة الأوليـاء وديـوان شـورا هم، يقـول أحمد بن حسن العطـاس: (وعقد أي الـديوان مـرة في قبة الحبيب عمر بن عبدالرحمن العطـاس ورأيت الحـبيب أبا بكر ارتفع من قبره وفرشوا له فوق القبر حقه، وكان رئيس المجلس الحبيب أبوبكر، ورأيت بالجانب البحري من القبـة، رجلاً فسـألته: من هـو؟ فقـال: نقيب الأوليـاء بالقـدس، والـذي ظهر لي أن النوبة بقيت مع الحبيب أبي بكر مـدة بعد موتـه، قـال سـيدي: والرجـال الـذين هم رجال ما يطلبـون مقـام القطبيـة، ولا غيرها ويفـرون منهـا، ومثالها مثـال مَنْ قـال لـك: (هـذه البلـدة ونفقة أهلهـا، وخـرج معاشـهم ودوابهم، وأعطاك ما يحتاجون إليه ماذا ترى لنفسك؟).

وقـال أيضـاً: (وفي ليلة وفـاة الحـبيب أبي بكر عبدالله العطـاس، اجتمع الأوليــاء أهل الظـاهر والبــاطن، وجلست أنا بــالقرب منهم، وكـــان ذلك في جـــامع حريضـــة، فكـــان رئيس المجلس الشـــيخ عبدالقادر الجيلاني فـدعاني الشـيخ عبـدالقادر فقلت لـه: أنا ما فيَّ طاقة لشـيء إن معكم شـيء لي اطرحـوه في القـرآن، فطلع أحد مـن الأوليـــــاء لم أعرفه إلا من بعد، ولما انقضت نوبته اجتمعـــــوا بأعلى شبام، بالقرب من العقّاد، وجعل الأمر بين اثـنين، واحد على المعالي وواحد على المسافل)[3].

## المطلب الرابع: فروع عقيدة التصرف في الكون:

### الفرع الأول: درجة الكونية:

والمراد بها أن الولي قادر على أن يقول للشيء كن فيكون، وهذا مما اختَصَّ الله بــه، ولم يقم دليل على أن الله تعـالى منحه أحــداً

[1] جد آل السقاف انظر ترجمته في المشرع الروي ص (2/ 141 )

[2] الغرر ص ( 96 )

[3] نظر الحكايتين في : تذكير الناس ص ( 206 - 207 ) .

من خلقـــه، ولم يدّعه أحد من رسل الله فضـــلاً عن غـــيرهم من البشر، ولكن الصوفية حينما ادّعوا لأنفسهم خلافة الله في تصريف الكون ساغ لهم ذلك الادعاء الكـاذب المبـني على الادعـاء الكـاذب الأول.

ومن أدلة ادعائهم ذلك لأنفسهم وإقـرارهم من ادعـاه ما ورد في ترجمة علــوي بن الفقيه المقــدم مـــن المشــرع قــال:(وحُكي أن الشـــيخ عبدالله باعبـــاد ســـأل صـــاحب الترجمة عما ظهر له من المكاشـفات بعد مـوت والـده فقـال:(ظهر لي ثلاث أحـيي وأميت بـإذن اللـه، وأقـول للشـيء كن فيكـون، وأعـرف ما سيكون فقـال الشيخ عبدالله: نرجو فيك أكثر من هذا) [1].

وأعجب من ذلك ما ذكـــره صـــاحب الجـــوهر في ترجمة الشـــيخ إبـــراهيم بن يحـــيى بن أحمد بن محمد بافضـــل: (وقـــال في بعض مصـــنفاته وردت إليَّ رقعة من الفقيه ابن العـــربي  فـــإذا فيها ورد علينا فقير وقال لنا: الفقير يحيي ويميت بإذن الله تعـالى، والفقـير يقول للشيء كن فيكون بـإذن الله تعـالى والفقـير لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد. فأشـكل علينا مافيها[2] فقـال الشـيخ إبـراهيم بن يحيى  شعراً:

**إذا لم أفتكم بصريح علم فلا من بعدها تستفتيوني**
**بما في محكم القرآن أفتي وإلا بعـد هذا كذبوني**

ثم أجاب عن الكل بجواب فايق عجيب وأتى على كل مسألة بدليل من القرآن) [3]. وحسبك بهذا إقرار لهذه العقائد الخبيثة وأخذ بها.

**<u>الفرع الثاني</u>: الإحياء والإماتة:**

مما تضمنه توحيد الربوبية من الصفات الـتي لاشـريك له سـبحانه فيها الإحياء والإماتة، وقد جمع الله سبحانه بين هاتين الصـفتين في آيـات كثـيرة جـداً، أقتصر على ثلاث منهـا، ففي آل عمـران يقـول تعالى: **والله يحي ويميت والله بما تعملون بصـــير** [4]، وفي التوبة يقـــول تعـــالى:  **إن الله له ملك الســـموات والأرض يحيي ويميت ومالكم من دون الله من ولي ولا نصير**  [5]، وفي يونس يقول الله تعالى: **هو يحيي ويميت وإليه ترجعون**

[1] المشرع ( 2/ 211 ) وقد اعتمد القوم هذه المنقبة له حتى قال صاحب النور السافر عنه ص ( 281 ) : ( يقول للشيء كن فيكـون بـإذن الله ) ، وانظر الغـرر ص ( 372).
[2] هذه الكلمة غير مفهومة في الأصل وأظنها فيها .
[3] الجوهر الشفاف ( 1 / 146 - 147 ) .
[4] آل عمران ( 156 ) .
[5] التوبة ( 116 ) .

﴾ [1]، ولما كانت هاتـان الصـفتان من أكـبر الـبراهين على ربوبية الله تعالى احتج بهما إبراهيم على خصمه فقال وهو يحاج ذلك الطاغية: ﴿ **ربي الـذي يحـيي ويميت** ﴾ فعاند الطاغية وكـابر فقـال: ﴿ **أنا أحــيي وأميت** ﴾ قــال المفســرون: فلما رأى إبــراهيم ســفهه وسـخافة دعـواه عـدل إلى دليل آخر أكـثر ظهـوراً ولا يسـتطيع أن يغالط فيه ســفهاء الأحلام ممن حوله فقــال:﴿ **فــإن الله يــأتي بالشمس من المشرق فأتِ بها من المغـرب فبهت الـذي كفر والله لا يهدي القوم الظـالمين** ﴾ [2]،وقد عد المفســرون هذا الطاغية مدّعياً للربوبية بذلك وجعلوه مثل فرعون الـذي صـرح بذلك حين قـال: ﴿ **أنا ربكــم الأعلى** ﴾[3] وقـال:﴿ **ما علمت لكم من إله غيري** ﴾[4].

وهذا كله يدل بجلاء على أن من ادعى هاتين الصـفتين فقد ادعى الربوبيــة، ومع ذلك فــإن الصــوفية القبورية يــدعون ذلك لبعض أوليائهم،أو يـدعيها بعضـهم فيقرونه عليهـا، وإذا أردنا أن نعتـذر لهم نقـول: إنهم لم يـدّعوا ذات الربوبية ولكنهم ادعـوا الخلافة العظمى عن الحق ســبحانه، ومن جملة وظيفة الخليفة الــتي فوضــها إليه الــرب ســبحانه هــذه الصــفة وغيرها من الصــفات الــتي يزعمونها لأوليــائهم، وأما ادعاؤهم ذلك فثــابت لاشك فيــه، ومن الأدلة على ذلك ما مر من ادعــاء علــوي بن الفقيه المقــدم لــذلك فيما حكــاه الشلي كما في الفرع الأول.

**الفرع الثالث: علم الغيب:**

من مسلّمات العقيدة الإسلامية اختصـاص الله تعـالى بعلم الغيب وأنه لا يشــاركه فيه أحد لا ملك مقــرب ولا نــبي مرسل ﴿ **إلا من ارتضى من رســول فإنه يســلك من بين يديه ومن خلفه رصداً** ﴾ [5]، وأنه سبحانه عنده وحده مفاتيح الغيب كما قـال تعـالى: ﴿ **وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو** ﴾ [6]، وقد بينها ســبحانه

---

[1] يونس ( 56 ).
[2] البقرة ( 258 ).
[3] ? النازعات ( 24 ).
[4] ? القصص ( 38 ).
[5] الجن ( 27 ) .
[6] الأنعام ( 59 ).

وحصر علمها عنــده، وفي الحــديث أن النــبي  قــال: ((**مفــاتيح الغيب خمسٌ لا يعلمها إلا اللـــه؛ لا يعلم ما في غـــدٍ إلا اللـه، ولا يعلم ما تغيض الأرحـام إلا اللـه، ولا يعلم مـتى يأتي المطرأحد إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله))**.[1]

بهذه النصوص وغيرها قطع علمـاء المسـلمين أن علم الغيب مما اختص الله به، وأن من ادعاه فقد كذب[2] وأنه طاغوت [3].

ومع ذلك فقد ادعــاه الصــوفية القبورية لبعض أوليــائهم أو ادعــاه بعضهم وأقروه عليه وعدّوه من كراماته ومناقبه.

ومن الأدلة على ذلك ما مر في الفرعين الأول والثاني مما ادعـاه علي بن الفقيه المقدم وذكر في مناقبه أنه: (يحـيي ويميت ويقـول للشيء كن فيكون ويعلم ما سيكون).

ومن ذلك ما جـاء في ترجمة أبي بكر بن عبـدالرحمن السـقاف أنه يقول:(أعـرف من الفـرش إلى العـرش)[4]، وفي ترجمة أخيه حسن بن عبدالرحمن السقاف: (كان يقـول: أنا أعـرف السـعيد والشـقي وأعـرف الصـالحين بالشـيم) [5]، وفي ترجمة أخيهما الثـالث شـيخ: (وقال والده عبدالرحمن السقاف:ولدي شـيخ كعشـرة شـيوخ، وما سميته شيخاً إلا أني رأيته في اللوح المحفوظ شيخاً) [6].

وسأقتصر على هذه النمـاذج مع أن هنـاك دعـاوى كثـيرة من هـذا القبيل.

**الفرع الرابع: إعطاء الولد**:

هذه الخصلة (إعطاء الولد) هي كذلك من خصائص الله تعالى كما قـال  : ** لله ملك السـموات والأرض يخلق ما يشـاء يهب لمن يشــاء إناثــاً ويهب لمن يشــاء الــذكور، أو يــزوجهم ذكراناً وإناثاً ويجعل من يشاء عقيماً إنه عليم قدير ** [7].

ولو قيل: إن صالحاً من الصالحين الأحياء دعا ربه لأحد من الناس بالولد فــرزق بتلك الــدعوة ولــداً ماكــان عليه من نكـير، ولكن أن ينسب إلى الولي ذاته إعطاء الولد حياً كان أو ميتاً فذلك الـذي فيه

---

[1] رواه البخاري من حديث ابن عمر كتاب التفسير باب قوله ( الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام ) ( 4/ 1733 )

[2] انظر :فتح القدير للشوكاني ( 2/ 123 ).

[3] انظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ( 3/282).

[4] المشرع ( 2/33 ) .

[5] المصدر السابق ( 2/ 89)

[6] المصدر السابق ( 2/ 116 ) .

[7] الشورى الآية ( 49–50 ) .

ادعاء ما هو من خصائص الربوبية، والقبورية يدعون ذلك لأنفسـهم أو لأوليائهم أحياءً وأمواتـاً، والـدليل عليه ما جـاء في تـذكير النـاس قـال جامعـه: (وأهـدى بعض السـادة شـيئاً لسـيدي  فـدعا له بـأن يرزقه الله ولــداً وقــال له: حولنــاك على الحــبيب أحمد بن علي الهدار، وهذا الحبيب كان من أهل الأحوال العظيمة، وكان إذا جـاءه أحد وسأله الـدعاء بالذرية يقـول لـه:بايأتيك ولـد، أو اثنـان أو أكـثر فاعترض عليه أحد بقلبه فكاشفه الحبيب أحمد وقال لـه:يا فلان إن الذين قسمتهم من بحر الشيخ أبي بكر بن سالم سـبعة آلاف ولـد، وأنت يأتيك نصف ولد، فأتاه نصف ولد على رِجل واحدة ويد واحدة وناصفة وجه، نسأل الله العافية.) [1]

ويظهر من هذه الحكاية بشكل جلي أن الرجل لم يـدعُ اللـه،وإنما يقول على جهة الوعد (بايأتيك ولد) وهذا باللهجة الحضـرمية معنـاه سـوف يأتيك ولـد، فليس فيه أي معـنى من معـاني الـدعاء، ويؤكد ذلك إنكار العامي وغضب الحبيب من ذلك الإنكار، ثم تصـريحه بأنه قسّـم، وقسّـم من أين؟ قسَّـم من بحر الشـيخ أبي بكر بن سـالم، فأبوبكر بن سالم عنـده القـدرة والإمكانية الواسـعة جـداً المشـبهة بالبحر، وهذا ولده أخذ يقسَّم من ملك جـده، أليس هـذا صـريح في أنهم يدَّعون القدرة الكاملة على ذلك وأنه من جملة ما يملكونه.

وبناءً على ترسخ هذه العقيدة لديهم نجدهم يطلبون ذلك فعلاً من أوليائهم، قال صاحب تـذكير النـاس:(قـال سـيدي: وزرنا مـرة تربة الفريط بـــتريم نحن والأخ حامد بن أحمد المحضـــار، ولما كنا عند الشيخ القرشي صاحب الذرية أخذ الأخ حامد حصاة كبيرة ووضـعها عند قبر الشيخ وقال: -والحاضرون يسمعون - شف نحنا نبغي ولداً لفاطمة عبـوده بنت عبدالله بن عمر القعيطي، وكـانت مسـنة في ذلك الوقت ومستبعدٌ أن تحمل فقـدّر الله أنها حملت بولد وعـاش) [2].

وصاحب هذه الحكاية من كبار أقطاب القـوم وعلمـائهم ومع ذلك يروي هذه الحكاية مقراً لها، و"حامد المحضار " من كبـارهم أيضـاً وقد رفع صوته يطلب ذلك أمام العامة وأقره من حضر من الأكابر، إذاً هي قضية مسلّمة يربّون عليها أتباعهم.

ويقول آخر من كبارهم وُصف بأنه:" العالم الجليل نسخة السـلف وقــدوة الخلف " في رحلته الموســومة بـــ " النفحة الشــذية إلى الديار الحضرمية وتلبية الصوت من الحجاز وحضرموت " في نفس الموضــوع: (ولما وقفنا على قــبر الشــيخ عمر بن علي القرشي

[1] تذكير الناس ص( 321 ) .
[2] المصدر السابق ص ( 322 - 323 ) .

ويـروى أن من طـرح عند قـبره حجـرة يـرزق ولـداً،وقيـل: لنا أن الحــبيب علي بن محمد الحبشي زاره وبصــحبته الحــبيب عمر بن عيدروس العيدروس فأخذ الحبيب عمر ملا ثوبه حصى ليطرحه عند القبر، فقال له الحبيب علي: كثّرت جم، فقال: أريد نسـمات تـذكر الله أو قال تعبد الله، فأخذت أنا حصاتين وطرحتهما عند القبر على هـذه النيـة) [1]، فـإذا كـان هـذا فعل علمـائهم فمـاذا يا تـرى يصـنع عوامهم وجهالهم؟.

**الفرع الخامس: إنزال المرض ورفعه:**

القول في هذا الفرع كالقول في بقية الفروع فـالمرض لا يصـيب به إلا رب العالمين، قال تعـالى حاكيـاً عن إبـراهيم أنه قـال لقومه وهو يـــدعوهم ويـــبين لهم حقيقة دعوته وعقيدتـــه: **وإذا مرضت فهو يشـفين** [2]، وقـال الرسـول : **((لا عـدوى ولا طـيرة))** [3]،وقد صـرح العلمـاء بأنـه ليس المقصـود نفي العـدوى من أصـلها بدليل قوله : **((لا يورد ممـرض على مصـح))** [4]، لأنه واضح أن في ذلك اعتبـــار العـــدوى ولكنه نفى على المعـــنى الـــذي كـــانت الجاهلية تفهمه وهو أن الأمــــراض تعــــدي بــــذاتها فتنسب إلى الأمراض، فحسم  هذا المعنى الباطل بهذا اللفظ العام ليكون أبلغ وأشمل [5]، فكيف يأتي بعد ذلك من يقول أنه يضع المرض على من شــــاء وأنه يرفعه عمن يشــــاء، إن ذلك لاشك ادَّعـــاء لخاصة من خصوصـيات الربوبية وتعليق للخلق بغـير الحق وهـذا أيضـاً مضـاد ومناقض لما تدعيه الصوفية من تجريد قلوب الناس من سـوى الله تعالى.

وإليك الدليل على زعمهم وضع الأمـراض على أنـاس ورفعها عن آخـرين، فقد ذكر الشـرجي في ترجمة إسـماعيل الجـبرتي قـال: (ومن ذلك ما يــــروى عن رجل من أهل مكة يقــــال له الفقيه عبـدالرحيم الأميـوطي أنه قـال: (كنت لا أعتقد الشـيخ إسـماعيل،

---

[1] النفحة الشـذية إلى الـديار الحضـرمية ، وتليه رحلته تلبية الصـوت من الحجـاز وحضرموت ص ( 175 –176)، تأليف العالم نسخة السلف وقدوة الخلـف الحبيب عمر بن أحمد بن سميط ، طبع على نفقة أحد المحـبين من المحسـنين ( 1397 هـ ) .

[2] الشعراء آية ( 80 ) .

[3] البخـاري في صـحيحه (5/2158) ، كتـاب الطب بـاب الجـذام، ومسـلم في صحيحه (4/1743) ، كتاب السلام باب لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صـفر ولا نوء ولا غول ولا يورد ممرض على مصح.

[4] مسلم في صحيحه (4/743) في الكتاب والباب السابقين ، كلاهما من حديث أبي هريرة .

[5] انظر: (10/160-162) من الفتح .

وكنت أحط منـه، فبينما أنا ذات ليلة بين النـائم واليقظـان، وإذا بي أرى الشـيخ قد دخل عليّ في جماعـة، فسـمعته وهو يقـول لآخـر: هـات الوجع الفلاني فجـاء به فوضــعه عليَّ ثم قـال: هـات الوجع الفلاني فجاء به فوضعه علي، ثم مـازال يقـول هـات الوجع الفلاني ويضعه عليّ، حتى وضع عليّ قدْرَ عشرين وجعاً حتى كدت أمــوت، وخرج، قال: (فبقيت تلك الأوجاع عليّ باقي ليلتي ويـومي ذلك إلى العصر، فأرسلت إليه واستعطفت خاطره، فجاء إليَّ فرفع ذلك كله عني، وقمت كأن لم يكن بي شيء فتبت إلى الله تعالى، وحسّــنت عقيدتي في الشيخ نفع الله به).[1]

إذاً فالذي لا يعتقد فيهم ذلك فهو مهدد بـالمرض من قبلهم، فهـذا عمر المحضار يروي عنه صاحب المشرع (... وكـان إذا غضب على أحد أصابه الجذام وغيره من الأسـقام بعد ثلاثة أيـام، فقيل لـه: أما تخشى أن ينالك بهذا شيء فقال: إني لم أدعُ على أحـد،ولكـني إذا غضبت على أحد وقع في باطني نارٌ لا تنطفئُ إلا بعد ما يصيبه ذلك المرض أو يتوب).[2]

**<u>الفرع السادس: إنزال المطر:</u>**

الآيات في تفـرد الله تعـالى بـإنزال المطر كثـيرة جـداً، منها قوله تعالى:  **أفرأيتم الماء الذي تشـربون، أأنتم أنزلتمـوه من المـزن أم نحن المـنزلون**  [3]، فلو كـان أحد من الخلق قـادراً على ذلك فهل سـيكون هـذا التحـدي صـحيحاً؟ والجـواب: لا قطعـاً فعلم أنه لا ينزل المطر إلا اللـه، بل حـتى علم الـوقت الـذي يـنزل فيه المطر ومكـــان نزوله قبل نزوله لا يعلمه إلا اللـــه:  **إن الله عنـده علم السـاعة ويـنزل الغيث ويعلم ما في الأرحـام وما تـدري نفس مـاذا تكسب غـداً وما تـدري نفس بـأي أرض تموت إن الله عليم خبير** [4]، فإذا كان الأمر كذلك فكيف يجوز أن ننسب إنزال المطر إلى عبد من عباد اللـه، بل إن رسـول الله  قد حسم الأمر بشكل أوضح، وأبعد المؤمـنين عن تـوهم ذلك أو التلفظ بلفظ يـــؤدي إلى ذلك الفهم الخـــاطئ، ففي صـــحيح البخــاري من حــديث زيد بن خالد الجهــني  قــال: ((**صــلى لنا رسول الله  صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كــانت من الليلة، فلما انصـرف، أقبل على النـاس فقـال: (هل تدرون ماذا قـال ربكم؟ قـالوا الله ورسـوله أعلم، قـال:**

---

[1] طبقات الخواص ص( 103 ) .
[2] المشرع ( 2/ 242- 243 ) .
[3] الواقعة الآية ( 68-69 ) .
[4] لقمان الآية ( 34 ).

**(أصـبح من عبـادي مـؤمن وكـافر، فأما من قـال مُطرنا بفضل الله ورحمتـــــه، فـــــذلك مـــــؤمن بي وكـــــافر بالكوكب،وأما من قـال بنـوء كـذا وكـذا، فـذلك كـافر بي ومؤمن بالكوكب)).[1]**

ومن الأدلة على أن القوم يعتقدون في أوليـائهم إنـزال المطر ما جاء في ترجمة أحمد بن عمر الـزيلعي من طبقـات الخـواص حيث قـال: (وكـان للفقيه أيضـاً ولد يقـال له علي،كـان من الصـالحين، وكان لا يُلازم في المطر إلا ويحصل سريعاً حتى عرف بذلك، وكان يقـال له صـاحب المـاء) [2]، وقد كـان ذكر في ترجمة الجد حكايـات تـــدل على أنه يـــنزل الغيث منهـــا: (أنه وصل من اللحية إلى قرية المحمول وقد أجدبوا مـدة طويلـة، فعند أن وصل إليهم جـاءت إليه بهيمة وجعلت تخور بين يديـه، فـدخل المسـجد ودعا الله تعـالى ثم قال: (يا ميكائيل كل، فاجتمع السحاب للفور من كل ناحية ومطروا مطراً عظيماً بإذن الله تعالى) [3].

ومنها قول صاحب الطبقات:(وكـان أهل الـوادي خُلَب بضم الخـاء المعجمة وفتح اللام وآخره باء موحـدة يصـحبونه ويعتقدونـه، فجـاء إليهم مرة وهم مجدبون فجعلـوا يلازمونه في السـيل فقـال لفقـير لـه: (اذهب إلى رأس الـوادي وقل لـه: يقـول لك الفقيه سِل الآن، ففعل الفقير ذلك، فسـال الـوادي من سـاعته وسـقوا سـقياً هنيئـاً بفضل الله تعـــالى) [4]، فلاحِـــظْ أمـــره لميكائيل في الحكاية الأولى وأمـره للـوادي في الحكاية الثانيـة، هل يـدل على أن الأمر مجـرد دعاء؟ كلا لا يدل إلا على أنه هو المالك لذلك والمتصرف فيه.

وفي تذكير الناس: (قال سـيدي: ووقع بحريضة في بعض السـنين قحط شـديد، فسـار الحـبيب علي بن جعفر العطـاس إلى النقعة، وهي قرية بقرب حريضة وقال لأهل البلد: سنجيئكم بسيل من عند الشـيخ جنيد بـاوزير إن شـاء اللـه، فلما وصل إليها زار قـبر الشـيخ جنيد والشيخ علي بن سالم ورجع فسال وادي حريضة تلك الليلـة). [5]

وأوضح من هذا ما ذكره، أيضاً في تذكير الناس قال: (قال سيدي وبلغنا أن الشـــيخ عبدالله بن أحمد بلعفيف كـــان من أوليـــاء الله

---

[1] البخاري في صحيحه (1/290) كتاب صفة الصلاة باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم ، ومسلم (2/59-60) مع النووي كتاب الإيمان باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء .

[2] طبقات الخواص ص ( 77 ) .

[3] المصدر السابق ص ( 75 ) .

[4] المصدر السابق ص ( 75 ) .

[5] تذكير الناس ص ( 187 ) .

المستجابة دعـوتهم، ويقـال له بيـاع السـيول، وصل إلى تـريم في بعض زياراته، فـاجتمع ببعض السـادة آل العيـدروس فقـال له أنت: بلعفيف بيـاع السـيول، فقـال له الشـيخ:نعم حاجة خدمة، فقـال له الحبيب: نعم مرادنا سيل، فقال الشيخ لا بأس، بكم تشتري؟ فقـال له الحبيب بالذي تريده، فقال الشيخ: نبيع لك سـيل بكبش سـمين، وخمس قهاول[1] برُ، فقال الحـبيب:لا بـأس تم الكلام، فقـال الشـيخ تبغي السيل لأي أرض؟ قال الحـبيب: للشـرج الفلاني حقي، فقـال الشيخ: هات الكبش والبر وأخرج رُعّاضك لشـرجك، فـأتى الحـبيب بـالبر والكبش وخـرج الرُّعَّاض[2] وشـرب الشـرج بـإذن الله وبركة أولياء الله) [3].

قلت:وحكى لي جدي - رحمه الله - أن في قرية مجـاورة لنا رجلاً يقـال له " فلان باسـليمان " وكـان حراثـاً عارفـاً بقـوانين الحراثة ومتى يكون السيل أفضل للأرض، فكان ربما جـاء السـيل في غـير الوقت الذي يراه مناسباً فلا يسقي أرضه فعوتب في ذلك لأنه ربما إذا لم يسق لم يـأت سـيل آخر، فيقـول:(ما بيـني وبين السـيل إلا صاع طحين) يعني أنه يتزود صاعاً من الطحين ويزور الشيخ سـعيد بن عيسى فيـأتي السـيل، فهل يشك أحد في اعتقـاد هـذا العـامي وأمثاله أن الشيخ سعيد بن عيسى يملك إعطاء السيل؟!.

**الفرع السابع: إجابة الداعي وإغاثة المستغيث:**

إن هــذا الفــرع في الحقيقة هو النتيجة الحتمية لتلك العقائد بل الثمرة المرة الخبيثة لها، فإن المريد الصوفي أو العامي من عــوام المسلمين حينما يتكرر على سمعه أن فلاناً من الأولياء هو القطب الغــوث الــذي أعطي الخلافة العظمى في هــذا الكــون والتولية والعزل فيه، واعتباره الواسـطة بين الله وبين عبـاده فلا يصل خـير إلى العبـاد إلا بواسـطته، وأنه قد فـوِّض إليه تصـريف الكـون، وأن تصريفه نافذ على كل شيء من العرش إلى الفرش وحتى البِسْ لا يأكل الفــأر في جميع أقطــار الأرض إلا بإذنــه، وأنه يعطي ويمنع ويشفي ويمـرض بل يميت ويحـيي ويُنــزل الغيث ويهب الولـد، إلى آخر ما ينسب إليهم من القدرات، ماذا سيتصور ذلك المسكين، هذا الــولي؟ لاشك أنه سيتصــور أنه هو السـميع المجيب وأنه على كل شيء قدير، وبموجب هذا التصـور سـيهرع إليه كلما نـزلت به نازلة أو أصـابته حاجـة، فإنه لا رجـاء في حصـول أي مطلـوب أو دفع أي مرهــوب إلا بالالتجــاء إليــه، وهــذا هو الــذي يحصل في كثــير من

[1] القهاول مقدار من الكيل يساوي ثلاثة أصواع تقريباً .
[2] الرَّعَّاض جمع راعض وهو الذي يعدِّل السيل في الحقول .
[3] المصدر السابق ص ( 188 ) .

الأحيان والأحوال ولدى أكثر الناس من القرون التي سيطر فيها فكر القبورية على الناس.

وهم لم يكتفوا بما مضى من دفع الناس إلى ذلك الاعتقاد والتصور الخاطئ، بل صرح الكثير من أوليائهم بأنهم يسمعون من ناداهم ويجيبونه ويغيثون من استغاث بهم وينقذونه مما هو فيه، ويروون مئات القصص التي تحكي كيف نزل الضر بفلان فاستغاث بالقطب فأغاثه، بصور وأساليب متنوعة كلها تتآزر على شيء واحد هو تعميق الاعتقاد في ذلك الشخص بأنه يفعل ويفعل، وأن على الجميع الالتفات إليه والاعتماد عليه وإنزال حوائجهم به.

وهذا هو الشرك بالله تعالى، ولكنني لن أخوض في الرد عليه في هذا الموضع، وإنما سوف أنقل بعض النماذج عنهم في ذلك لإثبات أنهم يعتقدون في أهل الولاية منهم أحياءً وأمواتاً أنهم يجيبون الداعي ويغيثون المستغيث، وليس الأمر كما يقوله من يروج تلك العقائد ويدافع عن الموروث الذي كان عليه الآباء والأجداد من أن ذلك مجرد توسل بهم إلى الله وإن كان بلفظ الدعاء والاستغاثة.

وإليك النصوص الصريحة والوقائع الواضحة الشاهدة على ما نقول:

أول ما نورد في ذلك تقرير عميد القوم وحجتهم وإمامهم في العلم والتصوف من يسمونه (قطب الدعوة والإرشاد عبدالله بن علوي الحداد) وهذا التقرير في قصيدة من أشهر قصائده لدى القوم وهي العينية حيث يقول فيها في صفة الولي:

**من كل طود في العلوم وفي الحجا متبحر متفنن متوسع**

داع إلى الله العظيم بفعله ومقاله والحال غير مضيع

**ذي عفة وفتوة وأمانة وصيانة للسر أحسن من يعي**

**وزهادة وعبادة وشهادة منه الغيوب بمنظر وبمسمع**

**جمع الرياضة والكشوف ولم يزل يرقى إلى أن يستجيب إذا دعي** [1]

إذاً فهي حقيقة مسلّمة عند القوم أن الولي ما يزال يترقى حتى يصير ممن يستجيب إذا دعي [2]، فعند القوم أن الولي " يُدعى" وليس فقط يتوسّل به و" يجيب إذا دُعي " وليس الله  يجيب من دعاه متوسلاً به.

---

[1] شرح العينية ص ( ب ) من المقدمة .

[2] انظر : شرح هذا البيت في العينية ص(17-18) .

وبنــاءً على تلك الحقيقة المعروفة لــديهم منذ عــرف التصــوف المنحرف في اليمن والتي عبر عنها الحداد في عينيته، تجد الدعوى متواصلة لأوليائهم بإغاثة من استغاث بهم.

ومن ذلك ما ذكره شـارح العينية المـذكورة في ترجمة علـوي بن الفقيه المقدم حيث قال: (وكان  سريع الغـوث لمن اسـتغاث بـه، قـال السـيد الجليل العلامة المحـدث الإمـام محمد بن علي علـوي خـرد بـاعلوي في كتابه " الغُـرر " أخـبرني الشـيخ عبـدالرحمن بن علي أن العارفين قالوا: (ثلاثة من آل بـاعلوي لا تـزال خيل حميتهم وإجـابتهم مسـرجة ملجمة من دعا بهم أُجيب وهم علـوي المـذكور وابنه علي والشـيخ عمر المحضـار، وقــال صــاحب كتـاب الغــرر المذكور في ذلك شعراً:

**إذا خفـت أمراً أو توقّـعت شـدة فنوِّه بهم كي يدركـوك ويحضروا**

فنــــوِّه بعلوي الفتى وابنـه علي كـذا عمـر فيما يـجل ويعسر

**فغارتهم تنجـيك مـن كل شــدة وعُسرٍ وضيـقٍ أو بصدرك يكبر** [1]

ولا يقتصر الأمر على أنـــاس ينســبون إلى الــولي أنه يغيث من يستغيث به، ولكن الـولي يـدّعي ذلك لنفسه ويفخر بـه، فهـذا عمر المحضار يقول في قصيدة مازالوا إلى اليوم ينشــدونها في حضــرة السقاف.

**إني سـريعُ الغوث في كل الشـدائد فاهتف باسمي تـــجدني أسرِعُ**

قل يا شهاب الدين إن يعروك خطب يا فطن

**فأنا لخطـــبك أدفعُ**

وقال شارح العينية في ترجمة عبدالرحمن السـقاف: (وكـان يـرد على من غلط في مسـجده وهو بـالعجز [2] ويسـمعه الغالـط، وكـان يقلب التراب دراهم بإذن الله تعـالى، وكـان يظهر لمن اسـتغاث به جهاراً في الأماكن البعيدة بحراً وبراً) [3].

وفي كتاب " تاج الأعراس " في مناقب الحبيب القطب صـالح بن عبدالله العطــاس، قـــال المؤلــف: (ومما أكـــرم الله به صـــاحب المناقب، وخصه به من سنيات المراتب، وكان ينفرد به دون أقرانه

---

[1] شرح العينية ص(174 ) وانظر أيضاً : المشرع الروي ( 2/212 ).

[2] العَجُز : بفتح العين وضم الجيم قرية شرق تريم تبعد منها مسافة .

[3] شرح العينية ص (188 ).

من أهل المظـاهر والمناصـب، أنه يحضر عند من نـاداه وتوسل به إلى الله بصدق نية وصفاء طوية) [1].

وتقـول الشـيخة سـلطانة الزبيدية كما في ترجمة السـقاف من المشـرع: (ما رأيت أحـداً أسـرع إجابة عند الاسـتغاثة من السـيد محمد بن السقاف، وكانت تقول:إذا حـدث أمر واسـتغثت بالأوليـاء فأول من يغيثني هو) [2].

وقــال صــاحب " تــاج الأعــراس " في ترجمة صــالح بن عبدالله العطـاس: (وممن أثـنى على صـاحب المنـاقب واعـترف له بمقـام الغوثية شيخ مشايخ تلك العصور، وعالمها وإمامها المشـهور، شـيخ الإسـلام ببلد الله الحـرام السـيد أحمد بن زيـني دحلان قـال: (إنه حصل عليَّ حال بمكة وكربتُ لذلك كرباً شديداً فاستغثت بـالحبيب صـالح بن عبدالله العطـاس صـاحب عمد وهو إذ ذاك بحضـرموت ودعوته بثلاثة أصـوات، فـإذا هو حاضر عنـدي في الحـرم المكي، راكباً على جواد أخضر اللون ومعه أربعـون جنـدياً كلهم مسـلحون، فحين رأيته ذهب عـني ذلك الكـرب وانشـرحت انشـراحاً كـاملاً ببركته) [3].

وقال كـذلك في ترجمة هادون بن هـود العطـاس: (ومن كرامـات الحبيب هادون أيضاً ما أخبرتني به والدتي الشريفة العفيفة شـيخة بنت الجد علي بن حسين بن هود العطـاس الآتي ذكرها في ترجمة والدي من البـاب السـادس عن والـدتها الشـريفة العفيفة زينة بنت الحبيب هادون المذكور قـالت: لما كـان والـدي يجـدد عمـارة بعض المساكن بالمشهد وعنده جملة من العمال أصبحنا ذات يـوم وليس عنـدنا في الـدار ما يفطر به الصـائم من أنـواع الطعـام، فلما رجع والدي من المسجد الإشراق كعادته أخبرناه بالحال فقـال: لا بـأس، ولكنكم أوقـدوا نـاراً في المطبخ كعـادتكم ليستشـعر العمـال بـأن غداهم يطبخ كالعادة،ثم خرج والدي إلى عند العمال وألقى بيتاً من الشعر الحميني ارتجالاً على الذين ينقلون المدر منهم وأمــرهم أن يرتجـزوا بـه، وكـان قد اسـتنجد فيه بجـده الحـبيب علي بن حسن العطاس صاحب المشهد وهو قوله:

**مع هادون يا بو حسن والخير واصل وهز الرمح لا تعمد [4] القبة وغافل**

---

[1] تاج الأعراس ص (1/ 94) .

[2] المشرع الروي ص ( 1 / 184 ) .

[3] تاج الأعراس ( 1/ 104 ) .

[4] هـذه الكلمة باللهجة الحضـرمية معناها ( لا تبقى ) أي لا تبقى في القبة غـافلاً عنا .

قالت: فلم نلبث إلا يسيراً وإذا نحن بقافلة أي عير مرسلة لمقـام المشـهد من أهل حجر بن دغـار وفيها الـذرة والتمر والـدهن وغـير ذلك، وبمعية العير أناسٌ من تلك الجهة أيضاً قاصدين زيارة الحبيب علي بن حسن ومعهم ثلاثة أكباش سـمان للمقـام، فـذبحنا وقـدحنا وكان ذلك اليوم من أسعد أيام العمال عليهم انتهى.

قلت[1]: وقول الحـبيب هادون لجـده علي (وهز الـرمح) لما اشـتهر من أن الحبيب علي كان يلقب بـأبي حربة وسـبب تلقيبه بـذلك أنها تواترت الأخبـار من المعادين للحـبيب علي في حياته وأهل الجـرأة على مقـــام المشـــهد بعد وفاته أنهم يرونه في منامـــاتهم يطعنهم بحربته فيخبرون قراباتهم بذلك موقنين بالموت ويموتون في الحال بـإذن الله القائـل: ((**من آذى لي وليـاً فقد آذنته بـالحرب**)) لاسيما الذين يعتدون على غيرهم في شهر المشـهد أي ربيع الأول؛ لأن الحـبيب علي قد جعله عُرضه بضم العين أي أمانـاً مؤبـداً في كل سنة بين المحاربين من قبائل تلك الجهة وأخذ عليهم العهد في ذلك ليأتي كل منهم وهو مطمئن البـال إلى المشـهد لحضـور قصة مولد نبيهم محمد  وسماع شـمائله الشـريفة وما يضـاف إلى ذلك من المواعظ الدينية، فكـان مما أكـرم الله به الحـبيب علي وعظم به شهر المولد النبوي أن من اعتدى فيه بالقتل ونقض العهد يعجل الله له العقوبة بإهلاك عـــدد من أولاده وقبيلته بمقـــدار الأيـــام الماضــية من ذلك الشهر، فمن قتل فيه في اليــوم الخــامس مثلاً يهلك الله خمسة من رجاله في أســرع وقت، ومـــن قتل فيه في اليوم السابع يهلك الله منهم سبعة وهكذا حتى صار ذلك عند قبائل الجهة من المجربات التي لا خلاف فيها) [2].

وأعتـــذر للإطالة بنقل الحكاية كاملة وذلك لما فيها من دلالات كثــيرة يجـدها المتأمل وليعـرف كيف يسـخِّر القبوريـون النــاس لمصالحهم ويبنون على حطام عقائدهم مجدهم الموهوم.

وأسألُ صـاحب التـاج وكل من ينشر هـذه الحكايـات ويغـرس بها تقديس هؤلاء الناس في نفوس عوام المسـلمين أين كـان الحـبيب علي وحربته يوم هجم الجيش النجدي على المشـهد فأخربه وهـدّم قببه وكسّر توابيته؟.

ومن ذلك أيضاً ما ذكـره صـاحب مقدمة ديـوان العيـدروس قـال: (وأخـبرني السـيد الفقيه محمد الظمطـاوي المكي وقد رويتها عن المريد الصادق نعمان بن محمد المهـري أنه قـال: (كنا في سـفينة سـائرين إلى الهند فحصل في السـفينة خـرق عظيم فـأيقن أهل

---

[1] الكلام ما زال لصاحب تاج الأعراس .
[2] تاج الأعراس ( 1/ 207-209 ) .

السفينة بالهلاك فضجُّوا بالـدعاء والتضـرع إلى الله تعـالى وهتفـوا بالمشـــايخ، فقـــال نعمـــان: فهتفت بشـــيخي أبي بكر بن عبدالله العيدروس، فأخذتني سنة فرأيت شيخي وهو داخل السـفينة وبيـده منديل أبيض متيمماً نحو الخرق، فـانتبهت فرحـاً مسـروراً ونـاديت بأعلى صوتي يا أهل السفينة أبشـروا فقد جـاء الفـرج، فقـالوا لي: ماذا رأيت، فقلت لهم: رأيت شيخي  دخل السفينة الساعة وبيـــده منديل فسد به الخرق فافتقدوه فوجـدوا الخـرق مسـدوداً بمنـديل أبيض). [1]

وفي نفس الكتـاب في آخـره قـال: (وأخـبرني الأمـير مرجـان بن عبدالله عبد السـلطان عـامر بن عبـدالوهاب قـال: كنا في محطة صـــــــــنعاء الأولى فحصل علينا ما حصل، وأنا إذ ذاك في جماعة، فحمل علينا العـدو ففر أصـحابي ووقـــع في فرسي جملة أكـوان[2] فسقط بي، فزار بي العدو من كل جانب وأنا أهتف بالصـالحين، ثم ذكـرت الشـيخ الأجل أبـابكر بن عبدالله العيـدروس فهتفتُ به فـإذا هوقايم فو الله العظيم لقد رأيته نهاراً وعاينته جهاراً أخذ بنا صـيتي وناصـــية فرسي وشـــلني من بينهم حـــتى أوصـــلني إلى المحطة السعيدة فعند ذلك مات الفرس ونجوت ببركات الشـيخ نفع الله به وأعاد علينا من بركاته) [3].

فهذه النمـاذج إن شـاء الله كافية لإثبـات أن القـوم يعتقـدون في أوليائهم أنهم يسمعون استغاثاتهم، وأنهم يغيثونهم عند ذلك، فحينـاً يحضرون بأنفسهم،وحيناً يحصل المطلوب بـدون حضـورهم، وعليه فإن دعاءهم لأوليـائهم ليس مجـرد توسل إذ التوسل إنما هو دعـاء لله تعـالى مع ذكر المتوسَّـل به وسـؤال الله سـبحانه أن يحـــقق المطلـــوب بجـــاه أو ببركة ذلك المتوسَّـل بـه، ولـذلك فـإن الـذين يعرفون حقيقة التوسل ويقتصرون عليها لا يجيزون دعـاء المتوسل بهم ويصرحون بـأنهم لا يـدعون ولا يجـيزون دعـاء غـير اللـه، وإنما يذكرونهم في ضمن دعائهم لله للتبرك بذكرهم وليكونـوا سـبباً في عطاء الله.

---

[1] مقدمة ديـوان العيـدروس المسـمى (محجة السـالك وحجة الناسـك) ص ( 242 ) , تـأليف الشـيخ عبـداللطيف بن عبـدالرحمن بـاوزير ضـمن المجموعة العيدروسية.

[2] أي جراح .

[3] المصدر السابق ص( 247 ) .

# الفـصــل الأول
# أساليب القبورية في محــاربة مخــالفيها
# وفيه ثـلاثة مباحــث
## المبحث الأول:
## أسلوب الاحتـواء والاختراق
**وفيه مطلبان:**

**<u>المطلب الأول</u>:محاولة احتواء المخالف:**

إن رواد القبورية في الأمة الإسلامية وهم الباطنية الشيعة، ومن جاء بعدهم من الصوفية، إنما هم تلاميذهم وأتباعهم والناقلون لعقائدهم وأساليب دعوتهم وطرق تثبيت دولتهم، مع شيء مــن التطوير الــذي يتناسب مع وضعهم بين أهل السنة،ولا يخفى على من قرأ التاريخ براعة الباطنية في احتواء المخالف، والتأثير عليه بالطرق والأساليب الملتوية الكثيرة، وسنرى في هذا المطلب صورة منها، وهكذا تلاميذهم الصوفية استخدموا تلك الطرق والأساليب مع مخالفيهم هنا في اليمن، وإليك بعض الأدلة على ذلك:

سبق عند الحديث عن الإسماعيلية بيان طرقهم في الدعوة، وكيفية الوصول إلى إقناع المدعو، والترقي به درجة درجة حتى يصل إلى القناعة التامة بما هم عليه، وهناك صورة واضحة في طريقة الاحتواء وتحويل الخصم إلى أن يصبح من أقوى المناصرين لهم، وهي احتواء علي بن محمد الصليحي الذي كان أبوه قاضياً من علماء أهل السنة خصوم الإسماعيلية، وكيف استطاع داعية الإسماعيلية احتواء ابنه علي حتى كان هو الذي أسس دولة الإسماعيلية الفاطمية في اليمن، قال الخزرجي: (أجمع علماء التاريخ ورواة الأخبار من أهل اليمن أن القاضي محمد بن علي الصليحي والد الأمير علي بن محمد الصليحي كان فقيهاً عالماً سنيّ المذهب، وكان قاضياً في بلده حسن السيرة مرضي الطريقة، وكان أهله وجماعته يطيعونه ولا يخرجون عن أمره، وكان الداعي عامر بن عبدالله الزواحي يلوذ به، ويركب إليه كثيراً؛ لرياسته وسؤدده وصلاحه وعلمه، فرأى يوماً ولده علياً فلاحت له فيه مخايل النجابة، وكان يومئذ دون البلوغ، وكان الداعي عامر بن عبدالله الزواحي كلما وصل إلى القاضي يتحدث مع ولده علي المذكور، ويخلو به، ويطلعه على ما عنده حتى استماله، وغرس

في قلبه ولبِّه ما غرس من علومه وأدبه ومحبة مذهبه، وقيل: كانت عند الداعي عامر بن عبدالله الزواحي حلية الصليحي في كتاب " الصور "، وهي من الذخائر القديمة، فأوقفه منه على مستقبل حاله وشرف مآله، وأطلعه على ما أطلعه عليه سراً من أبيه القاضي محمد وأهله جميعاً، ثم مات الداعي عامر بن عبدالله الزواحي، فأوصى له بجميع كتبه، وأعطاه مالاً جزيلاً قد كان جمعه من أهل مذهبه، وقد كان رسخ في ذهن الصليحي ما رسخ، فعكف على الدرس، وكان ذكياً فلم يبلغ الحلم حتى تضلع في معارفه التي بلغ بها، وبالجد السعيد تدرك غاية الأمل البعيد، فكان فقيهاً في مذهب الإمامية، متبصراً في علم التأويل، ثم صار يحج بالناس دليلًا على طريق السراة، ولم يزل كذلك نحواً من خمس عشرة سنة، وكان الناس يقولون له: بلغنا أنك ستملك اليمن بأسره، فكره ذلك، ونكره على من يقوله مع كونه قد شاع على ألسنة الخاصة والعامة، فلما كان في سنة تسع وعشرين وأربعمائة ثار في رأس مسار وهو أعلى جبل في تلك الناحية) [1].

تلك صورة من صور الاحتواء الإسماعيلي للمخالفين، وفي تاريخ الصوفية الكثير من تلك الصور، من ذلك قصة الصوفي عبدالرحمن بن عمر باهرمز مع الفقيه عمر بن عبدالله بامخرمة، فقد كان الصوفي باهرمز له طريقة قبيحة في تصوفه، وهو أنه عندما يرد عليه الحال - كما يقولون - يجمع النساء الحسان متزينات بأحسن الزينة فيغنين ويرقصن حتى يذهب ما به، وهذا أمر منكر لا إشكال فيه، وقد سمع عمر بامخرمة بذلك فأنكره، وعزم على الذهاب إليه للإنكار عليه، فرحل أول مرة، ثم رجع من الطريق، ثم عزم وصمم حتى دخل عليه فلما رآه الشيخ كاشفه بنيته وعزمه وقال له: (عاد وقتك ما جاء)، فرجع إلى بلاده، ثم عاد الثالثة، وعند دخوله عليه أمر بعض النساء الحسان اللاتي يرقصن عنده أن تعتنقه، قال العيدروس: (فما هو إلا أن فعل به ذلك خر مغشياً عليه، فلما أفاق تلمذ للشيخ، وحكمه في ذلك الوقت، وفتح الله عليه ببركة الشيخ، وصار من كبار العارفين المربين، وقيل: إن الفقيه لما طلب التحكيم من الشيخ قال: له: صلِّ ركعتين إلى المشرق، فامتثل، فلما أحرم رأى الكعبة تجاه وجهه) [2].

---

[1] العسجد المسبوك ص (56) ، وانظر : قرة العيون ص (173-174).

[2] النور السافر ص( 59 ).

**<u>المطلب الثاني</u>: محاولة اختراق صفوف المخالفين وبث الفتنة في أوساطهم:**

إن البدع في الغالب تكون مخالفة للفطرة، مناقضة لأدلة الشرع وأصوله، يرفضها العقل السليم الذي لم يتلوث بأمراض الشبهات؛ ولهذا لم يبق أمام دعاة البدع إلا الكيد والمكر وأساليب اللف والدوران لمقاومة الخصوم والتغلب عليهم، وقبورية اليمن من أولئك المبتدعة، لم يدعوا أسلوباً من أساليبهم إلا اتبعوه، ومن ذلك أسلوب الدس والمكيدة وبث الفتنة في صفوف المخالفين، وإليك بعض الأمثلة على ذلك:0

**المثال الأول**: مـا فعله والي الدولة الصليحية على الـجند من بث الفتنة بين فقهائها حتى يسلم هو وأهل نحلته من انصرافهم لمقاومتهم والعمل على إزالة دولتهم، قال الجندي في ترجمة الفقيه الإمـام زيد ابن عبدالله اليفاعي: (وكانت مدرسة الفقيه عن يمين المنبر، وربما اتكأ وقت التدريس على المنبر، وكان أصحابه فوق ثلاثمائة متفقه، في غالب الأيام يقوم بإعالتهم قوتاً وكسوة، وكانوا يملئون ما بين الباب والمنبر كثرة، وكان الفقيه أبو بكر شيخه يقرئ في الزاوية التي تحت جدار بئر زمزم [1]، وكان أصحابه في غالب الأحوال نحو خمسين طالباً، هكذا ذكر بعض معلقي أخبارهم، ولم يزل ذلك من شأنهم حتى تمت الحيلة من المفضل [2] في التفريق بينهم، وذلك أنه مـات ميت من أهل الجند، فخرج الإمام زيد والإمام أبو بكر بن جعفر في أصحابهما يقبرون، وعليهم الثياب البيض لبس الحواريين، والمفضل يومئذ بقصر الجند فحانت منه نظرة إلى المقبرة، فــرأى فيها جمـعاً عظيماً مبيضين، فسأل عن ذلك، فقيل: قُبرانُ ميتٍ، غالب من حضره من الفقهاء، فعرض بذهنه ما فعله ابن المصوع [3] مع أخيه حيث قتله، وقال: هؤلاء يكفروننا ولا نأمن خروجهم علينا مع القلة، فكيف مع الكثرة؟ ثم قال لحاضري مجلسه: انظروا كيف تفرقون بينهم، وتدخلون البغضاء عليهم بالوجه اللطيف، فجعلوا يولّون القضاء بعض أصحاب الإمام زيد أياماً، ويعــزلونه، ويولّون مكانه من أصحاب الإمام أبي بكر بن جعفر، ثم يولّون إمامة الجامع كذلك، ثم النظر في أمر

---

[1] بئر في مسجد الجند يسمى بذلك .

[2] المفضل والي الصليحين على الجند .

[3] ابن المصوع أحد فقهاء أهل السنة ثار في جماعة على أخي المفضل أحد أمراء الصليحين فقتلوه واستولوا مدة على قصره ثم أمسك بهم .

المسجد كذلك حتى ظهر السباب بين الحزبين، وكاد يكون بين الإمامين، فعلم الإمام زيد ذلك، فارتحل مهاجراً إلى مكة) [1].

فانظر كيف لجأ هذا الباطني الإسماعيلي إلى الدس بين هؤلاء الفقهاء الطيبين! وكيف استطاع بخبثه وطيبتهم أن يفرقهم، وأن يملأ صدورهم حقداً على بعضهم البعض حتى قضى على دعوتهم!.

**المثال الثاني:** ما ذكره الأستاذ صلاح البكري في " تاريخ الإرشاد بإندونيسيا " من عمل القبورية أصحاب الرابطة العلوية لزرع الفتنة بين أصحاب الإرشاد- لولا أن سلم الله - وقُضيَ على الفتنة قبل استفحالها.

قال الأستاذ البكري تحت عنوان " **أول مؤامرة ضد جمعية الإرشاد** ": (من الأحداث الخطيرة التي قام بها دعاة العنصرية، تلك المؤامرة ضد حياة جمعية الإرشاد الإسلامية، فقد اتصل بعض آل باعلوي وأنصارهم برئيس الجمعية الشيخ سالم بالوعل، وسيطروا على عواطفه بأوهام فارغة، وهيمنوا على أفكاره حتى صار كالآلة الصـماء في أيديهم، ولا غرابة، فهو أمي ساذج أو كما يقول الحضارم: "على تَوّه"، واقترحوا عليه إبدال اسم " جمعية الإرشاد " بالجمعية الكثيرية؛ ليدخل في الإدارة أعضاء من قبيلته آل كثير؛ ليفوزوا بالأكثرية عند اجتماع الإدارة، وأزمع الشيخ بالوعل على ذلك، ثم أعلن لجميع الإرشاديين في العاصمة وفي خارجها ليجتمعوا في جاكرتا (بتافيا)، وأقبل الإرشاديون أفراداً وجماعات من العاصمة ومن خارجها، فشك البوليس الهولندي في هذا التجمع الذي لم يسبق له مثيل، فاتصلوا بنقيب العرب الشيخ عمر منقوش، يستفسرون منه الأمر حتى اطمأنوا، ولما رأى الشيخ بالوعل قدوم الإرشاديين أعلن تأجيل الاجتماع إلى أجل غير مسمى. ولكن وفود الإرشاد قررت إقامة الاجتماع كما نُشر في الصحف، وفعلاً اجتمعوا في دار الجمعية وأحضروا كاتب عدل ومحامياً، وتقرر في هذا الاجتماع فصل الرئيس الشيخ سالم بالوعل من الإدارة ومن الإرشاد، وتكونت إدارة جديدة للإرشاد من كبار الشخصيات وهم:

الشيخ غالب بن سعيد بن تبيع رئيساً

الشيخ محمد عبيد عبود كاتباً

الشيخ عبدالله بن عبدالقادر بن هرهرة أميناً للصندوق

الشيخ سالم عمر بالفاس مستشاراً

كان ذلك عام 1920م.

---

[1] السلوك ( 1/263 ) .

بذلك سلمت جمعية الإرشاد من المكيدة التي دبرها المرجفون والرجعيون ودعاة العنصرية ومن على شاكلتهم من الأغبياء والمخدوعين.

أما الشيخ بالوعل فقد اعتبر فصله من إدارة الإرشاد ومن عضويتها إهانة شنيعة؛ لذلك رفع دعوى ضد جمعية الإرشاد هي والأعضاء الجدد الذين أدخلهم في العضوية قبيل حضور الوفود، وذهب بهم إلى دار الجمعية فوجدها تحت حراسة البوليس، فعاد إلى منزله بزملائه الأعضاء، وهناك قرروا إبطال قرار الفصل وحل جمعية الإرشاد، ثم رفع دعوى ضد الإدارة الجديدة بأنها غير شرعية، ولكن أراد الله لجمعية الإرشاد أن تزدهر ويتألق نجمها في إندونيسيا، ثم أسدل الستار على الدعوتين إلى الأبد) [1].

## المبحث الثاني

## الإرهاب الفكري من أقوى أسلحة القبورية

**وفيه مطلبان:**

### المطلب الأول: تربية المجتمع على التسليم المطلق لأوليائهم وأقطابهم:

وهذه سمة أخرى من سمات الباطنية أن يربوا المجتمع بشكل عام على التسليم لهم وعدم معارضتهم، وأن المعارضة سبيل إلى الحرمان، وما أفلح من اعترض، والفوز والقبول في التسليم للقادة والأئمة والأولياء؛ وذلك أن علومهم الباطنة المزعومة لا يمكن إقامة الحجة عليها، فلا كتاب ولا سنة ولا إجماع ولا عقل يمكن أن يدل عليها، فما بقي إلا أن يسلّم السامع، وأن يلغي عقله حتى لا يحرم، وكذلك تصرفاتهم المخالفة للشرع والعقل لا يمكن تبريرها إلا بذلك، ولو ذهبتُ أبحث عن الأمثلة، وأحصرها لضاقت عنها مساحة هذا المطلب، ولكن أضرب أمثلة قليلة تدل على أمثالها وأشكالها:

**المثال الأول:** في كتاب " السعادة الأبدية في الأنفاس العلية الحبشية "التي ألقاها صاحبها (علي الحبشي) في مجالسه التي كان يعقدها؛ لتعليم الناس وإرشادهم؛ ولتدريس وتربية طلابه، وتلقاها وجمعها أحد طلابه وهو (محسن بن عبدالله بن الحبيب

---

[1] تاريخ الإرشاد في إندونيسيا ص( 22- 23 ) تأليف صلاح عبد القادر البكري ، الإدارة المركزية لجمعية الإرشاد الإسلامي، جاكرتا - إندونوسيا ط الأولى ( 1992 م ) .

الإمام محسن بن علوي السقاف)، وردت هذه الحكاية، قال: (وأورد الشيخ عبد العزيز الدباغ كلاماً في حسن الظن وكونه نافعاً، وإن لم يكن المعتقَد فيه متصفاً بذلك، فقال: كان رجل تاجراً وله مال كثير، فاشتاقت نفسه إلى ما مع الرجال أهل الكمال، وعزم أن يتجرد إلى الله، وينقطع إليه، وكان في البلد رجل مشهورٌ بالصلاح وتربية المريدين، وهو في الباطن على خلاف ذلك، فكان إذا رجع إلى خلوته يأتون إليه ناس من أصحابه على طريقته، فيلهون ويسكرون، فباع الرجل التاجر جميع ما معه وصيره نقداً، ثم سار إليه ومعه ذلك المال؛ ليتحكم له ويوصله إلى الله، فصادف وقت خلوته، فلما دق الباب أشرفت جارية، فقالت: من بالباب؟ فقال: عبدالعال، وكان واحد من أصحابه أهل الملاهي اسمه عبدالعال، فلما أخبرت الشيخ باسمه ظن أنه صاحبه، فقال لها: افتحي له الباب، فطلع الرجل، فوجد الجواري والشراب وآلات اللهو عنده، فما التفت إلى شيء قط بل جثا بين يدي الشيخ، فخجل لما رآه غير صاحبه، وهو يظهر الصلاح، فقال له: يا سيدي، أنا رجل أريد الطريق إلى الله، وأريد أن تسلّكني، وتدلني على الله، وهذا ما معي من المال، فلما وضعه بين يديه تقاصرا لخجل، فقال: إن الوظائف جميعها مشغولة إلا عمل في حديقة لنا بعيدة، خذ المكتل والمسحاة، وسر إليها، واشتغل فيها إلى أن يفتح الله عليك، فامتثل أمره، ولم يغـير حسن ظنه فيه مـا شاهده عنده، وحين وصل إلى الحديقة، ابتدأ في العمل، ومات أحد الأبدال في تلك الليلة، فاجتمعوا هم والقطب، فقالوا: من يصلح بدله؟ فقالوا: فلان، يعنون ذلك الرجل الذي في الحديقة؛ بسبب حسن ظنه، فدعوا منه، وقالوا له: خذ هيل بلا كيل، واتصل بربه، فاطلع على حالة شيخه، فقال:أنا قد أدركت مطلوبي، وهو يصطلح هو وربه) [1].

هذه هي التربية التي يربون بها أتباعهم، وينشئون عليها أجيالهم، فهل سيكون لدى خريج هذه المدارس أي غيرة أو نخوة تدفعه لإنكار منكراتهم، والاعتراض على أي شيء يقدمون عليه من أقوال أو أفعال مهــما بلغت في القبح والسوء؟! وليس هذا هو المثال الوحيد، ولكن الأمثلة على ذلك كثيرة جداً.

**المثال الثاني:** ما ذكره الشلي، وهو يتحدث عن كرامات الأولياء ووجوب التسليم لهم فيها، وإن ظهر منهم أي مخالفة، فإنهم لاشك أن لهم في الباطن ما يسوِّغ ذلك، قال: (وأنا أورد قصة، فيها أبلغ زجر وآكد ردع من الإنكار على أولياء الله تعالى وأتمّ حث على

---

[1] كنوز السعادة ص( 374 – 375 ) .

اعتقادهم والتأدب معهم وحسن الظن بهم ما أمكن، وهي ما حكاه إمام الشافعية في زمنه " أبو سعيد عبدالله بن أبي عصرون " قال: دخلت بغداد في طلب العلم، فرافقت ابن السقاء بالنظامية، وكنا نزور الصالحين، وكان ببغداد رجل يقال له الغوث يظهر إذا شاء، فقصدنا زيارته، ومعنا الشيخ عبدالقادر الجيلاني، وهو يومئذ شاب، فقال ابن السقاء: لأسأله مسالة لا يدري جوابها، وقلت: لأسأله مسألة، وأنظر ما يقول، وقال الشيخ عبدالقادر: معاذ الله أن أسأله شيئاً وأنا بين يديه أنتظر بركته، فدخلنا عليه، فلم نره إلا بعد ساعة، فنظر إلى ابن السقاء مغضَباً، وقال: ويحك يا ابن السقاء تسألني مسألة لا أدري جوابها، وهي كذا وجوابها كذا، إني لأرى نار الكفر تتلهب فيك، ثم نظر إليّ وقال: يا عبدالله تسألني؛ لتنظر ما أقول فيها وهي كذا وجوابها كذا، لتخران [1] عليك الدنيا إلى شحمة أذنيك بإساءة أدبك، ثم نظر إلى الشيخ عبدالقادر، وأدناه منه، وأكرمه، وقال له: يا عبد القادر، لقد أرضيت الله ورسوله بأدبك كأني أراك ببغداد، وقد صعدت الكرسي متكلماً على الملأ، وقلت: قدمي هذه على رقبة كل ولي، وكأني أرى الأولياء في وقتك، وقد حنوا رقابهم؛ إجلالاً لك، ثم غاب عنا، فلم نره بعد. قال: فأما الشيخ عبدالقادر فقد ظهرت أمارات قربه من الله، وأجمع عليه الخاص والعام، وقال: قدمي هذه على رقبة كل ولي، فأجابه في تلك الساعة أولياء الدنيا، قال جماعة: وأولياء الجن، وطأطأوا رؤوسهم وخضعوا إلا رجلاً بأصبهان فسُلِب حاله، وممن طأطأ رأسه أبو النجيب السهروردي، وأحمد الرفاعي، وأبو مدين، والشيخ عبدالرحيم القناوي، قال ابن أبي عصرون: وأما ابن السقاء فإنه اشتغل بالعلوم حتى فاق أهل زمانه، واشتهر بقطع من يناظره في جميع العلوم، وكان ذا لسان فصيح، وسمت مليح، فأدناه الخليفة، وبعثه رسولاً إلى ملك الروم، فأعجب به، وجمع له القسيسين، وناظرهم، فأفحمهم،وعظُم عند الملك، فأراد فتنته فتراءت له بنت الملك، فافتتن بها، فسأله أن يزوجها له،فقال: لا إلا أن تتنصر، فتنصر والعياذ بالله، وتزوجها، ثم مرض، فألقوه بالسوق يسأل القوت، فمر عليه من يعرفه، فقال له: ما هذا؟ فقال: فتنة حلّت بي بسببها ما ترى، فقال: هل تحفظ القرآن؟ قال: لا إلا قوله تعالى: ﴿ رُبَما يودُّ الذين كفروا لو كانوا مسلمين ﴾ [2]، ثم جاز عليه وهو في النزع، فقلبه إلى القبلة، فاستدار عنها، فعاد فاستدار عنها، فخرجت روحه لغير القبلة، وكان يذكر كلام

---

[1] كذا في الأصل.

[2] سورة الحجر ( 2 ) .

الغوث، ويعلم أنه أصيب بسببه. قال ابن أبي عصرون: وأما أنا فجئت إلى دمشق، فأحضرني السلطان نور الدين الشهيد، وأكرهني على ولاية الأوقاف، فوليتها، وأقبَلت علي الدنيا إقبالاً كثيراً، فقد صدق الغوث فينا كلنا انتهى.

فهذه الحكاية التي كادت تتواتر في المعنى بكثرة ناقليها وعدالتهم فيها أبلغ زجر عن الإنكار على أولياء الله تعالى خوفاً أن يقع المنكر فيما وقع فيه ابن السقاء نعوذ بالله من ذلك) [1].

قلت: هذه من خرافات القوم ولا يرهبنا وصفه لها بأنها كادت أن تتواتر، فأين أسانيده بذلك؟ ثم لو فرض تواترها، فلا تعدو أن تكون من أخبار الكهنة الذين يخبرون ببعض المغيبات،ويصدقون في بعضها؛ لأن الولي الحق ليس من شأنه أن يظهر متى شاء، ويختفي عن الأبصار متى شاء، وليس من شأنه أن يبشّر عبدالقادر بذلك العلو والاستكبار الذي يجعله يتحدى الأولياء ويقول: (قدمي على رقبة كل ولي)، ولكن الرجل قد بلغ بعض ما يريد من إقناع قرّائه بالتسليم للأولياء وعدم الاعتراض عليهم؛ لما يترتب على التسليم من الفوز والفلاح، وعلى الاعتراض من الطرد والحرمان.

**المثال الثالث:** ما نقله الشرجي عن أبي بكر بن أحمد بن دعسين في ترجمته أنه: (كان يقول: أقل درجات الإيمان أن تسلم للأولياء أحوالهم وأقوالهم وأفعالهم، فإن لم تعرف معناها،ولا اهتديت إليه، فاحمل جميع أمورهم على أحسن الأشياء وأعدلها، وما صح عنهم فسمع وطاعة وحب وكرامة) [2].

قلت: هذه أقل درجات الإيمان فما أعلاها يا ترى؟.

**المثال الرابع:** ما ذكره صاحب تذكير الناس، قال: (وقال سيدي أحمد: وقد أمدّ الله الوقت للشيخ عمر أبا مخرمة من بعد العصر إلى المغرب ثلاثين ألف سنة، فاستشكل بعضهم هذا، فقال له سيدي: أما في بالك حديث يوم القيامة طوله خمسون ألف سنة، وأنه يكون على المؤمن كأخف صلاة صلاها في الدنيا وهذا منه، فقيل له: وكيف صارت تلك المدة ليالي أو أياماً أو غير ذلك، فقال: هذا علم تصديق وإيمان، ما هو علم ها توه أشوفه) [3]. فقوله: (هذا علم تصديق وإيمان ما هو علم هاتوه أشوفه)، واضح جداً أنه ليس من علم الدليل والحجة التي يصح أن يطالب بها السامع، وإنما هو علم تصديق وإيمان لا اعتراض وانتقاد، وقوله: (هاتوه أشوفه) يعني أرني إياه حتى أنظر إليه.

---

[1] المشرع ( 1/167 ) .

[2] الطبقات ص(390 ) .

[3] تذكير الناس ص( 125 ).

**المثال الخامس:** من قواعدهم المسلّمة وكلماتهم الدارجة المنتشرة، قول عبدالله بن علوي الحداد:

**وسلِّم لأهل الله في كل مُشْكِلٍ لديك،لديهم واضحٌ بالأدلةِ** [1]

وقول الآخر:

**وإذا لم تر الهلال فسلِّم لأناسٍ رأوه بالأبصار**

هذه خمسة أمثلة تدل كلها على ما عنونا له في هذا المطلب، وهو تربية الأمة على الرضوخ والاستسلام وإلغاء العقول وتجاوز القواعد والأصول الشرعية؛ لأجل أن يمشي ما يريده القوم، ويسلم لهم ما يأتون من أقوال وأفعال دون حاجة إلى أدلة شرعية أو عقلية، وقد اقتصرتُ على هذه الأمثلة الخمسة مع وجود الكثير من الأمثلة في تراث صوفية اليمن، أما صوفية البلاد الأخرى فلا أخال قواعدها في هذا الموضوع خافية على المتابع لتواريخهم.

**<u>المطلب الثاني</u>: استخدام الخرافة [2] والشعوذة [3] والاستعانة بالجن لإرهاب المخالف:**

لقد سعى الصوفية والباطنية لترسيخ وتعميق القدرات الخارقة للأئمة والأولياء، حتى لقد بالغوا في ذلك، فوصفوهم بعلم الغيب وتصريف الكون والقدرة على إظهار الخوارق التي لم يُظهر مثلها الأنبياء، وأنهم قادرون على أن يتجزءوا بأجسادهم، وأن يكون الواحد منهم في عدة أماكن في آن واحد، وكل ذلك قد مر، حتى أصبح حكم الناس على صلاح الشخص هو إظهاره تلك الخوارق مع ادعاء الولاية، وعندما ترسَّخ ذلك في أذهان المجتمع، وتربى عليه، بادروا بافتراء الأكاذيب ورواية الخرافات عمن يريدون أن يسبغوا عليهم صفة الولاية حتى يقنعوا الناس بولايتهم، كما بادر طلاب الجاه والمناصب في الرياضات الموصلة إلى خرق العادات، وتعلموا أنواعاً من علوم السحر، حتى أتقنوا ذلك، وعملوا به، وعقدوا الصلح مع الجن؛ ليقوموا لهم بأعمالٍ خارقة يطلعونهم على مغيبات واقعة، ثم جعلوا ذلك كله سلاحاً يشهرونه في وجه كل من يخالفهم، وينكر عليهم، وهذه عدة أمثلة توضح ذلك وتثبته:

**المثال الأول**: ما ذكره الشلي في ترجمة محمد بن علي مولى الدويلة، قال: (وتواجد يوماً بحضرة عمه الشيخ الإمام عبدالله بن

---

[1] الدر المنظوم لذوي العقول والفهوم لعبدالله بن علوي الحداد ص(41 )،طبع مطبعة المدني بالقاهرة سنة (1388هـ - 1968 م)

[2] تقدم تعريف الخرافة في الباب الثاني ص ( 364 )

[3] الشعوذة : خفة في اليد وأخذ كالسحر ، يرى الشيء بغير ما عليه أصله في رأي العين ، وهو مُشعْوِذ ، ومشعوَذ . انظر:القاموس المحيط ص(427 ) .

علوي حتى غُشي عليه، ثم أقيمت الصلاة، فصلى معهم، فلما فرغوا، قال العارف بالله علي بن سلم لعمه عبدالله: صلى ابن أخيك بلا وضوء؛ لأنه زال عقله، فأخبره عمه بقول الفقيه علي بن سلم فقال: وعزة الحق إني توضأت، وشربت من الكوثر، ونفض لحيته، فتقاطر منها الماء، ثم قال:يا فقيه، نزل علينا شيء لو نزل على الجبال لدكت، ثم أنشأ يقول:

**الـحب حبي والحبيب حبيبي والسبق سبقي قـبل كــل مجيب**

**نوديت فأجبت المنادي مسرعاً وغطست في بحر الهوى وغدي بـي**

**لي تسعة وثلاثة مع تسعــة والعقد لي وحدي وعـلا نصـيبي**

**ما تعلموا أني المقدم في الـملا ليلة سرى باليثربي ســـرى بي)[1].**

فانظر إلى هذه الدعوى العريضة والتي برهانها أنه نفض لحيته، فتقاطر الماء منها، ولو كان ذلك الماء من ماء الكوثر، هل سيذهب هكذا هدراً ولا يعرف له ميزة عن غيره من المياه، ولا تظهر له رائحة، ولا يبقى في موضعه؟ إلى آخر ما يمكن أن يظهر من الدلائل، ثم أعجبُ لهذا الفقيه وسرعة تصديقه وتسليمه واقتناعه بما حكى هذا الرجل عن نفسه!.

**المثال الثاني:** ذكر الشلي في ترجمة الشيخ عمر المحضار أنه قال: (قال لابن أخيه الشيخ عبدالله العيدروس: أن رجلاً يغضب لغضبه جبار السماوات، وأشار إلى نفسه) [2]، ثم استدل الشلي على إثبات ذلك بقوله: (وكان إذا غضب على أحد أصابه الجذام وغيره من الأسقام بعد ثلاثة أيام، فقيل له: أما تخشى أن ينالك بهذا شيء؟ فقال: إني لم أدعُ على أحد، ولكني إذا غضبت على أحد، وقع في باطني نار لا تنطفئ إلا بعد ما يصيبه ذلك المرض، أو يتوب) [3]. هذه الحكاية الله أعلم بصحتها ولكن على فرض صحتها، فإنها رادع قوي لكل من يفكر أن يخالف هذا الشيخ، وربما كان ذلك من السحر إذ الصحيح أن الساحر قد يصيب المسحور بعوار واختلال في عقله أو في بدنه، والقصة بغضِّ النظر عن صحتها أو عدم صحتها فالغرض منها حاصل حين تُروى، ويتداولها الناس، فإنه يترتب عليها هيبة عظيمة من التعرض لإغضاب من يدّعي الولاية.

---

1 المشرع (1/200-201 ) .

2 المصدر السابق (2/242).

3 المصدر السابق ( 2/242-243 ) .

**المثال الثالث**: ما قدمناه في الباب الثاني في مطلب التصرف في الكون [1] عن " مرآة الجنان " [2] في قصة أحمد ابن أبي الجعد وسعيد بن عيسى العمودي، حيث ذكر أنه عندما أقام ابن أبي الجعد الشيخ سعيد؛ للإنصاف من نفسه، قال: (من أقامنا أقعدناه فقال الشيخ أحمد: ومن أقعدنا ابتليناه، فأصاب كل واحد منهما ما قال لصاحبه، وصار الشيخ أحمد مقعداً إلى أن لقي الله تعالى، وصار الشيخ سعيد مبتلىً في جسمه حتى لقي الله تعالى)، وهذه الحكاية تصب في نفس الغرض، وهو إرهاب الناس من التعرض للأولياء ومخالفتهم.

**المثال الرابع**: ما ذكره صاحب " تذكير الناس " عن أحمد بن حسن العطاس أنه ذكر حكاية طويلة منها أن عبدالرحمن بن مصطفى العيدروس دخل مصر، قال: (وحصلت بينه وبين أهل مصر مناظرة في الإمامة، وقال لهم: أنا أحق بها منكم؛ لِمَا اجتمعَ فيَّ من الشرف والعلم والتبرع، فقالوا له: لا نسلم لك إلا بدليل، فتوجه بحاله إلى القناديل التي في المسجد فابتلعها، فقالوا له: هذه ولاية، ومسلّمون لك فيها) [3].

والحكاية ظاهرة الدلالة على أن برهان الولاية هو هذه الخوارق التي لا يبعد أن تكون من السحر.

**المثال الخامس:** ما حكاه الشلي في ترجمة محمد بن علي مولى الدويلة، قال: (وأكثر أعماله قلبيات، وكان يخفي أعماله عن أصحابه حتى عن أهله، وربما اعترض عليه بعض من اتصف بالعلم وليس من أهله، حتى إن بعضهم قام يصلي، والسيد عنده نائم، فقال في نفسه: أنا ساجد وقائم وهذا مضطجع نائم، ويدّعون أنه قدوة للعالم. فلما سجد عجز عن رفع رأسه، فتاب عما وقع له في نفسه، فأمر صاحب الترجمة بعض من عنده بأن يرفع رأسه من السجود، ولما فرغ اعتذر إليه، وعاهده على أن لا يعود) [4].

فانظر إلى ما لقي هذا العالم من العقوبة والتأديب لقاء اعتراضه على هذا الولي، ثم كيف سلَّم له ولايته، وتاب من الاعتراض عليه.

**المثالان السادس والسابع**: ما تقدم [5] نقله عن " تاج الأعراس " في مطلب استخدام الجن حيث نقلنا هناك حكاية سالم العطاس

---

[1] انظر : ص( 235 ) .

[2] وانظر أيضاً : طبقات الخواص ص(73 ) .

[3] تذكير الناس ص( 129-130 ) . و انظر: تاج الأعراس ( 1/ 342-343 ) .

[4] المشرع ( 1/200) .

[5] انظر ما تقدم ص ( 351 ) .

الذي كان له جني، اسمه " مزنقب "، وكيف سلطه على تلك القبيلة التي أبت أن تستقبل الركب العطاسي حسب تعبير المؤلف: (فصرخ بهم مزنقب صرخات، روّع بها نساء القبيلة وأطفالها؛ مما اضطر رجال القبيلة إلى الرضوخ لآل العطاس واسترضائهم والاعتذار إليهم وضيافتهم).

وحكايته مع شريف مكة وكيف فجّر"مزنقب" الماء في مجلس الشريف مما اضطره للتسليم له كذلك.

## المبحث الثالث
## استخـدام القـوة في محاربة الخصـم
## وفيه أربعة مطالب:
### المطلب الأول: اللجـوء إلى السلطان:
اللجوء إلى السلطان شأن المبتدعة والباطنية في كل زمانٍ ومكان؛ لفقدهم الدليل المقنع، فيلجَئون إليه، يداهنونه، ويطْرُونه، ليدافع عنهم وعن باطلهم، ويدفع خطر خصومهم

**لا يفزعون إلى الدليل وإنما في العجز مفزعهم إلى السلطان**

ويقول العلامة الحسين بن عبدالرحمن الأهدل في كلامه عن الصوفية: (فإن عادة هذه الطائفة أعني "ابن عربي "وأتباعه التحبب إلى الدولة وإيراد أحاديث وروايات في فضائلهم، حتى يجعلوا السلطان الجائر من الأبدال [1] والعادل هو القطب، وربما ألقوا في سمعه أن له درجة التحكيم والتفويض فيما فعله بلا حرج؛ ولذلك لم يكد يتبع [2] إنكار العلماء من قديم الزمان وهذا من مكرهم، قاتلهم الله) [3]، وكلام الأهدل هذا هو الذي استفاض، بل تواتر معناه، وهناك مواقف كثيرة جداً للصوفية في التزلف إلى السلاطين والتمكين لأنفسهم لديهم منذ نشأة الصوفية إلى اليوم، والذي يعنينا هم صوفية اليمن وقبوريتها، فإليك بعض تلك المواقف: من ذلك تبشيرهم بالـمُلك أو بخلوده في أعقابهم، ومنه ما ذكره الخزرجي في "العسجد " في ابتداء أمر الدولة الرسولية، قال: (قال صاحب السيرة المظفرية: أخبرني الشيخ الصالح سليمان بن منصور بن حزينة قال: لما وصل الملك المسعود [4]، وعبر طريق خبت القحرية، وكان على قارعة الطريق شيخان من مشايخ الصوفية الصالحين، يسمى أحدها المغيث، والآخر الهدس، فقال أحدهما للآخر: هل ترى ما أرى؟ فقال له: وأي شيء تراه؟ قال: أرى شخصاً إن سار سار العسكر جميعه. فقالوا: لعله الملك المسعود فقال: لا، بل هو الملك المنصور عمر بن علي بن رسول، والملك في عقبه إلى آخر الدهر) [5].

---

1 في الأصل ( الأنذال ) وهو غلط واضح وقد صححه كذلك عبدالله الحبشي عند نقله في الصوفية والفقهاء ( 74 ) .

2 كذا هو يتبع ، وهو محتمل ، ومحتمل أن يكون ( ينفع ) هو الصحيح

3 كشف الغطاء ص( 218 ) .

4 آخر ملوك الأيوبيين في اليمن .

5 العسجد ص( 192 ) .

ومن ذلك بشارة صاحبَي عواجة محمد بن أبي بكر الحكمي ومحمد بن حسن البجلي مؤسس الدولة الرسولية عمر بن علي بن رسول المذكور سابقاً بانتقال الملك إليه وتقوية عزمه عليه.
قال الأستاذ عبدالله الحبشي تحت عنوان " تاريخ الصوفية في عهد بني رسول ": (ولعل بداية تاريخ الصوفية مع الرسوليين يبتدئ ببداية هذه الدول، بل قبل البداية بسنوات عدة، فالمؤرخون يذكرون تلك الصداقة الوطيدة بين مؤسس الدولة الرسولية الملك المنصور عمر بن علي بن رسول.- حكمه من 629 – 647هـ - وبين الفقيه الصوفي محمد بن أبي بكر الحكمي سنة 617هـ وصاحبه الصوفي محمد بن حسين البجلي المتوفى سنة 621 هـ وهما من كبار الصوفية في اليمن. ويقال أنهما اللذان قويّا عزمه في الاستيلاء على الحكم بعد مشاهدتهما تضعضع الدولة الأيوبية وتنافس أمرائها فيما بينهم على الحكم. ونحن إذا أدركنا أن موت الحكمي كان قبل قيام الرسولي بالحكم بنحو عشر سنوات، ندرك مدى العلاقة التامة بين الصوفية ودولة بني رسول، ولندع الباحث المعاصر الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي، يشرح هذه المسألة، فيقول:(عرف ذلك الشاب المتطلع لملك اليمن عمر بن علي الرسولي وهما قد تنبآ له بالملك ما يمكن لطموحه المتطلع من الاستفادة من نفوذهما الروحي، فأخذ في تقديرهما، وكانا عند قدوم مساح الأرض الزراعية لتقدير الخراج علـى المزارع، يكتبان أغلب أراضي أهل جهاتهما، فلما جاء دور الفقيهين لمسح أراضيهما وأخذ الضرائب عنهما، عفا عنهما الأمير عمر بن علي الرسولي وقد بلغ ذلك نحو خمسة عشرة ألف دينار، وأدركا بلا شك مطمعه البعيد، فأخذا يروجان مقالتهما السابقة بملك اليمن له ويشيعان ذلك سراً، ثم يذيعانه مقدماً؛ لتهيئة النفوس والعقول لوثبته، وشاعت كلمتهما، فتقبلها الناس بالترقب) [1].
إذاً فالدولة الرسولية، تدين للصوفية بوجودها بعد أن مهدوا لها عند الناس، وأصبحت مما ينتظر وقوعه. ولا أحتاج إلى تعليق على ما قرره الأستاذان الحبشي والعقيلي.
ومن تلك البشارات بشارة الصوفي إبراهيم بن الحسن بن أبي بكر الشيباني للملك المظفر، قال الشرجي في ترجمته: (وكانت له كرامات ظاهرة، من ذلك أنه زاره الملك المظفر في أيام والده الملك المنصور ابن رسول، ولازمه في الملك بعد أبيه، فضرب الفقيه بيده على كتف المظفر، وقال له: الـمُلك لك ولذريتك لا

---

[1] التصوف في تهامة ص (119) ، الصوفية والفقهاء ص (45-46).

أسد الدين ولا فخر الدين، يعني بني عمه. وكان المظفر يخاف أن ينازعوه في الملك بعد أبيه،فكان كما قال: تولى الملك المظفر وذريته من بعده وبطل أسد الدين وفخر الدين، فلما صار الملك إلى الملك المظفر، سامح الفقيه في خراج أرضه وأراضي أهله، ولم يزالوا على الجلالة والاحترام مدة المظفر وبعده) [1].

ومن تلك البشارات بشارة إسماعيل الجبرتي للملك الأشرف بانهزام جند قصدوه، فكان كما قال الشوكاني: (وصارت له عنده منزلة وكلمة لا ترد) [2]. ذلك بعض ما لدى صوفية تهامة، ولدى صوفية حضرموت ما يشابهه، أو يزيد عليه، من ذلك ما ذكره صاحب " تاريخ الدولة الكثيرية " في ترجمة بدر أبي طويرق تحت عنوان " نسبه واهتمام العلويين به " قال: (تصدّى جماعة من السادة العلويين في أوائل ظهوره للبحث والتنقيب عن سلسلة نسبه، ثم أسفرت نتائج بحوثهم عما يأتي:

هو بدر بن عبدالله بن جعفر بن عبدالله بن علي بن عمر بن جعفر بن بدر بن محمد بن علي بن عمر ابن كثير بن ظنة بن عبدالله بن حرام بن عمر بن سبأ الأكبر، ثم ينتهي النسب إلى يشجب بن يعرب ابن قحطان بن هود .

هكذا جاء في دشتة العلامة زين العابدين بن عبدالله بن شيخ العيدروس العلوي، قال: ولما أن تحققوا صحة هذه النسبة ذهب سبعة منهم إلى ضريح النبي هود على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام، واعتكفوا هناك متضرعين إلى الله سبحانه، أن يقيض هذا السلطان؛ لحفظ القطر كله. قال وظهرت آثار الإجابة في السنة نفسها، إذ طرق بدر جميع الجهة الحضرمية، واستولى عليها من عين با معبد غرباً إلى ظفار شرقاً، وذلت له رقاب أهلها في بضعة شهور، ولم يبق بها إلا مواضع حقيرة، استكملها فيما بعد، كما سيأتي) [3]. فالقوم عندما لاحظوا أمارات النجاح وعوامل النصر واستعداد هذا السلطان، لتكوين سلطنة قوية واسعة ذات نفوذ، أحبوا أن يكون لهم عنده يد، فمثلوا هذه الرواية، وأحكموا فصولها، وأقنعوا بها السلطان، وكسبوا وده.

وقريباً من ذلك فعل بعضهم مع منصب آل عمودي الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبو ست، قال علوي بن طاهر الحداد، وهو يتكلم عن نسب آل العمودي الذي أثبته محمد بن ياسين باقيس إلى أبي بكر الصديق في كتاب له باسم " النبذة ": (وفي هذه النبذة

---

[1] الطبقات ص(47 -48).
[2] البدر الطالع ( 1/139 ) وسيأتي كلام الشوكاني كاملاً في هذا المطلب .
[3] تاريخ الدولة الكثيرية ص( 36 ) .

التصريح بنسبهم على ما يقوله السادة الأشراف العلويون وهو مخالف، لما يقوله المؤرخون، وسيأتي بسط القولين ومستندهما في بابه قال: قال: " أي الحبيب عبدالله الحداد " فزرنا الشيخ العارف بالله معروف باجمال مؤذن بضرفون [1] ومن في تربته،وطلعنا بضة، واجتمعنا فيها بكثير من أهل الفضل من آل العمودي وغيرهم. منهم السيد عمر باعقيل باعلوي وزوجته الصالحة بنينة ومن آل العمودي الشيخ عبدالقادر والشيخ مطهر والشيخ عبدالرحمن والشيخ سعيد أولاد الشيخ الكبير الشهير عبدالله بن عبدالرحمن بوست، وهو والي منصب آل العمودي أعني الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن، وسمي بوست؛ لأن له في كل يد ست أصابع لأنه شبيه، بعبد الله بن عبدالرحمن ابن سيدنا أبي بكر الصديق ؛ لأنه جدهم، وينسبون إليه على ما ذكره بعض سادتنا آل أبي علوي، نفع الله بهم في بعض مكاشفاته، ولا تكون إلا حقيقة؛ لأن الكشف الصادق إخبار عن عين اليقين وهو، حق وصدق، وقد أمر  بالأخذ بأقوال الصالحين في الأثر المروي عنه ، وهذا منه) [2]، ثم قال: وأما ما ذكره الشيخ محمد بن ياسين عن الحبيب عبدالله الحداد عند ذكر الشيخ عبدالرحمن ابن عبدالله أبو ست وانتساب آل العمودي إلى أبي بكر الصديق، وقوله: " على ما ذكره بعض سادتنا آل أبي علوي، نفع الله بهم " فمراده بالبعض المذكور السيد الشريف أستاذ الفقهاء والمتكلمين، وإمام الزهاد الورعين أحد الأولياء المعتقدين عبدالرحمن بن علي بن أبي بكر السكران بن عبدالرحمن السقاف، له كتاب فيه الوقائع التي وقعت له في اليقظة والمنام وما بينهما، وهي إطلاعات روحية، تتمثل لهم فيها المعاني والأرواح، ذكر أنه اجتمع بروح الشيخ الكبير سعيد بن عيسى، وسأله عن نسبه، فذكرله سلسلة نسبه إلى أبي بكر الصديق ، والقصة أطول مما ذكرنا، وقد رأيناها بقلم بعض أشياخ آل العمودي) [3]، ثم قال:(وقد نقل الشيخ عبدالرحمن بن عثمان - الآنف الذكر - تلك الواقعة،وكتبها في مصحفه، ومنه نقلتها، وهي: وذكر الشريف عبدالرحمن بن علي: أن عبدالله بن عبدالرحمن بن الإمام أبي بكر الصديق كان له ست أصابع، السادسة على صورة الإبهام تليها. وكان ذا فراسة وفهم في الأمور. كان إذا دخل البلد، لا يستطيع أحد من أهل البلد، أن يكذب خشية أن يعرفه، ويسمع كذبه بفراسته. وكان يقول له والده عبدالرحمن: سيخرج من

---

[1] موقع بالقرب بضة بوادي دوعن .
[2] الشامل ص( 163 ) .
[3] المصدر السابق ص( 165 – 166 ) .

صلبك ولدٌ اسمه كاسمك، وصورته كصورتك، والله إني أنظر إلى أصبعه الزائدة تتحرك عند حركتك،وتكون له فراسة كفراستك، وفهم كفهمك ووالله لولا أنه في غرة كل موجود ليس كمثله شيء، لقلت أنك هو، وهو أنت. وكان الشيخ محمد بن عمر باعفيف يقول لشيخه الشيخ عبدالرحمن: يا سيدي، أهو قد ظهر؟ فيقول. لا، إلا أنه قريب الظهور انتهى. والحبيب السيد الشريف عبدالرحمن بن علي المنسوب إليه هذه الواقعة الكشفية الروحية ولد سنة(850)، وتوفي سنة (923 هـ). وقد تحققتْ بولادة الموعود به الشيخ المعمر عبدالله بن عبدالرحمن المذكور في أواخر القرن العاشر، وتوفي سنة (1072 هـ)، وكان له في كل يد ست أصابع، الزائدة على صورة الإبهام تليها. وهذه الحكاية من أغرب ما يروي) [1]،وقد كان عبدالرحمن أبوست العمودي حاكماً على منطقة دوعن مدة طويلة.

وهذه النماذج وغيرها كثيرة كافية للدلالة على منهج القوم في استرضاء السلاطين والحكام؛ لكسب تأييدهم، وضمان وقوفهم معهم ضد مخالفيهم، ولم ينتهِ هذا المنهج أو يتغير، فصوفية اليوم هم صوفية الأمس، وإن ما حدث أيام حرب الانفصال - ربيع الأول 1415 هـ من صوفية حضرموت لكافٍ في الدلالة على ذلك. فقد وقفوا مع الانفصاليين بكل ما أوتوا من قوة، وقد تبارى خطباؤهم في تأييد حركة الانفصال، وأصدروا البيانات المؤيدة لها، وأفتوا بأن القتال في صفوف الاشتراكيين جهاد في سبيل الله؛ لأنه دفاع عن الأنفس والأعراض والأموال إلى غير ذلك من المواقف، بل إن بعض من يكتب اليوم في التنظير للصوفية والدفاع عنها قد قَبِل أن يكون وزيراً للأوقاف في حكومة الاشتراكيين الانفصاليين، ولكن سرعان ما تغيرت المواقف، وتبدل الولاء، وتناقضت الخطب والبيانات بمجرد انتصار القوات (الحكومية) وأصبحوا يتظاهرون بتأييدها، وأنهم كانوا مؤيدين لها طيلة المحنة التي مرت بها البلاد، ولا أدري كيف يثق الحكام بمن هذه مبادؤهم ومواقفهم؟! أم أنها مناورات من الطرفين على حد قول الأول: (كلانا عالـمٌ بالترهات).

وإليك أخي القارئ الكريم بعض المواقف التي استعان فيها الصوفية بالحكام ضد مخالفيهم:

**الموقف الأول:** ما ذكره الخزرجي في ترجمة الفقيه حسين بن أبي بكر السودي، قال: (وكان فقيهاً صالحاً فاضلاً مشهوراً بالفقه والصلاح، وشهدت له كرامات كثيرة، وكان معظماً عند الناس،

[1] المصدر السابق ص( 166 ) .

ولكن بلغ الملوك عنه أنه يتصل بإمام الزيدية في عصره، وهو محمد بن مطهر، فكرهوه، وهموا بأذيته، فكان لا يستقر في موضع ينالونه فيه، وكان ينكر على الفقراء الرقص والسماع؛ فلذلك أجمع الفقراء والفقهاء عليه، ولم يزل حذراً من السلطان حتى توفي في السنة المذكورة سنة "704هـ ") [1].

**الموقف الثاني**:ذكره شيخ الإسلام الشوكاني - رحمه الله - في ترجمة إسماعيل الجبرتي، قال: (وكان أول ظهور أمره أنه بشر السلطان الأشرف بانهزام جند قصدوه، وكان الأمر كذلك. وصارت له بذلك عنده منزلة وكلمة لا ترد، وكان منزله ملجأ لأهل العبادة ولأهل البطالة وأهل الحاجات، فأهل العبادة يحضرون للذكر والصلاة، وأهل البطالة للسماع واللهو، وأهل الحاجات لوجاهته، فأنه تتلمذ له أحمد بن الرداد، ومحمد المزجاجي، فجالسا السلطان، وكان مغرى بالسماع والرقص داعياً إلى نحلة ابن عربي حتى صار من لا يحصل نسخة من الفصوص، تنقص منزلته عنده، واشتد البلاء على العلماء الصادعين بالحق، بسببه وفيه يقول بعض الأدباء، وكان منحرفاً عنه ومعتقداً لصلاح صالح المصري:

**صالح المصري قالوا: صالح ولعمري إنه للمنتخب**
**كان ظني أنه من فتية كلهم إن تمتحنهم تختلب**
**رهط إسماعيل قطاع الطريق إلى الله وأرباب الريب**
**سفل حمقى رعاع غاغة أكلب فيهم على الدنيا كلب**

وقد كان قام صالح المصري هذا على صاحب الترجمة، فتعصبوا له حتى نفوه إلى الهند، ثم كان الفقيه أحمد الناشري عالم زبيد يقوم عليه وعلى أصحابه، ولا يستطيع أن يغيرهم عما هم فيه؛ لميل السلطان إليه) [2]. فانظر كيف استُغِلَّ نفوذ هذا الصوفي على السلطان إلى هذه الدرجة من الظلم والاضطهاد للخصوم، وهناك مواقف كثيرة سيجدها المتتبع لو بحث عنها.

ولصوفية حضرموت مواقف تندرج في نفس هذا المسلك الدنيء، وتسير على ذات المنهج الرديء، وكان أبرزها في أثناء الصراع الذي نشب في إندونيسيا بين العلويين والإرشاديين:

فمن ذلك سعيهم لدى حكومة بريطانيا وإقناع قنصلها في العاصمة الإندونيسية بتافيا (جاكرتا) بأن الإرشاد، تعمل ضد السياسة البريطانية، قال صلاح البكري: (وقد تأثر القنصل لجهله حقيقة

---

[1] العقود اللؤلؤية (1/302 ) .

[2] البدر الطالع (1/139 – 140 ) وقد ذكر طرفاً من قصة صالح المصري الخزرجي في العقود اللؤلؤية ( 2/225 ) في حوادث سنة ( 797هـ ) ، وعبد الله الحبشي في الصوفية والفقهاء ص( 118 ) .

الإرشاد، فأرسل إلى الحكومتين القعيطية والكثيرية؛ ليأخذوا حذرهم من كل إرشادي يدخل حضرموت، ويرسل المسؤولون في الحكومتين منشوراً على كافة الحضارم بإندونيسيا) [1]. ثم ذكر نص البلاغ الذي يتهدد ويتوعد كل من بقي في جماعة الإرشاد، ويصفه بأنه عدو لوطنه ولمواطنيه عاقاً لهم مخالفاً لجماعتهم في كل مقوماتهم ساعياً في تسميم عقولهم وأفكارهم [2]، ولم يقف الأمر عند ذلك، بل تحول إلى اضطهاد حقيقي للإرشاديين في بلدهم الأصلي حضرموت، قال البكري: (لم يكتف آل باعلوي وغيرهم من المعارضين لثورة الإرشاد الدينية الحرة عند هذا الحد، فاتجهوا بوشاياتهم إلى حضرموت، واستطاعوا أن يؤثروا على السيد حسين بن حامد المحضار وزير الحكومة القعيطية بمدينة المكلا. فقد كان هذا الوزير يتلقى الرسالة تلو الرسالة من قريبه السيد محمد المحضار ببندووسو بجاوه، يحرضه على عرقلة كل إرشادي يأتي من إندونيسيا إلى وطنه بحضرموت. وقد تأثر الوزير بتلك الرسائل إلى حد كبير، فأخذ يضطهد كل إرشادي قادم إلى حضرموت، وأسهم في ذلك والي دوعن عمر بن أحمد باصرة، أسهم في التعذيب؛ إرضاء لوزير الحكومة القعيطية) [3].

ولم يكتفوا بالتنكيل بالمنتمين إلى جمعية الإرشاد فحسب، بل تعدى الضرر والاضطهاد إلى أسرهم وأقربائهم للضغط عليهم وحملهم على إخراج أقاربهم من جمعية الإرشاد، وقد شرح ذلك الأستاذ البكري، وأوضح أن نائب السلطنة بدوعن، تولى ذلك، وأورد على ذلك دليلاً هو رسالة من أحد أقرباء عضو من أعضاء الإرشاد. هذا نصها:

(الحمد لله وحده، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

إلى جناب الأكرم المكرم المحترم العزيز الأخ سالم بن أحمد با مصفّر سلمه الله تعالى آمين. وعليه مني السلام وأزكى التحية والإكرام ورحمة الله وبركاته على الدوام. صدر المرقوم من قيدون، والعلم خير ولطف وعافية، نرجو الله الكريم أنك وكافة المعارف بخير وعافية.

قد سبقت إليك جملة كتب وفيها من الحقائق كفاية، وعرفناك أن نحن بغيناك تخرج من هذه الجمعية "جمعية الإرشاد"؛ الله الله لحيث المشقة ضاوية علينا، وقد وصّالنا المقدم، وبتينا إلى عنده، وأعطى لنا مهلة لما شهر شعبان، من خرج من هذه الجمعية يخبر

---

[1] تاريخ الإرشاد ص( 79 ) .
[2] المصدر السابق ص( 81 ) .
[3] المصدر السابق ص( 84 ) .

الحبيب محمد بن أحمد المحضار ولعاد عليه شيء، ومن لا خرج بايوصي المقدم لأهله،وأنت بُصْرك. الله الله في الجواب مطلوب وأما فينا فما تحتاج إلى وصاه والسلام.
حرر في 12 ربيع الثاني سنة: 1338 هـ
طالب الدعاء
محمـد بن أحمــد بامصفـر)[1]

ولم يكتف العلويون بذلك، بل ذهبوا إلى أبعد منه حيث وشوا إلى شريف مكة، وحذروه هؤلاء الإرشاديين، ووصفوهم له بأنهم نواصب، يبغضون آل البيت، ولديهم أفكار سامة، يريدون منعهم من الحج والعمرة ودخول أراضي الحجاز؛ حرصاً على سلامة أهله وسائر الحجاج من انتقال عدوى هذه الأفكار إليهم؛ ومنعاً من أن يلتقي هؤلاء الخوارج بإخوانهم الذين على شاكلتهم، يعنون أتباع الدعوة النجدية، وقد أورد البكري نص الرسالة المتضمنة لذلك[2].

هذه بعض الأدلة على لجوء القبوريين إلى السلطان أياً كان هذا السلطان مسلماً أو كافراً، مادام أن الالتجاء إليه سيحقق لهم غرضاً.

وقد لفت نظري سقاف بن علي الكاف في مؤلفه " حضرموت عبر أربعة عشر قرناً ". حين أرخ لهذه الحوادث، وقد حاول أن يضبط نفسه، وأن يقاوم مشاعره، فلم يتحامل تحاملاً ظاهراً على أصحاب الإرشاد، ولكنه أورد رسالتهم إلى وزارة الخارجية البريطانية ليومئ إلى القارئ أن هؤلاء القوم حملهم بغضهم لخصومهم وهواهم المتبع على أن يلجئوا إلى العدو الكافر، ويستعينوا به على خصومهم وقد نسي أن أصحابه قد فعلوا أكبر من ذلك وأكثر وليس فقط مع بريطانيا، بل مع بريطانيا وهولندا وغيرهما من دول المسلمين والكفار وأن بريطانيا استجابت لطلب العلويين وجارتهم على رغبتهم، وضايقت الإرشاديين في بعض مستعمراتها[3].

***__المطلب الثاني:__ اللجوء إلى القبائل وحملها على إخضاع خصومهم:***

---

[1] تاريخ الإرشاد ص(121).
[2] المصدر السابق ص(82-83) .
[3] قد يقول قائل : وأنت فعلت نفس الشيء ، فذكرت ما صدر عن العلويين ، ولم تذكر ما صدر عن الإرشاديين . قلت : لا سواء ، فالكاف مؤرخ لحضرموت ومن المفترض أن يكون عادلاً منصفاً لكل أهل حضرموت ، وأما أنا فقد حددت منهجي وهو الكلام عن الصوفية فقط ناقداً وكاشفاً عن حقيقتها ، ولست مجرد مؤرخ ناقل للأحداث .

تقدم بيان ما وصلت إليه الصوفية القبورية من سلطة ونفوذ على القبائل، والإشارة إلى أنها تستخدم ذلك النفوذ ضد كل من يخالفها، وتسخرها؛لتهديد وأذية خصومها، وقبل أن نذكر تسخير الصوفية للقبائل في ضرب الخصوم الأباعد، نذكر قصة طريفة تؤدي الغرض، وتظهر مدى استخدامهم لذلك النفوذ والزج بالقبائل في فتن لا ناقة لهم فيها ولا جمل، قال محمد بن هاشم تحت عنوان" قضية التابوت ": (الذي يظهر أن نفسيات السراة والزعماء من السادة وغيرهم من أهل ذلك القرن قاسية متصلبة، لا تعرف المرونة، ولا تجنح إلى المجاملة. وربما تغلّب على القوم التعسف الأناني، والتعصب الأعمى الذي تنكره العقول، وتمجه الأذواق، وتقف الطباع السليمة حسرى دون شأوه. وقضية التابوت يستنتج منها ما ذكرناه، ويعلم منها مبلغ التخبط السياسي الذي تعانيه حضرموت في ذلك العهد وإليك ما قالوه عنها، قالوا: "وفي سنة 1161هـ كانت واقعة التابوت الذي أرسله الشيخ العمودي لضريح الحداد، وهو شبيه التابوت الذي على قبر المحضار ". فاختلف رأي السادة فبعضهم رضي ذلك كالحبيب أحمد بن علي ابن الشيخ أبى بكر بن سالم ومنهم من لم يرض كالسادة آل العيدروس، وكذلك اختلف رأي القبائل على هذا حتى وقعت الحرب على وضعه.
وأصابت رصاصة رأس السيد صالح بن علي بن أحمد ونفذوا به إلى عينات حيث قضى نحبه. وبقي التابوت موضوعاً في بعض الديار بأمر من يافع أشهرهم أحمد غرامة البعسي، وصمم الحبيب أحمد بن علي على وضعه على الضريح فجاء الرتبة من يافع ووضع بحضورهم قيل على رضى من آل همام ممزوج بخداع.
وبعد وضعه قام السادة آل العيدروس وعظم عليهم الأمر واستنجدوا بالشنافر وساروا على أحيائهم فصار بعد ذلك ما صار من حريق التوابيت كلها التي على القبور. ثم تراجع الناس واجتمع الرأي على إرجاع التوابيت فأعيدت على حالها وأصلحن بأعواد هندية مصهرة) [1].
ومما يظهر نفوذ أولئك الصوفية وتسخيرهم للقبائل ما قاموا به إزاء الحملة النجدية على حضرموت، والتي استهدفت وادي حضرموت من المشهد جنوباً غرباً إلى عينات في الشمال الشرقي، أو إلى قبر هود شرق عينات، فبعد الكر والفر والأخذ والعطاء، وحينما همَّ النجديون بدخول وادي عمد والذي أول مُدنهِ

[1] تاريخ الدولة الكثيرية ص( 115-116 ) . وانظر : جواهر تاريخ الأحقاف (ج 2/218-219)..تأليف العلامة محمد بن علي بن عوض باحنان,طبع مكتبة الفجالة الجديدة ، القاهرة (1382هـ-1963م).

مدينة حريضة، جمع آل العطاس قبائل تلك المنطقة وكونوا منهم جيشاً كبيراً تصدى للنجديين وكسروهم وذلك عندما بدأ الضعف يَدبُّ فيهم بسبب هجوم محمد علي باشا على عاصمتهم الدرعية وقد فصل ذلك صاحب تاج الأعراس في عدة مواضع [1]، ومما قال وهو يتحدث عن القائد العام لجيش حضرموت علي ابن جعفر العطاس:(ومما أكرمه الله به من دقة النظر، فمن فطانته ودقة سياسته أنه جعل على كل قبيلة من تعتقده وتحترمه من السادة المتقدم ذكرهم زيادة على غيره) [2]، وكانت القبائل التي جمعها آل العطاس وقادوها بأنفسهم قبائل الجعدة قال: (ومما يجدر بالذكر هنا أن المقدم عمر بن علي باصليب المشجري لما بلغه الخبر بهجوم الوهابيين على بلد حريضة جاء إليها في ثلاثمائة رامي من قومه آل باصليب سكان حالة باصليب والمعقل بوادي عمد منجداً للسادة آل العطاس وقبائل الجعدة ففرحوا بهم ومنهم وشكر الحبيب علي بن جعفر المقدم باصليب وقومه.. الخ) [3].

وهذا نموذج آخر من استخدام القبائل للحفاظ على مصالح آل باعلوي وإلا فالجيش النجدي ما كان يريد إلا أن يطهر البلاد من أدران القبورية، وأن يصلح ما أفسده الصوفية والقبورية من عقائد الناس، وصاحب المصلحة الحقيقية في ردعه وصده هم القبوريون أما سائر الأمة فكان من صالحهم أن ينتصر وأن يزيل مظاهر القبورية التي أفسدت عقائد الناس وأن يعلموهم دينهم كما حصل في المناطق التي استولوا عليها في كثير من أرجاء الجزيرة العربية كما قرر ذلك شيخ الإسلام الشوكاني في ترجمة "الشريف غالب بن مساعد "من البدر الطالع قال وهو يتكلم عن حروبه مع صاحب نجد " عبدالعزيز بن سعود ": (فإن صاحب نجد تبلغ عنه قوة عظيمة لا يقوم لمثلها صاحب الترجمة. فقد سمعنا أنه قد استولى على بلاد الحسا والقطيف وبلاد الدواسر وغالب بلاد الحجاز. ومن دخل تحت حوزته أقام الصلاة والزكاة والصيام وسائر شعائر الإسلام، ودخل في طاعته من عرب الشام الساكنين ما بين الحجاز وصعده غالبهم إما رغبة وإما رهبة، وصاروا مقيمين لفرائض الدين بعد أن كانوا لا يعرفون من الإسلام شيئاً ولا يقومون بشيء من واجباته إلا مجرد التكلم بلفظ الشهادتين على ما في لفظهم بها من عوج. وبالجملة فكانوا جاهلية جهلاء كما تواترت بذلك الأخبار إلينا، ثم صاروا الآن يصلون الصلوات لأوقاتها،

---

1 انظر: ( 1/ 174 ) و ( 1/ 230 – 231 ) و ( 1/ 234 )
2 تاج الأعراس ص(233-234).
3 المصدر السابق (1/ 234 ) .

ويأتون بسائر الأركان الإسلامية على أبلغ صفاتها، ولكنهم يرون أن من لم يكن داخلاً تحت دولة صاحب نجد وممتثلاً لأوامره خارج عن الإسلام) [1].

وقد أكد ما قلت عن الجيش النجدي العلامة ابن عبيد الله في مادة المحيضرة من "إدام القوت " حيث قال: (ولم يفسد حرثاً ولا أهلك نسلاً، وإنما هدم القباب، وسوى القبور المشرفة، وألقى القبض على المناصب وأهانهم، وأتلف قليلاً من الكتب، كثره بعض العلويين، كصاحبنا الفاضل السيد علوي ابن سهل بدون مبرر من الدليل) [2].مع أن أهل حضرموت في تلك الفترة بأمس الحاجة إلى من يعلمهم أمر دينهم ويبصرهم بما هم عليه من أخطاء في العقائد والأعمال. فكان قيام تلك القبائل تضحية بمصالحها الحقيقية للحفاظ على مصالح سادتهم، ولما لم يكن هناك مقاومة تذكر من علماء حضرموت تستحق التصدي القوي لها باستخدام القبائل لم أر شيئاً واضحاً في ذلك إلا في الصراع العلوي الإرشادي، فقد حاول آل باعلوي أن يستفيدوا من نفوذهم الروحي على قبائل يافع، فكاتبوهم يحرضونهم على مواجهة الإرشاديين وقمعهم ولكن الأحوال قد تغيرت، والعقول قد تفتحت، والعقائد التي كانوا يعتقدونها فيهم قد ظهر زيفها، فلم يسعفوهم ولم يستجيبوا لمطالبهم، بل سخروا بها وإليك بعض رسائلهم إلى قبائل يافع لذلك الغرض:

**الرسالة الأولى:** من محمد بن أحمد المحضار إلى علي بن حسن بن نقيب اليافعي قال فيها: (الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله مهدي السلام الخاص من الشيخ المكرم والمحب المحترم علي بن حسن ابن نقيب وعلى من بقي له اتصال بالحبيب والشيخ مولى الكثيب [3] وأما من خرج عن دائرة أهل البيت فيأكله الكلب أو الذئب، وماله في الأمر من نصيب وكتاب الشيخ علي وصل وفرحنا به وزواج الأولاد صالح وصالح مبارك وقدوم إلى خير وبودنا أن نرسل واحداً من الأولاد ولكنهم معذورون وبالنية حاضرون، والسلام وسلموا على الخال طالب عوض وسمعنا بعزمه إلى الحج والزيارة وربح التجارة وفرحنا له،

---

[1] البدر الطالع (2/5) .

[2] إدام القوت ص(122-123) الحلقة (40) المنشور في مجلة العرب .

[3] مولى الكثيب هو أبو بكر بن سالم صاحب عينات سمي مولى الكثيب لأنه عندما قربت وفاته حاول بعضهم أن يستخلفه فأبى وقال : ( إذا ما لحقنا حد متأهل با نطرحه في كثيب عينات ) فاشتهر الكثيب منذ ذلك الوقت وقالوا عنه أنه ترياق مجرب ودواء ناجع للأمراض المستحكمة المعدية ) ... الخ، انظر:الجواهر في مناقب الشيخ أبي بكر تاج الأكابر ص ( 117 ) .

ومن الله على الجميع، والسلام منا ومن الأولاد عليكم ولأهل الوداد أما أهل الفساد "يعني الإرشاديين" فلهم الإبعاد وأشد من بعد عاد والمولى بالمرصاد والشفيع سيد الرسل يوم الميعاد والتناد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار. وبلغنا أن الإمام " يحيى إمام اليمن " مجهز على يافع، ويافع لا يصلح الأمر ويطفي الجمر إلا الأخ محمد بن علي الحييد لأن الإمام يكاتبه ويافع قد هم حقه [1] أن بغيته يعزم أجمعوا على الذي يليق به من الخرج والفتح على يده، وخبر الإمام واجب الانتباه له - يعني إمام اليمن – لأن الأمر مهم جم جم، ومعه قصد – لعل الكاتب يقصد من سؤاله غزو حضرموت – لا يقدرون يافع ولا غيرهم بمقاومته وهو هزم التركي ومعه دولة كبيرة والله يختار.

حرر في بندووسو في 7 جمادى الآخرة سنة 1338هـ

الداعي / محمد بن أحمد المحضار. [2]

**والرسالة الثانية**:- أيضاً من المحضار ذاته (الحمد لله ونسأله بالاسم الأعظم والحبيب الأكرم ﷺ ومحبهم يغنم نخص المحبين بني مالك لا يزالون ملوك الممالك مازال الكل في مسلك المصطفى سالك،والشيخ أبو بكر ضامن لهم بذلك وفوق ما هناك [3] ونهدي السلام للجميع ونخص منهم الشيبان والشبان،جاء العزم إليكم بعد مولد ربيع الأول، والحذر شيء يدخل عليكم مما دخل على الكثير من أهل الزمان الذين استحوذ عليهم الشيطان وخرجهم من الأمان وسيخرجهم من الإيمان. بلغنا أنه وصل عندكم باعشر العشير وحمار الحمير وخنزير الخنازير قطعوا حباله وصفعه بالنكير وخبث الحديد ما يصفيه إلا الكير وشنو النكير. وإن بلغنا دخول شيء المكان تركنا كليران (بومي أيو) والله المستعان.

محمد بن أحمد المحضار) [4]

وقد علق الأستاذ البكري على هذه الرسائل فقال: (لم يستطع السيد المحضار الوقوف أمام تيار النهضة الفكرية ولم تؤثر رسائله في يافع فلم يقيموا لكلامه وزناً ولا لتهديداته ثمناً، بل كان الأمر بالعكس، كانوا يهزءون برسالته كل الهزء)[5].

---

[1] قوله : "قدهم حقه" أي إنما هم حقه أي ملكه وهذه العبارة كثيراً ما يطلقها السادة على أتباعهم والمتعلقين بهم أنهم حقهم أو فقراؤهم أو عسكرهم وهكذا .

[2] تاريخ الإرشاد ص( 118 – 119 ) .

[3] انظر : هذه العبارة وقارنها بكلام دعاتهم اليوم الذين يقولون إنهم موافقون لخصومهم بأن من أعتقد الضر والنفع لغير الله فهو مشرك فأي نفع أعظم من هذه الضمانة باستمرار السلوك على سبيل النبي ﷺ .

[4] تاريخ الإرشاد ص( 119 – 120 ) .

[5] المصدر السابق ( 120 ) .

**المطلب الثالث: اعتماد التصفية الجسدية للخصوم:**

مرّ بنا الأذية الكبيرة التي قام بها إسماعيل الجبرتي وأعوانه ضد الذي كان ينكر عليهم في زبيد " صالح المصري " [1]، وقد ذكر الشوكاني العجائب من ذلك مما يحاول القبورية والمنحرفون فعله بدعاة السنة كما في كتابه أدب الطلب سواء ما وقع للإمام محمد بن إسماعيل الأمير أو له شخصياً أو لغيرهما، وقد تناقل الناس ذلك في أنحاء اليمن في الجبال والتهائم وحضرموت وما بين ذلك ومما تناقلوه: الضرب ومحاولة القتل بالسلاح واستخدام السم ولكنني في مثل هذه القضايا لا أعول على ما كان متداولاً بين الناس دون أن يكون مكتوباً وعليه فإنني أقتصر على ما ذكره صلاح البكري مما حدث ضد أصحاب الإرشاد بإندونيسيا. فقد قال تحت عنوان "محاولة اغتيال رائد النهضة الدينية ":

(حاول جماعة من آل باعلوي اغتيال الشيخ أحمد محمد السوركتي، وذلك بدس السم داخل فاكهة تسمى " بلمنبنق " وكان الشيخ مولعاً بأكلها فابتاع منها كمية وأكلها وبعد لحظات شعر بمغص شديد وأخذ يئن من شدة الألم فاستدعى طبيباً، وبعد الفحص قرر الطبيب أنه مسموم، ولولم يسعفه الطبيب بالدواء لذهب الشيخ إلى رحمة ربه، وهكذا أراد الله تعالى للشيخ أن يعيش ليستمر في تأدية رسالة الإسلام. وفي مدينة بوقور هاجم جماعة من العلويين وأنصارهم الشيخ عبد العزيز الكويتي ضيف إندونيسيا ومؤيد الحركة الإرشادية الحرة وضربوه بآلة حادة في رأسه ولكن عناية الله أحاطت به وأنقذته من الموت.) [2].

وهناك حادثة أخرى ذكرها ابن عبيد الله وهو يتحدث عن حاكم تريم، فيقول: (وكان ينكر بطبعه غلوا القبوريين، فوافقته آراء الوهابية، وأكثر التعليق بوحيد عصره، وفريد دهره، مقدم الجماعة، وشيخ الصناعة، الذي انتهت إليه رياسة العلم بتريم، العلامة الجليل السيد أبي بكر بن عبد الله الهندوان، المتوفى بتريم سنة 1248هـ، وقد اتهمه العلويون بأنه هو الذي يعلم عبدالله عوض غرامة آراء الوهابية، ويحثه على الالتزام بها، ومؤاخذة الناس بمقتضاها، فتآمروا على قتاله، فهرب إلى بيت جبير)[3].

وأما الإمام الشوكاني فقد طالت شكواه من الخصوم الجهلة والمتعصبة القبورية وغيرهم وذكر أنواعاً من الأذى الذي حاولوا أن

---

[1] تقدم في هذا المبحث .

[2] تاريخ الإرشاد ص( 135 ) .

[3] ? إدام القوت ص(122).الحلقة (40) من مجلة العرب .

يلحقوه به وبغيره من دعاة السنة والتوحيد، فقال - رحمه الله -: (ومن عجيب ما أشرحه لك أنه كان في درس الجامع بعد صلاة العشاء الآخرة في صحيح البخاري يحضره من أهل العلم الذين مقصدهم الرواية وإثبات السمع جماعة، ويحضره من عامة الناس جمع جم لقصد الاستفادة بالحضور، فسمع ذلك وزير رافضي من وزراء الدولة وكانت له صولة وقبول كلمة بحيث لا يخالفه أحد وله تعلق بأمر الأجناد، فحمله ذلك على أن استدعى رجلاً من المساعدين له في مذهبه فنصب له كرسياً في مسجد من مساجد صنعاء، بمكان يسرج له الشمع الكثير في ذلك المسجد حتى يصير عجباً من العجب فتسامع به الناس وقصدوا إليه من كل جانب لقصد الفرجة والنظر إلى ما لا عهد به، والرجل الذي على الكرسي يملي عليهم في كل وقت ما يتضمن الثلب لجماعة من الصحابة صانهم الله، ثم لم يكتف ذلك الوزير بذلك حتى أغرى جماعة من الأجناد من العبيد وغيرهم بالوصول إليَّ لقصد الفتنة، فوصلوا وصلاة العشاء الآخرة قائمة ودخلوا الجامع على هيئة منكرة وشاهدتهم عند وصولهم، فلما فرغت الصلاة قال لي جماعة من معارفي إنه يحسن ترك الإملاء تلك الليلة في البخاري فلم تطب نفسي بذلك، واستعنت بالله وتوكلت عليه، وقعدت في المكان المعتاد، وقد حضر بعض التلاميذ وبعضهم لم يحضر تلك الليلة لمَّا شاهدَ وصول أولئك الأجناد، ولما عقدت الدرس وأخذت في الإملاء رأيت أولئك يدورون حول الحلقة من جانب إلى جانب ويقعقعون بالسلاح ويضربون سلاح بعضهم في بعض، ثم ذهبوا ولم يقع شيء بمعونة الله تعالى وفضله ووقايته. ثم أن ذلك الوزير أكثر السعاية إلى المقام الإمامي هو ومن يوافقه في هواه ويطابقه في اعتقاده من أعوان الدولة واستعانوا برسائل بعضها من علماء السوء، وبعضها من جماعة من المقصرين الذين يظنهم من لا خبرة له في عداد أهل العلم. وحاصل ما في تلك الرسائل إني قد أردت تبديل مذهب أهل البيت عليهم السلام، وأنه إذا لم يتدارك ذلك الخليفة بطل مذهب آبائه ونحو هذا من العبارات المفتراة والكلمات الخشنة والأكاذيب الملفقة. ولقد وقفت على رسالة منها لبعض أهل العلم ممن جمعني وإياه طلب العلم ونظمنا جميعاً عقد المودة وسابق الألفة فرأيته يقول فيها مخاطباً لإمام العصر: إن الذي ينبغي له ويجب عليه أن يأمر جماعة يكبسون منزلي ويهجمون مسكني، ويأخذون ما فيه من الكتب المتضمنة لما يوجب العقوبة من الاجتهادات المخالفة للمذهب، فلما وقفت على ذلك قضيت منه العجب، ولولا أن تلك الرسالة

بخطه المعروف لديَّ لما صدقت، وفيها من هذا الزور والبهت الكلمات الفظيعة شيء كثير، وهي في نحو ثلاثة كراريس،وعند تحرير هذه الأحرف قد انتقم الله منه فشَّردَه أمام العصر إلى جزيرة من جزائر البحر مقروناً في السلاسل بجماعة من السوقة وأهل الحرف الدنيئة وأهلكه الله في تلك الجزيرة، ولا يظلم ربك أحداً) [1].

**<u>المطلب الرابع</u>: تشويه صورة الخصم بالإشاعات الكاذبة:**

هذا مسلك لأهل الباطل قديم، فأعداء الرسل قد استخدموه وقريش قد أكثرت منه لتشويه صورة النبي  فقالت " ساحر " و"شاعر " و" مجنون " و: كذاب " و**إنما يعلمه بشر**  [2] الخ تلك الألقاب الكاذبة والإشاعات المغرضة المضللة، ومازال ذلك شأنهم مع العلماء القائمين مقام النبي  والوارثين له، وهو نفسه يتكرر مع علماء اليمن ودعاته كلما واجهوا جهّال ومنحرفي قومهم في سائر أنحاء اليمن، فأئمة التجديد قد عانوا أشد المعاناة من ذلك المسلك الظالم لدى خصومهم، وعبروا عنه بأساليب مختلفة، يقول العلامة الإمام محمد بن إبراهيم الوزير حاكياً ما لقيه من متعصبة عصره: (وإني لما تمسكت بعروة السنن الوثيقة، وسلكت سنن الطريقة العتيقة، تناولتني الألسنة البذيئة من أعداء السنة النبوية، ونسبوني إلى دعوى في العلم كبيرة، وأمور غير ذلك كثيرة حرصاً على ألا يُتَّبَع ما دعوت إليه من العمل بسنة سيد المرسلين والخلفاء الراشدين والسلف الصالحين، فصبرت على الأذى وعلمت أن الناس مازالوا هكذا:

**ما سلم الله من بريته ولا نبي الهدى فكيف أنا)** [3]

ثم جاء دور المقبلي ولقي من الأذى ما لقي حتى أنه حين قال بيته المشهور:

**قبَّح الإلهُ مفرِّقاً بين الصحابة والقرابة**

أجابه أحد غلاة الزيدية فقال:

**أطرق كرا يامقبلي فلأنت أحقر من ذبابة**

---

[1] أدب الطلب ص ( 32-33 )للإمام محمد بن علي الشوكاني ، تحقيق مركز الدراسات والأبحاث اليمنية صنعاء .

[2] النحل ( 103 ) .

[3] من مقال محمد بن إبراهيم الوزير وكتابه العواصم و القواصم للقاضي إسماعيل الأكوع( 21/1-22 ) .

وقال الآخر:
المقبـلي ناصـبي أعــمى الشقا بصره

**فرق ما بين الـنبي وأخـيـه حيــدره**

**لا تعجبوا من بغضه للعــترة المـطهـرة**

**فأمـه مـعرفــة لكن أبــوه نكـره** [1]

والـبيت الأول فيه وقاحة وخسـة، والأبيـات الأخـرى فيها قـذف له ولأمــه. وقد أعــرب الإمــام العلامة محمد بن إســماعيل عن ذلك وشكى منه أمر الشكوى قال في قصيدته النجدية:

وأقبح من كل ابتداع سمعــته وأنكاه للقلـب الموفـق للرشــد

**مذاهب من رام الخلاف لبعضها يعض بأنياب الأسـاود والأســد**

**(5) يصب عليه سوط ذم وغــيبة ويجفوه من قـد كان يهواه عن عمد**

**ويعزى إليه كـل مالا يقــوله لتنقيصه عند التهامي والنجــدي**

**فيرميه أهل الرفض بالنصب فرية ويرميه أهل النصب بالرفض والجحد**

**وليس له ذنب سوى أنه غــدا يتابع قول الله في الحل والعـــقد**

**ويتبع أقوال النبي محمـــــد وهل غيره بالله في الشرع من يهدي**

**لئن عدّه الجهال ذنباً فحــبذا به حبذا يوم انفرادي في لحــديد** [2]

**وأما الشوكاني فقد جمع إلى همه هموم المتقدمين عليه، وشكى مما أصابه وأصابهم وحل به وبهم، وهو لاشك أصدق تعبيراً فالنائحة الثكلى ليست كالمستأجرة، وقد تقدم كلامه في المطلب الثالث فأرجع إلية**

وعندما نشب الخلاف بين العلويين وأصحاب الإرشاد في إندونيسيا تفنن العلويون في تشويه سمعتهم وإطلاق الألقاب المنفرة عليهم فكان مما أطلقوا عليهم من ألقاب: (أنهم وهابيون، ونصارى، وأنهم يعملون ضد مصالح هولندا وإنجلترا والقعيطي والكثيري، وأنهم خوارج يبغضون أهل البيت) [3].

---

1 هجر العلم ( 1/271 ) .

2 ديوان الأمير الصنعاني ص( 167 ) طبع منشورات المدينة الطبعة الثانية ( 1407هـ - 1986 م ).

وهذه عبارة مقتطعة من رسالة محمد بن أحمد المحضار إلى يافع في منطقة " يومي أيو " في إندونيسيا يقول أثناءها عن أحد الإرشاديين: (وصل عندكم باعشر العشير وحمار الحمير وخنزير الخنازير قطعوا حباله وصفعه بالنكير وخبث الحديد ما يصفيه إلا الكير وشنوا النكير) [1]. وقد وصفوهم في رسالتهم إلى شريف مكة بما يلي: (وينهون إلى مقامكم السامي أنها نجمت من مدة قريبة من الخوارج في هذه البلاد، عقيدتها بغض أهل البيت الطاهر وتحقير النبي  وبث الدسائس وإيقاد الفتن، ولهم من النشرات الجمة ما يبين خبيث قصدهم)[2] هذه شذرات مما صدر عن القوم من تشويه وطعن لخصومهم.

---

[3] الأوضاع الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية في حضرموت ص ( 152 ) .

[1] تاريخ الإرشاد ص ( 120 ) .

[2] المصدر السابق ص ( 82 ) .

# المبحث الثالث
# الردود الوارده على القبورية في كتب الفنون المختلفة
## وفيه أربعة مطالب:

**المطلب الأول: الـــــــــردود على القبورية في كتب التاريخ:**

إن جميع من له إدراك وفهم - ولوكـان بسـيطاً - يـدرك بسـهولة ضـلالات القبورية وانحرافاتهـا، وقد تنـاثر نقد العلمـاء وردهم على تلك الضلالات والخرافات في ثنايا ماكتبوا من شتى الفنــون، وأنقل إليك جملة مما ظفرت به من كلامهم:

فمن المؤرخين القاضي العلامة محمد بن علي الأكـوع رحمه الله يقـول في مقدمة السـلوك للجنـدي منتقـداً عليه شـدة ولوعه بتتبع الكرامـات والزيـارات ومايقــال عن المقــابر وما لها من فضــائل: (ومؤرخنا رحمه الله ولوع بشدة وبشكل جدي وكبير بذكر كرامــات الأوليـاء والمنامـات والمـرائي الخلابة الـتي هي أغـرب من الخيـال وتلحق بقسم المستحيل وبحديث خرافة.

وكـان يصـدر أحكامه بتلك الكرامـات عن عقيـدة راسـخة لاتقبل الجـدل والمناقشة وعن نفس مؤمنة بـذلك خصوصـاً إذا تلقاها عن الثقات فإنها تصير عنده من القطعيات.

والحق أن أكثرها بالخرافات أشبه وبخـرق العـادات اعلـق،وبالبله السذج ألصـق، لأن البعض منها يخرجها عن حد المعقـول إلى حـيز المحــال والتجــديف، على أنا لاننحي باللائمة على مؤرخنا الجنــدي الذي انساق وراء هذه العاطفة الروحانية الزايفة لأن الوسط الـذي كان يعيش فيه الجندي كان ملغمـاً بهـذه الخرافـات،ومنغمسـاً في هـذا الجو القدسي في نظـرهم كما سـبقه إلى هـذا غـيره، وسـير الأئمة وغيرهم مليئة بهذه الحكايات.

**خدعة الملوك**:

ومما يستغرب أن الملوك والرؤساء انجرفـوا وراء هـذه الظـاهرة ومع السـواد الأعظم وفي هـذا المسـار كما يحكي لنا الجنـدي في بعدة مواقف عن ملوك عصره ومن قبلهم.

وأعتقد جازماً أن انسياق الملـوك والرؤسـاء وراء هـذه الروحانية الزائفة "خدعة سياسية" لاتمت إلى عقيـدتهم بصـلة،كيف لا وبعض الملوك مهزوز العقيدة مضطرب في الإلهيـات. وإنما يقصـدون من وراء ذلك تضليل العامة وجعلهم في متاهة الجهالات وحـتى يبتعـدوا

عن تتبع مساوئ الحكام والبحث عن كبائر جرائمهم وقد يكون البعض منهم صادقاً في ذلك والله من وراء العلم.

ويبدو أن هذه الظاهرة وهذه البلوى عمت جميع الأقطار الإسلامية، وما السيد البدوي والدسوقي والسيدة زينب وأضرابهم في القطر المصري والشيخ عبدالقادر الجيلاني والبسطامي وغيرهم في بغداد والنابلسي وابن عربي بالشام وقل في المغرب العربي وإفريقية المسلمة وإيران وغير ذلك إلا من هذا القبيل.

أما كرامة أولياء بلادنا اليمن الأعلى فهم الأولياء المسلحون الذين يحملون السيف والرمح ويجالدون على الإمامة ويقاتلون دونها، وذلك مثل الإمام الهادي والإمام أحمد بن الحسين صاحب ذي بين وسيل الليل أحمد حسن وغيرهم، والعجب أن تخرج من ثنايا هذا الصراع الدموي كرامات وعجائب وغرائب. وتعليل هذه الظاهرة والموجه العارمة التي نزلت في بلاد الإسلام، هو ابتعاد المسلمين عن روح الدين الحنيف الصحيح الذي جاء عن محمد بن عبدالله  وأتباعه السلف الصالح من الصحابة والتابعين، وبما أدخله أعداء الإسلام من الشوائب والبدع التي صدأت جوهره الصافي النقي وولدت مثل هذه القضايا وكانت سبباً لتأخر المسلمين كما قيل.

وصدق رسول الله (( **لتتبعن سنن من قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضبٍ لدخلتموه))**[1] هذا وليس هنا بسط القول عن هذه المسألة، فمن شاء معرفة ذلك فعليه بكتب ابن تيمية وكتب تلميذه ابن قيم الجوزية رحمهما الله تعالى، وفي كتاب الله جل شأنه مافيه مقنع، وحسبنا ذلك) [2]. وهكذا نرى هذا العلامة المؤرخ ينتقد هذه الظواهر، ويحللها، ويبين موقف الحكام منها، ويربط بين تبنيهم لها وسياسة الملك التي يعمبلون على تثبيتها وأنهم ما جاروا القبورية إلا للاستفادة منهم في ذلك.

المؤرخ الثاني: القاضي العلامة إسماعليل بن علي الأكوع وهو أخو القاضي محمد وقد تعرض للقبورية في عدة مواضع من كتابه "هجر العلم "منها ما في بيت الفقيه في ترجمة "أحمد بن موسى بن العجيل "حيث قال في معرض الترجمة: (وكان على قبره تابوت وقبة أزالهما الإمام أحمد بن الإمام يحيى حميد الدين سنة 1348هـ حينما كان ولياً للعهد بعد أن تغلب على معارضة قبيلة الزرانيق -التي كانت تعرف من قبل بالمعازبة - لامتداد نفوذ الإمام يحيى إلى بلادها، ودخولها تحت حكمه.كما أزال الإمام أحمد كذلك التابوت من على قبر أحمد بن علوان في يَفْرُس من ناحية جبل

[1] تقدم تخريجه ص (      ) .
[2] مقدمة السلوك للجندي ( 1/ 27-28 )

حبشي سـنة 1362هــ لاعتقـاد جهلة العامة في صـاحبي القـبرين الضر والنفع، وتالله لقد أحسن الإمام أحمد صـنعاً في كلتا الحـالين ولو أن يده امتدت إلى سائر القباب والتـوابيت الأخـرى الـتي يعتقد عامة النـاس في أصـحابها الضر والنفع لأجـزل الله مثوبته وأحسن إليـه، ولاسـيما القبـور الـتي يلتمس عنـدها العامة الخـير والبركـة، ويرجـون منها النفـع،ودفع الضر والشـر)[1]، ثم ذكر كلام الشـوكاني في وصف قبة الإمـام "أحمد بن الحسـين " نقلاً عن الـدر النضـيد وتقـدم ذلك النقل [2]، ثم ذكر رسـالتين مهمـتين لإمـامين من أئمة الزيدية يأمران فيهما ببناء مشاهد على قبور بعض المقـربين إليهما ثم قال حفظه الله: (وكان الـواجب على الإمـام أحمد هـدم القبـور التي يلتمس العامة منها الخير والبركة امتثالاً لأمر الرسول  لأمـير المؤمـنين علي بن أبي طـالب  بهـدم القبـور، كما ورد في صـحيح مسلم عن أبي الهياج الأسدي قال: " قال لي علي بن أبي طالب  ألا أبعثك علىمابعثني عليه رسول الله  أن لا أدع تمثالاً إلا طمسـته ولا قبراً مشـرفاً إلا سـويته "[3]. وأفضل التشـيع بالإمـام علي رضي الله عنه الاقتداء بـه، والعمل بسـيرته الـتي هي مقتبسة من سـيرة المشـــرّع العظيم رســـول الرحمة  إذ لايكفي المحبة باللســـان والمخالفة في العمل) [4].

وفي ذي الجنـــان "قرية أحمد بن علـــوان " قـــال في ترجمة ابن علـــوان: (وقد فتن به العامة في عهـــده وبعد وفاته وحـــتى اليـــوم فقبره مقصود للزيارة وكنت أعتقد أن افتتـان النـاس به إنما حـدث بعد وفاته)[5]، وبعد أن ذكر موضوعاً عن الزبيري وقصيدة له فيهـدم قبر ابن علوان وسـتأتي إن شـاء الله في موضـعها ثم قـال: (ولكن الأخ القاضي فضل بن علي الأرياني أطلعني على قصيدة لأحمد بن علـوان تـدل على أنه كـان يـدعي لنفسه أمـوراً خارقة للعـادات، نذكرها هنا، ونـذكر كـذلك جـواب الفقيه علي المقصـري السـرددي عليها ومن يطلع عليهما لا بد أن يحكم عليه بأنه كـان يـزعم لنفسه كرامات أختص بها وأن أتباع طريقته قد فتنوا به في حياتـه. نسـأل الله الهداية والتوفيق إلى اتبـاع أحكـام كتابه وسـنة رسـوله  على

---

1 هجر العلم (1/222-223 ) .
2 انظر : ص (      ) .
3 تقدم تخريج الحديث ص (       ) .
4 هجر العلم (1/225 ) .
5 المصدر السابق ( 2/750 ) .

الوجه الذي يرضاه)[6]. وهذا كله يدل على توجه الرجل وحرصه على سلامة المعتقدة ومقته للقبورية والقبوريين.

المؤرخ الثالث: الأستاذ صلاح البكري وهو من مؤرخي حضـرموت المنتمين إلى جمعية الإرشاد بإندونيسيا وقد عنون في كتابه "تـاريخ حضرموت السياسي" هذا العنوان " الخرافـات " عـدّد تحته الكثـير من تلك الخرافـات المتعلقة بـالقبور وبالاعتقـاد بـالجن وتقـديم ما يدفع شرهم من ذبائح أو كسر بيض على باب الدار لئلا يحتلها الجن وأبـان من يقف وراء تلك الخرافــات، ولا أطيل فهـذا نص كلامــه: (ولقد ابتنى بعض العلويين قباباً كثيرة لبعض موتـاهم رحمهم اللـه، ووضعوا على أجداثهم التوابيت، ودعوا الناس لزيارتها، والتبرك بها، والتوسل إليها لقضـاء الحاجـات واسـتنزال البركـات، وقد يوجد في القبة خزانة " تيحه " في داخلها إنـــاءان: أحـــدهما للنقـــود والآخر للـزيت الـذي يقدمه المريـض لطلب الشـفاء، وأقربـاء الميت هم الذين يتمتعون بهذه القرابين والنذور، وقد يبـالغ بعض المرضى في الضـلال فيـأكلون قليلاً من تـراب ذلك القـبر لطلب الشـفاء، وإني لأذكر أني حينما كنت في حضــرموت وأنا يومئذ لم أبلغ سن الرشد أصــبت بحمى، فــذهبت إلى قبة المرحــوم عمر بن محمد الهــدار العلوي الواقعة على مقربة من حوطة أحمد ناصر،وأكلت قليلاً من تراب قبره ’ وقبلت تابوته، وتوسـلت إليه ليـذهب الآلام، ويعيد إلي صـحتي كاملة غـير منقوصـة، ووضـعت في الخزانة أوقية وربعـاً، وعدت إلى البيت وأنا أرتعد من حمى الورد، ومن حسن حظي أني في اليوم الثاني شفيت من مرضي، ولكن من سوء حظي أن ازداد اعتقـادي في الهـدار واعتمـادي عليه من دون اللــه، فـذهبت في الحال إلى السـوق وابتعت رطلاً من زيت السمسـم، ثم ذهبت إلى قبة الهـدار، ووهبت له الـزيت في الخزانـة، وهكـذا ذكـرت صـاحب القبة في السراء والضراء خفية وجهرة، وهو لاينفعـني بشـيء، ولم أذكر الله عزوجل، الذي هو أقـرب إلي من حبل الوريـد، وبيـده كل شيء.

ويوجد في الروحانيين وبوجه أخص في العلويين من يصنع التمائم والعـــزائم للمرضى وغـــيرهم من طلاب الحاجـــات، ويبـــالغ بعض الـدجالين من أصـحاب السـلطة الروحية فيسـقون المـريض مـاءً ممزوجاً بـبزاقهم للشـفاء، ويتجـرع هـذا المـريض " المغفل " ذلك الـبزاق القـذر، وهو مسـرور كل السـرور متوهمـاً أن الشـفاء آت لاريب فيه.

---

[6] هجر العلم ( 2/751 ) .

وهناك كتب ألفت ورسائل دونت كان لها أثرها السـيء في عقلية الشعب، وتسميم أفكاره،وإفساد عقيدتـه، وفي مقدمة هـذه الكتب " المشــرع الــروي " لصــاحبه الشــيخ محمــدبن أبي بكر الشــلي المشحون بالكفريات والخزعبلات، ثم كتاب: " الجـوهر الشـفاف " وغيرهما.

ويقسم كثير من الناس بالأضرحة ويخافونها إذا حنثوا في أيمـانهم أكثر مما يخافون الله، فقد يطلب المشـتكي من خصـمه أن يقسم على ضريح مقدس خيراً من أن يقسم بالله أو بالقرآن، ويعتقــدون أن لتلك الأضــرحة قــوة الانتقــام إذا كــان المقسم حانثــاً، وأهم الأضرحة التي يقسمون بها هي:

| الاســـم | المـــــكان | الاســـم | المـــــكان |
| --- | --- | --- | --- |
| أحمد بن زين الحبشي العلوي | حوطة أحمد بن زين | الشيخ أبو بكر بن سالم العلوي | عينات |
| عبدالله العيدروس العلوي | تريم | سعيد بن عيسى العمودي | قيدون |
| عمر بن محمد الهدار العلوي | حوطة أحمد ناصر | معروف باجمال | بضـة |
| علي بن حسن العطاس العلوي | المشهد | عيدروس بن عمر الجيشي العلوي | الغرفة |
| حسن بن صالح البحر العلوي | ذي أصبح | عمر المحضار العلوي | تريم |

وفي زعمهم أنه إذا أراد الشخص أن يأتيه كساء من أبيه أو من أحد أقربائه المهاجره في جاوة أوفي غـيرها، فما عليه إلا أن يذهب إلى إحــدى القبــاب ويقطع جـزءاً صـغيراً من ثوبــه، ويربطة باللعــاب، ويقذف به في الحائط، ولا تمضي سنة إلا وقد نـال مطلوبة ولـذلك تظهر الحيطــان في بعض القبــاب كأنها مغطــاة بطبقة من الــورق المزخرف أو زينت بنقوش مختلفة الألوان.

وبعض المرضى وبالأخص إذا كان صغيراً يُطاف حوله حَمَل مراراً، ثم يقطع جـــزءً من أذنه ويعلقه في ذراع المـــريض، ويـــذبح ذلك الحمل ويوزع لحمه على الجيران بعد أن يأخذ الـدجال الـذي أشـار لهم بتلك العملية جـزءً كبـيراً منـه. وأول ما يعمله الشـخص الـذي يريد أن يبني بيتاً أن يـدق أربعة أوتـاد في البقعة الـتي سـيبني فيها المـنزل لطـرد عين السـوء،وذلك بعد أن أخذ رأي أحد الروحـانيين، وعندما يتم بناء البيت يذبح حملاً على عتبته كما يفعل الفرنجة عند الاحتفال بـإنزال السـفينة لأول مـرة في البحر بكسر زجاجة خمـر، وفي بعض أجزاء حضـرموت يـذبح صـاحب الـبيت شـاة، ويأخذ من دمها بيـده ويخضب البـاب. وبعضـهم في أثنـاء عملية البنـاء ويأكل البناؤون لحمها، ويريقون دمها على الحيطان، وعندما يدخل صاحب الـبيت لأول مـرة يكسر بيضـتين على عتبة الـدار، وأخـريين على الدرج، وأخريين عند الطابق العلوي) [1]

والمـؤرخ الرابـع: الـذي نستشـهد ببعض كلامه هو الأسـتاذ كرامه سـليمان بـامؤمن صـاحب كتـاب" الفكر والمجتمع في حضـرموت" وهو كتاب حـديث تنـاول موضـوعاً مهمـاً جـداً وجانبـاً حساسـاً من جوانب الحياة في حضرموت،هو جانب الفكر مرتبطاً بالمجتمع،وقد كشف أســراراً وأبــان مخبــآت لم يــرق للبعض ظهورها ولــذلك فالكتـــاب ومؤلفه مســتهدفان بالتشــهير وهـــذا أقل ما يمكن أن أقوله،وإلا فيمكن أن يكون أكثر من التشهير، وإليك نموذجـاً واحـداً من ألصق ما ا حتـوى عليه الكتـاب بموضـوعنا "القبورية " قـال - حفظه الله - تحت عنـــوان"نقد الفكر الصـــوفي ماله وماعليـــه": (الإنسان كما أشرنا سابقاً مكون من جسم وروح لايفترقان إلا عند الموت. والتـوازن بين نشـاطهما هو مادعا إليه الإسـلام. والتصـوف جنوح نحو نشاط الروح مقتبساً فلسفته من ثقافات الأمم السـابقة للإســلام، خاصة الثقافة المســيحية الــتي ســنت الرهبنة والتنسك والخلوة في الكهوف والأديرة، وترك طيبـات الحيـاة المباحة كعـدم الزواج عند الرهبان والراهبات قـال الله تعـالى:  وجعلنا في قلـوب الذين اتبعـوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتـدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغـاء رضـوان الله فما رعوها حق رعايتها"الحديـد: 27 "، والاعتـدال في التصوف قولاً وعملاً والإلتزام بالكتاب والسـنة دون تأويل ومغـالاة لا يخرج المتصوف عن عقيدته التوحيدية وشـريعته الإسـلامية. وكم من هؤلاء الصوفية المستقيمين قد عرفهم العالم الإسلامي واليمن وحضـــرموت.وقد وقفـــوا في وجه الغلو والانحـــراف الصـــوفي

---

[1] تاريخ حضرموت السياسي ( 119-121 ) .

واستنكروا ما صدر من المغالين من شذوذ وانحراف ومحذور قـولاً وعملاً. ومما يعقّد مشكلة التصوف الضعف البشري أمـام حـالات مذهلة تتراءى للمتصوفة فتفقـدهم تـوازنهم ولايثبت إلا الراسـخون في العلم والعقيـدة. ولاسـيما أن كثـيراً من مثل هـذه الأحـوال وخـوارق العـادات تحصل للبر والفـاجر وللمسـلم وغـير المسـلم. ناهيك عن أن للشـيطان أحابيله لغواية الإنسـان كما أن للعلم والسحر دورهما في كثـير مما يصـوره بعض الصـوفية أنه كرامـات كما تسـتغل الصـدف والفراسة للإدعـاء بالكرامـات. ولا تقتصر الخطورة في غلو الصوفية وانحرافاتهم وشذوذهم، عليهم أنفسـهم فحسب فهـذه أمرها سـهل ومحصـور. وإنما الخطر كل الخطر في التـأثير على النـاس والمجتمع وخاصة على العـوام والسـذّج لأنهم أكـثر فئـات المجتمع تـأثراً وانصـياعاً لمـؤثرات الفكر الصـوفي المنحـرف. ويجب أن ننظر إلى المتصـوف وأحواله حالة خاصة به وحـده. أما أن يجعل من أحواله وتصـرفاته منهاجـاً يقتـدى بها - وأمامنا كتـاب الله وسـنة رسـوله  وهـدي أصـحاب رسـول الله والتابعين ومن اهتـدى بهـديهم- فهـذا مما يجب أن لا يكـون ولايصح إطلاقاً أن نجزىء القرآن الكـريم والحـديث الشـريف الصـحيح إلى ظاهر للعامة وباطن للخاصة يؤلـون معـاني ألفـاظ القـرآن الكـريم كما نـزلت من عند الله على رسـول الله ، وألفـاظ السـنة كما تحـدث بها الرسـول  لعامة المسـلمين ويطلقـون عليها علـوم الشـريعة وفي تقـديرنا إن أخطر وأوسع ثغـرة فكرية تهـدد بنيـان الإسلام وتشوه عقيدة المسلم هو هـذا المـدخل في تجزئة القـرآن الكريم والسـنة إلى ظـاهر وبـاطن وإلى شـريعة وحقيقـة. ولا تقف الخطورة عند تجزئة الإسلام إلى منهاجين وعلمين أحـدهما للخاصة والآخر للعامـة،بل تتعـداها إلى تقسـيم المجتمع الإسـلامي إلى طبقـتين أو فئـتين اجتمـاعيتين هما فئة التعـالي وهي فئة الخاصة المحـدودة في المجتمع وفئة الأتبـاع- وهي فئة العامة العريضة في المجتمع -, ويتمـادى التميـيز الاجتمـاعي في غيه عنـدما تكـون فئة الخاصة هي المدبرة والمسيرة لحيـاة ومعـاش وسـعادة فئة العامة من خلال سلطتها الروحية المطلقة التي يمثلها الـديوان المصـرفي وجهازه التنفيذي الهرمي اللذان تطرقنا إليه فيما سبق.

وإذا رجعنا إلى آداب وتراث الفكر الصوفي الحضرمي؛ نجده مليئاً بحـالات التصـرف المطلق من قبل الأقطـاب والأوليـاء والأحيـاء والأمـوات في حيـاة النـاس من شـفاء الأمـراض، ورزق الأطفـال، وغفران الذنوب، ورد الكوارث، وتأديب المتطـاولين، وقتلهم أحيانـاً بالقدرة، واستئناف حياة الأموات من جديد واللقـاء بالأحيـاء. يقـول

السـيد علي بن حسن العطـاس (من قـام لله بالقـدرة كلامه يتم). وهنـاك من يقـول تأكيـداً لمقولة العطـاس هـذه: (إن بعضـهم كـان يكلم الصوفي الشهير بدوعن الشيخ سعيد بن عيسى العمـودي بعد موته ويشـــاوره). في أمـــوره. كما يـــروي البعض الآخر أنه كـــان يخـاطب الفقيه المقـدم أمـام قـبره بل ويخـرج الفقيه المقـدم من قبره ليتناول مع زائره القهوة، ويتبادل أطراف الحديث.

إن عودة الروح مسألة قديمة وكان فراعنة مصر يعتقـدون بعـودة الـــروح إلى الجسد بعد المـــوت. ولهـــذا كـــانوا يهـــيئون مـــدافنهم كالأهرامات كل ما سـيحتاجه الميت من أدوات ومـأكولات وغيرهـا. ينما يـــروي لنا الرســـول  أن روح المـــؤمن بعد وفاته تُعَلَّق على[1] شـــــجر الجنة ولا تعـــــود إلى الجسد إلا عند البعث. وفي الواقع إن كيفية حيـاة الإنسـان بين المـوت والبعث وعلاقة الــروح بالجسد وعـذاب القـبر ونعيمـه، وتلاقي الأرواح هي من الغيبيـات، ونكتفي بالتســليم بما جــاء نصه في القــرآن والحــديث ولا نزيــد. ويعلمنا الرسول  أيضاً أنه إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: علم ورثه لعلماء ينفعون به الناس، وصدقة جارية تصدق بها قبل مماته، وابن صــالح يــدعو في حياته لأبيه الميت. إن التطــرف في تمجيد الأولياء والأقطاب يؤذي الأوليـاء أنفسـهم ويخـرجهم عن بشـريتهم. وقد تبرأ الرسول  من الغلو في الدين. أو طلب شيء منه لا يقـدر عليه إلا الله ســـبحانه وتعـــالى، قـــال الله تعـــالى: قل إنما أنا بشرمثلكم يوحى ألي أنما إلهكم إله واحد  "الكهف -110")[2].

ونقد المؤرخين لهذه العقائد والأعمال ليس مختصاً بمـؤرخي أهل السـنة والمعارضـين للقبوريـة، ولكن بعض المـؤرخين المحسـوبين على القبوريين هم كذلك ينقدون هـذه الأمـور ويحـذرون منهـا، وقد تقـدم كلام المـؤرخ العلـوي علـوي بن طـاهر الحـداد في مبـاحث الزيارات القبورية وقد كـان شـديد الانتقـاد لهم مصـرحاً بـأن بعض تلك العقائد والأعمال هي كفر بالله تعالى فارجع إلى هناك [3].

## المطلب الثاني الردود على القبورية التي جاءت على ألسنة الشعراء:

وهذا الباب واسع جداً فقد تفنن الشـعراء في الـرد على القبورية من جوانبها المختلفـــة، فمن ناقد لبعض العقائـــد، ومن ناقد لبعض البــدع والأعمــال كالســماع ونحــوه، ومنهم من ينتقد المتظــاهرين

1 الصحيح " تعلق في " والمعنى أنها تأكل .
2 الفكر والمجتمع ( 228-230 ) .
3 ص (        ) .

بالولاية ممن هم في الحقيقة من المحتالين على خلق اللـه، ومنهم من يصف القبـور المعظمة وما يفعل عنـدها من منـاكر وضـلالات، وهذه بعض تلك القصائد:

وأبـدأ بشـاعر من شـعراء حضـرموت وكبـير من كبرائها العلامة الشاعر الصوفي المتشيع أبوبكر بن شهاب الدين العلوي المتـوفى سنة (1341هـ)، وله قصيدتان الأولى في كشف مخاريق من يدعي الولاية ويتظاهر بمظاهرها ويتقمص لباسـها، ثم من وراء ذلك يختل الغـافلين ويصـطاد أمـوال الجـاهلين، بل ويتعـدى الأمر إلى النسـاء ومايفعل تجاههن باسم الدين والولاية.

قـــال جـــامع ديوانه (وقـــال نفع الله به في وصف دجاجلة المتصوفة بزماننا:

**هل للغرائـب من حكيـم عاقـل ... أو عالـم يقضـي بحكم فاصـل**
**أمِـنَ الذئاب المُعـط صنفٌ ناطق ... في صـورة البشـر السوي الكامل**
**أأقـول: كـلا والعيان مكـذبي ... كـلا بل المفـتي أسـير السائـل**
**معـط الذئابِ الناطقات هم الأُلى ... جعلـوا التصـوف صنعة للداجـل**
**فترسمـوا برسومـه كي يحسبـوا ... صوفيـة مثل الفضيـل الفاضـل**
**يضعـون للتمويـه والتغريـر في ... مشـكاة نور الحـق نار الباطـل**
**لبسـو العبايا والمسابـح والحـبى ... والطيلسـان يـدار فوق الكاهـل**
**والمظهـرين الـبر والتقـوى وإد ... مـان التنسـك خدعة للجاهل [1]**
**و إذا خلـوا عكفـوا على شهواتهم ... مـن لاعـب أو شـارب أو آكل**
**هجروا كتاب الله واستغنوا بألــ ... حــان السماع ورقصه المتداول**
**زعماً بأن الطار والمزمار والـــ ... أوتـار تنعـش كل قلـب ذاهل**
**أيقــوم دين الله ... ذي مزهـر أو زامـر**

---

[1] في الأصل للجافل .

**بالسفـهاء من**
**بئس الطـوائف لا**
**مـرام لهم ولا**
**ولهــم حبائل**
**لاجتلاب المال لم**
**ويطــوف أطراف**
**البلاد دعاتهم**
**ممن يبيــع**
**ولايبـالـي دينــه**
**فـي كل واد لاتطيش**
**ســهامهم**
**ويذيع كل ما افترى**
**من نعت شيـ**
**من صومـه وصلاتـه**
**وقيامــه**

**أو طابـل**
**مرمـى سـوى جمع**
**الحطام الزائل**
**تـدرك غوائلـها لغيـر**
**الفاتـل**
**ودهاتهـم من كل**
**صـل صائـل**
**بيـع المـزاد ولـو**
**بشـاة شائل**
**مـع كل حاف**
**يَحْفِـدون وناعل**
**خهم الغـوي ولو**
**خرافـة هـازل**
**جنـح الظـلام وزهـده**
**في العاجل**

**يـروون عنـه خوارقاً**
**للرسـل ما**
**ولأجـل نفـي الريب**
**مهما حدثوا**
**وهنـالك الأسـتاذ**
**يجهـد فكره**
**يترقـب الفرص التي**
**فيها قطيــ**
**يثـني على أهـل**
**الثراء مصـوبـاً**
**زيدٌ ربيعُ نَدى وعمروٌ**
**في مقــا**
**ويشير رمـزاً في**
**الحديـث بأن ما**
**حتى إذا اعتقـدوا**
**علـو مقامــه**
**غمـروه جـوداً**
**واستزاروه التمـا**
**ولمسحه رأس**
**الصغيـر ووضعــه**

**وقعـت ولا اتفقـت**
**لساحر بابل**
**حلفـوا لسامـع**
**إفكهم والقابـل**
**فـي سلـب ثـروة كل**
**غر غافل**
**ـع الصـيد يبدو مكثبـاً**
**للنابل**
**أفعالـهـم مستـدرجـاً**
**للفاعـل**
**م كـذا وبكـرٌ في**
**الرعيل الواصل**
**يحكيـه مـن إلهـام**
**غيـب نازل**
**ومشـت عليـهم**
**حيلـة المتحائل**
**سـاً للتبرك فـي**
**المقـر العائلـي**
**يده الكريمـة فـوق**
**بطـن الحامل**

ومتى تحكَّم مصلحـاً فـي حالة جعل البخيـل فريسـة للبـاذل

وتـراه يصدع بالمواعـظ خاطباً في القـوم بهـرة كل جمـع حافل

يملـي زخـارف زوره متأوهـاً متباكيـاً ليرق قلـب النــاكل

طوراً يـرغب في الثـواب وتارة أخـرى ينــدد باللئيم الباخـل

وإذا رأى في الجمــع من أكياسه مـلأىمن التبر الوفيـر الطائــل

أوحى إلى أحـد الشياطـين الألى منهـم تعـوذ كل غـول غائـل

فيقول: يامسكين زر شيخ الشيـ ـوخ تنل بـه أقصـى أماني الآمل

وإذا أتـى ألفـاه في المحـراب في جـد وشغـل بالعبـادة شاغــل

ويقـال بعـد الانتظار هـنيهةً: أدخـل فأنت اليـوم أسعد داخل

ولك البشـارة إن رزقـت ولاءه بالانتشال من الحضيض السافــل

فإذا تقدم قال شيـخ السوء أهـ ـلاً يابـني ومرحبـاً بالواصـل

إنـي لرؤيتك ابتهجت ولسـت أد ري سر هـذا الابتهـاج الحاصل

فلعل في لـوح السوابـق بيننــا سـر اتصـال بالأواصـر واغـل

ولعـل حالك في أمور الدين والد نيـا علـى دعـة ولطف شامـل

إن كنـت محتاجاً فخـذ ما تبتغي تقـوى بـه وتقيـم ميـل المائـل

لا تخشَ إملاقاً علـيَّ ولا عليــ ـك فنحن في كنف الرسول الكافل

أعلمتَ أني بعد ختم وظيفتـــي سحَـراً أعرتنـي غفوة المتـثاقـل

فرأيته صلـى عليـه الله مبـــ ـتسمـاً يقول وكان أصدق قائل

أبشـر فأنـت    ورعايتـي لمقيمكـم
وتابعوك بذمتـــي    والراحــل
نِـب عن نبيك في    ة المعـوزين وفي
مواساة العفـا    عظـاة الجاهــل
جُد بالنوافل ما    مـى والأيامـى
استطعت على اليتا    والفقير العائـل
خذ ما تشاء من    ـحسـنى ولم يعبأ
امرىءٍ سبقت له الـ    بعذل العـاذل
وأنا الضمين لمـن    طول الحيـاة وفي
يعينك بالغنـى    الجنـان مخاللـي
فيصدِّق المسكـين    ممـزوجـة بزعـاف
كاذبَ قصـة    سـمٍّ قاتـل
فيشـاطر الأستـاذ    لسـداد ذي عـوزٍ
خالص تبـره    ورفد أرامـل
ولكَـم لهـم في السر    إبليس لـم يطمع لها
غامض حيلة    بممـاثـــل
ولهـم من الجنس    أبَتِ المـروؤة
اللطيـف لطائف    شرحـها للناقـــل
لكن على الأزواج    ت فهـم أشـد بلادة
عار المرســلا    من باقـــل
هـذي طرائقهـم    تعسـاً لهـم من
وهـذا شأنهم    خائـن ومخاتـل
أفهكذا كانت طريق    إسـلام أربـاب
مشايخ الــ    السلوك الـعادل
كالتستري وكالسري    ـد الحبـر والشبلي أو
والكالجنـيـ    كالشاذلي
كلا وحاشى بل هم    وسحائـب الفيض
عمد الهـدى    العميم الهاطـل
الزاهدون المتقون    بربهـم من كل بـر
العارفــــون    عامــــل
وهـم البراء من    حضراتهم
الأُلى كذبـواعلى    وخصومهـم في
الآجـل
فإليك ربـي    ذ من انتقامـك
المشتكى وبك العيـا    والعذاب الهائـل
واسمـح بإرشاد    ـق الحق واصفح عن

**الجميع إلى طريـ خطايا الخاطل**
**وتغش بالرحمـات والمرتضـى تعداد**
**روح المصطفى طش الوابــل**
**ضاعف صلاتك وبنيهمـا مدد الوجـود**
**والسلام عليهمـا الشامـل**
**والصحب من ش الشرك واندرست**
**بسيوفهم ثلت عرو رسوم الباطل**
**ما تاب ذو خطـأٍ وآب وأناب عبـد في**
**مفــرط العتيـم الحائـل)**[1]

وهذه القصيدة تجسد حال الكثير ممن يدعي الولاية على امتداد الأرض اليمنية، بل على امتداد البلاد الإسلامية وللأسف الشديد، وهؤلاء لاشك يخرجون من تحت عباءة المتصوفة والشيعة القبورية.

وهناك قصيدة أخرى لهذا الشاعر في نفس المعنى أضيفها هنا.

قال جامع ديوانه:(وقال نفع الله به:

**العـلم والمجد رضيـعا لــبان والجــهل يرمي ربّه بالهـــوان**
**لايدعي العلـــم امرؤ جاهــل يخــاف أن يفضحه الامتــحان**
**فهـو لـدى أشـكالـه باسـل و إن جرى البحث الشرودُ الجبانُ**
**بـلى يقـول الجاهـل المدعـــي العلـم نـور مشـرق في الجنـان**
**العلـم ســـر الله إلهـامـه فـي القلـب لا لقلقـة باللسـان**
**العلـم إمـا ظاهـر وهو في الـ ـكتـب وللأحكام فيـه البيـان**
**أو باطــن يعرفـه أهلـــه وهـو لديهـم واجـب أن يصان**
**يومـي بما يملـي إلـي أنـــه في أشـرف القسميـن رب العنان**
**وقـد علـت أصـوات أمثالـه بمثـل هـذا فالأمــان الأمـــان**
**نشكو إلـى الرحمـن ـغوغاء شكوى من**

[1] ديوان ابن شهاب ( 193 – 196 ) طبع مكتبة التراث الإسلامي صعدة ، ودار التراث اليمني صنعاء ، الطبعة الثانية سنة ( 1417هـ - 11996م ).

من هذه الـ
رمـاه الزمـان

مـن ماكـر ذي سبحـة أو مرا
ء قـارىء همسـاً وذي طيلسـان

ورامـز بالغيـب فـي حيلــة
يلفـظ بالقـول الكثير المعــان

رواد صيـد كلهــم حــاذق
فـي الرمـي لايصطاد إلا السمان

شباكهم دعـوى الكرامات والـ
ـكشف وتزوير المرائـي الحسـان

هـذا يـرى المختـار فـي نومه
وذاك يستخبــره بالعيـــان

كأنـه مـن بعـض أتباعهــم
يحضـر فـي كـل مـكان وآن

ومنهـم المخبـر عن بـرزخ الـ
ـموتـى شقـي أو سعيـد فلان

وقـد أرانـي الله شيخـاً لــه
جماعـة رجـلاه مصـفرتـــان

فقلـت: ماذا نابـه؟ قيل: مـن
وطء حشيـــش الجنـة الزعفران

أف لقـوم همهـم كيدهـــم
وجمعهـم للمـال من حيث كان

بالمـال تلقاهـم سكارى كمــا
يسكر من يشـرب خمـــر الدنان

إن أحـــسن الظـــن بتلبيسهـم
مُثْـرٍ رأوا تطهيـره بالختــــان

من كل ما الإنسـان يخشاه مـن
مستقبل الدارين يعطـي الضمـان

وإن رأوا فـي عقلــه خفــةً
باعـوه في الدنيـا قصور الجنـان

وكـم وكـم قد موهوا زائفــاً
فظنـه البلـه ثميـن الجمــــان

يارب يامنـان أنـت السريـــ
ـع الغـوث والمفـزع والمستعان

وفـق رجـال الدين للصدق والـ
إخـلاص والإعراض عن كل فان

ونـزه الإسـلام عـن
ـل المكـر والتـدليس

**غش أهـ كيلا يهان**
**واغفر ذنوب الكل قلوبنا اغـسل كــل ريب وران**
**واصفح ومـن وصـل مـن أشرقت من نوره**
**أزكــيماتصلـي عـلى الخافـقـان**
**والآل أهـل المجد أمـالت الريح الغصون**
**والصحـب مـا اللـــدان)[1]**

وللشــاعر الأديب والعــالم الثبت - مفــتي حضــرموت في زمانه والشـــاعر المـــبرز على أقرانه العلامة عبــــدالرحمن ابن عبيدالله الســــقاف - نقد لاذع وبيـــان ســـاطع في نقد دجاجلة الصـــوفية والمتــاجرين بالولاية حسب تعبــيره، إليك بعضــاً منه وهو مقدمته لإحدى قصائده في الموضوع: (وقد اتفق لي في شرخ الشـباب أن أفضت في درسي كجاري عـادتي في النعي على الخرافـيين وتفنيد مزاعمهم وأنكـرت قـول بعضـهم: إن أتـان الفقيه المقـدّم - قـدّس سره - كانت تعرج الى السماء وتأتي بخبرها طـرفي النهـار، مع أن البراق لا يقدر على ذلك، فلو أنها حضرت ليلة المعراج لأغنت عنـه؛ لأن البراق لم يجاوز إيلياء على الأصـح، وقــول بعض آخر عن بعض العلــويين: إنه كــانت له زوجة شــريفة مضى لحملها ســتة أشــهر فــتزوج فلاحــة، فنشــزت الشــريفة؛ فخيرها بين الرجــوع أو يأخذ الحمل من بطنها إلى بطن الفلاحة، ولما أصرت فعل ما تهدَّدها به، وولدت الأخـيرة لثلاثة أشـهر من حين الـدخول! وقـول آخر أن أحد الأوليــاء مــات عن زوجة صــالحة من غــير ولد فاشــتد حــزن تلك الصـالحة وعظم وجـدها عليه فكـان يـتردد عليها من ضـريحه حـتى أحَبَلها بعد موته، فجاءت بولد نسبوه إليه.!

وطالما أنكرتُ مثل هذه الأضاليل التي لها يتذمر الإســلام، وتنتكس الأعلام، وتكل عن عد شـــرها الأقلام، فما حصـــلتُ إلا على الملام، وذلك هو الذي اسـتغرق جهـدهم في تشـويه سـمعتي والتمضـمض بعرضي والتقول عليّ والسعاية بي - لولا وقاية الله.

ومع هذا فلا يتظنّى امرؤ أني أحط من مراتب الأوليـاء السـامية، أو أغمط من فضــائلهم الناميـــة، كلا والله فـــانني أتـــبرك بمـــواطئ أقدامهم وأتشرف بأن أعدّ في جملة خدّامهم، وبحمد الله قد حصل لي الحظ الأوفى من اعتنائهم، والنصـيب الأكـبر من صـدق ولائهم، أولئك الذين لا اعتراض للشرع عليهم بحال. ولا للنقد في طــريقهم

---
[1] ديوان ابن شهاب ص : ( 237 – 238 ) .

أبداً مجال، ومن زعم أن بين الشريعة والحقيقة تخالفاً وقع في الضلال، وقد قال الشعراني سمعت المرصفي يقول: لا يكمل الرجل في مقام العلم والمعرفة حتى يرى الحقيقة مؤيدة للشريعة وأن التصوف ليس بأمر زائد على السنة المحمدية وإنما هو عينها، وقال سمعت الخواص يقول مراراً: ومن ظن أن الحقيقة تخالف الشريعة أوعكسه فقد جهل. انتهى.
وجاء عن غير واحد من العارفين أن الطرق إلى الله تعالى مسدودة إلا على من اقتفى أثر الرسول ﷺ، وقال: إذا رأيتم الرجل يطير في الهواء وقد أخلّ بحكم واحد من الشريعة فقولوا إنه زنديق، والأدلة في هذا عن الصوفية فضلاً عمن سواهم من الفقهاء لا يضبطها الحصر.
ولئن اشترط القشيري الحفظ للأولياء فالعصمة بالاتفاق لا تكون إلا للأنبياء، وقد أثر عن إمام دار الهجرة أنه كان دائماً يقول: كل يؤخذ من كلامه ويترك إلا صاحب هذا القبر الأعطر.
ويعجبني من الآلوسي تأويله ما ذكره ابن عربي " الطائي" من حياة أربعة من الأنبياء وأنهم لايزالون في الأرض وقوله بعد ذلك ما معناه: حسب الشيخ منا أن نؤول كلامه حتى يتفق مع كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ وأما العكس فمما لا سبيل إليه إذ الدين يصير بذلك لعبة لعّاب انتهى بمعناه)[1].
وقال في القصدة الرابعة عشرة: (وهذه في وصف بعض حال المموِّهين ووجوب الاعتماد على والإطراح لما عداها.

| | |
|---|---|
| **سوق الفضيلة في أيامنا رخصا** | **كأن ما فيه من درّ الكمال حصى** |
| **لا حظّ إلا لأبناء السفاح ومن** | **نمته أم حصان كابد الغصصا** |
| **ما زالت الناس قبلي يشتكون لما** | **يلقون من قلة الأحرار والخلصا** |
| **واليوم أطلب إنسان فأعوزني** | **ولم أجد غير وحش تلبس القمصا** |
| **فهل حقيقة هذا الجيل ثابتة** | **أم لا فإشكال هذا الأمر قد عوصا** |
| **ما للزمان قد استشرى الفساد به** | **والخير فيه على أعقابه نكصا** |
| **غنيمة المرء بعد** | **تفرح بآت ولا تحزن** |

---
[1] ديوان ابن عبيد الله (258-259).

| | |
|---|---|
| **الناس عنه فــلا** | **لمن شخصــا** |
| **ولا يغرّك زي النسك من أحــد** | **فكم تنسك دجال ليقتنصـــــا** |
| **يمشي الهويـنا بشئ في عمامتــه** | **كأنه الرّوق لكن في امتداد عصــا** |
| **كأنـما هو حــاو لا تفــارقه** | **رقـطاء يغوي بها من عقله نقصــا** |
| **ممـوّه يذكر الأخيار منتهـــزاً** | **بذكرهم من صغار الأنفس الفرصـا** |
| **يروي غريب كرامات بلا سـند** | **وربما اختلق الأخبار والقصـصــا** |
| **خلوا الخرافات والأحلام إن لـنا** | **ديناً قويماًمن الأوهام قـد خلصــا** |
| **مـا في شريعتنا وهم ولا شبــه** | **لكن عزائم صدق مازجت رخصـا** |
| **وهـذه سيرة الهادي وسنتـــه** | **من حاد عنها ولو قيد البنان عصـى** |
| **خير النبيين من شباكه لنـــهى** | **أهل النهى قـد غدا من حبه قفصـا** |
| **لـه وللمرتضى منّا التحية مــــا** | **غنّى الحمام وما بان النّقا رقصــا** |
| **وما هدي الركب بالريح النسيم وما** | **انضى الدليل بأنواعه الحدا القلصا)[1]** |

**الأستاذ الزبيري:**

وللأســتاذ الشــاعر محمد محمــود الزبــيري مشــاركة في نقد القبورية قالها حينما أمر الإمـــام أحمد بن يحـــيى حميد الـــدين بإزالة قبر ابن علوان وتسـويته ونقل رفاته إلى مكـان مجهـول، فأهتبل الزبيري هذه الفرصة وأنشأ قصـيدة طويلة مـدح الإمـام فيها ببيتين أو ثلاثة ثم أخذ في نقد القبورية فقال:

| | |
|---|---|
| **(كذلك المجـد إمـا رافعاً علمـــاً** | **أو باعثـاً أممـاً أو هادماً صنمـا** |
| **يا مـن يجـدد من آثـار** | **مالو رأى جـده** |

[1] ديوان ابن عبيد الله (238-239).

**أمتــه**
**جرح علـى كبـد**
**الإسلام متسع**
**خديعـة للجماهيـر**
**التي زعمـت**
**قالوا له كتـب في**
**القبـــر يكتبها**
**فليت شعـري أسحـر**
**ذاك يزعمه**
**أم أنـه اتخـذ القبر**
**المقيـم بـــه**
**كاد ابن علوان إذ**
**بَرَّدتَ مضجـعه**
**يشكو إليك أناساً**
**أحدثوا بدعــا**
**جاؤوه وهو رهين**
**القـبر منتـظرٌ**
**يعتـد منطقه كـي**
**يستجاب لـه**
**فبينما هو يخشـى**
**هفوةً سلفـت**
**إذا بـه يجـد الدهـماء**
**تعبـــده**
**فظل يرجف من**
**خوف ومن خجل**
**فكاد يهـرب من**
**مـولاه معتذراً**
**ربّاه، إنيَ لم أرض**
**الذي صنعوا!!**
**قد عشت عبـداً فلما**
**آن منقلبـي**
**ما كان أخلص**
**توحيـدي لو أنهم**
**وكيـف تخلق حلقاً ثم**

**المختـار لابتسما**
**وضعت فيه ذباب**
**السيـف فالتأما**
**بـأن مـن دينهـا أن**
**تعبـد الوهما**
**ينهـى ويأمـر أنـى**
**شـاء محتكما**
**أم أنـــه اتخـذ**
**القرطاس والقـلما**
**عرشـاً يدبـر فيه**
**اللوح والأمما[1]**
**يسعـى بأكفانـه**
**للعرش مستلمــا**
**ما كان وصاهـم فيها**
**ولا علمــا**
**هـول السؤال يخـاف**
**الويل والنقما**
**وقتـاً تضيع فيه**
**الألسـن الكلـما**
**صغيرةً فيـه فيمـا**
**قـال أو زعمـا**
**جهـراً وتجعلـه ربـاً،**
**وإن رغمـا**
**وبقـرع السـن مـن**
**أعدائه ندمـا**
**إليـه لو أنـه أحيـى له**
**قدمـــا**
**وكيـف أرضى ربـي**
**عندك التهمـا**
**إليك صيّرنـي أهـل**
**الهـوى صنما**
**ترسمـوا الديـن**
**والآيات والحكما**
**عبادتي دون مـن**

---

[1] مجلة الإكليل (39 ) مقال لعبدالله البردوني .

**أسألهم … أولاهم النعما**
**وكيف أطلب حقاً … ـقهار تأخذ من**
**أنت مالكه الـ … ناواك واجترما**
**وكيف أجعل نفسي … أفلاك والشمس**
**ندّ من خلق الـ … والأقمار والديما**
**لو كنت أدفع عن … للموت طعماً ولا**
**نفسي لما وجدت … ذاقت له ألما**
**لو كنت أزعمها رباً … بين التراب وصارت**
**لما دفنت … جيفة ودما**
**ما كنت آمرهم إلاّ … به الأناجيل والقرآن**
**بما أمرت … والحكما**
**مادمت فيهم فقد … وكنت أزجر من ثنّى**
**كنت الشهيد لهم … ومن ظلما**
**لما توفيتني كنت … ما يصنعون، وكنت**
**الرقيب على … الشاهد الحكما**
**وأنت أعلم من … نفسي وأعدل من**
**نفسي بما صنعت … جاري ومن حكما)**[1]

وقد أطال الزبيري الاعتذار عن ابن علوان وأنه غير راض عما يعمله الناس عند قبره، ولكن القاضي الأكوع كما سبق في المطلب الذي قبل هذا قد صرّح أنه وجد من كلام ابن علوان نفسه ما يدل على افتتان الناس به في حياته وادعائه تلك الخوارق التي تحمل الناس على التعلق به، وهذا شأن كثير من أقطاب الصوفية.

وفي نفس الحادث يقول الشاعر المناضل زيد الموشكي:

**(ياعين هذا الصنم الأكبر … وهذه "يفرس" والمنكر**
**هذا ابن علوان وذا قبره … يعبده العالم لا يفتر**
**ياعين هذا هبل آخر … وقد يفوق الأول الآخر)**[2]

وأما علي أحمد باكثير الشاعر الكبير والأديب الشهير ففي مسرحيته " همام، أو في بلاد الأحقاف " قد شخص لنا الولي "

---

[1] هجر العلم ( 2/750 – 751 ) .

[2] مجلة الإكليل مقال البردوني (39 )

ولي اللـــه" الـــذي عرفه مجتمعه الحضـــرمي تلك الحقبة من الزمن الذي لم يبق علم ولا تصـوف كما يصـرح بـذلك جمع من عقلاء تلك البلاد في ذلك الـزمن، وإنما رسـوم ومظـاهر وراءها نفـوس فارغة من الصـلاح، وقلـوب خاوية من الإيمـان،وعقـول مردت على الكيد والاحتيال،وياليت القوم كانوا عصابة سرقةٍ أو قطعِ طريق أو شبه عصابات " المافيا " إذن لهان الأمر إذ يوجد ذلكَ في كل مكـــان، ويأخذ النــــاس حـــذرهم منهم،وتتحمل السلطات مسؤولية ملاحقتهم، ولكن باسم الدين وباسم الولاية وباسم الكرامات هذا ما لا يطيقه مسلم عـرف الإسـلام، لـذلك جاء نقد الأديب باكثير عنيفاً وفي صـورة صـارخة من السـخرية والهزء بهذا النوع من الناس فاسمعه يصف الولي المحتال:

**(ولـــي الله ذو الـــحبو ... ة والأرديـــــة الخضـــر!**
**وذو والعمَّـــــة المســواك ... قـــد أربـــى علـــى الشـــبر![1]**
**ورب السبحـــة الغــــار ... ق فـي التسبيــح والذكـــر**
**بـهـــا يذكـــر فـي النـاس ... ولا يذكـــر فـــي الســـر**
**ومـــن يمشـــي بعكازيـــن ... مـــن أتباعـــه الكُثـــر**
**يطـأطـىء رأسـه لـــلأر ... ض كالبـــاحث عـــن ســـر)[2]**

وبعد أن كشف باكثير عن شخصية الولي الحي الذي يعتقد الناس فيه الصلاح وهو يمكر بهم ويحتال عليهم، يتجه اتجاهاً آخر إلى ولي ميت وماذا يدور حول قبره وأثناء زيارته، وماذا يريد الناس منـه، ثم ختم المشهد بغضب همام وثورته على هذه الخرافـات وهـذا الجهل والتجهيل،وقد صرح بذلك في وجه داعية الخرافة:

فهذا همام بطل المسرحية يسأل محمداً أحد أشخاصها قائلاً:

**(محمـــد هـــات عـن ... ن مـــاذا كـان مـن**

[1] في الأصل تقديم المسواك والصواب ماذكر .

[2] همام أو في بلاد الأحقاف لعلي أحمد باكثير ص (47) منشورات الصبان وشركاه ، الطبعة الثانية (1385-1965) .

قيــدو　　　أمــر؟
ومــا شاهــدت فـي　　　مــن عــرف ومــن
الموسـم　　　نـكر؟
وهــل وفقـت فـي　　　والتذكيـــــر
الإنــكار　　　والزجـــر؟
فيجيبه محمـــد:
توافــى النــاس　　　إلــى قيـــدون
أفـواجـــاً　　　كالـــذر
فمِــن سـا عِيـَـة　　　ومـــن راكبــة
تمشــي　　　الحمـــر
هنـاك السـاحـــة　　　تحاكــي ساحـــة
الكبــرى　　　الحشــر
بـهـا ما شئـت مــن　　　ومــن لغــو ومــن
لهـــو　　　هــذر
وقـــد غصــت　　　مــن الآســـاد
بأشتــات　　　والعفــر!
تبــارت ثـــم فـــي　　　الحليـ　　　والأبـــــراد
ة　　　والخمـــر
وقـد يقتلـــن　　　ـــم　　　أو بالنظـــر
بالمعصــــــ　　　السحـــري!!
مــن الظهـر إلــى　　　إلــى منبلــج
العصــر　　　الفجـــر!
هنــاك الخســر فـي　　　وحسـب النـاس مـن
الديــن　　　خســر
ولا يربــح فـي تــلك　　　ـزيـارات ســوى
الــ　　　التجـــر
وأمـــا ســـادن　　　فهــو الرابـــح
القبـــة　　　المـثـري!
تسـاق لـــداره　　　س مـن حـب ومـن
الأكيـــا　　　تمـــر
و " للصنــدوق " مــا　　　ع مـــن ورق ومـن
يبـــا　　　تبـــر!
*
ولمـــا حضــــر　　　تداعــوا كضحـــى
الوقـــت　　　النفــر
وأمُّــوا نحـو قبـر　　　ـخ بالطبــــل

الشيـــ     وبالزمــر
يصيحـــون ولــي اللـــه     جئنـــاك إلـى القبـــر!
أتينــاك لكــي تحمـــل     عنّـــا ثقــل الــــوزر
وكـــي تسبــل ياقطــــب     علينـــا ضافــي الستـــر
وفــي الأنفــس حاجـــات     بهـا ياسيــدي تـــــدري!
أتينــاك لكــي تقضـــى     ونحظـــى منــك بالســـر

*

ولمـــا وصلـــوا القبـــة     داروا دورة الحمـــــــر
وأهـــوت راح ذاك الجمـــ     ـعِ فـي التابـوت بالنقـــر
فــلا تسمــع إلاَّ مـــــا     يصيـــب السمــع بالوقـــر
هنـــاك النــاس غيـــر النــاس     فــي الإخبــات والذكــر!
فهـــذا خاضــع شـــاك     وهـــذا دمعـه يجـــري
وهـــذا ينشــج النشجــة     تستعصـــي علـى الصـدر!
وهـــذا يرعــد الرعـــد     ة فــي أعضائــه تسـري!
وهـــذا ينـــذر النـــذر     وهـــذا جــاء بالنـــذر
وهـــذا صائــح يـــا سيــدي     عطفـــاً علــى فقـــري
علــى عجــزي وإهمــالي     علــى ضعفــي على ضـري
وقــد جُلِّلَــت القبـــة     بالزينـــة والستـــر
وبيضــات مــن البلـــو     ر علقــت علــى الجــدر!

| | |
|---|---|
| فمــن حمــر إلى صفــر | إلــى زرق إلـــى خضــر |
| ومصبــاح كبيــر الضــوء | مثــل الكوكــب الـــدري |
| وللتابــوت معنــى مـــن | جـــلال العتــق والقــدر[1] |
| قــد اســود مـن التقبيـل | فـــي مختلـــف العصــر! |
| عليـــه ضـــبب الفـــضـــة | فـــي أســـود كالحبـــر |
| فتبـــدو كثغــور الزنــج إذ تضحـك مـن | أمــر! |
| فثـــم الضـــم والتقبيـل | بالثغــــر وبالنحـــر |
| تــلاقى فيــه دمعـــا الشـاب | والجاريـــــة البكــــر |

*

| | |
|---|---|
| ولمــا سكــن الجمـــع | سكــون المـوج فـي البحــر |
| تــراءى النــاس شيخــاً ذا | شقـاشــق فيهــم هـــدر |
| ينــادي أيهــا النـاس إهنـأوا | بالفـــوز والنصــر |
| بهــذي النعمــة العظمــى | بنيــل الفضـــل والفخــر |
| قصـدتـم بـاب ذي عطـف | وذي جـــود وذي بــــر |
| وأنَّ الشيـــخ لا يتـــرك | مــن زار بـــلا أجـــر! |
| عليـــكم بخلـــوص القصـد | فـي الســر وفــي الجهــر |
| وبالتسليـــم للأقـــطاب | والخدمـــة والصبــــر |
| وإيّــاكم وســوء الظـن | بالصوفيـــة |

[1] العتــق : القـــدم .

الظـ الغـــر
فأهــل الله هــم جــازوا مناــاط النهــي والأمـــر
ملــوك لهــم التصــر يـ ــف فـي البـر وفـي البـحر
*
سمعنـا أن فــي (حــدرى) تبا شيـــر مــن الكفــر[1]
تصــدى ناشــيء غـــر بــــلاه اللـــه مـن غــّر!
يربــي الشعــر كالفســا ق إذ يعنـــون بالشعـــــر
تلقــى مـن فنــون العلــ ــم مــازاد علــى القــدر
فأغـــــــواه وأرداه وجــاء النفــع بالضـــر
ومــن شقوتـه استحلـــى حميــــم الأدب المـــزري
جـــرى القلــب لايعبــ ــأُ بالتهديـــد والزجـــر
يبــث الســم فـي الجا هــ ــل والعــلامــة الحبـــر
يســيء الظـن بالأقطــــا ب أهــل المــدد السـري!
لــه أتبـــاع ســوء كلـ ـهم يدعـــو إلــى الشــر
*
هنـــا قمــت وقـد ضــاق بــي الواسـع مـن صــدري
ومـــا باليـــت بالغوغـــا ءِ فــي عسكرهــا المجـــر
وقلـت اسكـت عجـوز السـو ءِ يـــا داعيـــة النكـــر

[1] تطلـق حدرى على ما سـفل من حضرموت كشبام وسيئون وتريم ، وعلوى على ما علا منها كدوعن وعمد ووادي العين.

**عـــدو الله والإصـــلا** **ح! هـل تهـذي ولا تــدري؟**
**أتدعــو النـاس للنكـــر** **وتهجــو داعــي الخيـــر**
**فصـا ح الشيــخ غــولوه** **فــذا مــن شيعـة الغــر**
**فلـــولا أن تســللت** **مـــن الجمهـــور بالفــر**
**لكانــوا أعدمونــي مهــ** **ـجتـي بالضـرب والدفـــر** [1]

*

همــام يضحـك ويقــوم إ لى محمــد ويضـرب علـى كتفيه:

**حمــاك الله مــن ســوء** **وقــاك اللــه مــن شــر**
**لقــد قمــت مقامـــاً لا** **يـــوازي عظمــة شكــري**
**ولا بـــد لــذي الإصـلا** **ح مــن عــزم ومـن صبـر!)** [2]

هذه بعض القصائد في نقد القبورية العامة، وهنـاك قصـائد أخـرى كثـيرة في هــذا البــاب ولكنــني أكتفي بما ســبق لئلا يطــول هــذا المطلب.

**<u>المطلب الثـــالث</u> نقـــول عن بعض من يعتقـــدهم القبورية في نـقد عقائدهم وأعمالهم:**

الباطل لايمكن الإجماع عليه لأنه لو حصل ذلك للبَّس على الناس دينهم ولبطلت خصيصة من خصـــائص هـــذه الأمـــة، وهو أنها " لا تجتمع على ضلالة "، فالطائفة المنصورة دائماً ظـاهرة في مخالفة الباطل وإنكار المنكر في أي جانب كان.

وفوق ذلك فإن من المحبين لأهل الباطل الـواثقين بهم المقلـدين لهم من هو من أهل الخـــير والصـــلاح، ولو رجع إلى نفسه ودرس الأمر بعيــداً عن المــؤثرات لمــيز الحق من الباطل ولظهر له خطأ كثير مما استصوبه أصحابه، فلذلك عندما تتاح لهذا النوع من الناس تلك الســوانح فــإنهم يقتنصــونها وتظهر على أقــوالهم وأفعــالهم،

---

[1] الدفر : الدفع في الصدر .
[2] همام ( 48-52) .

وهنـاك من هو متمكن في الضـلال ولكن يـأبى الله إلا أن يجـري كلمة الحق على لسـانه أو قلمـه، فمن أجل ذلك كله عقد هـذا المطلب لإيراد نماذج من تلك الفتاوى والتقريـرات الـتي وردت إما من القبورية أو ممن هو محسوب من أنصارهم وأتباعهم من علماء وفقهـاء اليمن، ولن أخـوض في نوايا أولئك النـاس أو أحكم عليهم بضـلال أو هدايـة، إذ المقصـود هنا فقط هو تأييد الحق الـذي يعرفه أهل السـنة، ويقررونه ويسـتدلون عليه بالأدلة الشـرعية المعتمـدة بما يقوله من يحسب القبورية أنه منهم أو من أنصارهم وأشياعهم.

**النموذج الأول:**

فتوى السيد عبدالله بن محفوظ الحداد مفـتي سـاحل حضـرموت في زمنه [1] إذ سـأله بعض أهـالي تـريم عن الاسـتغاثة بـالأموات: وماحكم تلفظ القائل عند حدوث مكـروه،مثل سـقوط طفـل: ياالله ياشيخ سعيد أو ياالله يامحضار، وأحياناً يقـول: يامحضـار احضـر..... الخ.

فأجـاب: (الحمد لله والصلاة والسلام على سـيدنا محمـد، إن مثل هذه العبارات من العبـارات الشـركية الـتي يجب على المسـلم أن يتـنزه عنهـا. فقد قـال الرسـول  لمن قـال: ماشـاء الله وشـئت: "أجعلتني لله نـداً " وهـذه الاسـتغاثات ممنوعة لأنها موهمة وتـؤدي إلى خلل في العقيدة خصوصاً العامي الذي يعتقد أن لهؤلاء الأولياء تصرفاً وأنهم يحضرون عند الاسـتغاثه بهم – وإنما يسـتغاث بـ الله

[1] السـيد عبدالله بن محفـوظ الحـداد وهو ممن عاصـرته مـدة وعملت معه في بعض الـدورات الشـرعية الـتي أقامتها وزارة الأوقـاف والإرشـاد بحضـرموت ، والرجل درس في رباط تريم ثم سافر مبتعثاً إلى السودان وتخرج من هناك وعاد ليتولرئاسة محكمة الاستئناف بالمكلا ثم رئاسة القضاء بحضـرموت واسـتمر فيه إلى عام 1970م ثم استقال منه .

وهو قد استفاد من تفرغه أيام الحزب الاشتراكي في أول عهده وعهد الجبهة القومية فقرأ كثيراً ومما قرأ فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، ولكنه مع ذلك ظل متمسكاً بالأشعرية على طريقة الغزالي ، وكان يكـره الخـوض في مجـال البدعة بل إن له كتابـاً أيد فيه أصل الابتـداع في الأمـور العملية ورد على صـاحب كتـاب "السنن والمبتدعات "وكان يغضب عندما يسأل عن حكم القباب التي على القبور ، ثم بعد اشتداد موجة التصوف تعاطف مع المتصـوفة أكـثر وكـان يقـول إن علي بن حسن السقاف - صـاحب الأردن الـذي ألف رسـائل في تأييد بعض البـدع ورد على الشيخ الألبـاني وابن تيمية وغيرهما - يقـول عنه أنه مجـدد هـذا القـرن .ومع ذلك كان يفـتي هـذه الفتـاوى في أن الاسـتغاثه بغـير الله شـرك إلى آخر حياته - رحمه الله - .

جل جلاله – لا بغـيره من الملائكة أو الرسل أو الأوليـاء والصـالحين فكل مما يجب منعه ومحاربتــه. ومع الأسف فــإن هــذه الألفــاظ يكررها العـوام، والعلمـاء يسـمعون فلا ينهـونهم ولا ينبهـونهم على خطرها لأنها تتصل بالعقيدة. فالله هو النافع الضار المحيي المميت مالك الملك لاشريك له، ليس لأحد معه شرك ولا تصرف.

قال في " بغية المسترشدين ": " مسألة ك [1]" جعل الوسائط بين العبد وربه فــإن صــار يــدعوهم كما يــدعو الله في الأمــور ويعتقد تـأثيرهم في شـيء من دون الله فهو كفـر، وإن كـان نيته التوسل بهم إلى الله في قضاء مهماته مع الاعتقاد أن الله هو النافع الضـار المؤثر في الأمور دون غـيره، فالظـاهر عـدم كفـره وإن كـان فعله قبيحاً أ.هـ.

قلت: فإن قوله الظاهر عدم كفـره أن ذلك حـرام لأنه يـؤدي إلى الكفر خصوصــاً من العــوام الــذين أصــبحوا يعلنــون مثل ذلك في كلامهم وحتى عند الجنائز – فأهل السوق يقولون: يامحضـار، وأهل النويدره يقولون: ياشهاب الـدين – وهـذا إن لم يكن كفـراً صـريحاً فهو قريب منه، ويجب على العلماء التنبيه عليه والتحـذير منه ومنع إعلانه في المجتمعات كالجنائز ونحوها من الحريق وغيره، وليأخذوا بالسـبيل القـويم الأسـلم. وإذا كنا نعـذر بعض العلمـاء مما ورد في أشعارهم لأنهم علماء يعلمون مايقولون فإذا نـادى ميتاً فإنما لأجل مدحه لا للاستغاثة به. وإن كـان فيه اسـتغاثة حملنـاه على المحمل السليم لعلمه، أما أن نـترك العامة يأخـذون الألفـاظ ويعلنونها كأنها من الأذكـار فهـذا مـالا يجـوز قطعـاً. والسـاكت عن الحق شـيطان أخرس. والله المستعان) [2].

ولما انتشرت هذه الفتوى ومضت مدة لانتشارها شكك البعض فيها فعـاد أحد طلابه إليه وذكر له ذلك فأصر على صـواب تلك الفتـوى، وأصدر فتوى أخرى فـرق فيها بين الاسـتغاثة الـتي يحرمها ويعتبرها من الشـــرك وبين التوسل المعـــروف بالأوليـــاء بأشخاصـــهم أو بأعمـالهم وهو ممن يجـيز التوسـل، وهـذا نص الفتـوى الثانيـة:(إن المتوسل متوجه بطلبه إلى اللـــه، وذكر المتوسل به على ســـبيل التحبب، وأما الاســتغاثة فيمكن اعتبارها توســلاً ظنيــاً لمن يفهم وينوي طلب الـدعاء، وإلاّ فإنها ممنوعة وبالـذات للعـوام الـذين قد يعتقـدون في المسـتغاث به القـدرة على تحقيقها اسـتقلالاً، ولهـذا

---

[1] ? حرف الكاف رمز للشيخ العلامة محمد بن سليمان الكردي مفتي الشافعية في زمانه معزو إلى فتاواه .

[2] هذه الفتوى صدرت بخطه وتوقيعه وختمه ثم طبعت في ورقة أخرى ووزعت في حياته ولازالت النسختان محفوظتين .

فهي محرمة على العوام وعلى إظهارها الفتوى بها، ونعذر العلمــاء الــذين جــاءت في أشــعارهم لعلمنا بصــحة عقيــدتهم وأنهم إنما يقصدون التوسل بالمستغاث به وطلب دعائه) [1].

وهـذه الفتـوى وسـابقتها للعلامة الحـداد لم تصل إلى المسـتوى المطلـوب أو لم تخـلُ من بعض المآخذ ولكن المـراد من إثباتها هنا إثبات أن مبدأ اعتبار الاستغاثة بغير الله شرك شـائع ومعـروف عند كل من خلع ربقة الهـوى والتقليد ومن تعصب بــدون بصـيرة، وإن اختلفت العبارات وتفاوت مستوى التحقيق والتدقيق في الفتاوى.

ويقــرب من ذلك ما قــرره العلامة عبدالله بن أحمد باســودان - رحمه الله - وهو من أكـــابر فقهـــاء حضـــرموت في وقتـــه، ومن المنطوين في السـادة العلـويين؛ بل يعتـبر شـيخاً للكثـير منهم في كتابه "ذخـيرة العبـاد شـرح راتب الحـداد " (وقد فشت في العامة اعتقادات فاسدة في أولياء الله، فإن مرضوا، قالوا: هـذا صـدر من فلان، وإن شـفوا؛ قـالوا: بركة سـيدي فلان، فلما اعتقـدوا ضـرهم ونفعهم؛ حلفـوا بهم ونـذروا لهم من دون اللـه، واستشـفوا بهم من دون الله، فإن أجرى الله سبحانه الوادي؛ قالوا: شـيء لله يـافلان، وإن قبض الله عليهم المطـر؛ قـالوا: قبضـها فلان.. والله سـبحانه القابض الباسط المحيي المميت وكل شيء بيده في ملك ملكوت، ولو ذهبنا لما في الكتاب والسنة من التحذير في ذلك لعرف الناس أنهم قد هلكوا، وأكـثر هـؤلاء بل كلهم أتبـاع الـدجال نعـوذ بالله من الضلال، ويقع من هؤلاء في زيارة قبور الأولياء أو غـيرهم كثـيرٌ من الجهــالات والمــآثم المتكــررة، هــذا ما قاله الشــيخ عبــدالخالق المزجاجي الزبيدي.) [2].

والمهم في هذا النقل قوله: (فلما اعتقدوا ضـرهم ونفعهم حلفـوا بهم ونذروا لهم من دون الله واستشـفوا بهم من دون اللـه)، وهـذا هو الرد الحاسم على المزايدين من المعاصرين، الذين يقولون: إن تلك الأفعال التي يفعلها العامة [3] إنما هي مجرد أعمال لاتقوم على

---

[1] وهذه الفتوى حررت يوم الاثنين 12 صفر 1416هـ وهي كـذلك محفوظة بخظ المفتي وتوقيعه .

[2] ذخيرة العباد شرح راتب الحداد ( 124-125 ) بواسطة طريقة الساده العلويين نقلاً عن كتبهم ( 7-8 ) كتبها مجموعة من الشـــباب كنـــوا عن أنفســـهم بـــ ( مخلصون ) وقدم لها السيد عبدالله بن محفوظ الحداد وهي مخطوطة لدى.

[3] إن هذا القول إنما هو تنصل من الحقيقة وإلا فهو قول العامة وكثير من الخاصة ولئن كـان العـامي تـربى على ذلك واعتقـده تقليـداً، فـإن بعض من يحسب من الخاصة من يقوله ويدافع عنه ويقيم الحجج بزعمه على صحته ، ثم عند المناظرة يــراوغ ويقــول إنما هــذا فعل العامة ومن اعتقد الضر والنفع في غــير الله فقد أشـرك ، فله مـذهبان مـذهب عند الأتبـاع هو تأصـيل ذلك وتأييـده ومـذهب عند

اعتقـــاد ضر ولانفـــع، ولو صح أن هنـــاك اعتقـــاد ضر أو نفع لقلنا بشركهم، فهذا العالم الذي تعتبرونه من أجل علمـائكم يصـرح بـأن هذه الأعمال ما صدرت إلا عن اعتقاد.

أما نحن فنقول: إن مجـرد فعل هـذه الأعمـال وصـرفها لغـير الله شرك ولولم يصحبه اعتقاد وانظر ما قرره الإمام الشـوكاني رحمه الله في هذه المسألة في الدر النضيد.[1]

ويشبه ذلك - أيضاً - ما نقله علوي بن طاهر الحداد عن " الإمام " الحـداد المشـهور " عبدالله بن علـوي " حيث قـال: (وأما الغلو في الأولياء فسـببه الجهل وقلة المعرفة بعقائد الـدين وقد ينتهي ببعض النـــاس إلى أن يثبت لهم القـــدرة على الضر والنفع كما يثبت لله عزوجـــل، وهـــذا انتكـــاس على أم الـــرأس وفقد لحقيقة الإيمـــان والإسلام. قـال الإمـام العـارف بالله محـيي الطريق وداعي الفريق الحبيب عبدالله بن علوي الحداد العلـوي: التصـرف الحقيقي الـذي هو التـأثير والخلق والإيجـاد لله تعـالى وحـده لاشـريك له ولا تـأثير للولي ولا غيره في شي قط لاحياً ولاميتاً، فمن اعتقد أن للـولي أو غيره تأثيراً في شيء فهو كافر بالله تعالى انتهى).[2]

وهو كالذي قبله يثبت أن للعامة اعتقـاداً منحرفـاً في الأوليـاء بفقد حقيقة الإيمان والإسلام وأن (من اعتقد أن للولي أوغيره تأثيراً في شيء فهو كافر بالله تعالى)

وفي مسألة الذبح لغير الله قال العلامة عبـدالرحمن المشـهور في "بغية المسترشـــدين " " مســـألة ب"[3]: (القـــنيص المعـــروف بحضرموت من أكبر البـدع المنكـرات والـدواهي المخزيـات، لكونه خارجـاً عن مطلوبـات الشـرع، ولم يكن في زمن سـيد المرسـلين والصـحابة والتـابعين  أجمعين، ومن بعـدهم من الأئمة ولم يرجع إلى أســـاس ولم يبن على قيـــاس، بل من تســـويلات الـــرجيم وتهويســـات ذي الفعل الـــذميم والعقل الغـــير المســـتقيم؛ لأن من عاداتهم أنه إذا امتنع عليهم قتل الصيد قـالوا: بكم ذيم.[4] فيـذبحون رأس غنم على الطـوع - يعـني العـود الـذي تمسك به الشـبكة -

---

الخصـــوم هو المراوغة والتقية وإســـكات الخصم بما يوافقه وإن كـــان خلاف مايعتقده ذلك المناظر .

[1] الدر النضيد ص ( 110 ) .

[2] عقود الألماس بمناقب الإمام العارف بالله الحبيب أحمد بن حسن العطاس ( 1/47)

[3] يعني أن هذه المسألة فتاوى عبدالله بن الحسين بن عبدالله بافقيه كما في مقدمة العينية (2 ).

[4] ( الذيم ) يظهر أنه اصطلاح خاص بالقوم ولم يفسره المصنف ولعله مانع من موانع حصول الصيد بسبب معين .

تطهيراً للقـنيص من كل شك ووسـواس فالـذبح على هـذه الصـفة لايعجل قتل مـــالم يَحْضُـــر أجلـــه، إذ الأجل كـــالرزق والســـعادة والشقاوة له حدّ ووقت مقدر كما قال تعالى:  **لكل أجل كتاب** [1]، وفي الحـديث: " فـرغ الله من أربـع: من الخلق والأجل والـرزق والخلق " ثم الذبح علىمثل هذه الحالة يتنوع إلى ثلاثة أمـور: إما أن يقصد به التقرب إلى ربه، ولم يشرك معه أحداً من الخلق، طامعـاً في رضاه وقربه وهـذا حسن لابـأس بـه، وإما أن يقصد به التقـرب لغـير الله تعـالى كما يتقـرب إليه معظمـاً له كتعظيم الله كالـذبح المذكور بتقدير كونه شيئاً يتقرب إليه ويعـول في زوال الـذيم عليه فهـذا كفر والذبيحة ميتـة، وإما أن لا يقصد ذا ولا ذا بل يذبحه على نحو الطـوع معتقـداً أن ذلك الـذبح على تلك الكيفية مزيل للمـانع المـذكور، من غـير إعتقـاد أمر آخر فهـذا ليس بكفر ولكنه حـرام والمـذبوح ميتة أيضـاً وهـذا هو الـذي يظهر من حـال العـوام؛ كما عـرف بالاسـتقراء من أفعـالهم، كما مقت هـذه الصـور الثلاث أبو مخرمة فيمن يـذبح للجن)[2] والشـاهد في النص اعتبـار الـذبح لغـير الله على سبيل التعظيم شـرك بالله تعـالى، وتصـريح هـؤلاء الثلاثة العلماء الكبار به وهم من مشـاهير علمـاء حضـرموت المحسـوبين من قدوات الصوفية:بامخرمة، وبافقيه،والمشهور.

وفي نفس الموضـوع يقـول ابن عبيدالله مفـتي حضـرموت في وقته: (ولنضرب مثلاً بأولياء الرحمن فإن من اسـتخف حقهم وأنكر خصوصيتهم اقتحم الغلط وأتى بـأكبر شـطط ومن طلب منهم مـالا يطلب إلا من جبـار السـماوات واعتقد أن لهم تـأثيراً من دون الله فقد وقع في صريح الإشراك)[3].

وفي الحلف بغير الله يقول عبدالله بن حسين بن طاهر: (وأحذركم الحلف بالله في جميع شؤونكم (ولا تجعلوا الله عرضة لأيمـانكم)[4]، وأما الحلف بالآباء والجدود وبكل مخلوق - وإن عظم - فهو محـذور ويختلف الحكم فيه بـــاختلاف المقصـــود فبعض صـــوره قـــادح في

---

[1] سورة الرعد ( 38 ) .

[2] بغية المسترشدين في تلخيص فتاوى بعض الأئمة من العلماء المتأخرين تأليف عبدالرحمن بن محمد باعلوي طبعة دار الفكر بدون تاريخ ص ( 255-256 ) .

[3] مذكرة طريقة السادة العلويين كتبها مجموعة من الشباب كنوا عن أنفسهم بـ ( مخلصون ) وقدم لها السيد عبدالله بن محفوظ الحداد وهي مخطوطة لدى ص ( 10 ) عن رسالتي ( المساواة والملكية ) للسيد عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف .

[4] البقـــرة ( 224 )

التوحيد ومادون ذلك فمكروه؛ للنهي الشديد وأشدّ من ذلك الحلف بالأمانة فالمحتاط من كف عن ذلك لسانه)[1]
والشاهد جعله بعض صور الحلف قادحاً في التوحيد ولعله يقصد إذا قصد الحالف تعظيم المحلوف به.
وهـذا ظـاهر عند الـذين يصـرون على ألا يقبلـوا الحلف إلا بـالولي ويرفضون الحلف بالله وكذلك الذين يتهيبون من الحلف بـالولي ولا يتهيبون الحلف بالله
وفي النـــذر قد ســـبق ما قاله العلامة أبو بكر الخطيب وموضع الشاهد قوله: (أقول وأنت خبير بأن العامي الجاهل الصــرف يخفى عليه ملاحظة أن هذا التصدق لايعتقد إلا في القــرب ومعرفة ما هو قربــة، فليتنبه لما يجـيئون به للـولي أو قـبره أو مشـهده وهو ميت فإن الغالب أنهم يقصدون به تعظيم ذات الولي أو قبره أو مشـهده وذلك باطل؛ كما تقدم والله أعلم بالصـواب)[2]، أقـول والـذي تقـدم قوله: (الذي تحصل للفقـير من كلام أئمتنا الشـافعية - رحمهم الله تعـالى - ملخصـاً من كلام طويل لهم في مثل هـذه المسـألة أن ما تصدق به على النبي أو الولي الميتين أو على قبرهما أو مشــهدهما مثلاً سواءاً كان بنذر أو وقـف، ومثل ذلك الأمل[3] المعـروف بالجهة عنـدنا أنه قصد به تمليك الميت أو القـبر أو المشـهد بطـل؛ لعـدم صحة تمليك من ذكر وكذا لو نوى بـذلك التقـرب إلى من ذكـر؛ لأن القرب إنما يتقرب بها إلى الله تعـالى لا إلى خلقه ومثل ذلك ما إذا كان المتصدق به شمعاً أو زيتاً، ومثله السليط والقـاز عنـدنا وقصد به الإسراج للتنوير تعظيماً للبقعة أو القـبرأو التقـرب إلى من دفن فيها أونسبت إليه كما يعتقده بعض العامة فإنهم يعتقـدون أن لهـذه الأماكن خصوصيات بنفسها ويرون أن التصـدق عليها مما ينـدفع به البلاء..) [4] أقول واضح من هذا النقل أن هذا الفقيه يوافق في قوله هذا القول الصحيح من أن النذرلغير الله شرك إذا كـان عن اعتقـاد في المنذورلـه، وهـذا على قـول من يجعل النـذر بمعـنى الهبة أو العطية، وأما من يقول إن النـذر لايسـمى نـذراً إلا إذا كـان عبـادة؛ فإنه يكـون النـذر - على قـولهم - وعلى من نـذر على هـذا الوجه - شركاً ولولم يصحبه تعظيم.

---

[1] المجموع لعبدالله بن حسين بن طاهر ص ( 237 ) بواسطة طريقة السادة العلويين ص ( 8- 9 ) .
[2] الفتاوى النافعة ص ( 249 ) .
[3] الأمل يشبه نذر المكافأة كأن يقول إن شفي مريضي فللولي الفلاني كذا كذا .
[4] المصدر السابق ص (248-249).

يقــول الســيد عبــدالرحمن المشــهور في التفريق بين الكرامة والســحر والإشــارة إلى أن بعض من يــدعي الولاية قد يكــون من الســحرة المشــعوذين والتنصــيص على بعض المجــاذيب من أتبــاع الرفــاعي أو أحمــدبن علــوان أن بعضــهم إنما يفعل ذلك بطريق الســحر وتأكيــده على أن الكرامة لا تكــون على يد فاسق ولا يتعلم من حصــلت على يــده ســببها ولا يســعى إليها وأن من التشــبه بأصحاب الكرامات من ليسوا منهم من يستعملون الجان يقول في ذلك كله: "مسألة ى" [1] (خوارق العادة على أربعة أقسام: المعجزة المقرونة بــدعوى النبــوة المعجــوز عن معارضــتها الحاصــلة بغــير اكتســاب وتعلم،والكرامة وهي ما تظهر على يد كامل المتابعة لنبيه من غــير تعلم ومباشــرة أعمــال مخصوصــة، وتنقسم إلى ما هو إرهــاص وهو ما يظهر على يد النــبي قبل دعــوى النبــوة، وما هو معونة وهو ما يظهر على يد المؤمن الـذي لم يفسق ولم يفـتر بـه' والاستدراج وهو مـايظهر على يد الفاسق المغـتر، والسـحر وهو ما يحصل بتعلم ومباشرة سـبب على يد فاسـق، أو كـافر، كالشـعوذة وهي خفة اليد بالأعمال وحمل الحيات ولدغها له، واللعب بالنار من غير تأثير، والطلاسم والتعزيمات المحرمة، واستخدام الجـان وغـير ذلك. إذا عرفت ذلك علمت أن ما يتعاطاه الذين يضربون صدورهم بــدبوس أو ســكين أو يطعنــون أعينهم أو يحملــون النــار أو يأكلونها وينتمــون إلى ســيدي أحمد الرفــاعي أو ســيدي أحمد بن علــوان أو غيرهما من الأولياء أنهم إن كانوا مستقيمين على الشريعة قــائمين بالأوامر تاركين للمناهي عالمين بالغرض العيــني من العلم عــاملين به لم يتعلمــوا الســبب المحصل لهــذا العمل فهو من حــيز الكرامة وإلا فهو من حيز السحر إذ الإجماع منعقد على أن الكرامة لا تظهر على يد فاسق وأنها لاتحصل بتعلم أقــــوال وأعمــــال وأن ما يظهر على يد الفاسق من الخــوارق من الســحر المحــرم تعلمه وتعليمه وفعله ويجب زجر فاعله ومدعيــه، ومــتى حكمنا بأنه ســحر وضــلال حــرم التفــرج عليــه؛ إذ القاعــدة أن التفــرج على الحــرام حــرام؛ كدخول محل الصور المحرمة، وحرم المال المأخوذ عليـه، والفـرق بين معجــزة الأنبيــاء وكرامة الأوليــاء وبين نحو الســحر أن الســحر والطلســمات والســيمياء وجميع هــذه الأمــور ليس فيها شــيء من خوارق العادة؛ بل جرت بترتيب مسببات على أسباب، غــير أن تلك الأســباب لم تحصل لكثــير من النــاس، بخلاف المعجــزة والكرامة فليس لهما ســبيل في العــادة، وإن الســحر مختص بمن عمل لــه،

[1] أي أن هذا النقل عن الشيخ عبدالله بن عمر بن أبي بكر بن يحيى كما في المقدمة (2) .

حتى أن أهل هذه الحرف إذا طلب منهم الملوك مثلاً صنعتها طلبوا منهم أن يكتب لهم أسـماء من يحضر ذلك المجلس فيصـنعون ذلك إن ســـمي لهم فلو حضر آخر لم ير شـــيئاً وأن قـــرائن الأحـــوال المفيـــدة للعلم القطعي المحتفّة بالأنبيـــاء والأوليـــاء من الفضل والشـرف وحس الخلق والصـدق والحيـاء والزهد والفتـوة وتـرك الرذائل وكمال العلم وصلاح العمل وغيرهمـا، والسـاحر على الضد من ذلك) [1].

وهذا تفصيل حسن لخوارق العادات وتمييز للمعجـزة عن الكرامة من الاستدراج والسحر. والفائـدة الكبـيرة والقاعـدة العظيمة الـتي تجلي الفـرق بين الكرامة والسـحر، أن الكرامة لا تكـون بتعلم لما يحدث ذلك الأمر فإن كان ذلك الخارق ناتجاً عن سبب ظاهر وتعلم لـه، كـان الخـارق من حـيز السـحر لا من حـيز الكرامة ولو أننا مع الصوفية جميعـاً وقفنا عند هـذه القاعـدة وطبقناها تطبيقـاً حاسـماً وسـليماً لاتضح أن معظم ما تطفح به كتب الصـوفية في منـاقب أوليائهم مما صح نسبته إليهم من بـاب السـحر لا من بـاب الكرامة لأن جماعـات منهم اشـتهروا أو ثبت عنهم تعلم السـمياء أو علم الحروف وذلك من السحر كما في هذا النقل وغـيره، فمن ثبت أنه عـالم بـذلك مسـتعمل له فاسم الفسق قد وقع عليـه، ثم ذلك الخارق قد أصبح صادراً عن تعلم فانتفى أن يكون من حيز الكرامة ولم يبق إلا أن يكون من حيز السـحر وكـذلك من يتعـاطى الرياضة التي هي في صورة عبادات لم يشـرعها النـبي  فـإن تلك الرياضة سـبب يتوصل به إلى إظهـار خـوارق للعـادات، وقد نص الشـعراني على أن بعض النصابين يمارسـون الرياضـات ليوهمـوا النـاس أنهم من الأولياء ذوي الكرامات [2]

فاتضح أن هنـاك فـارقين أساسـيين بين الكرامة والسـحر أوالاستدراج وهما: التعلم واتخاذ الأسـباب، فمـتى وجد هـذا الفـرق حكم على الخارق بأنه سحر، ولو كان على يد من يظهر عليه سيما الصلاح؛ لأنه قد يكون في الباطن بخلاف ذلك. وأما الفـرق الثـاني: وهو الاسـتقامة للكرامـة، والفسق للسـحر والاسـتدراج؛ فإنه قد تحايل عليه الصوفية ولم يبق له أثر لـديهم ولا لـدي أتبـاعهم؛ حيث قرروا أصـلاً خطـيراً وهو أن الـولي يتجـزأ ويظهر بمظـاهر مختلفة وأن ما تراه لديه مما ظاهره الفسق فإنه في البـاطن شـيء آخـر، بل إن الخمر إذا رأيته يشـربها فإما أنها خمر لَدُنِّية من الحضـرة الربانية وإما أنها مشـروب آخر ظهر لمصـلحة في صـورة الخمـر،

---

[1] بغية المسترشدين ص ( 298 – 299 ) .
[2] انظر الطبقات الكبرى (1/ 108 ) .

وكل ذلك قد ضـربت عليه أمثلـة،وأيضـاً نقلت عنهم كيف يعتـذرون لمن لم ير يصـلي قط وأنه فحص فظهر أن له عشر صـور، صـورة واحدة هي التي رآها المعـترض لا تصـلي بينما تسع صـور دائبة في العبـادة وصـدقهم من رأى ذلك ونقل الحـادث على أنه كرامة من أشـهر وأكـبر كرامـات ذلك الـولي. فلنتأمل هـذا الفـرق ثم نحكم بموجبه على كل خارق من الخوارق على يد من كان من الناس.

**شهادة حــق من أصحاب وحــدة الوجــود:**

قلت في مبحث سابق إنني لم أجد لعلماء حضرموت قولاً فاصـلاً واضـحاً في أصـحاب وحـدة الوجـود مع عمـوم إحسـان الظن بهم واعتبارهم من الأولياء، ولكـني اطلعت أخـيراً على نقل نقله علـوي بن طاهر الحـداد عن الشـيخين الشـافعيين الشـهاب الـرملي وابن حجر المكي يـدل على أنه موافق لها فيـه، وهـذا النقل مهم جـداً خصوصـاً عن ابن حجر المكي الـذي اشـتهر عنه التأويل لأصـحاب وحدة الوجود يقول الحداد:

(وسئل الشيخ أحمد الرملي عن القائل بوحدة الوجود فقال: يقتل هــذا المرتد وتــرمى جيفته للكلاب؛ لأن قوله هــذا لايقبل تــأويلاً. وكفره أشد من كفر اليهود والنصـارى، واستحسن الشـيخ ابن حجر منه هذه الفتوى، وكان قبل ذلك يتمحل لبعض المتصــوفة القـائلين بها ويؤول كلامهم فرجع عن التأويل.) [1]

**وأخيراً طعنة من الحداد في صميم دعاوى قومه:**

قال جامع كتاب النفائس العلوية في المسائل الصـوفية: (وسـأله بعض الأصـحاب أيضـاً عن الكبش الـذي يعتـاد أهل الغيل تركه في بيــوتهم ويســمونه مســايراً. فأجــاب رضي الله عنه ونفعنا بــه: أما الكبش الذي يعتاد تركه أهل الغيل في بيوتهم ويســمونه " مســايراً " وكلما ذهب أبــدلوه بغـيره. فهـذا والعيـاذ بالله من الشــرك بالله والشرك ظلم عظيم،وهو وأمثاله سـبب تسـلط الشـيطان وجنـوده على العاملين به. فإن الله تعالى قد سلط الشيطان على من يتبعه من بني آدم، وهذا من الاتباع له قـال الله تعـالى: (إن عبـادي ليس لك عليهم سـبلطان إلا من اتبعك من الغـاويين)[2])[3] موضع الشــاهد أنه جعل اتخاذ هذا الكبش شركاً. ومن المعلوم ضـرورة أن متخـذه لم يعتقد أنه يضر وينفع من دون الله قطعاً؛ لأنه يعرف هـذا الكبش ويعرف حقيقته ومن أين جاء، وكيف يمـوت وينتهي، ومع ذلك كـان

---

[1] عقود الألماس ( 1/104 ) .

[2] الحجر ( 42 ) .

[3] النفائس العلوية في المسائل الصوفية ص ( 127 – 128 ) لعبدالله بن علوي الحداد طبع دار الحاوي الطبعة الأولى ( 1414هـ - 1993م ) .

اتخاذه شركاً. إذن فكيف لايكون من يـدعو غـير الله مشـركاً إلا إن كان يعتقد استقلاله بالضر والنفع من دون الله، وصورة الدعاء لغير الله أظهر في الإشراك من صورة اتخاذ هذا الكبش؟

**<u>المطلب الرابع</u>: فتــاوى وبيانــات جماعية للتحــذير من عقائد وأعمال القبورية:**

لكي يعلم القاريء الكريم أن موقف علماء اليمن المعاصـرين هو موقف أسلافهم الكرام الرافض للقبورية بعقائدها وأعمالها، أسـوق في هذا المطلب عدداً من الفتاوى والبيانات الجماعيـة، الـتي انتقد كاتبوها والموقعون عليها أعمالاً من أعمال القبورية أو أيدوا خلافها وهي تتناول البناء على القبـور وبعض الزيـارات والشـعائر القبورية وادعاء علم الغيب.

**الفتوى الأولى**: كانت رداً على سؤال بعث به أحد القائمين على بعض القباب في جهة تهامة ونص السؤال هو: **(ماقولكم سادتي العلمــاء رضي الله عنكم في قضــية عظيمة الخطر هي مايمـارس النـاس من أعمـال،فهم يقربـون الـذبائح إلى القبــور وينــذرون لها ويــذبحون لها ويســتعيذون بها ويعتقـدون فيها النفع والضر والحيـاة والمـوت " ورأس برأس " فهل هذا يرضاه الإسلام ياعلمـاء الإسـلام، وهل ارتفـاع القبـور والقبـاب من الإسـلام في شـيء، وهل يؤجر عليها فاعله،فأنا منصوب قبة الشيخ داود بن الزين والناس يأتون إلي بريالات وكباش وعجلان وأشياء أخرى يقولـون هـذه حق الشـيخ داود وإذا نهيتهم قـالوا الـولي سيضرك،أولئك كانوا يعملون ويقبلـون، فلمـاذا لا تسـير على ما ســاروا عليــه، قولــوا لنا كلمة الإســلام في الموضوع - وفقكم الله -، والسائل مستفيد وهناك قباب كثـيرة ومناصـيب أخـرى والعمل هو العمل ويـأتي جهلة بـدوان ويقومـون بحركـات ورعشـات،أفتونا لا خلا عنكم الوجود؟**

وقد جـاءت الفتـوى هكـذا (الحمد لله حيث كـان الحـال ماشـرحه السـائل، فـالتقرب بالـذبائح إلى القبـور والأوليـاء والإسـتعانة بهم والنذر لهم دائر بين أمرين خطيرين، إما كفر بواح، وإما وسيلة إلى الكفــر، ذلك أنه إذا صــدر هــذا الفعل الشــنيع ممن نشأ في دار الإسلام عالماً بأحكام الشرع في مثل هذا معتقـداً النفع والضر من الـولي يكفر فاعلـه، فتجـري عليه أحكـام الـردة جميعها وإن كـان قريب عهد بالإسلام أو نشأ في غير دار الإسلام،أو في دار الإســلام نائياً عن أمـاكن المعرفـة، فيكـون هـذا الفعل في حقه وسـيلة من

وسـائل الكفـر، فيجب تعليمه وتبـيين الأدلة له وإقامة الحجة عليه فإن انتهى بعد ذلك منها وإلا فحكمه أن يكفر.

فعلى كل يجب على ولاة الأمر الردع من مثل هذه الأمـور والأخذ بيد من حديـد، لكل مـن يقـدم على هـذا المنكر الفظيع ولو أدى ذلك إلى هدم القباب الموضوعة على القبور سـداً للـذرائع،هـذا مـا نعتقـده في هـذا الموضـوع والله على ما نقـول وكيـل، وصـلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم).

وقد كتب الفتوى أحد كبار علماء زبيد المعاصرين وهو الشيخ أسد بن حمزة بن عبدالقادر وصادق عليها جمع من علمـاء زبيد وغيرهـا، ومنهم: محمد بن محمد بن سليمان الأهدل، محمد بن علي البطـاح الأهدل، أحمد بن عبدالقهار بن صالح، محمد بن عبد الجليل العزي، عبـدالجليل بن علي خليـل، محمد ابن عبدالله بـازي، محمد بن عيـدروس علـوي، عبد المجيد بن عزيز الزنـداني، عمر بن أحمد سـيف، علي ابن محمد واصـل، حامد بن مختـار شـرف، محمد بن أحمد كـديش " عضو محكمة الحديـدة التجارية "، محمد بن علي مكرم، حسين بن محمد عثمـان الوصـابي، أحمد بن عبدالله سـعيد الضافري، عبدالله بن قاسم الوشلي، أحمد بن محمد عـامر، وعلي بن محمد الوشـلي، محمد بن محمد عزيز القـديمي، وإبـراهيم ابن حسين صائم الدهر، عبـدالرحمن الوشـلي، عبـدالرحمن بن عبدالله الأهدل، هذة الأسماء التي تبيَّنْتُها وهناك أسماء لم أتبيّنها.

وقد علق حاكم زبيد السابق – رحمه الله – عبدالله الأنبـاري على الفتـوى فقـال: (أنا أقـرر ما قـرره الأئمة السـادة العلمـاء بمنع كل بدعة قبيحة تخالف منهج الشريعة المطهرة، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار، فالضر والنفع بيدالله سبحانه وتعالى، والـذبح لغـير الله لايجوز، ومن ثبت تعاطيه لذلك فيمنع ويضبط حتى يتوب. وفق الله الجميع لخدمة كتابه وسـنة رسـوله ﷺ والاهتـداء بهدية وجعل الأعمـال خالصة لوجهه الكـريم وصـلى الله سـيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.)[1]

**الفتوى الثانية**:كما وزعت فتوى أخرى على شـكل ملصق علق في المسـاجد وغيرها يحتـوي على فتـوى مقاربة للفتـوى السـابقة ملخصة من مجمـوع ما أفـتى به العلمـاء، وإليك نص السـؤال وملخص الجواب:

**نص السؤال: (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته**

---

[1] لدي صورة طبق الأصل من هذه الفتوى وقد وردت ضمن كتيب بعنوان" الفتاوى اليمنية في تحريم رفع القبور والزيارات البدعية والشركية "وهو من سلسلة باسم ( السلسلة الدعوية ) رقم (9) ويوزع مجاناً بدون تاريخ .

**فإن في بلادنا قبور رجال صالحين، مرفوعة ببناء فوق الأرض، فيها حفـرة صـغيرة، بـداخلها تـراب يتـبرك به ويستشـفى بـه، وتقـام لهـذه القبـور زيـارات سـنوية موسـمية في شـهر رجب الحـرام وغـيره،، يـذبح فيها الكباش لأصحاب القبور، ويجتمع عندها الرجـال والنسـاء والباعة والألعـاب، ويحتفل بهـذه الزيـارات كالاحتفـال بيوم العيد، وتهان فيها القبور أيما إهانة.**

**فما هو قـول السـادة العلمـاء والأئمة الفضـلاء في رفع القبـــور بالبنـــاء؟ وما حكم هـــذه الزيـــارات؟ وهل هي الزيارات الشـرعية الـتي حث عليها أبو القاسم محمد ؟ أفتونا مأجورين. نفع الله بكم الإسلام والمسلمين.**

وقد تفضل أصـحاب الفضـيلة العلمـاء بالإجابة على هـذا الاسـتفتاء. ننشر هنا خلاصة إجاباتهم:

أولاً: أوضح العلماء في فتـاواهم على أنه لا أحد من الخلق لا ملك ولا نـبي ولا ولي يضر أو ينفـع، وأن الأمـوات لا ينفعـون الأحيـاء ولا يغنون عنهم من الله شيئاً بل الأموات بحاجة إلى دعاء الأحياء لهم، والاسـتغفار لهم، وإذا كـان سـيد الأولين والآخـرين نبينا محمد  لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضـراً، فكيف يملك ذلك غـيره ممن هو دونـه، وعليه فلا يجوز اعتقاد النفع والضر في أصحاب القبـور مطلقـاً،لأنه من الشرك الأكبر المخرج من ملة الإسلام.

ثانياً: أوضح العلماء أن شد الرحال إلى القبـور بدعة محدثة منكـرة وقد جاء الشرع بالنهي عن شد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، كقـول النـــبي : **((لا تشد الرحـــال إلا إلى ثلاثة مســـجدي هـــذا والمسـجد الحـرام والمسـجد الأقصـى))** أخرجه البخـاري ومسلم وغيرهما.

ثالثاً: أكد العلماء على حرمة رفع القبور أكثر من شبر لقول النبي  لعلي بن أبي طـالب:**((لاتـدع تمثـالاً إلا طمسـته ولا قـبراً مشرفاً إلا سويته))** أخرجه مسلم.

رابعـــــاً: أكد العلمـــاء على حرمة البنـــاء على القبـــور مطلقـــاً، وتجصيصها، والكتابة عليها، والقعود عليها، لحـديث جـابر بن عبـدالله: **((نهى رسول الله  أن يقعد على القـبر،وأن يجصص أو يبـنى عليـه))** أخرجه أحمد وأبو داود والنسـائي وفي روايـة: **((نهى رسول الله  أن يكتـب على القـبر شـيء))** أخرجه أبو داود وابن ماجه.

خامساً: بيّن العلماء الفرق بين الزيارة الشرعية للقبور، التي تكون للعظة، والاعتبار، وتذكر الآخـرة، والـدعاء والاسـتغفار للميت. وبين

الزيارات البدعية والشركية التي يتقـرب فيها إلى أصـحاب القبـور، بالذبائح،والنذور، والاستغاثات، وما إلى ذلك من أمور الشرك الأكبر المخرج عن ملة الإسلام،وأن هذه الأمـور لا تكـون إلا لله وحـده لا شـريك لـه، لقوله تعـالى:  **قل إن صلاتي ونسـكي ومحيـاي ومماتي لله رب العالمين، لاشـريك له وبـذلك أمـرت وأنا أول المسـلمين**  ولقوله تعـالى:  **فصـل لـــربك وانحـر**  ولقول النبي : **((لعن الله من ذبح لغير الله))** أخرجه مسلم.

سادســاً: أكد العلماء على أن وضع حفرة على القبر وجعل التراب فيها للتبرك والاستشفاء به من وسائل الشرك الأكـبر المخـرج عن ملة الإسلام.

سابعـــاً: أكد العلمـاء على تحـريم، وخطـورة ما يجـري في هـذه الزيــارات، من الاختلاط بين الرجــال، والنســاء،وخـــروج الباعـــة، والطبـول، ومـايجره من الفتن، والفـواحش والموبقـات، علمـاً أن النبي :**((لعن زوَّرات القبور))** أخرجه أحمد والترمذي.

ثامنــاً: أوضح العلمـاء تحـريم تخصـيص شـهر من السـنة، لزيـارات قبور الأوليـاء، خاصة في شـهر رجب الحـرام، وأن ذلك وسـيلة من وسائل الشرك، الذي لايغفره الله - إن مات صـاحبه عليه - لقـول النبي  **((لا تجعلوا قبري عيداً))** أخرجه أبو داود.

وإليك أسماء بعض العلماء والمشايخ الذين أفتوا ووقعـوا على هـذه الفتوى.

(1) محمد بن إسماعيل العمراني (2) مقبل بن هادي الوادعي (3) د. إبراهيم القريبي (4) د. عبدالوهاب الـديلمي (5) محمد الصــادق مغلس (6) عبد المجيد الزنـــداني (7) عبـــدالعزيز الـــدبعي (8) عبدالمحسن ثابت (9) عبدالمجيد الـريمي (10) عقيل المقطـري (11) محمد بن عبـــدالوهاب الوصـــابي (12) د. أحمد محمد زبيلة (13) أحمد حسن المعلم (14) إســـــماعيل العنسي (15) محمـد المهـــدي (16) عبـدالرحمن ابن عبدالله شـميلة (17) حسـين بن محفـوظ (18) عمر أحمد سيـف (19) عبـدالقادر الشـيباني (20) صالح الـوادعي (21) طـارق عبدالواسـع (22) عبدالله الحاشـدي (23) ناصر الكريمي (24) عيسى شريف (25) أحمـد حسـان (26) علي بـــارويس (27) علي بن فتيـني (28) عبدالله الحمـيري (29) أحمـد أهيـف (30) أميـن جعفـر (31) عمّــــار ناشـر (32) محمد الوادعـي (33) عـارف أنـور (34) علي مقبول الأهـدل (35) محمد ســالم الزبيــدي (36) محمد ســعد الحطــامي (37) حسن صــغير الأهـــدل (38) مـــراد القدسي (39) إســـماعيل عبد البـــاري (40)

حسـن الزومـي (41) حاكم زبيد عبـدالكريم النعمـاني (42) محمد المعمـري (43) عبدالله فيصل الأهدل (44) عمر سقيــم.

**<u>الفتـوى الثالثة</u>: نص السـؤال: ما حكم الشـرع في هـذه النتيجة التي يصـدرها هـذا الرجـل، والـتي يـذكر فيها ما سـيحدث للأشـخاص والبلـدان، وكـذلك مختلف الأحـداث والتغيرات السياسية والاقتصادية والكـوارث وغـير ذلـك، معتمـداً كما يقـول على علم الجفر والنجـوم وغيرهـا؟ وهل يجوز إصدارها أو بيعها وشراؤها؟**

وقد تفضل أصــحاب الفضــيلة بالإجابة عن التســاؤل، ننشر هنا خلاصة تلك الإجابـات، آملين أن نتمكن مسـتقبلاً من نشر إجابـات العلماء مفصلة.. والله الموفق.

ركز العلماء على أن عمل هـذا الرجل هو ادعـاء لعلم الغيب، وأن من أصول العقيدة الإسلامية المقررة عند أهل الملة أن الله استأثر بعلم الغيب فلا يعلمه أحد سواه، وأدلة ذلك جدّ كثيرة، ومنها:

1- قوله تعـــالى: **قل لا يعلم من في الســـموات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيان يبعثون** "النمل 65"

2- وقوله تعــالى: **وما كــان الله ليطلعكم علــــى الغيب ولكـــــن الله يجتــبي مـــــن رســله مـــــن يشــاء** "آل عمران179"

3- وقوله تعـالى: **وعنـده مفـاتح الغيب لا يعلمها إلا هـو.** "الأنعام 59 ".

4- وقوله تعــالى: **ويقولــون لــولا أنــزل عليه آية من ربه فقل إنما الغيب لله** " يونس 20 ".

5- وقوله تعالى: **ولله غيب السموات والأرض** " النحل 77 ".

6- وقوله تعـالى: **عـالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحـداً** "الجن 26 ".

وعلى هـذا فعلم الغيب محجــوب عن جميع الخلــق، بما في ذلك الملائكة والنبــيين، قـال الله تعـالى حكاية عن الملائكـة: **قـالوا سـبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا** " البقـرة 32 ". وقـال الله حكاية عن محمد : **ولو كنت أعلم الغيب لاســتكثرت من الخير** "الأعـراف 188 ". وقـال الله آمـراً نبيه محمد : **قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب** " الأنعـام 50 "، وقـال اللـه: **عـالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحـداً إلا من ارتضى من رسول** " الجن 26 ". وقــال الله عن الجن:

**فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمـون الغيب ما لبثـوا في العذاب المهين**  "سبأ 14 "، ويقول تعالى:  **وما تـدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تمـوت**  "لقمان34".

فالله قد حجب علم الغيب عن أكـرم خلقه وهم الأنبيـاء والملائكة إلا ما أعلمه الله لهم، أبعد هـذا يـأتي هـذا ويـدعي معرفة الغيب؟!.
إن من ادعى علم الغيب قد نازع الله، وكذب القرآن، وفـارق هـذه الملة.

ركز العلماء في إجابتهم على أن هذا العمل من الكهانة التي جـاء الإسلام بتحريمها؛ إذ أن الكاهن هو الذي يـدعي معرفة علم الغيب، وما سـيقع من أحـداث مسـتقبلية، وأن صـاحب هـذا العمل كـاهن، والرسول  يقـول: **((ليس منا من تطيّر أو تُطيِّر له أو تكهَّن أو تُكهِّن له))** رواه البزار والطبراني.
وأن من أتى كاهناً، فسأله عن شـيء لم تقبل صـلاته أربعين يومـاً، كما جاء في صـحيح مسـلم عن النـبي ، أما إن سـأله وصـدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد، كما جاء عن النبي  في سنن أبي داود والنسـائي والترمـذي وابن ماجـه،وصـححه الألبـاني في الإرواء "2006"،هذا في السائل فما بالك بالمسؤول.

-علم النجوم الذي يـدّعي صـاحب هـذه النتيجة الاعتمـاد عليه في معرفة علم الغيب - يقـول فيه الرسـول : **((من اقتبس شـعبة من النجـوم فقد اقتبس شـعبة من السـحر زاد ما زاد))**. رواه أبو داود وابن ماجه وأحمـد،وصـححه الألبـاني في السلسـلة " 793 ".
وقد جاء في البخاري عن قتادة: (خلق الله هذه النجوم لثلاث: زينة السماء، وعلامات يهتـدى بهـا، ورجـوم للشـياطين، فمن تـأوّل فيها غير ذلك، أخطأ، وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به.
وقال الإمام الخطابي في معالم السـنن: (علم النجـوم المنهي عنه هو: ما يدعيه أهل التنجيم من علم الكوائن والحـوادث الـتي سـتقع وما في معناها من الأمور الـتي يزعمـون أنها تـدرك معرفتها بسـير الكـواكب في مجاريها واجتماعها وافتراقهـا، ويـدعون أن لها تـأثيراً في السـفليات، وهـذا منهم تحكّم على الغيب، وتعـاط لعلم قد استأثر الله به، فلا يعلم الغيب سواه).

- وأما علم الجفر (وأنه العلم الإجمالي بلوح القضاء والقدر والذي يحتوي على ما كـان ويكـون وأن الرسـول خَصّ به علياً وذريته من بعده)، فأمر وهمي لا حقيقة له. وأدلة ذلك كثيرة ويكفي منها:

ما جاء عند البخاري من سـؤال أبي جحيفة لعلي -- : هل عنـدكم شيء مما ليس في القرآن أو ليس عند الناس؟. فقال: والذي فلق الحبـة، وبـرأ النسـمة، ما عنـدنا إلا ما في القـرآن، إلا فهمـاً يعطى رجل في كتابه وما في الصـحيفة. قلت: وما في الصـحيفة؟ قـال: العقل وفكاك الأسير وألا يقتل مسـلم بكـافر. وما جـاء عند مسـلم بـرقم" 1987 " عن علي قولـه: (ما خصـنا رسـول الله بشـيء لم يعم به الناس كافة إلا ما كان في قراب سيفي هذا) وأخرج صحيفة مكتوب فيها: **((لعن الله من ذبح لغير الله...)).**

فعلم الجفر باطل، وما بني على باطل فهو باطل.

وبنـاءً على ما سـبق؛ فقد أكد العلمـاء على أنه لا يجـوز التصـريح بإصدارها، كما أنه لا يجوز طبعها،ولا بيعها، ولا شراؤها، ولا تـداولها. وأنه يجب على الجهات المختصة مصادرتها والأخذ على يد صـاحبها ومحاكمتـــه، وأنه يجب عليه التوبة إلى الله والابتعـــاد عن هـــذه الضلالات، وأنه يجب إسداء النصيحة لكل من يقتنيها أو يطلع عليها، وتبيين مخاطر ذلك على العقيـدة والتوحيد لعمـوم المسـلمين. تلك هي بعض أهم النقاط التي ركز عليها العلماء سارعنا في إخراجهـا؛ إقامة للحجة؛ وتوضيحاً للحق؛ ونصحاً للخلق.

أما العلماء الذين تكرّموا بالإجابة على هذا التساؤل فهم:

محمد بن إســماعيل العمــراني، عمر أحمد ســيف، عبد المجيد الريمي، محمد الصادق، حسين عمر محفوظ، محمد المؤيـد، حسن حيدر الوصابي، على العديني، مراد القدسي، أحمد حسـان، عـارف أنــور عمــار بن ناشــر، عبدالله بن أحمد المرفــدي، أحند مقبل بن نصر، عبد الرحمن قحطـان، عقيل المقطـري، عبد الله سـيف، عبد الله ســنان، طــارق عبد الواســع، عبد الملك داود، عبد القــادر الشيباني، فاضل محمد عبدالله، يحيى الجهراني، د0 حسن الأهدل، أمين عبدالله جعفـر، د0 عبد الله الأهـدل، محمد سـعيد الحطـامي، عمر علي ســقيم، حسن صــغير الأهــدل، عبد الــرحمن عبد الله الأهدل، أحمد حسن المعلم، عبـده عبدالله الحميـدي، حميد عقيـل، محمد المهدي، القاضي علي البعداني، محمد بن علي الرحبي، عبد الله بن غـالب الحمـيري، عبد الـرحيم الشـرعبي، عبد الله عبـده الإبي، يحيى السوسوة.

كما تم الاعتماد على فتوى حـول الموضـوع لسـماحة الشـيخ عبد العزيز بن باز، ومعه لجنة الافتـاء الدائمة المكونة من كل من:، عبد العزيز آل الشيخ، صالح الفوزان، بكر أبو زيد، عبد الله الغديان.

**الفتـوى الرابعة**:**السـؤال: ما حكم شد الرحـال إلى الجند من قبل الرجال والنساء؟ وما صحة ما ينسب إلى النـبي  في ذلك؟**

**- ما حكم الموالد الـتي تقـام داخل المسـجد ليلة ذلك اليـــوم؟ وما حكم ما يفعله المجـــاذيب من طعن الرؤوس؟**

**- ما حكم اختلاط الرجال بالنساء داخل المسجد؟**

**- ما صـــحة ما يشـــاع من أن الـــذهاب هو حج الفقراء؟**

وقد تفضل أصـحاب الفضـيلة العلمـاء بالإجابة على تلك الأسـئلة. ننشر هنا خلاصة إجابـــاتهم، آملين أن نتمكن من نشـــرها كاملة ومفصلة.

أولاً: أكد أصـــحاب الفضـــيلة على شد الرحـــال إلى الجند بقصد التقـرب والتعبد بدعة محدثة منكـرة. وقد جـاء الشـرع بـالنهي عن الابتداع. فـالنص النبـوي يقـول: **((وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضـلالة))** ويقــول: **((من أحــدث في أمرنا هــذا ما ليس منه فهو رد))**. وفي روايــــة: **((من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد))**.

هـذا وقد جـاء نص نبـوي آخر له صـلة بحرمة شد الرحـال إلا إلى ثلاثة مساجد يقــول الرسـول : **((لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، والمسـجد الأقصـى، ومسـجدي هـذا))**، وأما ما يـردده بعض الجهـال أن الرسـول  قـال: **((إلى أربعة مسـاجد))** بإضـافة مسـجد الجنـد، فكـذِب على النـبي  والرسول يقول: **((ومن كذب علي متعمـداً، فليتبـوأ مقعـده من النار))**.

ولا يخفى على أحد خطـورة الابتـداع في الـدين، ويكفي في ذلك قوله : **((إن الله حجب التوبة عن كل صـاحب بدعة حـتى يدعها))** حسنه الألباني.

ومما يزيد النكارة،ويشدد الحرمة ممارسة منكرات أخرى في ليلة ذلك اليوم في ذلك المكان، ومنها: (السحر الـذي يفعله المجـاذيب، وامتهان المسجد باختلاط الرجال والنسـاء – وهو منكر في حد ذاته – ومضغ القات وغير ذلك..

ثانيـاً: أكد العلمـاء على أن تخصـيص أول جمعة من رجب، هو بدعة أخــرى لا دليل عليهــا، وكــذلك اتخــاذ ذلك المكــان بعينه في ذلك الـوقت ومن بـاب اتخـاذه عيـداً، مع العلم أن الرسـول ، نهى عن اتخاذ قبره عيداً، فهذا المكان من باب أولى.
ثالثاً: أكد العلماء على أهمية محبة الرسول ، وعلى أنها من الأمور الواجبة على كل مسلم، بل لا يتم إيمان المرء حتى يكون الرسـول  أحب إليه من نفسه وولـده ووالـده والنـاس أجمعين، كما أكـدوا على أهمية تدارس سـيرته وتعلمها وتعليمهـا، وليس من ذلك إقامة الموالــد، ســواء في تلك المناســبة أو في غيرهــا، بل الموالد أمر محدث لم ينص عليه كتاب ولا سنه، ولم يفعل في عهـده ، ولا في عهد صـــحابته الكـــرام، ولا في عهد التـــابعين، ولا في عهد الأئمة الأربعة، وهم أكمل الناس حبـاً لرسـول اللـه، وأكـثرهم تعظيمـاً له وقد كمّل الله دينـه، وأخـبر عن ذلك بقولـه:  **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي**  وليست هذه الموالد من الدين الذي أكمله اللـه، بل تـدخل في قوله : **((من أحـدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد))**.
رابعاً: أكد العلمـاء على أن ما يحصل ممن يُسـمَّون بالمجـاذيب هو نوع من السحر المعلوم حُرْمته، ومعلوم ما جاء في صحيح البخاري أن عمر كتب إلى ولاتــه: (أن اقتلــوا كل ســاحر وســاحرة) وقوله تعالى:  **وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون النــاس الســحر**  الآية وقوله تعــالى:  **وما يعلمــان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر**  الآية.
خامساً: أكد أصحاب الفضيلة على حرمة الاختلاط في ذلك المكــان وفي غـيره، وعلى النكـارة الشـديدة لشد الرحـال من قبل النسـاء إلى ذلك المكان، فإذا كانت المــرأة لا ينبغي لها أن تخــرج من بيتها للصلاة جماعة؛ إذا ترتب على خرجوها فتنة، فهذا من باب أولى.
والاختلاط أصل كل بلية وشـــر، وهو من أعظم أســـباب نـــزول العقوبات وسبب في كثرة الفواحش.
سادساً: أشار العلماء إلى أنه لم يثبت في فضل رجب أو في فضل العمل فيه رجب شيءٌ، وأنه كغيره من الشـهور. غـير أنه فقط من الأشهر الحرم، وقد ألف الحافظ ابن حجر رسالة في ذلك..
سابعاً: ذكر بعض الباحثين ممن أجاب على السؤال: أن مسألة بناء معاذ لمسجد في الجند بحاجة إلى مزيد من البحث والتحري وحـتى لو ثبت ذلك فليس في ذلك أدنى دليل على ما يفعل من شد الرحال إلى هناك، فالصـحابة بنـوا العديد من المسـاجد في الشـام

والعراق ومصر وغيرها، ولم يكن ذلك البناء مدعاة إلى شد الرحال إليها.
ثامنـاً: أكد العلمـاء على أهمية دور العلمـاء والمرشـدين في إنكـار مثل هـذه البـدع؛ قيامـاً بـواجب النصـيحة **((الـدين النصـيحة))**، وقوله : **((من رأى منكم منكــراً فليغــيره بيــده فــإن لم يستطع فبلسانه...))**
وأكـدوا على أهمية دور أصـحاب السـلطات في ردع المنتفعين من ذلك؛ لما يقومون به من التغرير بالعامة والتلبيس عليهم، وأكــدوا - أيضاً – على أهمية تظافر الجهود في إزالة هذا المحدث وغـيره من المحدثات.
تاسعاً: أكد العلماء على أن القول بأن الذهاب إلى هناك يعدل حجة هو من الكـذب على اللـه، ومعلـوم قوله تعـالى:  **لا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكـــذب، إن الـــذين يفـــترون على الله الكـــذب لا يفلحون، متاعٌ قليل ولهم عذاب اليم **.
عبد الله ســـيف الحيـــدري، أحمد حسن المعلم، عقيل بن محمد المقطري، عبد الله بن غـالب الحمـيري، محمد بن محمد المهـدي، عبـــده عبد الله الحميـــدي، علي بن علي البعـــداني، عبد الـــرحيم الشرعبي، محمد بن علي الرحـبي، علي بن يحـيى شمسـان، حميد قاسم عقيـل، عبد الملك داود عبد الصـمد، عبد القـادر الشـيباني، يحـــيى بن محسن الجهـــراني، فاضل محمد عبداللـــه، عبد العزيز الدبعي، سعيد بن سعيد حزام، أحمد مقبل
ابن نصـــر، عبد الله ســـنان، د0 حسن شـــبالة، عبد الله بن فيصل الأهدل، عبد المجيد الريمي، عبد الرحمن سـعيد الـبريهي، عبد الله بن سعيد الحاشدي، كمال بن عبيد القادر بامخرمة، محمد الصـادق مغلس ن عبدالله علي صعتر، عبد المجيد الزنـداني ن عبد الوهـاب لطف الديلمي، صالح الضـبياني، علي ابن عبد الله العـديني، حسن بن محمد حيـدر الوصـابي، مـراد بن أحمد القدسـي، مهيـوب بن حســـين المعـــولي، د0 علي مقبـــول الأهـــدل، عبد الله عبـــده الإبي،القاضي العلامة محمد بن إســـماعيل العمـــراني، محمد عبد الرحمن غنيم، د0 صالح صواب، حسـين عمر محفـوظ ن محمد بم على الـوادعي، صـالح ابن علي الـوادعي، أحمد حسـان، محمد بن علي المؤيد، طارق بن عبد الواسع، عبد العزيز البرعي.
**<u>الفتوى الخامسة:</u>** فتوى بمنع ما يسمى " زف الختاميات " الـتي يقيمها القبورية في بعض مدن حضرموت كالمكلا والشحر وغيرهـا، والزف هو السـير الجمـاعي من المسـجد الـذي يقـام فيه الحفل "

حفل ختم القرآن" إلى قـبر ومشـهد معين, ويصـحب ذلك السـماع الصوفي بالدفوف والطبـول وأنـواع من الملاهي ويحتشد لحضـوره جمع كبـير من النـاس رجـالاً ونسـاءً وأطفـالاً, ويحصل فيه مفاسد كبيرة، يقول أخونا الشيخ أحمد برعود في كتابه " الأضواء المضـيئة على بعض العادات الحضرمية " وهو يتكلم عن تلك العادة " البدعة " بدعة الختاميات:(ولقد أمليت على هذه الفتوى وكتبتها بيدي ووقع عليها المشـايخ المـذكورون في نفس الجلسة عـدا السـيد عبـاس حامد الحـداد لم يكن حاضـراً، كما زكى الفتـوى السـيد عبدالله بن محفوظ الحداد. فإليك أخي القارىء نص الفتوى:

" بسم الله الـــرحمن الـــرحيم، الحمد لله رب العلمين والصـــلاة والسلام على سـيدنا محمد سـيد المرسـلين وبعـد: فقد اتفق طلبة العلم بمدينة الشـــحر على أن تمنع زفـــوف الختاميـــات بعد نهاية الصلاة والقرآن لما يترتب على ذلك من المفاسد والمنكرات الـتي لاتتفق مع الشرع الشـريف، فعليه نطلب من حكومتنا المـوقرة أن تمنع وأن تلاحظ من يخالف هذا الأمـر؛ لأن الرسـول  يقـول:((**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يسـتطع فبلسـانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمـان**))، كما نطلب من السيد الفاضل عبدالله بن محفوظ الحداد في هذا الموضوع أن يصدر فتـوى لمنع الزفـوف منعـاً لما يحصل بسـببها من المنكـرات والمفاسد، وبعد هذه الفتوى ينبغي ويلـزم كل مسـلم أن يمنع أهله من الحضـور لمثل هـذه المجموعـات الـتي تحصل فيها المنكـرات حصـــولاً ظـــاهراً, ومع العلم أنه ليس هنـــاك ختم حقيقي للقـــرآن الكـريم كما كـان السـلف يقـرأون من أوله في الصـلاة ثم يختمونه في إحــدى اليــالي ويــدعون اللعه بعد الختم ويحضــره النــاس في المسجد ثم يتفرقون إلى بيوتهم هذا وبالله التوفيق.

وكذلك نعلم حكومتنا الموقرة أن هذه الليالي من رمضان يجتمعن كثـير من النسـاء في الأسـواق لشـراء حـوائجهن، فيجتمع بسـببهن كثير من السباب فيحتكون بالنسـاء احتكاكـاً متعمـداً يأبـاه الشـرع الحكيم وأهل النفوس الزكية، فالمطلوب من حكومتنا المــوقرة أن تقوم بملاحظة هؤلاء الناس، ودفعهم عن النسـاء وهم المسـؤولون بين يدي الله سبحانه وتعالى. والله الموفق

21/ رمضـــان 1411هـ

التوقيـع:

" الشـــيخ عبد الكـــريم عبـــدالقادر الملاحي، الشـــيخ ســـالم خميس حبليل، الشيخ السيد عباس حامد الحداد ".

الحمد لله وأنا بدوري أزكي ما قاله مشايخ الشحر وعلماؤها وأضم صوتي إلى صوتهم لتقوم الحكومة بمنع هذه المنكرات المحدثه.
التوقيع:
**عبد الله بن محفوظ الحداد)[1].**
بيـان بشـأن أحـداث تسـوية القبـور بعـدن بعد انتهـاء حـرب الانفصال سنة (1415هـ/1994م)
وقد صدرت ردود فعل كثيرة تجاه تلك الحوادث معظمها كـانت في معـرض النقد والاسـتهجان لـذلك العمل منها ما هو داخلي ومنها ما هو خارجي إسلامي أو غير إسـلامي كما صـدرت عـدة بيانـات تعـبر عن مواقف أصــحابها منه ومعظمها إما رســمي يــراعي سياسة الدولة التي كانت في موقف محرج أمام الجهة الإعلامية التي جوبه بها الحـدث أو كـانت منطلقة من منطلق حـزبي تعـبر عن الموقف الرسـمي للحـزب فلـذا لم يـبرز فيها الحكم الشـرعي كما هو عند علماء الشرع السالمين من تلك الضغوط والحسـابات الأخـرى وما رأيت في تلك البيانــــات والكلمــــات والمواقف ما يمثل الحكم الشرعي الصريح الا هذا البيان الـذي وقعه مجموعة من خـيرة من علماء اليمن ونشرته مجلة المنتدى الـتي كـانت تصـدر تلك الفـترة من صنعاء في عددها.
وهذا نص البيان وأسماء المـوقعين عليـه: (الحمد لله رب العـالمين والصلاة والسلام على نبيه الأمين محمد ابن عبد الله خـاتم الأنبيـاء والمرسلين، أما بعد: فقد تـابع العلمـاء الموقعـون على هـذا البيـان الأحداث الأخيرة في عدن:
**الأول** منها نتج عنه تسـوية القبـاب والقبـور الـتي تعلق بها عـوام النــاس من قــديم حــتى أضــفوا عليها من القداسة والتعظيم إلى درجة عبادتها من دون الله تعــالى متمثلة في دعائها لكشف الضر وتفريج الكرب والذبح والنذر لها.
**والحدث الثاني** وهوحدث لا صلة له بالأول ألا وهو اشتباك مسلح بين رجال الأمن وبعض الشباب وذلك حول مقر ما يسمى بمليشـيا الحزب الاشتراكي وسببه خلاف في ملكية المنزل.
كما تابع العلماء البيانـات السياسـية والمقـالات الصـحفية ورأوا أن الحقيقة الشـرعية ضـاعت بين دهـاء سياسي وسـبق صـحفي، وكلا الأمــرين لم ينطلقا من ضــوابط شــرعية وثــوابت عقدية في ديننا الإسلامي.

---
[1] الأضواء البهية على بعض العادات الحضرمية تأليف أحمد بن علي برعود ص ( 37 ).، الطبعة الأولى: ( 1421 – 2001 ) .

لهذا رأى الموقعون على هذا البيـان أن يـبينوا الحكم الشـرعي في هذه القضية حتى لا يشملهم قوله تعالى:**إن الـذين يكتمـون ما أنزلنا من البينـات والهـدى من بعد ما بينـاه للنـاس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنـون،** كما أن هـذا البيان ينطلق من قوله  فيما رواه مسـلم من حـديث أبي سـعيد[1] الخدري ((الدين النصيحة، الدين النصيحة، الدين النصيحة، قلنا لمن يارســول اللــه؟ قــال: لله ولكتابه ولرســوله ولأئمة المســلمين وعامتهم)).

**الشرك وخطره:**

من المعلوم من الدين بالضرورة ومن قطعيات الشريعة ويقينياتها خطورة الشرك وأنه مخرج من ملة الإسلام وموجب لصـاحبه عـدم المغفرة وحبوط العمل؛ قـال تعـالى:إن الله لا يغفر أن يشـرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، وقـال تعـالى:أنه من يشـرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النـار ، وقـال تعـالى:ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك .

وإن أصل دعوة الرسل عليهم الصـلاة والسـلام قـام على محاربة الشرك وتأسيس التوحيـد، قـالى تعـالى:وما أرسـلنا من قبلك من رسـول إلا نـوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبـدون، وإن من وسـائل الشرك التي ابتليت بها الأمة تعظيم الصـالحين ونصب القبـاب لهم فكـانت نتيجة ذلك الغلو أن دعـوهم من دون الله بحجة أنهم أوليـاء صالحون، وهذا من تزيين الشيطان وإضلاله، لأن الغلو في التعظيم يجر إلى العبادة التي لا يجوز صرفها إلا لله تعالى.

نعم الـواجب توقـير أوليـاء الله ومحبتهم وإثبـات الكرامـات لهم؛ ولكن لا يجوز دعاؤهم والاستعانة بهم والـذبح والنـذر لهم كما يفعله الخرافيون.

والزيارة الشرعية لأموات المسلمين سنة لأنها تـذكرهم بـالآخرة، أما الزيـارات المبتدعة الـتي تكـون موسـمية ويجتمع لها الرجـال والنسـاء ولاعبو القمـار ويحـدثون حـول تلك القبـور من المفاسد البدعية والشـركية والسـلوكية ما لا يرضى بها عاقـل، بل هي من المنكرات والصور التي شوهت جمال الإسلام وصفاءه، ويجب على العلماء إنكارها والبراءة منها.

وقد أنكر العلماء قديماً وحديثاً هذه الظواهر، وهذه أقوالهم:

1- قال ابن حجر الهيتمي المكي:

[1] االصحيح أن لحديث من رواية أبي رقية تميم بن أوس الداري

(وتجب المبادرة لهدمها وهدم القبـاب الـتي على القبـور، إذ هي أضر من مسجد الضرار؛ لأنها أسست على معصية رسـول الله  لأنه نهى عن ذلك وأمر  بهدم القبـور المشـرفة وتجب إزالة كل قنـدل أو سـراج على قـبر، ولا يصح وقفه ونـذره) اهــ.- الزواجر عن اقتراف الكبائر " 1/149".

2- الإمام الشوكاني:

وقـال في الـدر النضـيد ص 22:(وروي لنا أن بعض أهل جهـات القبلة وصل إلى القبة الموضـــوعة على قـــبر الإمـــام أحمد بن الحســـين صـــاحب " ذي بين " رحمه الله فرآها وهي مســـرجة بالشـمع والبخـور ينفح في جوانبها وعلى القـبر السـتور الفائقة فقـــال عند وصـــوله إلى البـــاب: " أمســـيت بـــالخير يا أرحم الراحمين"ـ

3- قال الإمام الصنعاني في " تطهير الاعتقاد ":

(وكذلك تسمية القـبر مشـهداً ومن يعتقـدون فيه وليـاً لا تخرجه عن اسم الصنم والـوثن، إذ هم معـاملون لها معاملة المشـركين للأصـــنام ويطوفـــون بهم طـــواف الحجـــاج بـــبيت الله الحـــرام ويستلمونهم استلامهم لأركان البيت ويخاطبون الميت بالكلمـات الكفرية من قولهم: " على الله وعليك " ويهتفون بأسمائهم عند الشدائد ونحوها.

فأهل التهائم لهم في كل بلد ميت يهتفـون باسـمه يقولـون: يا زيلعي يابن العجيل، وأهل الجبال: يا أبا طـير، وأهل اليمنـ: يـابن علوان).

4-فتوى دار الإفتاء المصرية:

هذا وقد صدرت فتوى من دار الإفتاء المصرية في عهد الشـيخ عبد المجيد سليم بتاريخ "2/7/1928م"، ونصها:(اعلم أنه يحـرم رفع البنـاء على القـبر ولو للزينة ويكـره للإحكـام بعد الـدفن بل تكره الزيـادة العظيمة من الـتراب على القـبر لإنه بمنزلة البنـاء وهو منهي عنه لما في صحيح مسلم عن جابر قـال: نهى رسـول الله  أن يجصص القبر وأن يبـنى عليـه.انتهى من الـدر المختـار وحاشية رد المحتار.

وحين نقول يجب إنكار الشرك ومظـاهره فلا يعـني ذلك إعطـاء الفرصة للذين يصطادون في الماء العكر ولكن لا بد من الحكمة في ذلك واتخـاذ الوسـائل الناجحة في استئصـال كل المظـاهر التي تسيء إلى ديننا وأمتنا ومراعـاة المصـالح والمفاسد وهـدم كل مظـاهر الشـرك من النفـوس والقلـوب أولاً بواسـطة نشر

الوعي بين المسلمين بالوسائل المشروعة حتى يتيسر هدمها في الواقع، ألا ترى أن النبي  أوكل إلى خالد ابن الوليد بعد أن استقر في قلبه هدم العزى، حتى قال خالد :

**ياعزُ كفرانك لا غفرانك إني رأيت الله قد أهانك**

ولقد حرص الحزب الاشتراكي على دعم الخرافيين الذين تحالفوا معه وأيدوه في قرار الإنفصال وذلك سعياً منهم في طعن الإسلام وتدميره باسم الإسلام.

وإنه من ما ينبغي التنبيه عليه ان الحامل لبعض الشباب المسلم على تسوية القبور التي قدست من دون الله هو ما قدمنا من مسلمات الدين وضرورياته، وما ثبت عن النبي ،أنه قال:((لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)) - متفق عليه -.

وروى مسلم في صحيحه أن علياً  قال لأبي الهياج الأسدي: ((ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله  أن لا تدع قبراً مشرفاً إلا سويته..)).

إلا أن بعض الساعين إلى الفتنة والحاقدين على وحدة الأمة استغل الحدث أبشع استغلال بغية ضرب المسلمين بعضهم ببعض وشق صفهم ولبس الحق بالباطل، وتشويه الحقائق حتى صيروا المنكر معروفاً والمعروف منكراً.

وأدخلت قضيتان في بعضهما مع أن كلاً منهما منفصلة عن الأخرى، فقضية تسوية القبور كانت يوم الجمعة 27 ربيع الأول 1415هـ وما قبلها من أيام ومرت بسلام.

وقضية الصراع حول مركز المليشيا كانت يوم السبت 28 ربيع الأول 1415هـ وهي القضية المؤسفة جداً التي أدت إلى سفك دماء الأبرياء سواء من الأمن أو الشباب، فسفك الدماء بهذه الطريقة يدل على عدم مسؤولية وتصرف أرعن يجب التحقيق المنصف لمعرفة المتسبب لهذه الحادثة، وحتى لا يكون بداية سيئة وخطرة يستغلها أعداء شعبنا لتفجير صراعات داخلية واستغلالها سياسياً في الخارج وتلك هي أمنية الانفصاليين.

**وعلى ضوء ما تقدم نوصي بالتالي:**

1- على ولاة الأمر والعلماء القيام بواجبهم الشرعي في محاربة الشرك ومظاهره واتخاذ الوسائل الشرعية لذلك وتكوين هيئة للأمر بالمعروف والنهي لتتولى محاربة جميع ظواهر الفساد، وهذا يسد أبواب الفوضى والاضطراب.

2- اتحاد كلمة العلماء وخصوصاً في مثل هذه المواقف الخطرة وأن يصدروا عن مواقف مشتركة ومنسقة تخدم دين الله .
3- على الشباب الرجوع إلى العلماء والالتفاف حولهم وأن لا يقدموا على عمل دون الرجوع إلى العلماء ومعرفة توجيهاتهم والحكم الشرعي في ذلك، مع العلم أن ما حصل في عدن لم يكن بمشاورة العلماء مما أدى إلى هذه النتيجة غير المرضية.
4- أن يتم تغيير المنكرات بالحكمة ومراعاة الواقع وقاعدة المصالح والمفاسد.
5- أن يحذر المسلمون الفرقة والتنازع لأن هذا مما يضعفهم ويقر عيون أعداء الإسلام.
6- تشكيل لجنة من العلماء والالتقاء بالشباب لمعرفة ملابسات الحادث والعمل على إطلاق سراحهم.
7- أن يقوم ولاة الأمر برعاية مصالح الأمة وشبابها وصيانة دينها فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته.
8- يجب عدم إعادة الأضرحة وتشييدها وخاصة بعد معرفة الحكم الشرعي في ذلك ويجب إنفاق الأموال المرصودة لذلك للمتضررين من الحرب وخاصة في المحافظات الجنوبية.

والله من وراء القصد

**صادر عن مجموعة من علماء اليمن بتاريخ 11 ربيع الآخر 1415هـ**

**العلماء الموقعون على البيان هم:**

عقيل المقطري، عمار بن ناشر، طارق عبد الواسع، عبد العزيز الدبعي، عبد القادر الشيباني، أحمد علي معوضة، علي محمد بارويس، عارف أنور، أحمد الشيباني، عبد الكريم الضراسي، زيد بن ثابت، عبد الله سنان، مجاهد الوصابي، علي صالح عنان محمد، عبد المجيد الريمي، محمد عبد الله الإمام، يحيى الجهراني، د. عبد الوهاب الديلمي، حمود علي ناصر السعيدي، علي العديني، عبد الله الحاشدي، مراد القدسي، يحيى علي محمد جغمان، صالح الوادعي، محمد الوادعي، أحمد مقبل، خالد أحمد سعيد.

## المبحث الرابــع
## الجهود العملية لمواجهة القبورية
### وفيه أربعة مطالب:

**المطلب الأول:أثر دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب على القبورية:**

(4) **التعريف:**

دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب دعوة تجديدية، هدفها إعادة الأمة إلى ماكان عليه الأمر في عهد النبي  وأصحابه الكرام، وذلك بالدعوة إلىالتوحيد الخالص، وتنقية عقائد الأمة مما داخلها من عقائد ومفاهيم منحرفة،أدت إلى الشرك بالله تعالى، ودعوة للاتباع الكامل للنبي ،وتنقية عبادات الأمة مما ألصق بها من البدع والمحدثات، والمجاهدة؛لإقامة الشرع في حياة الأمة وإزالة ما يخالفه.هذا ملخص ما يمكن أن تُعرَّف به دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى.

نشأتها:

نشأت الدعوة السلفية التي جددها الشيخ محمد بن عبدالوهاب "دعوة الإسلام الأولى" في ذهنه، بعد أن بدأ في طلب العلم،وبدأ يقارن بين ما يتعلمه من مبادئ الشرع وأحكامه وما يرى عليه الناس، ثم بدأ فعلاً عندما عاد من رحلاته إلى بلده، ولكن الدعوة راوحت مكانها بل كـاد أن يُقضى عليها بالقضاء على الشيخ نفسه،حينما عزم أمير العيينة على تصفيته جسدياً [1]، فهاجر من العيينة إلى الدرعية وفيها نشأت الدعوة النشأة الأخيرة العملية،

[1] عنوان المجد في تاريخ نجد ص( 11 ) تأليف عثمان بن بشر – طبع مكتبة الرياض الحديثة – بدون تاريخ.

ومنها انطلقت حينما وجد الشيخ المناصرة الكاملة من قبل أميرها محمد ابن سعود -رحمه الله -وذلك سنة (1157 هـ).

وبعد أن تقبلت الدرعية وأهلها دعوة الشيخ وآمنت بها، وصَدَقتْ في ولائها، انطلق دعاتها حاملين مبادئها إلى ما حولها من ديار نجد،ثم إلى الإحساء والمناطق الشرقية،وإلى الحجاز وسائر أرجاء الجزيرة العربية، وكان بعض ذلك في حياة الشيخ والإمام محمد بن سعود وبعضه بعدموتهما في أيام عبد العزيز ابن محمد بن سعود على يد ابنه سعود، وكان من فضل الله على عباده أنه في زمن قصير تحقق للدعوة نجاح كبير،وطُهِّرت نجد وما حولها من البدع والشركيات ووسائلها،ثم أخذ أئمة الدعوة من أبناء وأحفاد الإمامين يسيرون في الأرض دعاة مجاهدين، فمن أجاب قبلوا منه،ومن أبى قاتلوه.

المآخذ على الدعوة النجدية:

وعندما تكاثر الأتباع والأنصار حدث من بعضهم حوادث غير مرضية، وقضايا على خلاف مقتضى الشرع.

وهذا طبيعي فليس كل الجند بل ولا كل القادة هم من العلماء العاملين والـدعاة المخلـصين، وإنـما هناك من يركب الموجة، وهناك من يطمع في الغنيمة،وهناك أصناف من الناس مختلفو المقاصد وجرائرهم كلها تلقى على كاهل الشيخ ودعوته، ولقد صار لتلك الدعوة صدىً واسع، وانتشر لجيوشها رعب كبير بين الناس،وخاف كل ذي سلطة على سلطته من أمراء وأشراف وشيوخ طرق،كلهم رأوا أن الدعوة تهددهم، فبدأت الحرب بشتى وسائلها،الحرب العسكرية والحرب الدعائية، وغيرها من أنواع الحروب، وكان الذي تولى كبر ذلك الدولة العثمانية بإسطنبول،وذلك لأمرين أساسيين:

**الأمر الأول**: السياسة، إذ خشيت على أجزاء كبيرة من أطراف مملكتها، ومن أهم تلك الأطراف الحجاز بما فيه مكة والمدينة،أن تخرج عن سيطرتها.

**الأمر الآخر**: إن الصوفية الاتحادية،كانت هي المسيطرة على الخلفاء،وهم أعدى أعداء هذه الدعوة للاختلاف العقدي بينهما.

فمن هناك طارت الدعايات، وانتشرت الشائعات ضد دعوة الشيخ -رحمه الله تعالى- وكانت كما وصفها الشيخ الإمام ابن الأمير (وأتتنا فيها جوابات من مكة المشرفة ومن البصرة وغيرهما، إلا أنها جوابات خالية عن الإنصاف[1])واستغل خصومها بعض الهفوات

[1] الديوان ص( 172 ) .

التي يقع فيها بعض المحسوبين على الدعوة فضخموها، وزادوا فيها، واتخذوها أدلة على ضلال الدعوة وانحرافها، ولكن ذلك كله مازاد الدعوة التجديدية هذه إلا رسوخاً وانتشاراً وقبولاً في الأرض؛ خصوصاً بعد أن دخلت الحجاز، وحكمت الحرمين، والتقى دعاتها بالحجاج من كل مكان مباشرة، فعرف الناس الحقيقة، وتبين لهم زيف الدعايات التي كانوا يسمعونها، فحملوا هذه الدعـوة إلى بلادهم، ونشروها بين أهليهم وإخوانهم، وهاهي الدعوة " الوهابية " كما سميت وشاع ذلك عنها، هاهي لا يخلو بلد من بلدان المسلمين من حاملين لها فيه، وكم من علماء وجمعيات وهيئات علمية ودعوية تسير على الخط السلفي الذي جدده الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب -رحمه الله تعالى- في مشارق الأرض ومغاربها،رغم أن الدولة العثمانية وبواسطة واليها على مصر محمد علي باشا قد حاولوا القضاء عليها، وتمكنوا من القضاء على الدولة والقوة العسكرية والكيان السياسي، ولكنهم لم يتمكنوا من القضاء على ما أشربته قلوب الناس من الحق، فما خرج الجنود الغزاة من نجد حتى عادت الدعوة والقوة والدولة بشكل قوي، ربما أقوى من ذي قبل، وهاهي قائمة إلى اليوم في أوسع مداها وأقصى انتشارها.

علاقة الدعوة النجدية باليمن:

من الطبيعي أن الداعية الموقن بصحة ما يدعو إليه المخلص لمبادئه محب الخير لأمته، لا تقف همته عند حد، ولا يكتفي في نشر دعوته ببلد دون بلد؛ لذا فإنه قد كان اليمن كل اليمن مستهدفاً للدعوة مُعرّضاً لدعاتها وجيوشها، ولقد شقت جيوشها الطريق إلى اليمن من جهتين، من الغرب عبر الحجاز وجبال السراة حتى وصلت إلى مناطق عسير جبالها وتهائمها، فكانت القاعدة لها بعد أن انضم أهلها إليها، وفتنوا بمبادئها، ودخل بعض أشرافها وأمرائها مع النجديين، وآزروهم على نشر الدعوة حتى وصلوا إلى الحديدة، بل إلى زبيد وحيس وما حولها [1].

وحينما بلغت الدعوة النجدية تلك المكانة من الاستيلاء على البلاد ودخول القبائل معها والقبول بما تدعو إليه، تجاوبت القبائل اليمنية لذلك، وشعرت بضعف دولة صنعاء في عهد الإمام " المنصور " أحد الأئمة الذين عـاصرهم الإمـام الشوكاني، وتقدمت تلك القبائل حتى حـاصرت صنعاء بعد عـام (1216هـ)[2]، وكانت الرسل في أثناء ذلك ترد إلى صنعاء من الدرعية بالدعوة إلى التوحيد وهدم

---

[1] البدر الطالع – ترجمة الشريف حمود بن محمد صاحب أبي عريش ( 1/ 240-241 ) .

القباب والمشاهد، وحينما أحس الإمام المتوكل بالضغط الشديد شاور من بحضرته في هدم تلك القباب والمشاهد، فقالوا له: إن كان هذا الهدم لوجه الله وتنفيذاً للشريعة فنعمَّا هو، وإن كان إنما هو مجاملة لأصحاب نجد فلا فائدة [1]، قال الشوكاني: (ثم وقع الهدم للقباب والقبور المشيدة في صنعاء وفي كثير من الأمكنة المجاورة لها وفي جهة ذمار وما يتصل بها) [2]،كما أنني لا أشك أنهم عندما مروا بمدن وقرى تهامه قد أزالوا ما فيها من مشاهد وقباب وسووا ما فيها من قبور مشرفة؛ لأن هذه هي عادتهم في كل مكان يستولون عليه، وإن لم أظفر بذلك في مرجع خاص، والفرقة الأخرى من جهة الصحراء حتى وصلت حضرموت.

**وصول الدعوة النجدية إلى حضرموت:**

وصلت الدعوة النجدية إلى حضرموت رسمياً بوصول الجيش النجدي الذي يقوده ناجي بن قملا وكان ذلك في سنة (1224هـ)، فاستولوا على الكسور، وفيها حورة وهينن وحواليهما،وصَالَحَ ابن قملا القبائل اليافعية والنهدية والشنفرية، وهدم غالب رؤوس القباب المبنية على القبور من دوعن غرباً إلى قبر هود على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام شرقاً [3]، ولم يكن التأثير مقتصراً على هدم القباب فقط، بل وصل إلى إقناع القبائل وجماعات من أبناء حضرموت بهذه الدعوة وحملهم لها ورفضهم للخرافات والعقائد القبورية التي كانت سائدة في البلاد، ومن تلك القبائل قبيلة " آل علي جابر " ببلد خشامر وما حولها في منطقة العقّاد بين القطن وشبام، وحتى بعض رجال السادة العلويين تابعوهم على ذلك، كما ذكر ابن عبيدالله في "إدام القوت" عند كلامه على الحوطه "حوطة أحمد ابن زين" [4]وبشكل أوسع في منطقة " المحيضرة " إحدى ضواحي تريم وهو يتكلم، عن السلطان عبدالله عوض غرامة، فقد قال: (وكان ينكر بطبعه غلو القبوريين، فوافقته آراء الوهابية، وأكثر التعلق بوحيد عصره وفريد دهره مقدم الجماعة، وشيخ الصناعة والذي انتهت إليه رياسة العلم

---

2 فرجة الهموم والحزن للواسعي ص( 234 ) و الشوكاني حياته وفكره ص( 55 ) .

1 حوليات يمانية ص( 22-23 ) .

2 البدر الطالع (1/262-263 ) .

3 ? تاريخ حضرموت المسمى بـ ( العدة المفيدة ) ( 1/321 ) للشيخ العلامة سالم بن محمد بن سالم بن حميد الكندي . تحقيق عبدالله محمد الحبشي . مكتبة الإرشاد . صنعاء ( الطبعة الأولى ، 1411 هـ - 1991 م ) ، وتاج الأعراس ( 1/ 174 ) .

4 انظر إدام القوت لابن عبيدالله ص(227 ) .

بتريم،العلامة الجليل السيد أبي بكر بن عبدالله الهندوان،المتوفى بتـريم سنة (1248هـ)،وقد اتهمه العلويون بأنه هو الذي يعلم عبدالله عوض غرامة آراء الوهابية، ويحثه على االلتزام بها، ومؤاخذة الناس بمقتضاها، فتآمروا على قتاله، فهرب إلى بيت جبير،ولم يقدر عبدالله غرامة على حمايته بتريم؛ لأن غرامة لا يملكها كلـها، وفي أيـامه كـان وصـول الوهابـية إلى تريم سنة ( 1224 هـ)،بقيادة الأمير علي [1] بن قملا، فطوى بهم حضرموت، ولم يفسد حرثاً،ولا أهلك نسلاً، وإنما هدم القباب،وسوى القبور المشرفة،وألقى القبض على المناصب، وأهانهم،وأتلف قليلاً من الكتب،كثره بعض العلويين، كصاحبنا الفاضل السيد علوي بن سهل، بدون مبرر مـن الدليل، وأقاموا بتريم نحـو أربعين يوماً، وعاهده عبدالله عوض غرامـة، وعبدالله بن أحمد بن يماني على أن يكف الأذى عـن بـلادهما، عـلى شـرط أن يـقومـا بنشـر دعـوته، الـتي لاقـت هـوى مـن نفـوسـهـم وقـبـولاً من خواطـرهـم) [2].

إذاً فهذا إمام كبير وعلامة شهير من سادة تريم،كان يوافق أهل نجد على منهجهم،وقد اتهم بنشر هذا المنهج وتعليمه لهذا السلطان،حتى أن السلطان عبدالله عوض غرامة أرسل رسـالة عـزاء في قـتيل قـتل في مشاجرة بغير قصد، جاء فيها: (إننا لا نريد ذلك ولانحبه، وإنما كان قتله على غير اختيار منا، ولكن شؤم أعمالكم والتفاتكم إلى غير الله وعبادتكم للأموات والقبور هو الذي جر عليكم المصائب، وسيجر عليكم ما هو أعظم)، قال ابن عبيدالله: (ويقال أن هذه المكاتبة كانت من إنشاء إمام تريم لذلك العهد المتقدم، ذكره السيد أبي بكر بن عبدالله الهندوان، والله أعلم) [3]، بل هناك نص أوضح وأصرح في استجـابة الكثير من قبائل حضرموت وبعض السادة العلويين للدعوة الوهابية، بل وطلبهم وصول دعاتها إلى حضرموت، يقول ابـن عبيد الله في ترجمة أحمد بن سـالم منصب عينات: (وفي أيامه كان وصول الوهابية إلى حضرموت، بطلب من بعض السادة وآل كثير، ولم يكن لهم عسكر كثير، وإنما كانوا ينشرون دعوتهم، ويستجيب لهم الناس، وكان ممن استجاب لهم آل علي جابر بخشامر، غربي شبام، وبعض السادة وبعض آل كثير وعبدالله عوض غرامة بتريم) [4]، ولكن وجود

---

[1] كذا قال والصواب ناجي بن قملا .

[2] إدام القوت الحلقة (40 ) في مجلة العري التي تصدر في الرياض .

[3] إدام القوت ص(123 ) .

[4] إدام القوت ص( 43 ) .

النجديين في حضرموت لم يدم طويلاً حيث كان وصولهم إليها في آخر عمر الدولة السعودية الأولى، والتي انتهت بـوصول القوات المصرية إلـى الـدرعيـة سنـة (1233هـ) [1]، وكانت جيوشهم قد وصلت إلى ساحل ينبع سنة (1226 هـ) [2]، وما بين هذين التاريخين كان أهل نجد مشغولين بقتال القوات المصرية، ومن هنا قلّت إمداداتهم إلى جيوشهم التي تقاتل في أطراف الجزيرة العربية ومنها الجيش الذي بحضرموت؛ ولذلك فقد هـزم هـذا الجيش بالقرب من حريضة على يد قبائل الجعده وقيادة السادة آل العطاس[3]، ورجعوا إلى بلادهم.

ولكن آثار دعوتهم مازالت موجودة، وكان أشهر بلد استقرت على مبادئ هذه الدعوة هي بلد خشامر وأهلها آل علي جابر؛ لذلك كانت من النوادر أن أحداً إذا أراد من وليٍّ كرامة فلم تحصل يهدَّده باللجوء إلى آل علي جابر في خشامر، كما ذكر في تذكير الناس قول الذي قال في زيارة المشهد:

زوار جينا بانــزورك ياعلي لي تكرم القاصد وترحب بالغريب
إن شيء كرامة با تقع ذا حلها والا رجعـنا لا قَـدَا صالح حبيب [4]

أي إذا لم تكرمنا فإننا سنذهب إلى صالح حبيب شيخ آل علي جـابر الوهابيين، وقول الآخر حينما جاء إلى الحسن بن صالح البحر، وله ولد مريض، فخاطبه بقوله: (وعزة المعبود إن لم تذهب الحمى من ولدي محمد لأصبح في خشامر عند بن علي جابر) [5]. وكل ذلك قد تقدم.

ومالبث الناس بعد ذهاب النجديين إلا يسيراً، فنشأت جمعية الإرشاد بإندونيسيا، فتواصل التأثير، ولله الحمد،حتى جاء الله بهذه الصحوة التي هي سلفية سنية منابذة للقبورية متمسكة بمنهج السلف الصالح رضوان الله، عليهم نسأل الله أن يتم نوره، ويعلي كلمته، ويهدي الجميع للتمسك بما يرضيه

**<u>المطلب الثاني</u>: دعوة الإرشاد بإندونيسيا وأثرها على القبورية في اليمن:**

من خلال العوامل التي أدت إلى قيام دعوة الإرشاد يمكننا أن نتعرف على أهم ملامحها، فالعوامل التي أدت إلى قيامها هي:

---

1 عنوان المجـد (ص 191 – 214 ) .
2 المصدر السابق ص( 157 ) .
3 انظر تاج الأعراس ( 1/230-237 )
4 تذكير الناس ص( 219 ) .
5 تذكير الناس ص( 220 ) .

1) الجهل المركّب الذي يسود العرب في إندونيسيا.
2 2) تمادي العنصريين في استعلائهم على الناس واستغفالهم لهؤلاء ماديّا واجتماعيّا.
3) كثرة البدع والخرافات.[1]

من خلال هـذه العوامل يتضح أن هذه الدعوة كانت ثـورة على الجهـل الذي كان يسود العرب في مهجرهم، ووسيلة إزالته العلم، وثورة على التعالي العنصري، والمطلوب هو التساوي والعدل الذي جاء به الإسلام، وثورة على البدع والخرافات،وسبيل ذلك هو نشر التوحيد والاتباع وتعلم الإسلام الصحيح من كتاب الله وسنة رسوله .

ومن مجموع ذلك نتعرف على جمعية الإرشاد الإسلامية بإندونيسيا، فنراها تقوم على ثلاثة أصول:

1) نشر العلم وإفشائه بين سائر الطبقات.
2) المساواة في الحقوق والواجبات بين جميع الشرائح في المجتمع.
3) محاربة البدع والخرافات ونشر ضدها من التوحيد والاتباع.

وهذه الأصول كلها نقض لبعض أركان القبورية في اليمن، وقد سبق ذكرها مفصلة في الباب الثاني في آثار القبورية.

وقد وصلت هذه الدعوة إلى اليمن وإلى حضرموت بوجه خاص موطن، مؤسسي هذه الجمعية، وكان لها أثرها الطيب؛حيث تنبه الناس من غفلتهم واستيقظوا من رقدتهم، فهرعوا إلى العلم، ورفضوا التمايز الطبقي، ودعوا إلى التوحيد والسنة ورفض البدع والخرافات والشركيات، وقام بعضهم بتسوية بعض القبور في مناطقهم، وأذكر أن أحدهم في قريتنا عَمَدَ إلى ثوب كان يكسى به صناديق مكتبة الشيخ عمر بن أحمد العمودي الشهيرة والمعروفة عند المؤرخين بـ " المكتبة الشُعبية " وعند العوام بخزانة الشيخ عمربن أحمد، قام بأخذ هذا الثوب الذي تكسى به صناديق الكتب -على جهة التعظيم- وألقاه في بئر معطلة بالقرب من الخزانة، وذلك الرجل هو الشيخ عبدالرحيم ابـن محمد المهجوس العمودي رحمه الله، وكان أول من أعلن الدعوة إلى السنة ومحاربة البدع والشركيات في ذلك البلد.

وهكذا لم يبق وادٍ أو منطقة مـن مناطق حضرموت إلا ووجـد فيها مثل ذلك الرجـل، وفي كثير من الأماكن كان لهؤلاء أنصار وأعوان، يحملون هذه الدعوة ولو في أنفسهم وأقاربهم.

---

[1] تاريخ الإرشاد ص(6) .

ومما يدل على وجود هذا الأثر ضجة القبوريين من هذه الدعوة والشكوى منها ونشر الدعاية ضدها، من ذلك ما هو مكتوب، ومنه ما هو على الألسنة.

**المطلب الثالث: جهود أئمة وعلماء اليمن الأعلى في المواجهة العملية للقبورية:**

إن القبورية لم تترسخ في اليمن الأعلى مثلما ترسخت في بقية مناطق اليمن، وذلك أن الفرقة الزيدية والمذهب الهادوي ليس فيهما من الغلو ما في مذاهب أهل الرفض والباطنية من الإسماعيلية والصوفية الغلاة، لذلك؛لم يكن في أصل المذهب الهادوي ترخيص في البناء على القبور، ولا في عقائد الزيدية اليمنية الأولى شيء من ذلك، وإنما طرأت تلك الأقوال في القرن السابع عندما توافد الصوفية على اليمن وحينما بنى بنو أيوب المشاهد على قبور سلاطينهم،وميزوها عن قبور الناس، عند ذلك سرت العدوى إلى ديار الزيدية، وبقيت محصورة علـى الأئمة الحاكمين وأسرهم ومقربيهم، فهي فتوى سياسية أكثر منها شرعية واعتماد على إلحاح الواقع لا على أدلة الشرع؛ ولذلك فليس هناك تعظيم للقبور التي في ذلك الجزء من اليمن كما هو في بقية الأجزاء الأخرى، وليس هناك فلسفة لزيارتها كما يوجد عنـد الصوفية؛ لذلك كله كان من السهل على علماء تلك البلاد وبعض حكامها أن يدركوا الحكم الصحيح لتلك المشاهد وأن يتمكنوا من هدمها وإزالتها بيسر أكثر مما عليه الحال في مناطق الصوفية، كذلك فقد كانت هناك جولات لبعض العلماء وبعض الأئمة وجهود عملية؛لإزالة بعض تلك المشاهد وتسوية القبور المعظمة عند بعض العامة،وقد اطلعت على جولتين من تلك الجولات.

**الجولة الأولى**: على عهد الإمام المهدي العباس بن الحسين بن القاسـم المولود (1131هـ) والمتوفى سنة (1189هـ) والذي كان معاصراً للإمام ابن الأمير الصنعـاني رحـمه الله المتـوفى (1182هـ)، فقد قام هذا الإمام بهدم كثير من تلك المشاهد والقبور المعظمة بتحريض جماعة من العلماء رحمهم الله تعالى، قال الإمام الشوكاني رحمه الله: (وقـد تكلم جماعة من أئمة أهل البيت -رضوان الله عليهم- ومن أتباعهم رحمهم الله، في هذه المسألة بما يشفي ويكفي، ولا يتسع المقام لبسطه، وآخر مـن كـان منهم نكالاً على القبوريين،وعلى القبور الموضوعة على غير الصفة الشرعية، مولانا الإمام المهدي العباس بن الحسين ابن القاسم رحمه الله، فإنه بالغ في هدم المشاهد التي كانت فتنة

للناس وسبباً لضلالهم، وأتى على غالبها، ونهى الناس عن قصدها والعكوف عليها فهدمها،وكان في عصره جماعة من أكابر العلماء ترسلوا إليه برسائل، وكان ذلك الحامل لـه على نصرة الدين بهدم طواغيت القبوريين [1].

أما الجولة الثانية: **فقد تم فيها إزالة القباب والمشاهد في اليمن الأعلى بجهود علماء صنعاء وحث أئمة الدعوة النجدية، قال الإمام الشوكاني -رحمه الله- في ترجمة سعود بن عبدالعزيز بن محمد ابن سعود في البدر الطالع: (ومازال الوافدون من سعود يفدون إلينا إلى صنعاء إلى حضرة الإمام المنصور، وإلى حضرة ولده الإمام المتوكل بمكاتيب إليهما بالدعوة إلى التوحيد وهدم القبور المشيدة والقباب المرتفعة، ويكتب إليّ أيضاً مع ما يصل من الكتب إلى الإمامين، ثم وقع الهدم للقباب والقبور المشيدة في صنعاء وفي كثير من الأماكن المجاورة لها وفي جهة ذمار،ومايتصل بها)[2].**

**وقد ورد هذا الخبر مزيداً ومفصلاً في كتاب "حوليات يمانية" الذي حققه ونشره السيد عبدالله الحبشي حيث قال: (وفي سنة (1229 هـ) تهيأ المتوكل على خروجه على النجدي على تهامة، وعلى الشريف وعاهد الإمام القاضي عبدالله العكـام، ووصل وقد رحل المتوكل من صنعاء إلى ذمار، وبقي خارج ذمار،وطلب المغلَّبات من الإمام،ولم يتم منه بشيء ونهب محل اليهود في ذمار لا رحمه الله، وتعدى إلى الطريق المسبلة،ورحل خارج اليمن، وتبعه المتوكل وجرت بينهم حروب.**

وفيها وقعة السرايم خارج جبلة، وخاب السعي من النفوذ على تهامة، فكلما هيأهم المتوكل للتحضير على المخالفين طلبوا المغلَّبات، وما مقصدهم إلا الفساد، ووقع لهم شيء من المال ورجعوا بلادهم، ورجع الإمام إلى صنعاء، ورجح مكاتبة النجدي ومداهنته، حتى وصل من الدرعية المطاوعة الآخرون الأمير محمد، ويوسف القرماني وجماعة معهم، وخاطبوا المتوكل في خراب المشاهد والقباب المنصوبة على قبور الصالحين والأئمة الهادين، فجمع الإمام أعيان دولته وعلماء حضرته، وأجاب عليه العلماء بأنه إذا كان العمل بالشريعة حقيقة لا على أنها مداهنة للنجدي وقبول قوله فهذه القباب ورفع القبور بدعة لاعلى الوجه المشروع،كما

---

[1] الدر النضيد ص( 126 – 127 ) .

[2] البدر الطالع ( 1/262-263 ) .

روي عن أمير المؤمنين بهدمها وتسويتها بالأرض، فرجح المتوكل الأمر بهدمها وهدمت الذي في صنعاء وما حولها قبة صلاح الدين، وقبة المنصور حسين في الأبهر،وقبة الفليحي،وسدة قبة المهدي العباس التي فيها القبر، ولم يبق إلا قبة المتوكل للصلاة، وهدمت قبة أحمد بن أحسن في الغراس وأرسل على بقية النواحي بهذا [1].

ومن هذا النص نفهم أن أصحاب نجد قد شددوا على الإمام في صنعاء في هذا الأمر وقد وجد الإمام نفسه مضطراً لقبول ضغوطهم والعمل بمايدعون إليه، ولكن أراد أن يحمل المسؤولية العلماء بدل أن يتحملها بمفرده، وكان العلماء يتحينون هذه الفرصة؛ لأنها تحقق جـزءاً مهماً مـن دعوتهم،ولذلك كان جوابهم: (بأنه إذا كان العمل بالشريعة حقيقة لا على أنها مـداهنة للنجـدي، وقبول لقوله فهذه القباب ورفع القبور بدعة على الوجه المشروع، كما روي عن أمير المؤمنين بهدمها وتسويتها بالأرض،فرجح المتوكل الأمر بهدمها)[2]. فهذا جهد كبير كان الدافع له دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وتنفيذه برغبة وقناعة تامة من علماء اليمن، والنتيجة هي هدم تلك القباب وتسوية تلك القبور المشرفة وإن كانت قد أعيدت إلى سالف عهدها فيما بعد،ولا حول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم.

**ونموذج آخر** قام به أحد الأئمة ولكن، هناك شكوك في دوافعه، تلك الجهود هي التي قام بها الإمام أحمد بن يحيى حميد الدين حينما كان ولياً للعهد في أيام أبيه وحاكماً للواء تعز، فقد قام بهدم قبة أحمد ابن موسى بن العجيل في مدينة بيت الفقيه عام ( 1348هـ)، وتحطيم تابوت أحمد ابن علوان وإخراج رفاته ثم دفنه في مكان مجهول عام (1372هـ)، وهذا العمل من حيث أنه تحقق به أمر مطلوب شرعاً فهو جيد، ولكن الشكوك ساورت الناس حينما اقتصر على هدم مشاهد البلاد الشافعية بينما البلاد الزيدية فيها مشاهد كثيرة،ومنها ما قد فتن به بعض الناس، ومع ذلك لم يمسها بشيء من ذلك، قال القاضي إسماعيل الأكوع في "هجر العلم" بعد أن ذكر هدم الإمـام أحمد لهذين المشهدين: (وتالله لقد أحسن الإمام أحمد صنعاً في كلتا الحالين، ولو أن يـده امتدت إلى سـائـر القباب والتوابيت الأخرى التي يعتقد عامة الناس في أصحابها الضر والنفع لأجزل الله مثوبته وأحسن إليه، ولاسيما

---

[1] حوليات يمانية ص ( 22-23 ) .

[2] هنا في التعليق على الكتاب ص( 22 ) رقم ( 7 ) قلت : وفي هذه المناسبة ألف العلامة محمد بن علي الشوكاني رسالة ( شرح الصدور في تحريم رفع القبور ) .

القبور التي يلتمس عندها العامة الخير والبركة، ويرجون منها النفع ودفع الضر والشر [1]، ثم استطرد في الموضوع إلى أن قال: (وكان الواجب على الإمام أحمد هدم القبور التي يلتمس العامة منها الخير والبركات؛ امتثالاً لأمر رسول الله ﷺ)[2].

**قلت**: وفي هذا إشارة إلى أن الإمام أحمد ما فعل ما يجب عليه،وما كان مقصده تطبيق أمر الشرع بشكل خالص؛ وإلا لعمم ذلك، وربما يعتذر له بأن هذه المشاهد تحت سلطته بينما غيرها ليس له عليها سلطة، فقد مر أن أباه كان يؤيد تلك المشاهد التي على قبور الأئمة، وقد أمر ببناء واحد منها في منطقة أرحب على قبر الإمام أحمد بن هاشم الـويسي المتـوفى سنة (1269 هـ) والمدفـون في (دار أعـلا من أرحب للتبرك به، وهددهم بأنهم إن لم يفعلوا ذلك فإنه سينقل رفاته إلى مكان آخر، فما كان من أهل أرحب إلا أن بنوا له قبة، ووضعوا على قبره تابوتاً) [3].

**والخلاصة** أن هناك جهوداً عملية قام بها أئمة وعلماء في هذه المناطق، وقضوا ما عليهم، وقاموا بما أمروا به، فمن كان منهم مخلصاً فأجره على الله، ومن كان له مقصد آخر؛فإنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ مانوى.

## <u>المطلب الرابع:</u> الجهود العملية المختلفة التي قام بها أناس مختلفون في سائر أنحاء اليمن:

إن الجهود العملية لتسوية القبور المشرفة كانت من عهد النبي ﷺ ولا تزال إلى اليوم، وقد مر في الباب التمهيدي حديث علي -رضي الله عنه- حين قال لأبي الهياج الأسدي: (ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ ألا تدع صورة إلا طمستها ولا قبراً مشرفاً إلا سويته)[4]، وهو يدل على أن النبي ﷺ بـذل جهوداً في محاربة القبور المشرفة، وكذلك علي -رضي الله عنه- في أيام خلافته وقبل ذلك في أيام عثمان حيث كان يتفقد المقابر بنفسه، ويأمر بتسويتها، وقد مر هناك.

ثم مازال ولاة الأمور يتابعون هدم ما بني في المقابر، كما صرح الإمام الشافعي -رحمه الله- بذلك في الأم ونقلته في الباب التمهيدي، وإنما تخاذل ولاة الأمر في ذلك بعد تمكن الباطنية من مقاليد الأمر في القرن الرابع كما مر كذلك، وفي القرون المتأخرة أصبح السلاطين يؤيدون القبورية؛لأغراض سياسية فعمقوها

---

[1] هجر العلم (1/ 223 ) .
[2] المصدر السابق ( 1/ 225 ) .
[3] المصدر السابق ( 1/225 ) .
[4] انظر الباب التمهيدي (      ) .

وجذروها في الأمة،وأصبحت الجريمة ليست هي بناء المساجد والمشاهد على القبور، وإنما هدم وإزالة تلك الأبنية.

وبالمناسبة أقول: إنه لدينا في اليمن تجري السلطة على نفس منهج السلاطين المتقدمين من مجاراة للقبورية ومداهنة لهم، ونتوهم أنهما بذلك يكسبونهم ويكسبون الأمة من ورائهم، وهذا وهم كاذب، فالصوفية لا تحب هذا النظام أوتنصح له، وأكبر دليل ما حصل منها أثناء حرب الانفصال وكل الناس يعرفون موقفها من ذلك، وعندما يقوم فرد أو مجموعة من الغيوريين بتنفيذ أمر سول الله  فيسوون قبراً أو يهدمون مشهداً،تقوم عليهم الدنيا ولا تقعد ويساقون إلى السجون، وتشهر بهم الصحف المأجورة، ويتناولهم بأنواع السباب والشتائم من لا علم ولادين ولاخلق له، والعلة في ذلك حسب زعمهم هي: إثارة العوام، وإثارة القلاقل، والإخلال بالأمن، واحتمال وقوع الفتن والقتل، ونحو ذلك من العلل.

وأقول: إنه قد يحصل شيء من هذا،لكن أليس ما يقوم به القبورية اليوم على مرأى ومسمع من الجميع من بناء مشاهد جديدة وترميم وإصلاح المشاهـد القديمة وبعث العادات والبدع القبورية الميتة، أليس هذا كله يستفز الأمة التي قد وعت وعرفت أن ذلك حرام ووسيلة من وسائل الشرك؟ وجميع المسؤولين والمهاجمين لمعارض القبورية معترفون به، فإذن لِمَ تجوز الإثارة من قبلهم ولا تجوز من قبل معارضيهم؟ مع أنهم على باطل ومعارضوهم على حق باعتراف قيادات الأمن وقضاة المحاكم وأساطين الصحافة؟ هل لأن الدعاة لا يلجأون للإثارة وتهييج الجموع؟ والقبورية يتقنون ذلك؟ أم أن هناك إيحاءً بذلك من جهات لا نعرفها؟ يجب أن نسمع جواباً شافياً على هذا التساؤل وعدلاً وإنصافاً مـع الأطراف المختلفة والـتخلي عن محاباة طرف على حساب الآخر.

ويجب أن يزول كذلك وهم أن الصوفية القبورية ومن على شاكلتهم قادرون على أن يحققوا لبعض الأحزاب أهدافها، فوالله ماهم بفاعلين؛ لأنهم إنما يسعون لمصلحة مبادئهم ومناهجهم لالمصلحة أحد سواهم، ولو فرض إرادتهم نفع هذا الحزب أو ذاك فلم يعودوا قادرين عليه؛لأن الأمة قد سحبت ثقتها منهم ولم يعد نفوذهم يسيّرها.

<u>نماذج من تلك الجهود:</u>

بعد هذه المقدمة التي أطلت فيها حيث لم أستطع تجاوز هذا الموضع بدونها أقول: (إن هناك نماذج مشرقة في مواجهة القبورية في اليمن مواجهة فعلية، وتقدم قريباً ما فعل علماء صنعاء عندما

واتت الفرصة لهم، كما سبق في مبحث من مباحث هذا الباب، ما فعله القاضي العلامة عبدالله عوض بكير وزملاؤه أعضاء لجنة الشؤون الدينية حينما قامت اللجنة الشرعية وأعطي لها الصلاحيات من إزالة الكثير من مناكر الزيارات القبورية، وكذلك ما فعله بحكم منصبه القضائي من إغلاق لمشهد " علوية " بمدينة المكلا ومنع إقامة الحضرة فيه.

ولقد تساند بعض القضاة الصالحون مع بعض مسؤولي النواحي في -ما كـان يعـرف بالشطر الشمالي من اليمن- فقاموا بجهود مشكورة ومساندة للدعاة لإزالة بعض المشاهد وتسوية بعض القبور المعظمة وهاك مثالاً على ذلك وهو مـا أخبرني به الأخ الشيخ محمد بن علي الغيلي مـن احتساب، قام به الشاب الغيور الداعية إلى الله في بلاد المحابشة من محافظة حجة الأستاذ الشهيد -إن شاء الله- " أحمد بن أحمد الأمين " مع مجموعة من إخوانه طلبة العلم والدعاة حيث قرروا إزالة هذه المشاهد وما يترتب عليها من مفاسد،وبدأوا بالتوعية والتهيأة لذلك،ثم اتصلوا بالعلماء فوجدوهم مجمعين على أن ذلك من البدع المنكرة، غير أنهم ما كان بمقدورهم الإفصاح عن ذلك، ثم اتصلوا بالمسؤولين "العامل والقاضي ومسؤول الأوقاف"، وقد وافقهم الجميع، ثم أخذوا أمراً من القاضي " محمد بن علي الخزان " حاكم القضاء، هذا نصه:

(نأمر المذكورين المحررة أسماؤهم بالعزم بمعية الولدين محمد علي الغيلي، وأحمد الأمين لهدم مشهد "الصوفرة" ليزول الاعتقاد والفساد لدى العوام وفي ذلك عمل صالح تخدمون به الإسلام والعقيدة الحقة، اعتمدوا هذا.

11/شعبان سنــة 1394هـ حاكم القضاء

محمد بن علي الخــزان

وذكـر أسماء المكلفين بذلك، وقد نفذت العملية صبيحة يـوم الرابـع عشر مـن شعبان عـام (1394هـ) وذلك من قبل الشباب المذكورين، ومعهم عدد من الجنود المسلحين، ولم يحدث شيء يذكر من فتنة ولاغيرها ثم قضى على بقية المشاهد في المنطقة، والحمد لله رب العالمين.

هذا ملخص ما حكاه الشيخ محمد الغيلي حفظه الله، وصورة أمر القاضي موجودة لدي،

وإليك مثالاً ثانياً على المواجهة العملية للقبورية في اليمن من محافظة شبوة حيث قام مجموعة من المهاجرين إلى الحجاز الذين جالسوا علماء مكة والمدينة وعرفوا منهم الحق في موضوع

القبورية قاموا بعمل ملفت حيث اتفقوا مع الشيخ الجليل والداعية المعروف الشيخ محمد بن عبدالوهاب البناء المصري أحد أعضاء جماعة أنصار السنة المحمدية،والذي كان مقيماً في المدينة حيناً وفي مكة حيناً آخر، اتفقوا أن يصحبوه إلي بلادهم للدعوة إلى الله عزوجل ونشر السنة والتوحيد وإصلاح ما أفسدته القبورية، فارتحل معهم وذلك قبيل استقلال البلد عن الاستعمار البريطاني بقليل،حتى وصلوا إلى بلادهم والتي كانت تسمى"سلطنة الواحدي " ومكثوا مدة طويلة فيها، يدعو الشيخ ويعلم الناس، وتلك المجموعة تناصره وتحميه، وقد اتصل بالمسؤولين والعلماء وكبار الناس في المنطقة، وكان لدعوته أثر طيب،منه قيام أولئك النفر ومن تأثر بهم بهدم بعض القباب والمشاهد وتسوية بعض القبور المعظمة،ومنها القبر المزعوم والمنسوب إلى من قالوا أنه النبي (دانيال ابن هادون بن هود)،ولا أدري كيف أجازوا إضافة نبي لم يخبر به كتاب ولاسنة ولا أثر صحيح، المهم اكتُشف القبر ورسخ في عقول ونفوس الناس أنه قبر هذا النبي " المزعوم "، فصار مشهداً تقام له زيارة سنوية في رجب،وتحصل فيها اجتماعات وكرامات، هذا القبر الذي فتن الناس به،هدمه أولئك الرجال جزاهم الله خيراً [1].

ومن العجب -وكل أمر القبورية عجب- أن بعض الإخوة الذين عاصروا هدم ذلك القبر أخبرني أنه عندما هدمت القبة، وأزيل ما على القبر لم يوجد به أي قبر وإنما وجدوا صفاة صماء لا حفر فيها ولا أي أثر يدل على أنه قد دفن فيه أحد.

**ومثال ثالث** أخير على المواجهة العملية وهو من محافظة عدن، وهي الحادثة التي كان من نتائجها تسوية القبور المشرفة، وهدم القباب المرتفعة، وتحطيم التوابيت التي على قبور من يدعون أنهم أولياء، فيفتتن بهم عامة المسلمين، تلك الحادثة وقعت في عـدن عقـب انتهاء حـرب الانفصال في عـام (1415هـ) والتي قام بها مجموعة كبيرة من شباب الصحوة من سائر فصائل العمل الإسلامي، بعد أن رتبوا أو على الأقل أبلغوا الجهات الأمنية ولم تجد معارضة لفعلهم، غير أنه وبعد يومين من بداية الحملة انعكس توجه الحكومة ويبدو أن ذلك كان تحت ضغوط داخلية وخارجية كبيرة، وبـدأوا يلاحقـون الشباب الذين شاركوا في تلك الحملة، وزجوا بمجموعة كبيرة منهم في السجون، وقد ضخمت تلك الحادثة في وسائل الأعلام تضخيماً كبيراً، ووصف القائمون بذلك

[1] انظر ما جاد به الزمان من أخبار مدينة حبان تأليف السيد / محمد بن عبدالله بن محمد بن أبي بكر الحوت المحضار لم تذكر له دار نشر وتاريخ ص( 33 ) .

العمل بشتى الأوصاف القبيحة من إرهابيين ومجرمين وجبناء وغير ذلك، وكان من نتيجة ذلك هدم قبة الهاشمي وتسوية ما بداخلها من القبور المشرفة وكذلك قبة العثماني وكلاهما في الشيخ عثمان، وتحطيم تابوت العيدروس وما بجواره من القبور المشرفة، وعددها حوالي اثني عشر قبراً، ثم إخراج القبور من المساجد وهي قبر العراقي من مسجد حسين، وقبر مجاور للمسجد، وقبر المهدلي وقبر حسين الأهدل وقبر في مسجد العلوي بالقطيع وقبر الحامد من مسجد بالزعفران وتسوية قبر أو قبرين بـ (صيره).

وربما كان هناك أخطاء في تلك الحملة قبل البدء فيها حيث لم ينظر بدقة إلى عواقب الأمر، وما سيترتب على ذلك العمل من نتائج وفي ظل أجواء مشحونة بالتوتر ووجود فئات مهزومة،لم يبقَ لها إلا سلاح الدعاية والإشاعات الخبيثه،وتوجه إعلامي كامل نحو اليمن إثر الحرب التي انتهت قبل أيام.

كما حصل أثناء الحملة بعض الأخطاء، مثل: الحفر عن بعض القبور، وإخراج جثث الموتى منها، ولا أدري في أي مكان دفنت بعد ذلك، فهذه بعض المفاسد وهي طفيفة،وأما المصالح فكانت كثيرة فمنها: امتثال أمر النبي  الخاص بتسوية القبور المشرفة، ومنها: إزالة أماكن المنكـر والفتـنة التي يضل بها فئام من الناس كل حين، ومنها: إقامة البرهان على كذب الدعاوى العريضة التي كان سـدنة تلك المشاهد يرددونها حول الكرامات الخارقة التي يزعمونها لأولئك الأولياء، ومنها: هذه الكرامة التي ينسبونها للعيدروس حيث يقولون: (إن القطب أبابكر العيدروس كان يمازح الولي الشهير سعد السويني، والعيدروس بعدن، والسويني بحضرموت، إذ ضجر السويني من ممازحة العيدروس، فرماه بمسواكه فأقبل المسواك " كالصاروخ سكود " فاكتشفه العيدروس وأمر طلابه بأن يخفضوا رؤوسهم حتى لايصيبهم، ولكـن المسـواك ارتفع عن المسجد ومن فيه ووقع في الجبل القريب منهم فأحدث فتحة كبيرة، لاتزال موجودة إلى اليوم)، هكذا يقولون للسذج من الناس ويصدقهم الكثير منهم، ويلغون عقولهم فلا يفكرون في إمكانية ذلك من عدم إمكانيته، فلما كسر التابوت وحطم أجزاء من المباني حوله بل وحفر القبر ورفع الرفات المتبقي من تلك الجثة، أيقن العقلاء أن ذلك هراء ودجل صريح، فهذه الفائدة كبيرة جداً، وإن كان بعض المخدوعين مازالوا يعتقدون بتصرف العيدروس في الكون حياً وميتاً، ولم يعدم السدنة والمضللون من القبورية حيلاً يبررون بها ما جرى، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

ولعمري لقد أدى أولئك الشباب واجباً، وقاموا بفرض تخلى عنه الآخرون، فجزاهم الله خير الجزاء، وغفر لهم ما فيه من أخطاء.
ولقد تباينت ردود الأفعال كثيراً حول تلك الحادثة، وقال كلٌّ بما أراد أن يقول، إمـا عن اجتهاد أو هوى، وقد صدرت على إثر ذلك الحادث بيانات وكتبت مقالات، كان الغالب عليها مراعاة الحالة السياسية والوضع الذي تمر به البلاد والتأثر بما قامت به وسائل الإعلام العالمية من هجوم ضد منفذي هذه العملية، ولم أر من تلك البيانات والمقالات أكثر تجرداً، ولا أوضح تناولاً، ولا أنصح من بيان العلماء الذي سبق نقله في المبحث الثالث من هذا الفصل؛لأن الموقعين عليه من العلماء العاملين والدعاة المخلصين والمتجردين من الضغوط والأهواء المختلفة، فهو بحق يمثل الموقف الشرعي الصحيح إزاء ذلك الحادث، ويعتمد على الأدلة الصحيحة والبراهين الناصعة، فجزى الله من أصدره خير الجزاء.

# الخاتمة

الحمد لله الذي أتم عليَّ نعمه، ووالى عليَّ مننه، وأعانني فأكملت هذا البحث بهذه الصورة التي أرجو أن أنال بها رضاه،وأن يكون البحث نافعاً محققاً للغرض منه،وقد توصلت من خلاله إلى عدة نتائج من أهمها:

1. أن بني آدم كانوا على التوحيد الكامل حتى طرأ عليهم الشرك وذلك بالغلو في الصالحين ولم يعرف شرك في البشرية قبل ذلك.
2. أن اليهود والنصارى واليونان كانوا قبورية متعلقين بالقبور معظمين لها معتقدين فيها عقائد باطلة وقد أخبر الرسول  أن هذه الأمة ستتبعهم في ذلك.
3. أن العرب كانوا موحدين على ملة أبيهم إبراهيم، حتى حرفهم عمرو بن لحي الخزاعي وكان من أسباب انحرافهم الغلو في بعض البشر، كما حصل عندما أحبوا (اللات) وعظموا موضعه،ثم اتخذوه إلهاً، وبالغلو في آثار الأنبياء حتى عظموا الحرم وحملوا حجارته معهم تعظيماً له، ثم أنهم عبدوا تلك الأحجار بعد مدة.
4. أن الشرك بعد ذلك عمّ جزيرة العرب والعالم كله حتى مقتهم الله تعالى إلا بقايا من أهل الكتاب ومعهم عدد قليل من حنفاء العرب.
5. أن رسول الله  لم يمت إلا وقد طهر الجزيرة العربية من الشرك وعلم أمته طرق حماية التوحيد وحذرهم من الشرك ووسائله أبلغ تحذير.
6. أن القرون المفضلة كانت خالية من جميع مظاهر القبورية، وأن الصحابة والتابعين وأتباعهم من علماء وأمراء عملوا على إزالة أي مظهر من مظاهر القبورية المتمثلة في البناء على القبور، وتعظيمها بأي نوع من أنواع التعظيم حتى أن الخلفاء والأمراء كانوا يتولون ذلك بأنفسهم أو بوكلائهم، وأن ما يستدل به القبورية على وجود مبان وقبور مرتفعة في ذلك الوقت إنما هو مجرد شبه لا وزن لها
7. أن الشيعة كانوا يحاولون منذ زمن مبكر إنشاء مبان على قبر الحسين  وإقامة مراسيم بدعية له، ولكن الخلفاء كانوا يمنعونهم من ذلك، ويشددون في المنع، ويزيلون ما يحدث في حين الغفلة، وأن ذلك كان بدافع الحرص على منع

الابتــداع في الــدين وليس كما يقــول الرافضة بســبب بغض الحسين وأهل بيته.

8. أن الشيعة الغالية من رافضة وإسـماعيلية وباطنية هم الـذين أنشـأوا المظـاهر القبورية في العـالم الإسـلامي ضـمن بـدع كثـيرة ابتـدعوها حينما حكمـوا بلاد المسـلمين أواخر القـرن الثالث وسائر القرن الرابع وبعض الخامس وأن تلك المظاهر قد ألفها المسلمون منذ ذلك الحين ولذلك فإن الدول السنية التي جاءت بعدهم قد قلدتهم في ذلك ونشرت تلك المظـاهر في البلاد التي لم تصلها الدولة الشيعية.
9. أن الصـوفية المتـأخرة القائمة على الفلسـفة هي نبته غريبة على الإسـلام ولا علاقة لها بالزهد الـذي حث الشـرع عليـه، وليس لها قدوة من صحابي أو تابعي أو إمـام معتـبر من أئمة المسلمين.
10. لقد أخــذت باطنية الشــيعة جملة من العقائد عن الفلاســفة وغـــيرهم من الأمم الكـــافرة وطبقتها على أئمتها وصـــاغتها صياغة تناسب ملتها ثم نشـرتها بين اتباعها وحملتهم عليها ثم إن المتـأخرين من الصــوفية أخــذوا ذلك عنهم ودمجــوه في منهجهم وعملـــوا به واعتقـــدوه ومن ذلك عقيـــدة القطبية والتصرف في الكون التي انبثقت عنها معظم العقائد الضـالة في الأولياء والكرامات.
11. كما أخــذت الباطنية الشــيعية والصــوفية بعلة الزيــارة الــتي قررها الفلاســفة وأصــبحوا يــزورون القبــور بمقتضــاها لا بمقتضى العلة الشرعية التي علمها رسـول الله  لأمته وتلك العلة المأخوذة عن الفلاسفة هي الاستشفاع والاسـتمداد من أرواح الأموات المزورين واعتقاد أنها تمد من استمد منها
12. إن الصــوفية الغالية الحريصة على إظهــار الخــوارق وعــدها كرامات تـدل على ولاية من جـرت على يديه قد اخـذوا بعـدد من علوم السحر واستخدموها ونشـروها في الأمة ومنهم من كـان يعـاني أنواعـاً من الرياضـات للوصـول للكشف وخـرق العادة على طريقة سحرة الهند وغيرهم.
13. ليس ما ذكرته عن الصوفية منطبقاً على كل من انتمى إليهم أو وصف بولاية منهم، بل ممن نسب إليهم مَن هو بـــرئ مما نسب إليه، وهناك من اعتقد عقائدهم وعمل ببـدعهم؛ تقليـداً لهم وإحســاناً للظن بهم، فهــؤلاء أمــرُهم إلى اللــه، وأما ما نسب إليهم من ذلك فهو باطل وانحـــــراف وهو إدانة للمنهج الصوفي ودليل على بطلانــه؛ لأن الصــوفية هم الـذين نسـبوا

ذلك إلى شيوخهم ونشروه مرتضين له، بل يعدونه من أعظم فضائلهم.

14. أثبتت هذه الدراسة أن أهل اليمن كانوا على منهاج السلف الصالح في عقيدتهم وأحكامهم وأن مصادر علمهم هي كتب السنة قبل دخول الكتب الفقهية والمذاهب المختلفة وكتب الفرق المخالفة لذلك المنهج،وأن منهج السلف الصالح ظل قائماً حتى بداية القرن الثامن في البلاد الشافعية وأنه ما كاد يغلب على تلك البلاد المذهب الأشعري حتى قام منهج السلف الصالح في البلاد الزيدية على يد الإمام محمد بن إبراهيم الوزير وأتباعه وهذا المنهج ما زال قائماً إلى اليوم والحمد لله.

15. كما عرفنا أن جميع المذاهب المخالفة لمذهب السلف الصالح إنما هي وافدة على اليمن وليست أصيلة فيه وأن الصوفية القبورية لم تعرف بفلسفتها المبتدعة في اليمن إلا منذ القرن السادس ولم تستقر ولم تنتشر إلا في القرن السابع.

16. أن جميع ما لدى صوفية العالم الإسلامي من عقائد ضالة وبدع باطلة ومخالفات ظاهرة أو خفية أو دعاوى وشطح كل ذلك قد قلدهم فيه صوفية اليمن في وقت ما أو مكان ما.

17. كما أظهرت الدراسة أن لسلاطين اليمن السنيين وأئمته الزيديين دوراً كبيراً في نشر القبورية وتعميقها في البلاد

18. كما أظهرت الدراسة أن لوجود القبورية وانتشارها آثاراً سيئة كثيرة منها:

أ) إفساد عقائد كثير من الناس بالشرك الأكبر والأصغر لتعلقهم بالأولياء وإيهامهم أنهم يمدون من استمد منهم، ويعطون من دعاهم، وينفعونهم ويضرونهم بما لا يقدر عليه إلا الله.

ب) نشر الخرافة في الأمة حتى أصبحت جزءاً من حياتها.

5) نشر السحر واستخدامه باسم الكرامة والولاية، حتى أصبحت تقرأ عن أولياء يوصفون بأوصاف جليلة جداً، وتنسب إليهم كرامات عظيمة، وربما في نفس الترجمة يوصف بأنه يتقن علم أسرار الحروف والأوفاق والرمل وما أشبه ذلك،ويتصرف بها وهي من علوم السحر والكهانة مما يجعل الباحث في شك كبير من غالب أولئك

الأولياء وتلك الكرامـات لاختلاط الكرامة بالسـحر والكهانة وعدم التقيد في صفة الأوليـاء بالضـوابط الشرعية.

8)كما أنه تـــرتب على ذلك نقص العلم الشــــرعي وتجهيل الأمة وحصر التعلم في فئات محدودة.

هـ) وترتب على ذلك أيضاً وجود تمــايز طبقي وترفّع بعض الفئات على بعض مما كان له نتائج سـيئة على المجتمع.

19. واجه علماء اليمن القبورية وتصدوا لها رغم ما كانت تقوم به من أسـاليب كثـيرة لمواجهة هـؤلاء العلمـاء، منها اللجوء إلى السـلطان، وتسـخير القبائل لضـرب من ينازعها واسـتخدام الاخـتراق والاحتـواء والتشـويه للخصـم، وقد يصل الأمر إلى التصفية الجسدية أو الضرب المبرح.

19.لعلماء اليمن مؤلفات قيمة نافعة في مواجهة القبورية كتبها علماء من سائر الجهات اليمنية.

020لقد كان لحركات التجديد السنية أثرها البالغ على القبورية في اليمن من حيث كبــح جماحها،
وتبصير الناس بمعايبها، وصدهم عن متابعتها، والحركات التي كان لها بالغ الأثر هي مدرســة
التجديد والاجتهاد التي ابتدأها ابن الوزير وتبعه عليها ابن الأمير والشوكاني وغيرهم من علمـاء
اليمن ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في نجد، ودعوة الإرشاد بإندونيسيا، وقد ترتـب على
ظهور هذه الدعوات هدم الكثير من المشاهد والقباب المقامة على أضرحة الأئمـة والأوليـاء في
فترات مختلفة.

هذه أهم النتائج التي خـرجت بهـا، ولا شك أن هنـاك فوائد ونتـائج أخرى سيلمسها القـارئ من خلال مطالعته لهـذه الرســالة، أسـأل الله أن يجعلها خالصة لوجهه، سالمة من الأغراض والأهـواء، نافعـة لي ولإخواني المسلمين إنه سميع مجيب، والحمد لله أولاً وآخراً.